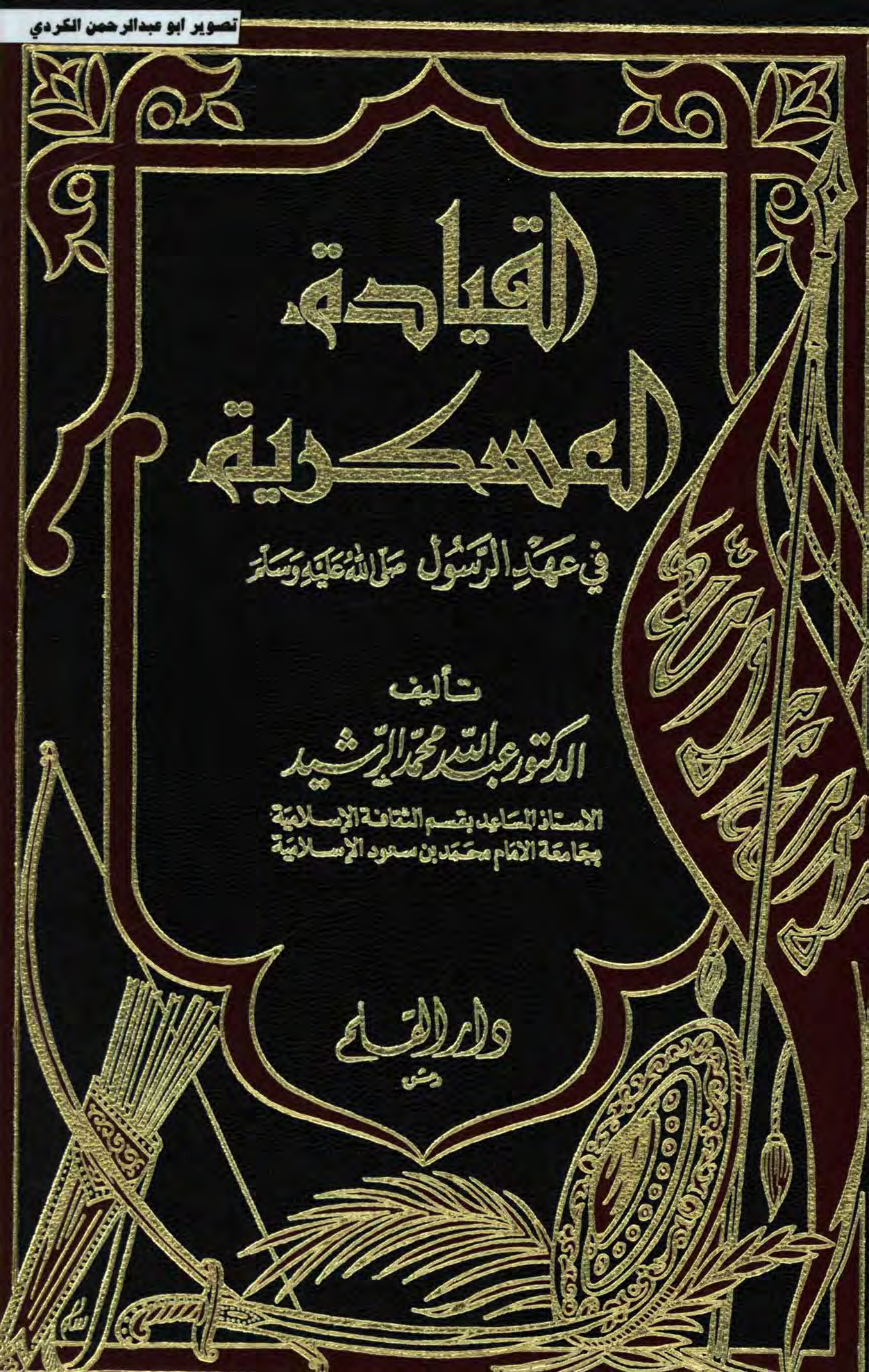


تصوير ابو عبدالرحمن الكردي
القيادة العسكرية
في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
تأليف
الدكتور عبد الله محمد الرشيد
الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية
بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية
دار القلم
دمشق

القيادة العسكرية

في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

تأليف

الدكتور عبد الله محمد الرشيد

الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار القلم

دمشق

الطّبْعَة الأولىٰ
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص . ب : ١١٣/٦٥٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له ومن يضلِلْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتُنّ إلاّ وأنتم مسلمون﴾(1).

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيباً﴾(2).

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطعِ اللّهَ ورسولَه فقد فاز فوزاً عظيماً﴾(3).

ونصلّي ونسلّم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد الذي ضرب لأمته المثل الأعلى في الشجاعة والبسالة حتى حقّق الله على يديه النصر في

---

(1) الآية (١٠٢) من سورة آل عمران.

(2) الآية (١) من سورة النساء.

(3) الآيتان (٧٠، ٧١) من سورة الأحزاب.

جميع المواطن التي تصدّى فيها لخصوم الإسلام وأعدائه فجزاه الله عن المسلمين خير ما يجزي نبياً عن أمّته. وبعد:

فإنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل نبيه محمداً ﷺ أُسوة للمؤمنين في أقواله وأفعاله وأحواله، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو اللَّهَ واليومَ الآخر وذكَر الله كثيراً﴾(١).

وسيرة الرسول ﷺ في سلمه وحربه أعظم منبع للواردين وأبْيَن طريق للسالكين الذين يريدون السعادة والظفر في الدنيا والفوز والفلاح في الآخرة.

ولقد حظي الجانب الحربيّ من سيرته ﷺ بالعناية والاهتمام من لدن العلماء والباحثين قديماً وحديثاً. ولهذا آثرتُ أن يكون هذا الكتاب الذي بين يديك ـ أخي القارىء ـ مساهمة في هذا الجانب المهم من سيرة نبينا ﷺ، حيث تناولتُ بالعرض والتحليل الجانب القيادي في حياته ﷺ، وختمتُ الكتاب بذكر نماذج من السرايا الحربية التي كان ﷺ يبعثها لأداء مهمات عسكرية محدودة. وذكرتُ في نهايته نماذج لشخصيات قيادية من صحابة رسول الله ﷺ الذين ربّاهم على عينه.

وقد جعلته في خمسة أبواب وخاتمة:

* ففي الباب الأول تحدثتُ عن أمور أساسية تتعلق بالقيادة والقائد، وتتلخص فيما يأتي:

أولاً: ضرورة وجود القيادة ومبادؤها وأصنافها.

ثانياً: صفات القائد العسكري ـ تعيينه ـ عزله.

ثالثاً: حقوق القائد التي يضمن وجودُها حصولَ المصلحة من نصبه.

رابعاً: الواجبات التي يتعيّن على القائد القيام بها.

---

(١) الآية (٢١) من سورة الأحزاب.

* وفي الباب الثاني عرضتُ نماذج لأشهر الغزوات التي واجه فيها الرسول ﷺ أعداءه، وهي غزوة بدر وأُحد والخندق والحديبية وفتح مكة وحنين وتبوك.

وقد جمعتُ في عرضها بين ما ورد في كتب السنّة وما ورد في كتب السيرة مع تخريج ما كان له أصل في كتب الحديث.

وفي نهاية هذا الباب عرضتُ أبرز صفات الرسول ﷺ القيادية.

* أما الباب الثالث فقد خصّصته للكلام على الدروس القيادية المستنبطة من تلك الغزوات.

وقد ظهر لي بعد البحث والتقصّي أن هذه الدروس تنقسم إلى قسمين:

الأول: دروس قيادية عامة يشترك فيها غير غزوة أو لقاء. وهذا القسم من الدروس ضممتُ بعضها إلى بعض وجعلتها في مكان واحد حتى لا يجد القارىء عناءً عند البحث عنها في ثنايا الصفحات.

الثاني: دروس قيادية خاصة تكاد تنفرد بها كل غزوة. وقد عنونتُ في هذا القسم لكل غزوة وذكرتُ تحته الدروس القيادية المستفادة منها.

* وفي الباب الرابع أوردتُ نماذج من السرايا الحربية في عهد الرسول ﷺ وذكرتُ حسب استطاعتي أبرز ما ظهر لي من الدروس القيادية المستفادة منها.

* أما الباب الخامس فقد اشتمل على نماذج من القادة العسكريين في عهد الرسول ﷺ.

وكان من أبرز ما حفل به هذا الباب:

١ ــ الصفات القيادية التي كان يتحلى بها هؤلاء الصحابة.

٢ ــ المبادىء العسكرية التي كان يطبّقها كل واحد منهم.

٣ ــ أبرز الأعمال التي قام بها كل قائد في هذا الجانب.

* ثم ختمتُ أبواب هذا الكتاب بخاتمة موجزة بيّنتُ فيها خلاصة ما توصّلتُ إليه بعد البحث والدراسة.

وقد ذيّلتُ الكتاب بفهارس متعدِّدة تسهّل الكشف عن موضوعاته وتيسِّر لمن يريد الاطلاع الوقوف على مراده.

وبعد: فإنني لا أدّعي أنني بذلك بلغتُ الكمال أو قاربته، ولكنه جهد المُقِلّ، فما كان فيه من صواب فالحمد لله على ذلك، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان واللَّهُ ورسولُه بريئان منه وأستغفر اللَّهَ من ذلك.

﴿إنْ أريد إلّا الإصلاحَ ما استطعتُ وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلتُ وإليه أُنيب﴾[1].

وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كتبه

عبدالله بن محمد بن عبدالله الرشيد

الرياض في ١٤٠٨/١٢/٢٠هـ

---

(١) الآية (٨٨) من سورة هود.

الباب الأوّل

القيادة والقائد

الفصل الأول : القيادة العسكرية :

ضرورة وجودها ـ مبادؤها ـ أصنافها .

الفصل الثاني : القائد العسكري :

صفاته ـ تعيينه ـ عزله .

الفصل الثالث : حقوق القائد .

الفصل الرابع : واجبات القائد .



الفَصْل الأوّل

القِيادَة العَسكريّة

ضرورة وجودها - مبادئها - أصنافها

معنى القيادة لغة واصطلاحاً:

القيادة في اللغة: مصدر قاد، يقال: قاد الجيش قيادة إذا رأسه ودبَّره، والقود نقيض السَّوق، فالقود من أمام، والسَّوق من خلف، وبهذا يتبيَّن لنا أن من المعاني اللغوية لكلمة (القيادة) القيام على أمر الجيش وتدبير شئونه[1].

والقيادة في الاصطلاح: هي الإدارة العسكرية التي تهيمن على الجنود وتوجههم نحو هدف معيَّن، بطريقة تضمن بها طاعتهم وثقتهم واحترامهم وولاءهم وتعاونهم[2].

---

(١) انظر لسان العرب ٣/٨٤: لابن منظور، إعداد وتصنيف يوسف خياط، ط دار لسان العرب ــ بيروت.
القاموس المحيط ١/٣٤٣: للفيروزآبادي، ط ٣، سنة (١٣٧١هـ / ١٩٥٢م)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ــ بمصر.
المعجم الوسيط ٢/٧٧١، قام بإخراجه الأساتذة: إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، وأشرف على طبعه عبد السلام هارون.
تاج العروس من جواهر القاموس ٢/٤٧٧: تأليف محمد مرتضى الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة ــ بيروت، لبنان.

(٢) انظر الجيش العربي الإسلامي في التخطيط السوقي الاستراتيجي للرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ص ٧٣، تأليف مقدّم درع حازم إبراهيم العارف، دار الرشيد للنشر والتوزيع الرياض، ط مطابع المدينة ــ الرياض، سنة (١٤٠٣هـ).
والمدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ٢٧٥: للواء محمد جمال الدين علي محفوظ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المبحث الأول

ضـــرورة وجودهـــا

يُعَدّ وجود القيادة لأي جماعة أمراً ضرورياً حتى ينتظم أمرها، وفي ذلك يقول ابن خلدون: (ثم إنّ هذا الاجتماع إذا حصل للبشر، وتم عمران العالم لهم، فلا بد من وازع يدفـع بعضهم عن بعض لما في طبـاعهم الحيوانيـة من العـدوان والظلم، وليست آلـة السلاح التي جُعلتْ دافعـة لعدوان الحيـوانات العُجم عنهم كافية في دفـع العدوان عنهم لأنها موجودة لجميعهم، فلا بد من شيء آخـر يـدفـع عــدوان بعضهم عن بعض ولا يكـون من غيــرهم لقصـور جميـع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم، فيكون ذلـك الوازع واحـداً منهم ويكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة. وقد تبيَّن لك بهذا أن للإنسان خاصة طبيعية ولا بد لهم منها، وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم ــ على مـا ذكره الحكمـاء ــ كما في النحـل والجـراد لمـا استقـرىء فيهـا من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من أشخاصهـا متميز عنهم في خلقـه وجثمانـه إلا أن ذلـك موجـود لغيـر الإنسـان بمقتضى الفـطرة والهـدايـة، لا بمقتضى الفكـرة والسياسة)[1].

ويذكر الكاساني سبب تلك الضرورة فيقول: (إن مما يُندب إليه الإمام عند تسيير الجيش: أن يؤمِّر عليهم، لأن الحاجة إلى الأمير ماسّة، لأنه لا بد من تنفيذ الأحكام وسياسة الرعيَّة، ولا يقوم ذلك إلا بالأمير لتعذُّر الرجوع في كل حادثة إلى الإمام)[2].

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص٤٣: للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، ط المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.

(٢) بدائـع الصنائـع في ترتيب الشرائـع ٩/٤٣٠٣: لأبـي بكر بن مسعود الكاساني، مطبعة الإمام ــ القاهرة.

وقد دلت السنّة القولية والفعلية على تلك الضرورة:

أما دلالة السنّة القولية على ذلك: ففي الحديثين الآتيين:

الأول: عن أبـي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمّروا أحدهم»[1].

الثاني: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لثلاثة يكونون بأرض فلاة[2]، إلا أمّروا عليهم أحدهم»[3].

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب: في القوم يسافرون يؤمّرون أحدهم، ح (٢٦٠٨)، سنن أبـي داود ٣/٨١.
وقد ذكره النووي في رياض الصالحين، باب استحباب الرفقة وتأميرهم على أنفسهم واحداً يطيعونه ص ٤٠٢، حققه وخرّج أحاديثه عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، راجعه شعيب الأرناؤوط، طبعة دار المأمون للتراث ــ دمشق.
قال المناوي في فيض القدير: رواه أبو يعلى والبيهقي والحديث في درجة الحسن، وله شاهد من حديث أبـي هريرة عند أبـي داود في كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون، ح (٢٦٠٩)، وسنده حسن. انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير ١/٣٣٣: للعلّامة المناوي، طبعة دار المعرفة الثانية، سنة (١٣٩١هـ).

(٢) الفلاة: هي الأرض المستوية التي ليس بها ماء ولا أنيس. انظر لسان العرب ١١٣/٣؛ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١٣٧/٢، تأليف العلّامة أحمد بن محمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، بتصحيح مصطفى السقّا، مطبعة مصطفى البابـي الحلبـي وأولاده بمصر.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٧٧/٢، ولفظه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل أن ينكح المرأة بطلاق أخرى، ولا يحل لرجل أن يبيع على بيع صاحبه حتى يذره، ولا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلّا أمروا عليهم أحدهم، ولا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة يتناجى اثنان دون صاحبهما». وإسناده صحيح، انظر المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر ١٠/١٧٤، ط دار المعرفة، سنة (١٣٧١هـ). قال الهيثمي: فيه ابن لهيعة، وهو لين، وبقية رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨/٦٣ ــ ٦٤: للحافظ علي بن أبـي بكر الهيثمي، الطبعة الثالثة، سنة (١٤٠٢هـ)، طبعة دار الكتاب العربـي ــ بيروت.
(تنبيه): ستأتي ترجمة ابن لهيعة بالتفصيل في ص ٢٦٤. =

وجه الاستدلال بهذين الحديثين:

في الحديث الأول: أمر لأي جماعة بأن تؤمِّر واحداً منها عليها «فليؤمروا» والأمر إذا أطلق يقتضي الوجوب.

وفي الحديث الثاني: نفى ﷺ الحل عن ترك التأمير، ونفي الحل يدل على التحريم.

ويعلّق الشوكاني رحمه الله على هذين الحديثين بقوله: (وفيهما دليل على أنه يشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعداً أن يؤمروا عليهم أحدهم، لأن في ذلك السلامة من الخلاف الذي يؤدِّي إلى التلف، فمع عدم التأمير يستبدّ كل واحد برأيه، ويفعل ما يطابق هواه فيهلكون، ومع التأمير يقل الخلاف، وتجتمع الكلمة، وإذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون، فشرعيته لعدد أكثر يسكنون الأرض والأمصار ويحتاجون لدفع التظالم وفصل التخاصم أولى وأحرى)(١).

ويقول اللواء جمال الدين محفوظ في ضرورة وجود هذه القيادة: (القيادة ظاهرة اجتماعية، ذات جذور عميقة، تتصل بطبيعة الإنسان وتراثه الثقافي، ومشاركته لمن حوله في مجتمعه، فالوجود المشترك لشخصين أو أكثر يخلق نوعاً من الحاجة إلى من ينظم العلاقات القائمة بينهم، وفي هذه الحالة يتولى القيادة واحد منهم، وهكذا يرى علم النفس: أن طبيعة الحياة

= وأخرج الحاكم نحواً من معناه في كتاب المناسك، بلفظ: عن زيد بن وهب، قال عمر: (إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم ذاك أمير أمّره الرسول ﷺ). قال الحاكم: (هذا حديث صحيح، على شرط الشيخين، ولم يخرّجاه)، ووافقه الذهبي. انظر: المستدرك على الصحيحين ١/٤٤٣، ٤٤٤: للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله: التلخيص للحافظ الذهبي، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب.

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ٨/٢١٣: للشيخ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، طبع ونشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

تجعل من حاجتنا إلى قادة أمراً لا بد منه، وأنه لا تكون جماعة إلا ويجب أن يكون لها قائد)[1].

وأما دلالة السنّة الفعلية: فإنه بتتبع غزوات الرسول ﷺ يتبين أنه ﷺ كان قائد الجيش وكانت مقاليد المعركة في يده وحده، كما داوم على تأمير الأمراء في السرايا التى كان يبعثها، لتنفيذ وظائف عسكرية معينة[2].

قال في شرح السير الكبير: (وإنما يجب التأمير اقتداءً برسول الله ﷺ، فإنه داوم على بعث السرايا، وأمّر عليهم في كل مرة، ولو جاز تركه لفعله مرة تعليماً للجواز.

ولأنهم يحتاجون إلى اجتماع الرأي والكلمة، وإنما يحصل ذلك إذا أمّر عليهم بعضهم، حتى إذا أمرهم بشيء أطاعوه في ذلك)[3].

---

(١) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ٢٧٤.

(٢) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ص ٦٧٠، وبحوث ودراسات عسكرية ص ٤٠: للعميد الركن يوسف إبراهيم السّلّوم، نشر دار المريخ، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٩هـ).

(٣) شرح السير الكبير ١/٦٠، تأليف الشيخ محمد بن الحسن الشيباني، إملاء محمد بن أحمد السرخسي، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، مطبعة الإعلانات الشرقية، سنة (١٩٧٠م).

المبحث الثاني

مبادىء القيادة العسكرية

المطلب الأول

معرفة القائد نفسه

تُعَدّ معرفة القائد نفسه من المبادىء الأساسية للقيادة، إذ إن القائد الذي لا يعرف مواطن القوة والضعف في نفسه، ولا يعرف قدراته التي يتميز بها عن غيره، لا يمكن أن يكون قائداً ناجحاً، وفي ذلك يقول عبد التواب هديب: (إن من واجب كل قائد أن يعرف مواطن القوة والضعف في نفسه، فالفرد الذي لا يعرف قدراته وإمكانياته وحدوده... لا يُرجى منه أن يكون قائداً، وكذلك الفرد الذي يدرك نواحي نقصه، ولكنه لا يقوم بإصلاحها، سوف يفشل في عمله)[1].

ولهذه المعرفة أثر على شخصية القائد حيث يمكنه أن يقف على جوانب القوة في نفسه، فيتعاهدها بالمحافظة والرعاية، وأن يقف على جوانب الضعف فيبادر بعلاجها وإصلاحها[2].

وهناك أمر جدير بالملاحظة فإن من يجهل نفسه التي بين جنبيه فهو

---

(١) القيادة ص ١١٣: لعبد التواب هديب والدكتور السيد محمود زكي، نشر دار الفكر العربي.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٧٨/١: للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيّم الجوزية، تحقيق وتصحيح وتعليق محمد حامد الفقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، سنة (١٣٥٧هـ)؛ وإتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين للزبيدي المشهور بمرتضى، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت؛ والمدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ٢٩٥؛ والقيادة ص ١٣١.

لنفوس جنوده وخصائصهم أكثر جهلاً. وهذا الأمر له أثر سلبي في علاقة هذا القائد مع جنده. وإن أفضل أسلوب لمعرفة النفس والوقوف على مواطن القوة والضعف فيها طريقان:

الأول: أن يختار صديقاً مخلصاً بصيراً بعيوبه مطلعاً على خفايا أحواله وينصبه رقيباً على نفسه[1]. وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل ذلك ويقول: (إن أحبّ الناس إليّ من أهدى إليّ عيوبي)[2].

الثاني: محاسبة النفس وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله: وفي محاسبة النفس عدة مصالح منها الاطلاع على عيوبها ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته[3].

والدليل على ذلك ما أخرجه ابن حبان في حديث طويل عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «...وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن تكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته في المطعم والمشرب»[4].

---

(١) انظر إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين ٧/٣٤٩.

(٢) انظر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ص ١٥٢: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق الدكتورة زينب إبراهيم القاروط، نشر دار الكتب العلمية ــ بيروت.

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ١/٨٤.

(٤) الحديث أخرجه ابن حبان في كتاب العلم، باب السؤال للفائدة، ح (٩٤)، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ٥٣، وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسّاني عن أبيه عن جده، قال الطبراني: لم يرو هذا عن يحيى إلاّ ولده وهم ثقات، وقد ذكر ابن حبان إبراهيم بن هشام الغساني في الثقات وأخرج حديثه في الأنواع، وقال أبو حاتم: ينبغي ألا يُحَدّث عنه، وقال ابن الجوزي: قال أبو زرعة: كذاب، قال الذهبي: مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين. انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال ١/٧٢، ٧٣: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق محمد علي البجاوي، ط دار المعرفة للطباعة والنشر ــ بيروت.

المطلب الثاني

معرفة القائد عمله

يُعَدّ توافر هذا المبدأ في القيادة العسكرية أمراً مهماً ويقرر الفن العسكري أنه يتعين على القائد أن يكون على مستوى عال من العلم والمعرفة لعمله.

وفي ذلك يقول عبد التواب هديب: (لمعرفة القائد عمله تماماً يلزم أن يكون ملماً إلماماً واسعاً بنواحي عمله، سواء النواحي الفنية أم العملية، كما يتطلّب ذلك أيضاً إلماماً بموضوعات ووسائل التنظيم، والشؤون الإدارية والتعليمات والموضوعات التي لها علاقة بفن الحرب وإدارة الرجال... وأن يكون كثير الاطلاع ليقف أولاً بأول على أحدث الوسائل والتطورات في فنون عمله[1].

بالإضافة إلى التمرين والتدريب العملي في كل ما يتعلق بتخصصه، ولا تقتصر هذه المعرفة على النواحي العسكرية فحسب، بل ينبغي أن تشمل العلوم الطبيعية والاجتماعية، مثل الرياضيات والفيزياء والإحياء وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ)[2].

المطلب الثالث

معرفة القائد جنوده

تُعَدّ معرفة القائد جنوده أمراً مهماً حتى يمكنه استغلال طاقاتهم ووضع كل واحد منهم في المكان الذي يناسبه. وقد كان رسول الله ﷺ يعرف مزايا أصحابه، وفي ذلك يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب: (وكان عليه أفضل الصلاة والسلام يعرف أصحابه معرفة دقيقة مفصَّلة، وكان يعرف ما يمتاز به كل صحابي من مزايا تفيد المجتمع الإسلامي الجديد، وكان

---

(١) القيادة: ص ١١٣.

(٢) انظر المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ٢٠٥، ٢٢٨، ٢٩٤.

يستغل تلك المزايا لخير هذا المجتمع وللمصلحة العامة العليا للمسلمين)[1].

ويذكر أهل التجربة والخبرة بالحروب أنه يتعين على قائد الجيش أن يعرف مزايا أصحابه، حتى يحصل على الغرض المطلوب من كل واحد منهم. وفي ذلك يقول الأنصاري رحمه الله: (ينبغي لصاحب الجيش أن يعرف ما استطاع معرفته عن أصحابه وجنده واحداً واحداً بخاصته، وما يعنيه من أنواع الحرب وما يختص به من الشجاعة والجبن، وسائر أحواله، وأن يعرف مراتب الشجعان، وما يتعاناه كل منهم في شجاعته، فإن منهم الشجاع الثابت الملازم لمواقفه، المصمّم على خصمه، ومنهم الشجاع الكرّار الفرّار، الذي يذهب ويأتي، ومنهم الشجاع الجايل[2] على الأقران الذي لا يجعل له خصماً بعينه، بل أينما لاحت له الفرصة انتهزها، ومنهم من يجيد القتال فارساً، ومنهم من يجيد الطعن بالرمح، والذي يجيد الرمي بالسهام، ومنهم الجبان الذي يتشبه بالشجعان في زيهم، والجبان الظاهر الجبن، وغير ذلك من صفات الشجاعة والجبن، فإنه إذا عرف كل واحد من هؤلاء بصفته أنزله في الحرب منزلته وأقامه فيما يليق فيه، فحصل على الغرض المطلوب منه)[3].

---

(١) انظر الإسلام والنصر ص ١٦٦: للواء الركن محمود شيت خطاب، الطبعة الأولى، دار الفكر، سنة (١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م)؛ الرسول القائد ص ٤٤١؛ ومضات من نور المصطفى ﷺ ص ٥٦: للواء الركن محمود شيت خطاب، دار الاعتصام، ط ٢، سنة (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).
وسوف أتكلم عن هذا الموضوع وأضرب له أمثلة في صفة معرفة النفسيات والاستعدادات، وذلك في فصل الصفات القيادية للرسول ﷺ.

(٢) الجايل: هو الزائل عن مكانه. يقال: جال الرجل: إذا انكشف ثم كرّ ثانية، وسُمّيَ الشجاع بذلك لأنه لا يثبت للقتال في مكان واحد، بل يطارد خصمه كلما واتته الفرصة المناسبة لذلك. انظر لسان العرب ١/٥٣٦.

(٣) تفريج الكروب في تدبير الحروب ص ٤٣، تأليف الشيخ عمر بن إبراهيم الأنصاري، تحقيق وترجمة د. جورج سكانلون. نشر الجامعة الأميركية في القاهرة، سنة (١٣٨١هـ). =

وبهذا تتبين ضرورة وجود هذا المبدأ في القائد العسكري حتى يمكنه توظيف طاقات جنوده فيما يحقق المصلحة العامة.

المطلب الرابع

توضيح الأهداف للجنود ومداومة إعلامهم بها

يُعَدّ وضوح الهدف من القتال في ذهن الجندي سبباً قوياً في رفع روحه المعنوية وإقدامه على القتال، صابراً محتسباً.

والهدف الذي يقاتل الجندي المسلم من أجله كان واضحاً في أذهان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لارتباطهم بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

فقد خاطب الله نبيَّه محمداً ﷺ بقوله: ﴿قل هل تَرَبَّصون بنا إلّا إحدى الحُسْنَيَيْن ونحن نتربَّص بكم أن يصيبكم اللَّهُ بعذابٍ من عنده أو بأيدينا فتربَّصوا إنا معكم متربّصون﴾[1]، والمراد بالحسنيين هنا: النصر والظفر في الدنيا، أو الفوز بالشهادة[2].

كما وعد سبحانه من قُتِلَ في سبيله أو انتصر بالأجر العظيم، فقال: ﴿ومن يُقاتِلْ في سبيل الله فيُقْتَلْ أو يغلِبْ فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾[3].

ومن ثمرات وضوح الهدف لدى الصحابة رضوان الله عليهم: ما حدث يوم بدر من تلك البطولات التي تمثّلت في حرصهم على الشهادة في سبيل الله.

وسوف أذكر في هذا المقام نماذج منها:

= وانظر مختصر في سياسة الحروب ص ٥٣، ٥٤: للهرثمي صاحب المأمون، تحقيق عبد الرؤوف عون، مراجعة مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر؛ المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦؛ القيادة ص ١١٣، ١٣٢.

(١) سورة التوبة: آية ٥١.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٣٦٢: للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت، سنة (١٣٩٨هـ / ١٩٦٩م).

(٣) سورة النساء: آية ٧٤.

* عندما حث الرسول ﷺ أصحابه على الجهاد بقوله: «قوموا إلى جنةٍ عرضها السموات والأرض»، قال عمير بن الحمام: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم»، قال: بخٍ بخٍ[1]، فقال رسول الله: «ما يحملك على قولك: بخٍ بخٍ؟» قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال «فإنك من أهلها». فأخرج تمراتٍ من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قُتل[2].

* وعن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه، قال: سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف»، فقام رجل رثّ الهيئة، فقال: يا أبا موسى: أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم، قال: فرجع إلى أصحابه، فقال: أَقرأُ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قُتل[3].

* وعندما تخوف المسلمون من قتال الروم في مؤتة وضّح لهم أحد

---

(١) بخْ بخٍ: فيها لغتان: إسكان الخاء، وكسرها منونةً، وهي كلمة تقال عند الفرح والرضى بالشيء وتكرارها للمبالغة، وتقول: بَخْبَخْتُ الرجل: إذا قلت له ذلك، ومعناها: تعظيم الأمر وتفخيمه. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/١٠١: لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزواوي ومحمود محمد الطناحي، نشر المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الصلح؛ وصحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٣/١٥١٠: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق وتصحيح وترقيم الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، سنة (١٣٧٥هـ)، ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم الحديث (١٩٠١)، صحيح مسلم ٣/١٥٠٩، ١٥١١.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ح (١٩٠٢)، صحيح مسلم ٣/١٥١١.

المرشحين لقيادة هذه السرية (عبد الله بن رواحة) الهدف من القتال، فشجعهم ذلك على المضي لقتال أعدائهم.

عن عروة بن الزبير رضي الله عنه، قال: (. . .ثم خرج القوم، وخرج رسول الله ﷺ يشيّعهم حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

خلف السّلام على امرىء ودعته ... في النخل غير مودع وكليل

ثم مضوا حتى نزلوا معان ــ من أرض الشام ــ فبلغهم أن هرقل في مآب[1] من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وقد اجتمعت إليه المستعربة من: لخم وجذام وبلقين وبهرام وبلى، في مائة ألف، عليهم رجل بلّي أخذ رايتهم يقال له (ملك بن زانة)، فلما بلغ ذلك المسلمين قاموا بمعان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا فإما أن يمدّنا، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له.

فشجع عبد الله بن رواحة الناس، وقال: (يا قوم: والله إن الذي تكرهون للّذي خرجتم له تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور أو شهادة)[2].

---

(١) مآب: هي مدينة في طرف الشام من أرض البلقاء وقد فتحها أبو عبيدة رضي الله عنه سنة (١٣هـ) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد قيل: إنها سميت باسم أحد أبناء لوط عليه السلام. انظر: معجم البلدان ٣١/٥، ١٥١/٤.

(٢) الحديث أخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، إلّا أنه مرسل. انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٥٨/٦ ــ ١٦٠: للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي، ط دار الكتاب العربي ــ بيروت، ط ٢، سنة (١٤٠٢هـ). وفيه: علي بن زيد بن جُدْعان التيمي البصري الضرير أحد الحفاظ، قال عنه الذهبي: ليس بالثبت، سمع سعيد بن المُسَيَّب وجماعة، وعنه: شعبة وزائدة وابن علية وغيرهم. وقال عنه الدارقطني: لا يزال عندي فيه لين. قال منصور بن زاذان: لمّا مات الحسن قلنا لابن جُدْعان: اجلس مجلسه، توفي سنة (١٣١هـ). انظر ترجمته في الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب =

ومن هذه الأمثلة ـ التي سبق ذكرها ـ يتبين أن وضوح الهدف في ذهن الجندي المسلم مبدأ ضروري من مبادىء القيادة العسكرية.

وقد كان وضوح الهدف من القتال لدى الصحابة رضوان الله عليهم سبباً قوياً في حرصهم على الموت أكثر من حرص أعدائهم على الحياة، وبهذه التضحية مكّن الله لهذا الدين في الأرض وأظهره على سائر الأديان.

المطلب الخامس

تحمل المسؤولية وتنميتها في الجند

يُعَدّ تحمل القيادة العسكرية للمسؤولية وتنميتها في الجند مبدأ مهماً لإعداد هؤلاء الجند ليكونوا قادة المستقبل.

يقول القائم مقام عبد التواب هديب: (إن قائد أيٍّ تشكيل مسؤول عن كل نجاح أو فشل في تشكيله، ويجب على القائد أن يدرك ذلك ويتحمل المسؤولية لجميع عماله تحت أي ظروف، وإن أيَّ محاولة للتهرب من المسؤولية يهدم روابط الولاء والاحترام الذي يجب أن يكون بين القائد ومرؤوسيه)[1].

وقد قرر الرسول ﷺ هذا المبدأ بفعله، حيث قاد عدداً من الغزوات التي انطوت على صور العمليات الأربع، وهي:

الدفاع، والهجوم، والمطاردة، والانسحاب.

وكان قصده بذلك (زيادة على امتثاله لأمر ربه) تنمية مبدأ المسؤولية في نفوس أصحابه الذين سيكونون قادة المستقبل[2].

= السنة ٢ /٢٤٨: للإمام الذهبي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط الأولى، سنة (١٤٠٣هـ).

(١) القيادة ص ١١٦.

(٢) انظر المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ٢٨٢، ٣٠٦.

المطلب السادس
المحافظة على أرواح الجند

من المبادىء القيادية التي قررها الفن العسكري: المحافظة على أرواح الجند، ويعدّ تحققه أسمى هدف تسعى إليه القيادة العسكرية، وإن ظهور هذا المبدأ وتقريره في العهد النبوي: يعدّ سبقاً عسكرياً تميزت به قيادة الرسول ﷺ في معاركه، حين طبق الرسول ﷺ هذا المبدأ في كل غزواته. وكان هدفه من ذلك هو الحصول على النصر بدون ـ أو بأقل ـ خسائر ممكنة في الأرواح والمعدات، وذلك بإظهار القوة لإرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعدِّي على المسلمين دون تعريض أرواح الجند إلى التلف(١).

وذلك: أن الجند هم الحصن الواقي ـ بعد الله ـ للإسلام وأهله وإذا تعرضوا للقتل حرص العدو على إبادتهم واستئصال شأفتهم.

ويتجلى لنا تطبيق النبي ﷺ لهذا المبدأ مما يأتي:

أولاً: أن النبي ﷺ قاد ثماني وعشرين غزوة ضد المشركين، وقد نشب القتال في تسع(٢) منها فقط، بينما فرّ المشركون في تسع عشرة غزوة، ولم يحصل قتال بين الطرفين.

ثانياً: أن خسائر الغزوات التي نشب فيها القتال بين المسلمين وأعدائهم كانت قليلة جداً، كما في غزوة بني المصطلق والخندق وبني قريظة والفتح، وأكثر ما وصلت إليه خسائر المسلمين في غزوة أُحد، وذلك بسبب مخالفة الرماة أمر النبي ﷺ، حيث كانت نسبة القتلى إلى عدد الجيش ١٠ ٪، وهي نسبة ليست كبيرة(٣).

---

(١) انظر المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية ص ٣٠١.

(٢) هذه الغزوات هي: (بدر، وأُحد، والخندق، وبني المصطلق، وبني قريظة، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف).

(٣) انظر المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ١١٨.

المبحث الثالث
أصناف القيادة العسكرية

المطلب الأول
أصـــناف القيــادة

للقيادة العسكرية صنفان:

الصنف الأول: القيادة الإرغامية: وهي التي يرغم بها القائد جنده على طاعته معتمداً على سلطة مركزه وقوة شخصيته.

الصنف الثاني: القيادة الإقناعية: وهي التي يحصل بها القائد على طاعة مرؤوسيه وهم مقتنعون بأوامره.

وذكر بعض الباحثين أن هناك صنفاً ثالثاً وهي القيادة الفوضوية وتتمثل في رئيس غائب عن جنده وهوعلى رأس العمل فتظهر بين الجند الآراء المضطربة وتشيع بينهم روح الاستهتار والتفكك وكثرة الفاقد من الوقت والجهد والمال[1]. ولا أرى أن هذا الصنف يتفق مع الواقع العملي للحياة العسكرية لسببين:

أولهما: أن الجند بحاجة ضرورية في كل لحظة إلى القيادة الحكيمة التي ترعى شؤونهم وتسوسهم على وجه يحقق المصلحة العامة للأمة الإسلامية ويدرأ عنها الخطر.

وثانيهما: أن تولي مثل هذه القيادة شؤون الجند مَفْسدة محضة تلحق بالجيش خاصة وبالمجتمع الإسلامي عامة.

---

(١) انظر القيادة وفعاليتها في ضوء الإسلام ص ٣٨ ــ ٤١: للدكتور ماهر البقري، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ــ الإسكندرية، سنة (١٤٠١هـ).

ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح[1] لو كانتا متساويتين، فكيف إذا كان وجود هذه القيادة يعد مفسدة راجحة.

المطلب الثاني

الفرق بين القيادتين

يمكن أن يظهر الفرق بين القيادتين فيما يأتي:

أولاً: أن القيادة الإقناعية تجعل المرؤوسين يطيعون أوامر القائد عن رغبة واقتناع ذاتي وليس عن رهبة أو خوف. أما القيادة الإرغامية فإنها تجعل الجند يطيعون الأوامر الصادرة منها مع أنهم غير مقتنعين بذلك، فهم يطيعون قائدهم خوفاً من عقابه أو طمعاً في مكانته وإحسانه.

ثانياً: أن القيادة الإقناعية تراعي الفروق الفردية فيما يتعلق بقدرات الجند العقلية والبدنية. أما القيادة الإرغامية فإنها تعامل الجنود بأسلوب واحد دون نظر إلى الفروق العقلية أو البدنية التي توجد بينهم.

ثالثاً: أن القيادة الإقناعية تجعل الجند يشعرون بالارتياح والرضا، وهذا من الأسباب القوية لرفع روحهم المعنوية التي تُعَدّ أمراً ضرورياً لنجاح الجند والقادة في أداء مهماتهم العسكرية. أما القيادة الإرغامية فإنها تولد شعور عدم الرضا عند الجند ووجود هذا الأمر يؤدي إلى انخفاض روحهم المعنوية.

رابعاً: أن القيادة الإقناعية تؤدي إلى رفع كفاءة الجند وبذلك تتحقق الأهداف التي يوجههم إليها القائد. أما القيادة الإرغامية فإنها تؤدي إلى ضعف كفاءة الجند في تحقيق الأعمال التي أُرغموا عليها.

---

(١) انظر هذه القاعدة في الأشباه والنظائر ص ٩٠: للشيخ زين العابدين بن إبراهيم بن نجيم، دار الكتب العلمية ــ بيروت، سنة (١٤٠٠هـ)؛ وخاتمة مجامع الحقائق ص ٣١٩: لأبي سعيد محمد بن محمد الخادمي المطبعة العامرة ــ استانبول، سنة (١٣٠٨هـ)؛ وإيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك ص ٢١٩: للشيخ أحمد بن يحيى الونشريسي، تحقيق أبو طاهر الخطابي، مطبعة فضالة المحمدية ــ الرباط، سنة (١٤٠٠هـ)؛ ودرر الحكام شرح مجلة الأحكام ٣٦/١، (المادة ٣٠)، تأليف علي حيدر، وتعريب المحامي فهمي الحسيني، منشورات مكتبة النهضة ــ بيروت.

والقيادة الحكيمة هي التي تستطيع الجمع بين أسلوب الإقناع والإرغام. فيستطيع القائد أن يقنع جنده بقبول قراراته وأهدافه التي يختارها ويستطيع أيضاً بقوة سلطته أن يرغم جنده على قبول قراراته وأهدافه. والأصل في ذلك الأخذ بالطريقة الإقناعية أما الطريقة الإرغامية فلا تستعمل إلاّ عند الضرورة[1].

وقد جمع رسول الله ﷺ في قيادته العسكرية بين الأسلوبين، ففي غزوة بدر شاور الرسول ﷺ الصحابة ابتداءً في الخروج إلى قريش كما قَبِل مشورة الحباب بن المنذر حين أشار عليه بالمكان المناسب لنزول الجند[2]، حتى قال ﷺ: «يا حباب أشرت بالرأي»[3].

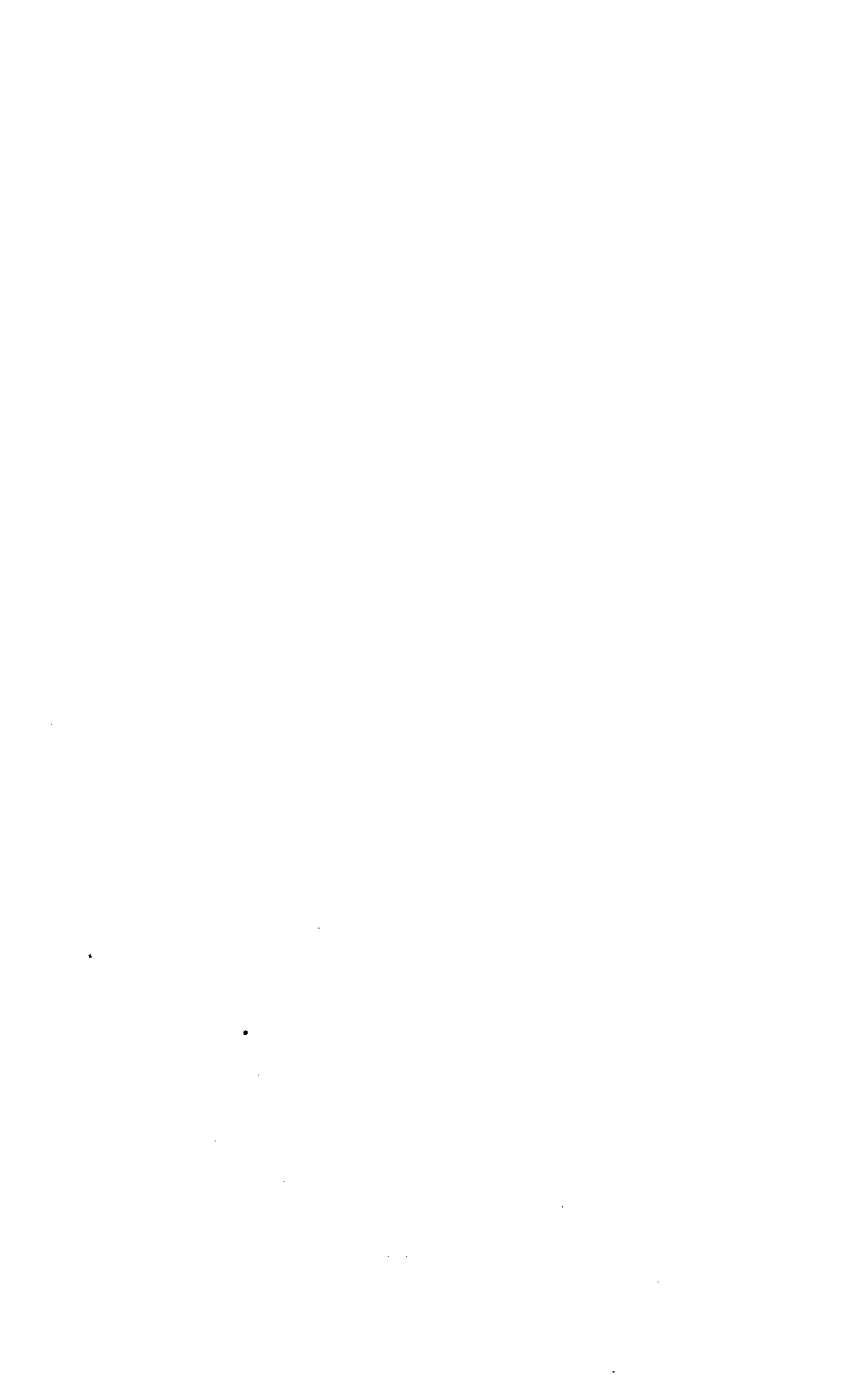
فقد سلك ﷺ في هذين الموقفين أسلوب القيادة الإقناعية. وفي صلح الحديبية أصرّ الرسول ﷺ على كتابة صلح الحديبية لأن المصلحة العامة في ذلك الظرف كانت تقتضي سلوك الطريقة الإرغامية التي تمثّلت في عدم مشاورة الصحابة في أمر الصلح[4].

(١) انظر المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ٢٩٠، ٢٩١.

(٢) سيأتي تفصيل لهذا الموضوع ـ إن شاء الله ـ في ص ١١١، ١١٧.

(٣) هذا الحديث أخرجه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة، باب: ذكر مناقب الحباب بن المنذر بن الجموح، وقد سكت عنه الحاكم ووافقه الذهبي. المستدرك على الصحيح ٣/٤٢٧.

(٤) انظر المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ٢٩٢، ٢٩٣.



الفَصْلُ الثَّانِي

القَائِدُ العَسْكَرِيّ

صِفَاتُهُ - تَعْيِينُه - عَزْلُه

المبحث الأول

صفات القائد العسكري

لما كان منصب القيادة العسكرية من المناصب الخطيرة التي تتطلب صفاتٍ معينة فيمن يتولى شأنها، فإن هناك صفات ينبغي مراعاتها عند اختيار القادة العسكريين، تتلخص فيما يأتي:

المطلب الأول

السبق للإسلام والتضحية للعقيدة

يُعَدّ السبق للإسلام والتضحية من أجل إعزازه ورفعته صفةً لاختيار القادة العسكريين في عهد النبي ﷺ.

ويتضح ذلك من عدم تولية الرسول ﷺ خالد بن الوليد[1] قيادة غزوة مؤتة[2]، رغم ما عرف عنه من الشجاعة والخبرة الحربية الواسعة، بينما

---

(١) مما تجدر الإشارة إليه هنا أن الرسول ﷺ لم يعين خالداً لقيادة غزوة مؤتة ابتداءً وإنما اختاره الصحابة رضي الله عنهم نظراً لكفاءته الحربية، ولعل الضرورة جعلتهم يغفلون هذه الصفة، وهناك فرق بين تولية الرسول ﷺ أو الإمام قائداً للجيش، توجد فيه هذه الصفة مع بقية الصفات الأخرى، وبين تولية المسلمين واحداً منهم في حالة الضرورة.

(٢) مُؤتة: هي بلدة أردنية، تقع بالقرب من الكَرَك، من جهة الجنوب، وهي على شمال السائر من معان إلى عمان، وقرب مُؤتة مكان يدعى «المزار»، وفيه قبر جعفر بن أبي طالب، وفي هذا الموقع كانت معركة مُؤتة، وبها الآن جامعة باسم البلدة. انظر معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٣٠٤، تأليف المقدم عاتق بن غيث البلادي، دار مكة للنشر والتوزيع، ساحة إسلام، ط ١ سنة (١٤٠٢هـ /١٩٨٢م).

أسندها إلى زيد بن حارثة، ومن جاء بعده. والسبب في ذلك (والله أعلم) أن خالداً رضي الله عنه في ذلك الوقت كان حديث عهد بالإسلام، أما أولئك القادة الثلاثة فقد كانت لهم سابقة في الإسلام وتضحية من أجل رفعته وإعزازه[1].

المطلب الثاني

التجربة والخبرة الحربية

من الصفات التي يجب أن توجد في القائد العسكري أن يكون ذا خبرة عسكرية واسعة، وأن يكون بصيراً بشؤون الحرب يحسن تدبيرها.

وفي شأن تقرير هذه الصفة، يقول محمد بن الحسن رحمه الله: (وينبغي أن يستعمل على ذلك البصير بأمر الحرب الحسن التدبير لذلك)[2].

وقد عدّ الفقهاء هذه الصفة: من الصفات التي يتعين وجودها في القائد العسكري، وسوف أذكر أقوالاً لبعض الفقهاء في تقريرها.

* قال ابن قدامة رحمه الله: (ويؤمّر في كل ناحية أميراً يقلده أمر الحروب، ويكون ممن له رأي وعقل ونجدة، وبصر بالحرب، ومكابدة العدو)[3].

---

(١) انظر الفن الحربي في صدر الإسلام ص ٧٧: للواء عبد الرؤوف عون، ط دار المعارف ـ بمصر؛ والمدرسة العسكرية الإسلامية ص ٣٣٣: للواء محمد فرج، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي؛ وبحوث ودراسات عسكرية ص ١٣٠: للعميد الركن يوسف إبراهيم السلوم، ط أولى، سنة (١٣٩٩هـ)؛ والنظم الإسلامية نشأتها وتطورها ص ٤٩٥: للدكتور صبحي الصالح، الطبعة الثانية، سنة (١٣٨٨هـ)، دار العلم للملايين.

(٢) انظر شرح السير الكبير ١ /٦١.

(٣) المغني لابن قُدامة ٩ /٢٠٢، تأليف أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قُدامة على مختصر أبي القاسم عمر بن حسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي، بتحقيق محمود عبد الوهاب فايد وعبد القادر أحمد عطا، الناشر مكتبة القاهرة، الطبعة الأولى سنة (١٣٨٩هـ).
وانظر المبسوط ١٠ /٤: لشمس الأئمة السرخسي، الناشر دار المعرفة للطباعة =

* وقال ابن الأزرق: (واستحبوا فيه ـ بعد ذلك ـ أن يكون خبيراً بالحرب ممارساً لها، عارفاً بمواضع الفرص من غير تغرير)[1].

وقد دل على تعين وجود هذه الصفة سنّة رسول الله ﷺ القولية والعملية.

أولاً ـ السنّة القولية:

أخرج البيهقي من طريق ابن معشر عن بعض مشيختهم، أن رسول الله ﷺ، قال: «إني لأؤمر الرجل على القوم فيهم من هو خير منه لأنه أيقظ عيناً وأبصر بالحرب»[2].

فقد جعل النبي ﷺ الإلمام بالشؤون العسكرية والبصر بأمور الحرب صفة ينبغي أن تراعى في تقديم المفضول على الفاضل في ولاية الحروب.

ثانياً ـ السنّة الفعلية:

أن النبي ﷺ أمّر عمرو بن العاص على الجيش الذي بعثه إلى ذات السّلاسل[3]، وفي هذا الجيش أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ويدل على ذلك الحديث الآتي:

= والنشر ـ بيروت ط ٢؛ وتحفة المحتاج بشرح المنهاج ٩ /٢٣٧: للشيخ أحمد بن حجر الهيتمي ومعه حاشية الشيخ عبد الحميد الشرواني والشيخ أحمد بن قاسم العبّادي، مطبعة صبح المصابيح.

(١) بدائع السلك في طبائع الملك ١ /٢٠٤، تأليف أبي عبد الله بن الأزرق، تحقيق وتعليق الدكتور علي سامي النشار، ط دار الحرية للطباعة ـ بغداد، سنة (١٣٩٨هـ /١٩٧٨م).

(٢) الحديث أخرجه البيهقي في جماع أبواب مغازي رسول الله ﷺ بنفسه وبسرياه، باب: غزوة ذات السلاسل. دلائل النبوّة ومعرفة أحوالِ صاحب الشريعة ٤ /٤٠٠: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، خرج أحاديثه وعلّق عليه الدكتور عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) السّلاسِل: هو ماء بين أرض بني عذرة وجذام، وهو ما يسمى الآن بوادي العُلا، وقد أطلق على تلك السّرية ذات السّلاسِل لأنها حدثت في هذا الموقع. انظر: معجم البلدان ٣ /٢٣٣: لياقوت الحموي، دار بيروت للطباعة والنشر.

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما، قال: (بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو أن لا ينوِّروا ناراً فغضب عمر وهمّ أن ينال منه، فنهاه أبو بكر رضي الله عنه وأخبره أنه لم يستعمله رسول الله ﷺ عليك إلّا لعلمه بالحرب، فهدأ عنه عمر رضي الله عنه)[1].

كما ورد سبب تأمير النبي ﷺ عمراً في تلك السرية على لسان عمرو نفسه؛ أخرج البيهقي من طريق علي بن عاصم عن خالد الحذّاء، قال عمرو: (فحدثت نفسي أنه لم يبعثني على قوم فيهم أبو بكر وعمرو إلّا لمنزلة لي عنده)[2].

وقد استدل ابن حجر العسقلاني رحمه الله بهذا الحديث على جواز

---

(١) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الحاكم في كتاب المغازي، باب لا بدّ لأهل العسكر أن يطيعوا قائدهم، المستدرك على الصحيحين ٣ /٤٣. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح. وأورده الحافظ ابن حجر في كتاب الخلافة والإمارة، باب: تولية الإمام العادل إذا كان عارفا بالحرب على من هو أفضل منه، ح (٢٠٩٧)، قال البوصيري: رواه إسحاق بسند ضعيف وابن بريدة لم يسمع من عمر بن الخطاب. فالحديث بهذا الإسناد منقطع. انظر المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٢ /٢٣٠، بتحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى سنة (١٣٩٣هـ)، المطبعة العصرية بالكويت.

(٢) الحديث أخرجه البيهقي بهذا اللفظ في جماع أبواب مغازي رسول الله ﷺ في باب غزوة ذات السلاسل. دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٤ /٤٠١.
وأخرجه البخاري بنحو هذا اللفظ في كتاب فضائل الصحابة، بباب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً، ح (٣٦٦٢)، فتح الباري ٧ /١٨: للشيخ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار المعرفة للطباعة والنشر، وأخرجه في كتاب المغازي، باب: غزوة ذات السلاسل وهي غزوة لخم وجذام، ح (٤٣٥٨)، فتح الباري ٨ /٧٤.
وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٢٣٨٤)، صحيح مسلم ٤ /١٨٥٦.

تأمير المفضول على الفاضل إذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية، كما أن في هذا الحديث منقبة لعمرو بن العاص، حيث ولّاه قيادة جيش فيه: أبو بكر وعمر ــ رضي الله عنهما ــ وهذا لا يقتضي أفضليته عليهما، لكن له الفضل عليهما في الخبرة العسكرية والبصر بشئون الحرب[1].

وينبغي أن يستفيد ولاة الأمر في البلاد الإسلامية من هذا الهدي النبوي الحكيم، فلا يولوا قيادة الجيوش إلاّ من وُجِدتْ فيه هذه الصفة، لأنها متى فُقِدَتْ في القائد فإنْ الجند لن يهتدوا إلى أساليب القتال الناجحة، ولن يفطنوا إلى مكائد الحرب الضرورية، وعندئذٍ تحل الهزيمة بالجيش خاصة والمسلمين عامةً[2].

المطلب الثالث

الشجاعة والتقوى

من الصفات التي يجب أن توجد في القائد العسكري: أن يكون شجاعاً تقياً، إذ إن التحلِّي بهما سبب في ثبات القائد أمام أعدائه، ووسيلة لنيل النصر والمدد من السماء[3].

وقد ذكر العلماء قديماً وحديثاً أهمية التحلي بهذه الصفة.

* قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله: (ولا ينبغي أن يولي الإمام الغزو

---

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨ /٧٤.

(٢) للاستزادة من هذا الموضوع انظر تُحفة المحتاج بشرح المنهاج ٢٣٧/٩؛ بدائع الصنائع في ترتيب الشرايع ٣٤٠٤/٩؛ والبحر الرائق شرح كنز الدقائق ٧٣/٥: لابن نجيم، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى؛ وسلوك المالك في تدبير الممالك ص ١٠٤، تأليف أحمد بن محمد بن أبي الربيع، ط ١ مطبعة كردستان ــ بمصر، سنة (١٣٢٩هـ)؛ والفن الحربي في صدر الإسلام ص ٧٨؛ والنظم الإسلامية ص ٤٩٥: للدكتور صبحي الصالح؛ والنظم الإسلامية ص ١٠٤: للأستاذ أنور الرفاعي، ط دار الفكر، سنة (١٣٩٢)هـ).

(٣) انظر المبسوط ١٠ /٤.

إلاّ ثقة في دينه، شجاعاً في بدنه، يثبت عند الهرب، ويتقدم عند الطلب)[1].

* ويقول الهرثمي في ضرورة توافر التقوى في القائد: (فينبغي لصاحب الحرب أن يجعل رأس سلاحه في حربه تقوى الله وحده، وكثرة ذكره، والاستعانة به، والتوكل عليه، والفزع إليه، ومساءلته التأييد والنصر، والسلامة والظفر، وأن يترك البغي والحقد، وينوي العفو ويترك الانتقام عند الظفر، إلاّ بما كان لله فيه رضى، وأن يستعمل العدل وحسن السيرة والتفقّد للصغير والكبير، بما فيه مصلحة رعيته، وأن يعتمد في كل ما يعمل في حروبه: طلب ما عند ربه عز وجل)[2].

ولفقدان هذه الصفة من القائد أثرٌ سيء على الجيش، ففى مضار تخلف الشجاعة يقول ابن الأزرق: (رئيس العسكر إذا لم يكن شجاعاً مدبراً كان على من معه آفةً، ولمن ليس معه عوناً)[3].

كما أن عدم تحلي القائد بالتقوى سبب في انتشار الظلم والفساد بين صفوف الجند، وحينئذٍ يكون هذا الجيش لقمةً سائغةً أمام عدوه.

المطلب الرابع

الصفة الرابعة الحزم

يُعَدّ الحزم إحدى الصفات الأساسية التي ينبغي أن تتوافر فيمن يتولى القيادة العسكرية، ويقصد به: القدرة على البت في الأمور السريعة، عندما يتطلب الموقف ذلك، ثم إصدار القرارات والأوامر بقوة ووضوح وإلزام الجند بها[4].

---

(١) تحفة المحتاج بشرح المنهاج ٩ /٢٣٧.

(٢) مختصر في سياسة الحروب ص ١٥.

(٣) الفن الحربي في صدر الإسلام ص ٧٨، وانظر بحوث ودراسات عسكرية ص ١٢٦.

(٤) انظر القيادة ص ١١٨.

وإنما ينبغي توافر هذه الصفة فيمن يتولى هذا المنصب، لأن القائد المتردّد لا يقتصر ضرره على نفسه فحسب، بل يتعدّى ذلك إلى جنوده لكونه قدوةً لهم. وإذا كان التردد صفة سيئة في الناس عامةً، فإنها لدى القادة العسكريين أشدّ سوءاً، إذ إنها تعرض الجيش قادةً وجنوداً للهزيمة والخطر.

وقد شبّه العلماء القائد الحازم بالتاجر الحكيم، الذي لا يبذل ماله إلّا فيما يعود عليه بالنفع، فقالوا: القائد الحازم كالتاجر الحاذق إنْ رأى ربحاً اتّجر، وإلّا تحفّظ برأس ماله، ولا يطلب الغنيمة حتى يحرز السلامة[1].

المطلب الخامس
السَّخـــاء

السخاء من الصفات الإنسانية الكريمة التي تجعل المتصف بها محبباً إلى قلوب الناس. ولهذا لا بد أن يتحلّى أصحاب الولايات ومنهم القادة العسكريون بهذه الصفة مع جنودهم، حتى يحصل التآلف والتعاون فيما تتحقق به المصالح للجيوش الإسلامية، وتندفع به المفاسد.

وفي شأن أهمية هذه الصفة، يقول ابن الأزرق: (لا يصلح لقيادة الجيوش إلّا من اشتهر بحسن المواساة للأتباع وسخاء النفس ببذل المال)[2].

وقد ذكر ابن الطقطقي أن قائد الجيش ينبغي أن تكون فيه عشر خصال

---

(١) انظر بدائع السلك في طبائع الملك ١ /٢٠٤.
وانظر الإشارة في تدبير الإمارة ص ١٣٣: لأبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي، تحقيق الدكتور سامي علي النشار، ط ١، مطابع النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء؛ وفصول في الإمرة والأمير ص ٤٤: للشيخ سعيد حوى، ط ١، سنة (١٤٠٢هـ /١٩٨٢م)، الناشر مكتبة الرسالة الحديثة ـ الأردن ـ عمان؛ والمدرسة العسكرية الإسلامية ص ٣٣٧.

(٢) بدائع السلك في طبائع الملك ١ /٢٠٤، وانظر سراج الملوك ص ٢٠٦: لأبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي، وانظر (١٢٨٩هـ).

من أخلاق الحيوان: . . . وعدَّ منها: سخاء كسخاء الديك[1].

فاختيار خالد بن الوليد ــ رضي الله عنه ــ مثلاً على أساس ما تميّز به من فن حربـي وقدرة على إدارة المعركة، كما كان يتميز بدراية عسكرية، جعل قريشاً تعتمد عليه في حروبها قبل إسلامه[2].

والـدليل على هـذا التميز: قـول عمرو بن العـاص رضي الله عنه: (مـا عدل رسول الله ﷺ بـي وبخالد بن الوليد أحداً منذ أسلمنا في حربه)[3].

ويذكر العز بن عبد السلام مسوِّغات تعيين القادة بصورة مجملة فيقول: (لا يُقـدَّم في ولاية الحـرب إلاّ أشجـع النـاس، وأعـرفهم بمكـايـد الحـروب والقتال، مع النجدة والشجاعة وحسن السيرة والاتباع)[4].

---

(١) انـظـر الفخري في الآداب السلطانيـة والدول الإسـلاميـة ص ٥٨، تـأليف محمـد بن علي بن طباطبا المعـروف بـ«ابن الطقطقي»، دار صادر ــ بيروت للطباعة والنشر سنـة (١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)؛ والنـظم الإسلاميـة ص ٢٣٧: للدكتور إبـراهيم حسن وأخيـه علي، ط ١، سنة (١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م)، نشر مكتبة النهضة المصرية.

(٢) انظـر المدرسة العسكرية الإسلامية ص ٣٣٣.

(٣) الحديث: أخرجـه الطبـراني في الأوسط والكبير ورجـاله ثقـات. انظـر مجمـع الـزوائد ومنبـع الفـوائـد ٩ / ٣٥٠. وذكـره ابن عسـاكـر في تـاريخـه ٥٠ /٩٧: لأبـي القـاسم علي بن الحسن بن عساكر الشافعي، مـطبعة روضـة الشام سنـة (١٣٣٢هـ)؛ وابن كثير في البداية والنهاية ٤ /٢٣٨، ط ١، سنة (١٩٦٦م)، مطبعة مكتبة المعارف ــ بيروت، ومكتبة النصر بالـرياض؛ والـذهبـي في سير أعـلام النبلاء ٣ /٦٦: لـلإمام محمـد بن أحمـد بن عثمان الـذهبـي، حقق نصوصـه وخرَّج أحـاديثه شعيب الأرنـاؤوط وحسـين الأسد، ط سنة (١٤٠١هـ)، مؤسسـة الرسالة.

(٤) قـواعد الأحكـام في مصـالـح الأنـام ١ /٧٥: للشيـخ عبـد العـزيـز بن عبـد السـلام السلمي، ط ١، سنة (١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م).

المبحث الثاني
تعيين القــائد وعزله

المطلب الأول
تـعـيـيـنـه

يُعَدّ اختيار القـائد العسكري أمراًمهماً وذلك لعظم المسؤولية الملقـاة على عاتقه. وكان الرسول ﷺ لا يُعيِّن لقيادة الحـروب إلّا من كان أهـلاً لها، كما جعل اختيـار الأكفأ شـرطاً أسـاسياً لتولي أيّ مسؤولية في السلم والحرب على حد سواء.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعمل رجلاً من عصابة، وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه، فقـد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين»[1].

ولم يقتصـر الأمر عنـد هذا الحـد بل طبق ﷺ هـذا الشرط بنفسـه عنـد اختيار القادة العسكريين حتى يقتدي به ولاة الأمر من بعده.

المطلب الثاني
عـــزلـــه

لما كان تـولّي منصب القيادة العسكـرية يتعين أن يُـراعى فيه المصلحة العامة حتى يقوم القائد بتدبير أمر الجيش على وجـه يحقق المصلحة ويـدفـع

---

(١) هذا الحديث أخرجه الحـاكم في كتاب الأحكـام، باب الإمـارة أمانـة وهي يوم القيـامة خزي وندامة. المستدرك على الصحيحين ٤ /٩٢، ٩٣، وقـال: هذا حـديث صحيـح الإسـناد ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبـي.

المفسدة لهذا فإن الإمام متى وجد سبباً يقتضي عزل القائد عن عمله وتولية من هو أكفأ منه، فإنه يجب عليه أن يصير إلى ذلك، إذ لا يصح بقاء من استحق العزل على تلك الولاية لما في ذلك من المفسدة.

وهناك ثلاث حالات للعزل، وينبغي لولي الأمر أن يضعها نُصب عينيه عند قيامه بعزل أحد الولاة وتعيين آخر مكانه:

الحالة الأولى: أن يعزله بمن هو دونه، لأي سبب يقتضي ذلك، ففي هذه الحالة لا يجوز عزله لما فيه من تفويت المسلمين المصلحة الحاصلة من جهة فضله على غيره وليس للإمام تفويت تلك المصلحة من غير معارض يوجب العزل.

الحالة الثانية: أن يعزله بمن هو أفضل منه فينفذ عزله تقديماً للأصلح على الصالح، لما فيه من تحصيل المصلحة للمسلمين ودفع المفسدة عنهم.

الحالة الثالثة: أن يعزله بمن يساويه، فقد أجاز بعض العلماء ذلك لكونه مخيَّراً عند تساوي المصالح، وكما يتخيَّر ذلك في التعيين ابتداءً.

وذهب آخرون إلى أنه لا يجوز العزل في هذه الحالة، لما فيه من كسر العزل، وعاره، بخلاف ابتداء الولاية[1].

وقد قرر رسول الله ﷺ هذا الحكم بسنته الفعلية ليرشد ولاة الأمر في الأمة الإسلامية إلى ما يحقق لها المصالح ويجنّبها المضار فيما يتعلق بالولايات الحربية.

ففي طريقه لفتح مكة أمر ﷺ بعزل سعد بن عبادة عن قيادة كتيبة الأنصار عندما بلغه ﷺ أن سعداً قال: (اليوم يومُ الملحمة، اليوم تُستحَل

(١) انظر قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١ /٧٧.

الحرمة)[1]، وولى مكانه ابنه قيس، وإنما عزله ﷺ عن قيادة هذه الكتيبة لسببين:

الأول ـ مخالفة أوامر القائد الأعلى للجيش:

لما كانت طاعة أوامر القائد الأعلى وتنفيذها أمراً يجب أن يلتزم به قادة الجيش، فإن قول سعد رضي الله عنه يُعَدّ مخالفة صريحة للخطة التي رسمها الرسول القائد ﷺ، وهي أن تتم عملية فتح مكة وتحريرها دون حاجة إلى إراقة الدماء ونشوب الصدام المسلح مع أهلها إلاّ إذا دعت الضرورة إلى ذلك[2].

الثاني ـ إزالة المخاوف التي علقت بذهن أبي سفيان وبعض المهاجرين:

لقد كان النبي ﷺ حريصاً على حقن الدماء والتأليف على الإسلام، ولهذا أراد ﷺ أن يزيل تلك المخاوف التي كانت قد علقت بأذهان بعض المهاجرين من قريش وأبي سفيان الذي كان لا يزال حديث عهد بالإسلام، من أن يحدث من سعد ما لا تُحمد عقباه، مما يتنافى مع الخطة التي رسمها ﷺ وهي: استسلام قريش له دون قتال[3].

وينبغي لمن وَلِيَ قيادة الجيش العامة أن يقتدي بالرسول ﷺ في هذا الأمر، فمتى ظهرت المصلحة في عزل قائد وتعيين من هو أكفأ منه في ظرف معين، فإن عليه المسارعة إلى ذلك، من أجل تحقيق المصلحة العامة للإسلام وأهله.

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب «المغازي»، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، ح (٤٢٨٠)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨ / ٥، ٦.

(٢) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ص٥٧٣، تأليف محمد فرج، ط ٣ سنة (١٩٧٧م)، دار الفكر العربي.

(٣) انظر الرسول القائد ص ٣٣٩: للواء الركن محمود شيت خطاب، ط ٥، دار الفكر العربي؛ المدرسة العسكرية الإسلامية ص٥٥٢؛ فتح مكة ص ٢٢٨: لمحمد أحمد باشميل، طبعة دار الفكر، ط ١ سنة (١٣٩٢هـ).



الفصل الثالث

حقوق القائد

إن الهدف من نصب قائد الجيش: هو سياسة الجند وتدبير شؤونهم، على وجه يحقق المصلحة ويدفع المفسدة. ولكن هذا الغرض لا يتحقق إلّا إذا أُعطي القائد حقوقاً تضمن له القيام بهذه المهمة على أحسن وجه، وقد قررْ الشارع الحكيم للقائد حقوقاً وأوجب القيام بها.

فقد أمر الجند بالسمع والطاعة لقائدهم لما يحققه ذلك من انتظام الأحوال، وجعل الشارع من حق القائد تخصيص رزق له من بيت المال حتى لا يشغله طلب العيش عن القيام بالواجب الذي أُنيط به. ثم إن الشارع أمر الجند بمناصرة أميرهم والنصح له لما يحققه هذا الواجب من الفوائد الجمّة في حياة الفرد والجماعة. كما جعل من حق القائد اتخاذ القرار الأخير وإلزام الجند به، متى كان في ذلك مصلحة الجماعة. ومن تلك الحقوق أيضاً: الإذن للجند في الأكل من الغنيمة قبل القسمة، إذ إن الضرورة تدعو إلى ذلك. وأوجب الإسلام على الجند ألّا ينازعوا أميرهم في الغنائم لما يسببه النزاع من المفاسد التي لا تحمد عقباها.

وسوف أتكلم عن هذه الحقوق بالتفصيل في المباحث الآتية:

المبحث الأول

أن يدين له الجند بالطاعة

من الحقوق الواجبة على الجند لقائدهم: الطاعة، وهذه الطاعة إنما هي لصالح الجماعة، لكي تتحقق لها أهدافها[1].

وقد دلّ على مشروعية هذا الحق: الكتاب والسنّة والإجماع.

* **أما الكتاب**: ففي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي[2] الأمر منكم﴾[3].

فهذه الآية الكريمة: أمر لجميع المؤمنين ـ ومنهم الجند ـ أن يطيعوا من ولّاهم الله أمرهم، ومنهم القادة العسكريون من المسلمين، الذين يقومون على تدبير شؤون الجيش.

* **وأما السنّة**: فقد دلّ على ذلك أحاديث كثيرة، أذكر منها حديثين:

الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصِ الأمير فقد عصاني»[4].

---

(١) انظر المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ٢٧٤.

(٢) المراد بـ «أولي الأمر»: من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء، وهذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء وغيرهم. انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٢٢٣.

(٣) سورة النساء: آية ٥٩.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: يقاتل من وراء الإمام ويتقي به، ح (٢٩٥٧)، وأخرجه في كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾، ح (٧١٣٧)، فتح الباري ١٣/١١١. =

فقد دلّ الحديث على وجوب طاعة الأمير، حيث جعل ﷺ طاعة الأمير ملازمة لطاعته، إذ من المتعين على كل مسلم وجوب طاعته ﷺ وتحريم معصيته[1].

الثاني: عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: «السمع والطاعة حقٌّ ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[2].

وقد دلّ هذا الحديث على أن الطاعة حق للأمير، يجب على الرعية القيام به إذا لم يتضمن معصية.

* **ذليل الإجماع:**

أجمع العلماء على وجوب السمع والطاعة (في غير المعصية)، نقل الإجماع على هذا: القاضي عياض وآخرون[3]. وقد قرر طائفة من العلماء أنه يجب على الجند طاعة قائدهم[4]. وفي ذلك يقول الماوردي: (وأما

= وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ح (١٨٣٥)، صحيح مسلم ٣/١٤٦٦.
وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنّة رسول الله ﷺ، ح (٣)، سنن ابن ماجه ١/٤، وفي كتاب الجهاد، باب طاعة الإمام، ح (٢٨٥٩)، سنن ابن ماجه ٢/٩٥٤: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، حقّق نصوصه ورقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر دار إحياء التراث العربي.
وأخرجه أحمد في مسنده ٢/٢٥٢، ٢٧٠، ٣١٣، ٣٤٢، ٤١٦، ٤٦٧، ٤٧١، ٥١١.

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٢٢٤؛ فتح الباري ١٣/١١٢.
(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب السمع والطاعة للإمام، ح (١٠٨)، فتح الباري ٦/١١٥.
(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٢٢٢.
(٤) انظر ــ على سبيل المثال ــ : مسائل الإمام أحمد ص ٢٥٧، رواية ابنه عبد الله بن أحمد، تحقيق زهير الشاويش، ط ١، سنة (١٤٠٠هـ)، نشر المكتب الإسلامي؛ ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، تأليف الشيخ محمد ابن أبي العباس أحمد بن حمزة الرملي، =

ما يلزمهم في حق الأمير عليهم فأربعة أشياء: أحدها: التزام طاعته والدخول في ولايته، لأن ولايته عليهم انعقدت، وطاعته بالولاية وجبت)[1].

وللطاعة في الحرب منزلة عظيمة، وفي ذلك يقول السرخسي: (فالطاعة في الحرب أنفع من بعض القتال، ولا تظهر فائدة الإمارة بدون طاعة)[2].

خطورة إهمال هذا الحق (أي: الطاعة):

عندما يقوم الجند بهذا الحق على الوجه المشروع يسود النظام بين الجيش، وتتحقق له أهدافه التي أُنشىء من أجلها. أما إذا أهمل الجند القيام بهذا الواجب فإنه ينعدم الضبط والربط، كما أنها تحل في صفوف الجيش الفوضى والاضطرابات، ويصبح من السهل على الأعداء تمزيق وحدته ومن ثم هزيمته والقضاء عليه.

وإن ما حدث للمسلمين يوم أحد من الهزيمة في أول المعركة: هو أعظم دليل على خطورة معصية القائد بمخالفة أمره[3].

= شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط الأخيرة، سنة (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)؛ والمحلّ ٧/٤٦٢: للشيخ أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الناشر مكتبة الجمهورية العربية ـ القاهرة، سنة (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)؛ المبسوط ١٠/٤.

(١) الأحكام السلطانية ص ٤٨؛ وانظر الأحكام السلطانية ص ٤٦ للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفرّاء، صحّحه وعلّق عليه محمد حامد الفقي، ط ٢، سنة (١٣٨٦هـ)؛ وبدائع السلك في طبائع الملك ٢/٥٢.

(٢) انظر شرح السير الكبير ١/٦٠.

(٣) انظر تفريج الكروب في تدبير الحروب ص ٨٨؛ وسراج الملوك ص ٣٠٥؛ والمدرسة العسكرية الإسلامية ص ٦٠٥؛ والفن الحربي في صدر الإسلام ص ٢٢٥؛ والقيادة والجندية في الإسلام (القسم الأول) ص ٢١٠: للدكتور محمد السيّد الوكيل، ط دار الأنصار ـ بالقاهرة، سنة (١٤٠٠هـ).

المبحث الثاني

تخصيص راتب له من بيت المال

من حق القائد أن يعيَّن له راتب[1] يكفي مؤنته ومن يعول، لأنه قصر نفسه على مصلحة عامة للمسلمين، وهو القيام على أمر الجيش وتدبير شؤونه إذ لو اشتغل بالكسب لتعطَّل عليه ماهو فيه[2].

ومن الأمثلة على مشروعية هذا الحق: أن أبا بكر حين وُلي الخلافة بعد رسول الله ﷺ، وهو القائد الأعلى للجيش بحكم تولِّيه الإمامة، فُرِضَ له ولمن يعول راتب من بيت مال المسلمين. فعن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما استخلف أبو بكر الصديق قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة أهلي، وشُغِلتُ بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال، وأحترف للمسلمين فيه)[3].

فقد دل هذا الأثر على وجوب التكسب وبذل الأسباب لكفاية مؤنة الأهل والعيال، وأن من وُلّي مصلحة عامة للمسلمين فإنه يجب أن يُكفى من بيت مال المسلمين، مؤنة التكسُّب، حتى يتفرّغ لما هو فيه من المصلحة.

قال الطيبي: (فائدة الالتفات: أنه جرَّد من نفسه شخصاً كسوباً لمؤنة

---

(١) ورد في لغة العرب إطلاق «الراتب» على المؤنة التي تصرف في كل يوم فيقال: عيش راتب أي ثابت مقيم. انظر: لسان العرب ١/١١٧.

(٢) إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين ٦/١٢٠؛ ونظام الحكومة النبوية (التراتيب الإدارية) ١/٣٩٥: للشيخ عبد الحي الكتاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٣) هذا الأثر أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم (٢٠٧٠)، فتح الباري ٤/٣٠٣.

الأهل بالتجارة، فامتنع لشغله بأمر المسلمين عن الاكتساب، وفيه: إشعار بالعلة، وأن من اتصف بالشغل المذكور حقيق أن يأكل هو وعياله من بيت المال) [1].

وقد حُدِّدَ لأبي بكر رضي الله عنه هذا الراتب باتفاق الصحابة، ويدل على ذلك: ما رواه ابن سعد ـ في طبقاته ـ بسند متصل، قال رحمه الله: (لما استخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق، وعلى رقبته أثواب يتَّجر بها، فلقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق، قالا: تصنع ماذا وقد وُلِّيت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قالا له: انطلق حتى نفرض لك شيئاً، فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاةٍ وما يكسوه في الرأس والبطن)[2].

وهذا الراتب: لا يتحدد بمقدار لكنه متروك لاجتهاد الإمام حسب حال الزمان، وسعة المال، وفي ذلك يقول أبو حامد الغزالي: (وليس يتقدر بمقدار، بل هو إلى اجتهاد الإمام، له أن يوسع ويغني، وله أن يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال)[3].

ومما تقدم يتبين أن من حق أمير الحرب أن يعيَّن له راتب في مقابل قيامه بواجبه الذي كُلِّف به، وذلك لكي يسخِّر وقته وجهده فيما نُصِبَ له من مصلحة المسلمين.

---

(١) فتح الباري ٤/٣٠٥.
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/١٨٤، دار صادر ـ بيروت للطباعة والنشر، سنة (١٣٧٦هـ). وهو إسناد مرسل، رجاله ثقات. انظر: فتح الباري ٤/٣٠٥
(٣) إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين ٦/١٢٠.

المبحث الثالث

المناصرة والتأييد والنصح والتسديد

من حق القائد على جنده مناصرته وتأييده وبذل أقصى الجهد في مؤازرته لأن في ذلك تأييداً للحق وسعياً إلى رفعته، ومن حقه عليهم نصحه وتسديده. وقد دل على ذلك السنة والأثر:

* **فمن السنة:**

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

فقد دل هذا الحديث على وجوب نصيحة ولاة الأمر ومنهم: قادة الجيوش الإسلامية.

* **ومن الأثر:**

قول عمر رضي الله عنه: (من كان خلواً فَلْيُقْبِلْ على نفسه ولينصح لوليّ أمره)[2].

---

(١) أخرجه مسلم واللفظ له في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ح (٩٥)، صحيح مسلم ١/٧٤.
وأخرجه البخاري بنحو هذا اللفظ في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: الدين النصيحة، رقم الباب (٤٢)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/١٣٧.
وأخرجه الدارمي في كتاب الرقاق، باب الدين النصيحة، سنن الدارمي ٢/٣١١: للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت

(٢) المصنف ١١/٣٣٣: للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ١، سنة (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

والمراد بنصحه وتسديده طاعته وتعريفه ودلالته على ما خفي عنه من الصواب وتقويمه إن زاغ والصبر عليه إن جار[1]، وسد خلله عند الهفوة، وجمع الكلمة عليه، وردّ القلوب النافرة إليه[2].

---

(١) انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للشيخ محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، راجعه وصحّحه عبد الرحمن محمد عثمان، نشر محمد حسن الكتبي، مطبعة الفجالة ـ القاهرة، ط ٢، سنة (١٣٨٤هـ)؛ ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ٢/٥٣٨: للشيخ مصطفى السيوطي الرحباني، منشورات المكتب الإسلامي.

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/١٣٨.

المبحث الرابع
اتخاذ القرار النهائي وإلزام الجند به

من حق القائد بعد أن يتوصل إلى القرار النهائي، سواء بعد اقتناعه الشخصي أم بعد مشاورة أهل الرأي والخبرة من جنده: أن يأخذ بهذا القرار ويلزم جنده الأخذ به.

وقد ذكر الماوردي هذا الحق بقوله: (وأن يفوِّضوا الأمر إلى رأيه ويكلوه إلى تدبيره، حتى لا تختلف آراؤهم فتتلف[1] كلمتهم، ويفترق جمعهم، قال تعالى: ﴿ولو رَدُّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾[2]، فجعل تفويض الأمر إلى وليه سبباً لحصول العلم وسداد الأمر، فإن ظهر لهم صواب بيَّنوه له وأشاروا به عليه، ليرجع بهم إلى الصواب)[3].

ولَمّا كان النبي ﷺ هو القائد الأعلى لجيش المسلمين يوم بدر، استعمل هذا الحق ليرشد القادةالعسكريين في الأمة الإسلامية إلى الأخذ به، فقد خرج المسلمون للاستيلاء على عِير المشركين القادمة من الشام، ولكن قريشاً حينما علمتْ بهذا الأمر خرجت بكل ما تملك من قوة لتدافع عن عِيرها، وقدَّر الرسول ﷺ أن المسلمين لو انسحبوا فسيلحقهم من جراء ذلك ثلاثة أضرار:

---

(١) لعل صواب العبارة: (فتختلف كلمتهم).

(٢) سورة النساء: آية ٨٣.

(٣) الأحكام السلطانية ص ٤٨: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، الطبعة الثانية، سنة (١٣٨٦هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ــ بمصر.

الأول: تعيير قريش المسلمين بالتخاذل والجبن.

الثاني: طمع يهود المدينة فيهم.

الثالث: ما يتركه هذا الانسحاب من أثر سيِّىء على الدعوة الإسلامية الناشئة.

ودفعاً لهذه الأضرار: قرر الرسول ﷺ أن يمضي لقتال هؤلاء المشركين.

ولكنه ﷺ لم يبُتّ في هذا الأمر الخطير حتى يستظهر وجوه الرأي لدى أصحابه، لأنه أدعى إلى ظهور شجاعتهم وثباتهم إذا شاركوا قائدهم في صنع هذا القرار، وهذا الذي فعله ﷺ في هذا الشأن يُعَدّ سبقاً عسكرياً توصلت إليه المدرسة العسكرية الحديثة، حيث جعلت اتخاذ القرارات الحاسمة الصائبة وإلزام الجند بها أمراً مهماً يمكن أن يفرَّق به بين القائد الناجح وغيره[1].

---

(١) انظر المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ٣٠٤.

المبحث الخامس
إباحة الأكل من الغنائم قبل القسمة

من حق القائد أن يبيح لجنده الأكل من الغنيمة قبل قسمتها، وذلك لأن الغازي لا يستصحب معه قوت نفسه إلى دار الحرب، ويقاس على الطعام عَلَف الدواب، فيباح للضرورة، ولكنه ينبغي أن يقتصر في الأكل على قدر الكفاية مدة مقامه بدار الحرب[1].

والدليل على مشروعية هذا الحق: **السنّة والإجماع**.

* **فمن السنّة:**

حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا نصيب في مغازينا العسل والعنب ولا نرفعه)[2].

فقوله: (ولا نرفعه): يحتمل أحد وجهين:

الأول: لا نحمله على سبيل الادخار، وهذا دليل على الاقتصار في الأكل على قدر الكفاية.

---

(1) انظر الهداية شرح بداية المبتدي ٢/١٤٤: للشيخ أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني المرغيناني، ط الأخيرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ونيل الأوطار ٧/٢٧٤؛ وحاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني ٢/٩: للشيخ علي بن أحمد بن مكرم أبي الحسن الصعيدي العدوي، نشر مكتبة القاهرة لصاحبها علي يوسف سليمان، سنة (١٣٨٠هـ)؛ والمغني لابن قدامة ٩/٢٨٥؛ صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/١٠٢؛ معالم السنن ٢/٢٩٥، ٢٩٦، تأليف أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البُستي، ط ٢، منشورات المكتبة العلمية.

(2) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فرض الخُمس، باب ما يصيب من الطعام في دار الحرب، ح (٣١٥٤)، فتح الباري ٦/٢٥٥.

الثاني: لا نرفعه إلى متولي أمر الغنيمة أو إلى النبي ﷺ، اكتفاءً بما سبق منه من الإذن[1].

فقد جاء في الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن مُغَفَّل رضي الله عنهما أنه قال: (أصبت جراباً من شحم يوم خيبر، قال: فالتزمته، فقلت: لا أعطي اليوم أحداً من هذا، قال: فالتفت فإذا رسول الله ﷺ مبتسماً)[2].

* **الثاني: الإجماع:**

فقد نقل ابن المنذر إجماع علماء الأمصار على جواز الأكل من الغنيمة قبل القسمة[3].

---

(١) المرجع السابق (الجزء والصفحة نفسهما).

(٢) الحديث أخرجه مسلم بهذا اللفظ في كتاب الجهاد والسير، باب جواز الأكل من طعام الغنيمة في دار الحرب، ح (١٧٧٢)، صحيح مسلم ٣/١٣٩٣.
وأخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب ما يصيب من الطعام في أرض الحرب، ح (٣١٥٣)، فتح الباري ٦/٢٥٥، وأخرجه في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح (٣١٥٣)، فتح الباري ٩/٦٣٦.
وأخرجه النسائي في كتاب الضحايا، باب ذبائح اليهود، سنن النسائي ٧/٢٣٦، نشر دار الكتاب العربي ــ بيروت.
وأخرجه الدارمي في كتاب السير، باب أكل الطعام قبل أن تقسم الغنيمة، سنن الدارمي ٢/٢٣٤.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/٨٦، ٥/٥٦.

(٣) انظر نيل الأوطار ٧/٣٣٧.

المبحث السادس

ألّا ينازعوه في الغنائم ويرضوا بقسمته بينهم

من حق القائد على جنده: ألّا ينازعوه عند قسمته للغنائم، بل يرضوا بحكمه بينهم لما يترتب على منازعته في هذا الأمر من المفاسد، وهو تغيّر قلوب الجند على قائدهم وعدم ثقتهم به.

وهذه المفاسد وغيرها تزول حين يرضوا بقسمة من ولّاه الله أمرهم.

والدليل على ثبوت هذا الحق للقائد: ما رواه جبير بن مُطْعِم رضي الله عنه أنه بينا هو مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مَقْفَلَة من حنين علقت رسول الله ﷺ الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف رسول الله ﷺ فقال: «أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العضاه[1] نَعَماً لقسمتُه بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً»[2].

ففي قوله: «فلو كان عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم»: دليل على أنّ قسمة الغنائم من حق أمير الجيش، فلا ينبغي أن ينازَع في هذا الحق، كما يجب الرضا بقسمته لأنه مؤتَمن على ذلك.

---

(١) العِضَاه: هو كل شجر عظيم له شوك، الواحدة منه (عِضَة). انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٢٥٥.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الشجاعة في الحرب والجبن، ح (٢٨٢١)، فتح الباري ٦/٣٥، وأخرجه في كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلَّفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، ح (٣١٤٨)، فتح الباري ٦/٢٥١.

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/٨٢، ٨٤.

وقد ذكر الماوردي رحمه الله أنّ من حق القائد على جنده: (ألاّ ينازعوه في الغنائم إذا قسمها ويرضوا منه بتعديل القسمة عليهم، فقد سوّى الله تعالى فيها بين الشريف والمشروف، وماثَل بين القوي والضعيف)[1].

(1) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٤٩؛ والأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ٤٧.

الفَصْلُ الرَّابِعُ

وَاجِبَاتُ القَائِدِ

يُعَدّ منصب القيادة العسكرية من أعظم الولايات السياسية التي ينبغي أن يُراعى فيها تحقيق المصالح ودفع المفاسد. ولهذا قررت الشريعة الإسلامية واجبات محددة على القائد العسكري المسلم من أجل تحقيق تلك الأهداف.

وسوف أتكلم ــ إن شاء الله ــ على تلك الواجبات بالتفصيل في المباحث الآتية:

المبحث الأول

اتخاذ الحرس على العسكر

من واجبات القائد: أن يتخذ حرساً على العسكر حتى لا ينتهز العدو فرصةً فيبغتهم على حين غفلة منهم. وقد وردت أحاديث من السنّة تدل على مشروعية هذا الواجب. وسوف أذكر حديثين منها في هذا المقام:

* **الحديث الأول**: عن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، قال: قال عثمان رضي الله عنه وهو يخطب على منبره: ما كان يمنعني أن أحدّثكم إلاّ الظن عليكم، وإني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها»[1].

ففي هذا الحديث: بيّن ﷺ فضل الحراسة في سبيل الله، وهذا دليل على مشروعيتها.

* **الحديث الثاني**: عن سهل ابن الحنظلية رضي الله عنه أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فأطنبوا[1] السير حتى كانت عشية، فحضرت الصلاة عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فارس فقال: يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا فإذا أنا بهوازن على بكرة آبائهم بظعنهم

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب فضل الرباط في سبيل الله، ح (٢٧٦٦)، سنن ابن ماجه ٢ / ٩٢٤. قال الشيخ محمد عبد الباقي في تعليقه على هذا الحديث: في الزوائد في إسناده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعّفه أحمد وابن معين وغيرهما. وذكر المِزّي أن لهذا الحديث طريقاً آخر عند إسحاق في مسنده عن النضر بن شُميل وعبد الله بن يزيد المقرىء ورَوح بن عُبادة.
انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ٧ / ٢٦٠، ح (٩٨١٦).

(٢) يقال في اللغة: أَطْنَبَ الرجل في عدوه إذا مضى فيه باجتهاد ومبالغة. انظر لسان العرب ٢ /٦١٧.

ونعمهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: «تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله»، ثم قال: «من يحرسنا الليلة؟»، قال أنس بن أبي مرثد الغنوي: أنا يا رسول الله، قال: «فاركب» فركب فرساً له فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «استقبل هذا الشِّعْب حتى تكون في أعلاه ولا نُغَرَّن من قِبَلِكَ الليلة...»[1]، الحديث.

فقد طلب النبي ﷺ من أحد الصحابة أن يتولى حراستهم في تلك الغزوة، وهذا دليل فعليّ على مشروعية الحراسة في سبيل الله.

وقد ذكر الماوردي رحمه الله أن من واجبات أمير الجيش نحو جنده (حراستهم من غرة يظفر بها العدو منهم، وذلك بأن يتتبع المكامن ويحوط سوادهم بحرس يأمنون به على نفوسهم ورجالهم ليسكنوا في وقت الدعة ويأمنوا ما وراءهم في وقت المحاربة)[2].

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب: فضل الحرس في سبيل الله، ح (٢٥٠١)، سنن أبي داود ٣ / ٢٠: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ومعه معالم السنن للخطابي، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعّاس، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٢هـ)، الناشر محمد علي السيّد.
وأخرجه الحاكم في كتاب الجهاد، باب: حُرِّمت النار على عين دمعت من خشية الله وحُرِّمت النار على عين سهرت في سبيل الله. المستدرك على الصحيحين ٢ /٨٣. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي.
وأخرجه البيهقي في كتاب السير، باب: فضل الحرس في سبيل الله، السنن الكبرى ٩ /١٤٩: لأبي بكر بن الحسين بن علي البيهقي، الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ــ الهند، سنة (١٣٥٦هـ).

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٤٣؛ الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ٤٤؛ وانظر مختصر في سياسة الحروب ص ٣٢.

المبحث الثاني
أن يتخذ لكل طائفة شعاراً

من واجبات القائد: أن يتخذ لكل طائفة شعاراً[1]، وهو المعروف بكلمة «السر» في الاصطلاح العسكري الحديث. فعندما يلتقي جندي بآخر لا يعرفه: يأمره أن ينطق بكلمة السر المصطلح عليها في تلك الليلة، فإذا نطقها عصم نفسه من القتل، وإلاّ أمره الجندي الآخر بالتوقف ـ تحت تهديد السلاح ـ حتى يتمكن من القبض عليه[2].

وقد كان من هدي الرسول ﷺ في القتال أن يتخذ لأصحابه شعاراً يتعارفون به[3].

وقد ثبتت مشروعية اتخاذ الشعار بالسنّة، وسوف أذكر في هذا المقام ثلاثة أدلة على ذلك:

الأول: عن البراء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم تلقَوْن عدوكم غداً فليكن شعاركم حم لا ينصرون» دعوة بينهم[4].

---

(١) الشِّعار في اللغة: العلاّمة، في الحرب وغيرها، وهو في الاصطلاح العسكري: علامة تتميز بها تشكيلات الجيش ومؤسساته ووحداته، والشِّعار ـ أيضاً ـ عبارة يتعارف بها القوم في الحرب أو السَّفر. انظر: لسان العرب ٢ /٣٢٥؛ المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ١ /٤٠٢: للواء محمود شيت خطاب، ط أولى، سنة (١٣٨٦هـ).

(٢) انظر الفقه الإسلامي والعلاقات الدولية ص ١٤٨، تأليف مصطفى شحاته الحسيني وآخرين، ط ١، سنة (١٣٩١هـ)، نشر دار الكتاب الجامعي.

(٣) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد ٣ /٩٩.

(٤) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤ /٢٨٩.
وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الرجل يُنادى بالشعار، ح (٢٥٩٧)، سنن أبي داود ٣ /٧٤.
=

الثاني: عن إياس بن سلمة عن أبيه، قال: غزونا مع أبي بكر رضي الله عنه زمن النبي ﷺ فكان شعارنا: **أمت أمت**[1].

الثالث: عن سمرة بن جندب، قال: شعار المهاجرين عبد الله، وشعار الأنصار عبد الرحمن[2].

= وأخرجه الترمذي في كتاب الجهاد، باب: ما جاء في الشِّعار، ح (١٦٨٢)، سنن الترمذي ٦ /١٢.

وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه في كتاب الجهاد، باب الشِّعار، ح (٩٤٦٧)، مصنف عبد الرزاق الصنعاني ٥ /٢٣٣، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، ط ١، سنة (١٣٩٢هـ).

وأخرجه الحاكم في كتاب الجهاد، باب دعاء الغازي عند بيتوتته، المستدرك على الصحيحين ٢ /١٠٧. قال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، وأقره الذهبي.

(١) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الرجل يُنادى بالشِّعار، ح (٢٥٩٦)، سنن أبي داود ٣ /٧٤.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤ /٤٦.

وأخرجه الدارمي في كتاب الجهاد، باب الشِّعار. سنن الدارمي ٢ /١٣٨.

وأخرجه الحاكم في كتاب الجهاد، المستدرك على الصحيحين ٢ /١٠٧. وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الرجل ينادى بالشِّعار، ح (٢٥٩٥)، سنن أبي داود ٣ /٧٣.

قال المنذري: في إسناده الحجاج بن أرطاة، ولا يحتج بحديثه، مختصر سنن أبي داود ٣ /٤٠٧: للحافظ المنذري، تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي، القاهرة، مطبعة أنصار السنّة المحمدية، سنة (١٣٦٧هـ). قال الذهبي في ترجمته: حجاج بن أرطأة الكوفي أحد الأعلام على لين فيه، عن عكرمة وعطاء، وعنه شعبة وعبد الرزاق وخلق، قال الثوري: ما بقي أحد أعلم منه. وقال حماد بن زيد: كان أفهم لحديثه من سفيان، وقال أحمد: كان من حفّاظ الحديث. وقال القطان: هو وابن إسحاق عندي سواء. وقال أبو حاتم: صدوق يدلس فإذا قال حدثنا فهو صالح. وقال النسائي: ليس بالقوي، مات سنة (١٤٥هـ). الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ١ /١٤٧.

وقد قرر الفقهاء رحمهم الله أن من واجبات القائد أن يتخذ شعاراً لكل طائفة من جنده، لما في ذلك من المصالح.

فقد ذكر الماوردي أن من واجبات قائد الجيش نحو جنده (أن يجعل لكل طائفة منهم شعاراً يتداعون به ليصيروا متميِّزين، وبالاجتماع متضافرين)[1].

مطلب
منافع اتخاذ الشعار

لاتخاذ الشعار بين المقاتلين: منافع متعددة منها:

أولاً: أن يعرف بعضهم بعضاً، لأجل ظلمة الليل، حتى لا يقع أحدهم على رجل من أصحابه ظناً منه أنه من المشركين.

ثانياً: أن يعرف بها الجندي أصحابه إذا ضلَّ عنهم.

ثالثاً: أن التداعي بالشِّعار سبب لنصرة بعضهم بعضاً عند الحاجة[2].

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٣٦؛ والأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ٤٠؛ المحرر في الفقه ٢ /١٧١: للشيخ مجد الدين أبي البركات، مطبعة السنّة المحمدية، سنة (١٣٦٩هـ)؛ ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ٢ /٥٣٤؛ وشرح منتهى الإرادات ٢ /٢٠٤: للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، مطبعة أنصار السنّة المحمدية، سنة (١٣٦٦هـ)؛ والتراتيب الإدارية ١ /٣٢٨.

(٢) انظر: مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ٢ /٥٣٤؛ التراتيب الإدارية ١ /٣٢٨.

المبحث الثالث

أن يعرّف على جنده العرفاء

من واجبات قائد الجيش أن يعرّف العرفاء[1] على جنده، حتى يسهل عليه الاتصال بهم وتفقد أحوالهم. وقد ذكر أبو يعلى رحمه الله أن من واجب أمير الجيش نحو جنده: (أن يعرِّف على الفريقين العرفاء، وينقِّب عليهم النقباء[2]، ليعرف من عرفائهم ونقبائهم أحوالهم ويقربوا عليه إذا دعاهم)[3].

وقد كان من هدي النبي ﷺ أن يعرّف العرفاء على جنده[4].

عن غالب القطان، عن رجل، عن أبيه، عن جده: أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ العرافة حق، ولا بد للناس من عرفاء، ولكن العرفاء في النار[5]»[6].

---

(١) العرفاء: جمع عريف: وهو القائم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس، يلي أمورهم ويتعرف الأمير منه أحوالهم انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ /٢١٨؛ لسان العرب ٢ /٧٤٦.

(٢) النُّقباء: جمع نقيب، كالعريف على القوم، المقدَّم عليهم الذي يتعرَّف أخبارهم ويُفتش عن أحوالهم. انظر لسان العرب ٣ /٦٩٩.

(٣) الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ٤٠.

(٤) انظر: المرجع السابق والصفحة نفسها.

(٥) قوله: (العُرفاء في النار): معناه: التحذير من التعرض للرياسة والتأمير على الناس لما في ذلك من المحنة، وأنه إذا لم يقم بحقها خيف عليه دخول النار. انظر معالم السنن للخطابي ٣ /٤.

(٦) الحديث: أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب: في العرافة، ح (٢٩٣٤)، سنن أبي داود ٣ /٣٤٨. قال الحافظ المنذري رحمه الله: (في إسناده مجاهيل، وغالب القطان قد وثّقه غير واحد من الأئمة واحتج به البخاري ومسلم في صحيحيهما). مختصر سنن أبي داود ٤ /١٩٦.

فقد دل هذا الحديث على مشروعية تعريف العرفاء على الجند لأن فيها رفقاً بهم. وإنما شرع إقامة العرفاء في الجيش لأن المصلحة العامة تقتضي ذلك، سواء كانت من جانب قائد الجيش أم من الجند.

أما قائد الجيش: فإنه لا يمكنه بأي حال أن يباشر جميع الأمور بنفسه، بحكم كثرة مسؤولياته وخطورتها فيحتاج إلى من يعاونه في ذلك[1].

وأما الجند: فإنهم بحاجة إلى من ينظر في أحوالهم ويرعى شؤونهم ولا سبيل إلى ذلك إلاّ بإقامة عرفاء يكونون وسطاء بينهم وبين قائدهم.

---

(١) انظر المحرر ٢ /٧١، مطالب أولي النهى ٢ /٥٣٣؛ شرح منتهى الإرادات ٢ /١٠٤؛ معالم السنن للخطابي ٣ /٣.

المبحث الرابع
معرفة أخبار العدو

مما يجب على القائد: معرفةُ أخبار عدوه، إذ على ضوء هذه المعرفة يمكن أن يضع الخطة الحربية المناسبة. وبمقدار معرفة القائد لقوات عدوه ومدى استعدادها يكون ظفره به، أو هزيمته أمامه.

وقد كان رسول الله ﷺ يحرص على معرفة أخبار عدوه فكان يبعث بالطلائع والعيون ليأتوه بأخبار العدوّ بل كان يقوم بالاستطلاع الشخصي لمعرفة تلك الأخبار[1].

ويذكر الماوردي أن من واجب قائد الجيش: أن يعرف أخبار عدوه حتى يقف عليها ويتصفّح أحواله حتى يخبرها فيسلم من مَكْره ويلتمس الغرة في الهجوم عليه.

وقد عدّ العلماء معرفة أخبار العدو من أجزم مكايد الحرب ورأس التدبير فيها[2].

ويذكر الأنصاري رحمه الله أنه يجب أن يتحقق في من يأتي بأخبار العدو ستة شروط:

الأول: أن يكون ممن يوثق بنصيحته وصدقه، فإذا كان متهماً فإنه لا يُنتفع بخبره وإن كان صادقاً، لأنه ربما أخبر بالصدق فاتُّهم فيه، فلم يؤخذ بقوله وحينئذٍ تفوت فيه النصيحة فيعود بالضرر على مرسله.

---

(١) انظر على سبيل المثال قيامه ﷺ يوم بدر بالاستطلاع الشخصي لمعرفة المكان الذي يوجد فيه جيش أهل مكة ص ١٢٣، ١٢٤.

(٢) الأحكام السلطانية ص ٤٣.

الثاني: أن يكون ذا حدس صائب وفراسة تامة، لكي يدرك بوفور عقله وصائب حدسه ما كتمه العدو وحتى يمكنه أن يستدل ببعض الأمور على بعض.

الثالث: أن يكون كثير الدهاء والحيل والخديعة، حتى يدخل بحيلته كل مدخل ويدرك مقصده من أي طريق أمكنه. ومتى كان قاصراً في هذا الباب ظفر العدو به، أو عاد منه بغير مقصوده وَطَلِبَته.

الرابع: أن يكون له دُربة بالأسفار ومعرفة بالبلاد حتى لا يحتاج إلى السؤال عن البلاد وأهلها، فإنه إذا سأل ربما تنبّه له العدو وَفَطِنَ به، فيكون في ذلك ضرر عليه، وعلى من أرسله.

الخامس: أن يكون عارفاً بلسان أهل البلاد التي يتوجه إليها، حتى يمكنه أن يلتقط ما يسمعه من أخبار العدو الذي يخالطه، ومع ذلك: لا يكون من جنس العدو، فإن الجنس يميل إلى الجنس بالطبع، فيفسد الأمر على من أرسله.

السادس: أن يكون صبوراً على ما قد يصيبه من العقوبة في حالة ظفر العدو به حتى لا يخبر بأحوال مرسله فيطّلع العدو على ما في العسكر منه مما يكون سبباً في الاستهانة به[1].

---

(١) انظر تفريج الكروب في تدبير الحروب ص ١٧، ١٨.

المبحث الخامس

إتلاف ممتلكات العدو من مبانٍ وحصون ونحوها

من واجبات قائد الجيش: إتلاف ممتلكات العدو من مبانٍ وحصون ونحوها، وذلك أن القيام بهذا العمل نوع من الجهاد الذي يجب على المؤمنين فعله لدفع ظلم الكفرة وعصيانهم.

وفي ذلك: يذكر العزّ بن عبد السلام أنّ من أنواع المُتْلَفات: إتلافاً لدفع المعصية كقتال الظلمة دفعاً لظلمهم وعصيانهم، وكذلك تخريب ديار الكفار وقطع أشجارهم وتحريقها وإتلاف ملابسهم وهي: نوع من الجهاد[1].

وقد ثبت أن النبي ﷺ حرّق نخل بني النضير، وقطع أشجارهم.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ حرّق نخل بني النضير، وقطع، وهي البُوَيْرة[2]... فأنزل الله عز وجل: ﴿ما قطعتُمْ مِنْ لِينةٍ أو تركتُمُوها قائمةً على أصولها فبإذن الله ولِيُخْزِيَ الفاسقين﴾[3]»[4].

---

(١) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٢ /٨٨.
وانظر: المحرر ٢ /١٧٢.

(٢) البُوَيْرَةُ: هو موضع منازل بني النضير، وهم اليهود الذين غزاهم النبي ﷺ بعد غزوة أُحد بستة أشهر، وهي شرقي العوالي من ظاهر المدينة. انظر معجم البلدان ١ /٥١٢؛ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٥٠.

(٣) سورة الحشر: الآية ٥.

(٤) الحديث أخرجه مسلم بهذا اللفظ في كتاب الجهاد والسير، باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها، ح (٢٩، ٣١)، صحيح مسلم ٣ /١٣٦٥، ١٣٦٦.
وأخرجه البخاري بنحو هذا اللفظ في كتاب الحرث والزراعة، باب قطع الشجر والنخل، ح (٢٣٢٦)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥ /٩. =

فهذا الحديث: دليل على جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها، ولكن يعارضه نص آخر، يدل على النهي عن قطع أشجار الكفار أو تحريقها، وهو وصية أبي بكر الصديق إلى أمير جيشه، بقوله: (. . . ولا تقطَعَنَّ شجراً مثمراً ولا تخرِّبَنَّ عامراً ولا تعقرَنَّ شاةً ولا بعيراً، إلاّ لمأكلة، ولا تحرقنَّ نحْلاً، ولا تُغَرِّقَنَّه. . .)[1].

ويمكن الجمع بينهما أن التحريق أو التخريب في بلاد العدو جائز لفعله ﷺ، أما النهي عنه: فهو محمول على القصد لذلك. أما إذا أصاب المسلمون ذلك في خلال القتال ـ كما في نصب المنجنيق على أهل الطائف ـ فذلك جائز، وبهذا قال أهل العلم، ويمكن ـ أيضاً ـ حمل النهي عن القطع أو التحريق على أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ علم أن تلك البلاد ستُفتح فأراد إبقاءها للمسلمين[2].

وبهذا يزول التعارض.

وأخرجه في كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، ومخرج رسول الله ﷺ في دية الرجلين وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ، ح (٤٠٣١) وح (٤٠٣٢)، فتح الباري ٧ / ٣٢٩، وأخرجه في كتاب الجهاد، باب حرق الدور والنخيل، ح (٣٠٢١)، فتح الباري ٦ / ١٥٤، وأخرجه في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ما قطعتم من لينة﴾، ح (٤٨٨٤)، فتح الباري ٨ / ٦٢٩.

وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الحرق في بلاد العدو، ح (٢٦١٥)، سنن أبي داود ٣ / ٨٧.

وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب التحريق بأرض العدو، ح (٢٨٤٤)، سنن ابن ماجه ٢ / ٩٤٨.

وأخرجه الدارمي في كتاب السير، باب في تحريق النبي ﷺ نخل بني النضير، سنن الدارمي ٢ / ٢٢٢.

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ٨، ٥٢، ٨٠، ١٢٣، ١٤٠.

(١) هذا الأثر أخرجه مالك في كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو، الموطأ ٢ / ٤٤٨، ط دار إحياء الكتب.

(٢) انظر: فتح الباري ٦ / ١٥٥.

وقد قَسَّم الفقهاء[1] الشجر والزرع بحسب ما يترتب على إتلافه من الأحكام إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما تدعو الحاجة إلى إتلافه: كالذي يقرب من حصونهم ويمنع المسلمين من قتالهم، فهذا يجب قطعه.

الثاني: ما يتضرر المسلمون بقطعه: لكونهم ينتفعون ببقائه لعلوفه دوابهم أو يستظلون به أو يأكلون من ثمره أو لم تجرِ العادة بذلك بيننا وبين عدونا بحيث لو فعلناه بهم فعلوه بنا فهذا يحرُم قطعه لما فيه من الإضرار بالمسلمين.

الثالث: ما عدا هذين القسمين مما لا ضرر فيه ولا نفع سوى غيظ الكفار، والإضرار بهم، ففيه رأيان:

أحدهما: لا يجوز، لنهي أبي بكر الصديق أمير جيشه عن ذلك.

الثاني: يجوز، وبهذا قال مالك والشافعي وإسحاق وابن المنذر. قال إسحاق: (التحريق سنّة إذا كان أنكى في العدو، وكذلك يجوز رميهم بالمنجنيق وإحراق قُراهم).

وذلك: لأن النبي ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف[2].

وفي ذلك يقول الماوردي رحمه الله: (يجوز لأمير الجيش في حصار العدو أن ينصب عليهم العرَّادات[3] والمنجنيقات[4]... ويجوز أن يهدم عليهم منازلهم ويضع عليهم البيات والتحريق، وإذا رأى في قطع نخلهم

---

(١) انظر المغني ــ لابن قدامة ٩ / ٢٩١.

(٢) انظر حديث نصب المنجنيق على أهل الطائف في ص ٤٠٤، ٤٠٥.

(٣) العرَّادات: جمع، مفرده: عرَّادة، بتشديد الراء، وهي: آلة صغيرة تشبه المنجنيق تستخدم في الرمي. انظر: القاموس المحيط ٢ / ٣٢٥.

(٤) المنجنيقات: جمع، مفرده: منجنيق، وهي آلة حربية ترمى بها الحجارة. انظر: القاموس المحيط ٣ / ٢٢٥.

وشجرهم صلاحاً يستضعفهم به ليظفر بهم عنوة أو يدخلوا في السلم صلحاً فعل، ولا يفعل إن لم يـر فيه صلاحاً)[1].

ويجوز هدم عامرهم وإن تضمن إتلاف نحو نساء وصبيان إن لم يقصدهم لأنه في معنى «التبييت».[2].

ولمّا سُئِلَ الإمام مالك رحمه الله عن حكم إحراق حصون الكفار، وإغراقها بالماء؟ أجاب قائلاً: (لا بأس أن تحرق قراهم وحصونهم بالنيران وتغرق بالماء وتخرب)[3].

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٥٢.

(٢) مطالب أولي النهى ٢ /٥١٦.

(٣) المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس ٢ /٧، ٨، ط مكتبة المثنى ببغداد لصاحبها محمد الرجب مطبعة السعادة، سنة (١٣٢٣هـ)، وانظر سنن الترمذي ٤ /١٢٢.

المبحث السادس

وقف القتال

من واجبات القائد: إيقاف القتال متى وُجد سبب يقتضي ذلك، فليس من الضروري أن تكون المعركة حاسمةً بين الطرفين، وهناك حالات يجب أن يوقف فيها القتال بين الطرفين، ويمكن تصنيفها إلى ما يأتي:

الحالة الأولى: أن يُسْلِمَ الكفار فيصير لهم بالإسلام ما لنا وعليهم ما علينا ويُقَرّوا على ما ملكوا من بلاد وأموال.

ويدل على ذلك: حديث جابر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله، ثم قرأ: ﴿إنما أنت مذكِّر. لست عليهم بمسيطر﴾[1]»[2].

---

(١) سورة الغاشية: آيتا ٢١، ٢٢.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، ح (٣٥)، صحيح مسلم ١ /٥٢، ٥٣.

وأخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلُّوا سبيلهم﴾، ح (٢٥)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/٧٥، وأخرجه في كتاب الاعتصام، باب: قول الله تعالى ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾، ﴿وشاورهم في الأمر﴾، رقم الباب ٢٨، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣/٣٣٩.

وأخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله، ح (٢٦٠٩)، سنن الترمذي ٧ /٢٦٧؛ وأخرجه في كتاب التفسير، (تفسير سورة الغاشية)، ح (٣٣٣٨)، سنن الترمذي ٩ /٧٤.

وأخرجه النسائي في كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، سنن النسائي ٦ /٥ بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية السندي، طبعة دار الكتاب العربي ــ بيروت؛ وأخرجه في كتاب تحريم الدم سنن النسائي ٧/٧٧.

وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب الكف عمن قال لا إله إلا الله، =

ووجهه: أن الرسول ﷺ جعل النطق بالشهادة سبباً في عصمة دماء المشركين وترك قتالهم.

الحالة الثانية: أن يُدعى المشركون إلى أداء الجزية[1]، فيؤدوها، وهذه الحالة في حق من تُقْبل منه الجزية، وهو: من له كتاب أو شبهة كتاب، أما المرتدون وعبدة الأوثان من العرب فإنه لا يُقبل منهم إلاّ الإسلام أو السيف لقوله تعالى: ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾[2].

والدليل على أن أداء الجزية سبب لوقف القتال: ما ورد في وصيته ﷺ لأمراء السرايا: «. . . فإن هم أَبَوْا فسَلْهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، فإن هم أَبَوْا فاستعِنْ بالله وقاتلهم»[3].

= ح (٣٩٢٨)، سنن ابن ماجه ٢/١٢٩٥.

وسبب هذا الحديث: أن النبي ﷺ قاله في حالة قتال أهل الكتاب الذين يعترفون ويجحدون نبوته عموماً أو خصوصاً. انظر: البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ١/٣٧٧: للسيِّد إبراهيم بن محمد بن كمال الدين الشهير بابن حمزة الحسيني الحنفي، حققه وعلق عليه دكتور حسين عبد المجيد هاشم، دار التراث العربي للطباعة والنشر ــ القاهرة.

(١) الجِزْيَةُ لغة: ما يؤخذ من أهل الذمة، والجمع: الجِزَى، مثل: لِحْيَة ولحى، وهي فِعْلة من الجزاء، كأنها جَزتْ عن قتله. انظر: لسان العرب ١/٤٥٨. واصطلاحاً: هي الوظيفة المأخوذة من الكافر مقابل إقامته بدار السلام، وصون حقوقه. انظر المغني ٩/٣٢٨؛ ومقدمات ابن رشد ص ٢٧٩: لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، مطبعة السعادة لصاحبها محمد إسماعيل؛ وفقه الأوزاعي ٢/٥٢٣: للدكتور محمد عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد ــ بغداد، سنة (١٣٩٧هـ).

(٢) سورة الفتح: آية ١٦.

(٣) الحديث أخرجه مسلم واللفظ له في كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، ح (١٧٣١)، صحيح مسلم ٣/١٣٥٧.
وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، ح (٦١٢)، سنن أبي داود ٣/٨٣.
وأخرجه ابن ماجة في كتاب الجهاد، باب وصية الإمام، ح (٢٨٥٨)، سنن أبي ماجه ٢/٩٥٣. =

ووجهه: أن الرسول ﷺ جعل أداء المشركين للجزية سبباً يقتضي وقف القتال عنهم.

الحالة الثالثة: أن ينتصر المؤمنون على المشركين مع بقاء أولئك الكفرة على شركهم فنسبي ذراريهم ونغنم أموالهم، ونقتل من لم يحصل في الأسر منهم.

الحالة الرابعة: أن يسألوا الأمان والمهادنة، فحينئذٍ يجوز لأمير الجيش ـ إذا تعذر الظفر بهِمْ وأخذ المال منهم ـ أن يهادنهم على المسالمة وذلك كما صالح النبي ﷺ المشركين في صلح «الحديبية» المشهور[1].

الحالة الخامسة: أن يبذلوا مالاً على المسالمة والموادعة، فإذا طلب الأعداء عقد هدنة بينهم وبين المسلمين أجيبوا إلى ذلك ووجب وقف القتال عنهم، سواء كان ذلك قبل القتال لتفادي الحرب والاستمرار فيها، أم كان في أثنائها أم بعدها.

والأصل في مشروعيـة ذلك قوله تعالى: ﴿وإن جَنَحُوا للسَّلْم فاجنَحْ لها﴾[2].

وأخرجه الدارمي في كتاب السِّير، باب في الدعوة إلى الإسلام قبل القتال، سنن الدارمي ٢/٢١٦.

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/٣٥٢، ٣٥٨.

(١) انظر في هذا الموضوع: الأحكام السلطانية للماوردي ص ٤٩، ٥١؛ فتح القدير ٤/٢٨٥: للشيخ محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام، ط ١، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ـ مصر، سنة (١٣١٦هـ)؛ وفيض الإله المالك في حلّ ألفاظ عمدة السالك وعدة الناسك ٢/٣٠٩: للشيخ محمد بركات الشامي البقاعي الشافعي، ط ٢، سنة (١٣٧٢هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ والفقه الإسلامي والعلاقات الدولية ص ١٧٧؛ والجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي ص ١٢٣: للدكتور أحمد شلبي، ط ٢، سنة (١٩٧٤م)، الناشر مكتبة النهضة العربية المصرية.

(٢) الآية ٦٠ من سورة الأنفال.

ومثال ذلك: مصالحة النبي ﷺ لأهل «فَدَك»[1]. فإنه لما فتح خيبر وبعث إلى أهل فَدَك يدعوهم إلى الإسلام، فأبوا وكان قد بلغهم ما فعله ﷺ بأهل خيبر، فطلبوا منه أن يصالحهم على نصف ما يخرج من الأرض على أن يصونهم ويحقن دماءهم، فصالحهم ﷺ على ذلك[2].

---

(١) فَدَك: هي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة: يومان، وقيل: ثلاثة، وهي قريبة من خيبر، وقد أفاءها الله على رسوله ﷺ سنة سبع للهجرة من غير إيجاف خيل ولا ركاب، فهي خالصة لرسول الله ﷺ، ولها عين فوّارة ونخيل كثيرة. وتُعرف الآن باسم (الحائط)، وفيها إمارة ومحكمة ومدارس، وسكانها بنو رشيد. انظر: معجم البلدان ٤/٢٣٨، معجم معالم الحجاز ٧/٢٣ ــ ٢٨.

(٢) انظر سيرة النبي ﷺ ٣/٤٠٨: لأبي محمد عبد الملك ابن هشام، بتعليق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار الفكر ــ بيروت؛ والبداية والنهاية ٤/٢٠٣: لأبي الفداء الحافظ ابن كثير، ط ١، سنة (١٩٦٦م)، ط مكتبة المعارف ــ ببيروت، ومكتبة النصر ــ بالرياض؛ الخراج ص ٥٥: للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، نشر المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، سنة (١٣٤٦هـ)؛ والخراج وصنعة الكتابة ص ٢٥٩: لقدامة بن جعفر، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، سنة (١٩٨١م)؛ والدرر في اختصار المغازي والسِّيَر ص ٢٠٧: للحافظ يوسف بن عبد البر النميري، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف؛ ومغازي الواقدي ٢/٧٠٦، ٧٠٧، تأليف محمد بن عمر بن واقد، تحقيق الدكتور مارسدن جونس، مؤسسة الأعلمي ــ بيروت.

المبحث السابع
توفير الوسائل المساعدة على النصر

لما كان النصر على الأعداء يُعَدّ مقصداً عظيماً من مقاصد القتال، كان توفير الوسائل المساعدة على تحقيقه تجب على القائد وحده، وفي نظري أن من أهم الوسائل المساعدة على تحقيق النصر وسيلتين:

الوسيلة الأولى: التدريب

إن النصر ليس منحة تنزل من السماء دون أخذ الأسباب التي تساعد على ذلك، فلا بد في حكمة الله ومقتضى سننه الكونية التي لا تتبدل من الوقوف عند الأسباب التي وضعها سبيلاً للانتصار.

ومن ذلك: التدريب على استعمال آلات الحرب ومعدّاتها والتمرين على تشكيلاتها وتنظيماتها بصورة تضمن حسن الاستفادة منها، وقد وردت أحاديث من السنة النبوية ترشد إلى سباق الخيل، وفي بعضها: دلالة على إباحة اللَّعِب بالحِرَاب[1] لما في ذلك من التدريب على الكرّ والفرّ والرمي والطعن[2].

* فمن الأدلة على مشروعية المسابقة بين الخيل: ما رواه نافع عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ أن رسول الله ﷺ سابَقَ بالخيل التي قد أُضْمِرَتْ من

(١) الحِرَاب: جمع حَرْبَة، وهي: سلاح من حديد دون الرمح، يُستعمل في الصولة. انظر لسان العرب ١/٥٩٥؛ والمصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ١/١٧٦.
(٢) انظر الفقه الإسلامي والعلاقات الدولية ص ٣٨.

الحفياء[1]، وكان أمدُها: ثنية الوداع[2]، وسابق بين الخيل التي لم تضمر إلى مسجد «بني زريق»[3]، وكان ابن عمر فيمن سابق فيها.

وزاد في حديث أيوب من رواية حماد وابن علية: قال عبد الله: (فجئت سابقاً فطفّفَ[4] بي الفرس المسجد)[5].

فقد دل هذا الحديث على مشروعية المسابقة على الخيل، وهي دائرة بين الاستحباب والإباحة، بحسب الباعث إليها، وأنها من الرياضة المحمودة التي تحصل منها مصلحة عظيمة في الجهاد[6].

---

(١) الحَفْيَاء: موقع قرب المدينة المنورة، على بعد خمسة عشر كيلومتراً منها، ويعرف اليوم بـ (الزبير)، وهو بأسفل وادي النقمي، شمال أُحد. انظر وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ ٢/٢٩٢: للشيخ علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي السمهودي، مطبعة الآداب والمؤيد ـ بمصر، سنة (١٣٢٦هـ)؛ ومعجم معالم الحجاز ٣/٣٤.

(٢) هي: ثنية مشرفة على المدينة من جهة سلع، الشرقية، وهي الآن على طريق من يريد الذهاب إلى مكة، وبها طريق يتجه إلى العيون والشهداء والشام. وسُمِّيَت بذلك: لأنها موقع توديع المسافرين. انظر معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٣٣٢.

(٣) هو المسمى الآن بمسجد السبق، ويقع شرق موقف سيارات النقل الجماعي بالمدينة المنوّرة.

(٤) طَفَّفَ: من التطفيف، وله عدة استعمالات، ويراد به هنا المحاذاة، أي أن الفرس وثب به حتى كاد يساوي به المسجد. انظر لسان العرب ٢/٥٩٨.

(٥) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب المسابقة بين الخيل وتضميرها، ح (١٨٧٠)، صحيح مسلم ٣/١٤٩١.
وأخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب إضمار الخيل للسبق، ح (٢٨٧٠)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/٧١.
وأخرجه النسائي في كتاب الخيل، باب غاية السبق للتي لم تُضْمر، سنن النسائي ٦/٢٢٥.
وأخرجه مالك في الموطأ، باب ما جاء في الخيل والمسابقة بينها والنفقة في الغزو، ح (٤٥)، الموطأ ٢/٤٦٧.

(٦) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/٨٢.

* ومن الأدلة على مشروعية اللعب بالحراب: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: (فبينا الحبشة يلعبون عند النبي ﷺ بحرابهم، دخل عمر فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها)، زاد علي حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر: (في المسجد)[1].

فقد أقر النبي ﷺ أولئك الأحباش على اللعب بالحراب في المسجد، وذلك لأن هذا الأمر ليس لعباً مجرداً، بل هو من الجد،لأن فيه تدريب الشجعان على الطعان في الحرب والاستعداد لمنازلة الأعداء في الميدان[2].

ولا خلاف بين العلماء في الأخذ بجميع الوسائل التي تساعد على تحقيق التدريب من أصناف الفروسية: كالمسابقة والرمي والطعن بالحراب، ويدخل في حكم ذلك التدريب على كافة الآلات الحربية.

قال القرطبي رحمه الله: (لا خلاف في جواز المسابقة على الخيل وغيرها من الدواب وعلى الأقدام وكذا الترامي واستعمال الأسلحة لما في ذلك من التدريب على الحرب)[3].

ولهذا التدريب من الناحية العسكرية نتائج مهمة:

أولاً: أنه يوفر الكفاءة القتالية العالية لعامة أفراد الجيش قادةً وجنوداً.

ثانياً: أنه يجعل الجيش على درجة من الاستعداد للقتال في أية لحظة يُطلب منه النزال.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الجهاد، باب اللهو بالحراب ونحوها، ح (٢٩٠١)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/٩٢؛ وأخرجه بنحو هذا اللفظ في كتاب الصلاة، باب أصحاب الحراب في المسجد، ح (٤٥٥)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/٥٤٩؛ وأخرجه في كتاب العيدين، باب الحِرَاب والدروق يوم العيدين، ح (٩٥٠)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢/٤٤٠.
وأخرجه مسلم في كتاب العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه أيام العيد، ح (١٧)، صحيح مسلم ٢/٦٠٨.

(٢) انظر فتح الباري ٢/٤٤٣.

(٣) المرجع السابق ٦/٧٥.

ثالثاً: أنه يقلل خسائر الجيش في الأرواح والمعدات وذلك لأن الجندي الذي أصبح على مستوىً جيد من التدريب أقل تعرّضاً للإصابة ـ بمشيئة الله ـ من قرينه الذي يقل عنه في هذا الجانب.

وقد أثبتت تجارب الحروب حدوث هذه النتيجة، حتى إن العسكريين وضعوا قاعدة مطردة في هذا الشأن فقالوا: إن العَرَق في التدريب يوفر الدم في المعركة.

رابعاً: أنه يغرس في المقاتل ثقته ـ بعد الله ـ بنفسه وبسلاحه وبقائده مما يرفع روحه القتالية ويلهب فيه روح الإقدام والشجاعة[1].

الوسيلة الثانية: ترغيب الجند في ثواب الدارين:

يُعَدُّ ترغيب الجند في ثواب الدارين: أمراً مهماً في إقدامهم على قتال أعدائهم، ولا شك في أن الرغبة في القتال مما يُقَرِّب حصول النصر.

وقد ذكر الماوردي أن من واجبات القائد: (أن يَعِدَ أهل الصبر والبلاء بثواب الله لو كانوا من أهل الآخرة، وبالجزاء والنفل من الغنيمة إن كانوا من أهل الدنيا، قال الله تعالى: ﴿ومن يُرِدْ ثواب الدنيا نؤتِهِ منها ومن يُرِدْ ثوابَ الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين﴾[2]. وثواب الدنيا: الغنيمة، وثواب الآخرة: الجنة، فجمع الله تعالى في ترغيبه بين أمرين، ليكون أرغب للفريقين)[3].

---

(١) انظر المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية ص ٢٢٠.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٤٥، وأولها: ﴿وما كان لنفس أن تموتَ إلاّ بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٤٣.

المبحث الثامن

اتخاذ مجلس الشورى

من واجبات قائد الجيش أن يتخذ مجلساً للشورى مكوّناً من أعيان الجيش ورجالاته وذلك للاستفادة من مشورتهم في أمر من الأمور التي لم يَرِد فيها نص شرعي بقصد الوصول إلى رأي سديد يحقق المصلحة العامة للجيش.

وقد دل على مشروعية هذا الواجب من القرآن الكريم: قول الله تعالى: ﴿فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لهم ولو كنتَ فظًّا غليظَ القلب لانفضّوا من حولك، فاعفُ عنهم واستغفِرْ لهم وشاورْهم في الأمر فإذا عزمتَ فتوكَّل على الله إن الله يحبّ المتوكلين﴾[1].

ففي هذه الآية الكريمة: أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ أن يستشير أصحابه في أمر الحرب لما في ذلك من الوصول إلى الرأي الصواب، الذي يحقق المصلحة العامة لهم.

قال ابن العربي رحمه الله عن الأمر الوارد في هذه الآية: (المراد به الاستشارة في الحرب، ولا شك في ذلك لأن الأحكام لم يكن له فيها رأي بقول وإنما هي بوحي مطلق من الله عز وجل، أو باجتهاد من النبي ﷺ على من يجوز له الاجتهاد)[2].

وقد ساق القرطبي رحمه الله أقوال العلماء رحمهم الله في المعنى الذي لأجله أمر الله نبيه ﷺ بالمشاورة فقال:

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٥٩.

(٢) أحكام القرآن ١/٢٩٧: لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق علي البجاوي، سنة (١٣٨٦هـ)، ط ٢، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أمر الله نبيه عليه السلام أن يشاور أصحابه، فقالت طائفة: ذلك في مكائد الحروب وعند لقاء العدو تطييباً لنفوسهم ورفعاً لأقدارهم... وإن كان الله قد أغناه عن رأيهم بوحيه. روي هذا عن قتادة والربيع وابن إسحاق والشافعي. قال الشافعي: هو كقوله «والبكر تُسْتأمر»[1] تطيباً لقلبها لا أنه واجب، وقال مقاتل وقتادة والربيع: كانت سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شقَّ عليهم، فأمر الله تعالى نبيَّه عليه السلام أن يشاورهم في الأمر فإن ذلك أعطف لهم وأذهب لأضغانهم وأطيب لنفوسهم، فإذا شاورهم عرفوا إكرامه لهم. وقال آخرون: ذلك فيما لم يأته فيه وحي. روي ذلك عن الحسن البصري والضحاك قالا: ما أمر الله نبيه ﷺ بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل، ولتقتدي به أمته من بعده)[2].

كما دل على مشروعية المشاورة وأهميتها قول الله تعالى: ﴿والذين استجابوا لربِّهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾[3].

فقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن من صفات المؤمنين: أنهم لا يبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه، ومن ذلك ما يتعلق بأمر الحرب[4].

والدليل على أهمية الشورى وعظم منزلتها في هذه الآية الكريمة:

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت، ح (٦٧)، صحيح مسلم ٢/١٠٣٧.
وأخرجه النسائي بنحو هذا اللفظ في كتاب النكاح، باب استئمار الثيب في نفسها، سنن النسائي ٦/٨٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤/٢٥٠: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مصورة عن طبعة دار الكتب، نشر دار الكتاب العربي، سنة (١٣٨٧هـ).

(٣) سورة الشورى: آية ٣٨.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٤/١١٨.

توسّطها بين فريضتي الصلاة والإنفاق[1].

قال الماوردي فيما ذكر من واجبات أمير الجيش، ما نصه: (أن يشاور ذوي الرأي فيما أعضل ويرجع إلى أهل الحزم فيما أشكل ليأمن الخطأ ويسلم من الزلل)[2].

وقال القرطبي: (واجب على الولاة والحكام مشاورة العلماء فيما لا يعلمون وما أشكل عليهم من أمور الدين ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب)[3].

وقال الدكتور حمدي أمين عبد الهادي عن تبعات هذا الواجب: (وهذا الواجب يفرض على أفراد الجيش بالمقابل واجب الأمانة والإخلاص في إبداء الرأي عند طلبه منهم)[4].

كيفية مجلس الشورى:

تتصف النصوص الشرعية الواردة في تنفيذ الشورى بالمرونة وذلك لكي تتلائم مع ظروف الناس في كل زمان ومكان.

يقول سيد قطب رحمه الله في هذا الشأن: (أما الشكل التي تتم فيه الشورى فليس مصبوباً في قالب حديدي، فهو متروك للصورة الملائمة لكل بيئة وزمان لتحقيق ذلك الطابع في حياة الجماعة الإسلامية)[5].

وبناءً على ذلك فإن مجلس الشورى يتألف أعضاؤه حسب الحاجة

---

(١) انظر التفسير القرآني للقرآن ١٣/٦٨: للشيخ عبد الكريم الخطيب، طبع ونشر دار الفكر العربي، مطبعة السنّة المحمدية، سنة (١٩٧٠م).

(٢) الأحكام السلطانية ص ٤٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٤/٢٥٠.

(٤) الفكر الإداري الإسلامي والمقارن ص ١٩٨: للدكتور حمدي أمين عبد الهادي، ط ٢، سنة (١٣٩٥هـ)، نشر دار الكتاب العربي.

(٥) في ظلال القرآن ٥/٣١٦٥: للشهيد سيد قطب، دار الشروق ـ بيروت، سنة (١٣٩٣هـ).

الداعية إلى ذلك، فتارة يتكوّن مجلس الشورى من ذوي الرأي والخبرة، وطوراً يتكوّن من جميع المسلمين الموجودين وقت المشاورة ـ كما في مسألة غنائم هوازن ـ.

وأحياناً يتألف من المتبوعين في قومهم كما في مسألة مصالحة النبي ﷺ غطفان حيث شاور السَّعْدَيْن إذ إنهما زعيما قبيلتي الأوس والخزرج، وتارة يكون مؤلفاً من جمهور الأمة كما في مشاورته ﷺ جمهور المسلمين في الخروج يوم أُحد[١].

وينبغي أن يتحقق في المستشار خمس خصال:

الأولى: أن يكون ذا دين وتُقى، فإنّ من غلب عليه الدين فهو مأمون السريرة، موفَّق العزيمة.

الثانية: أن يكون ذا عقل كامل وصاحب رأي وخبرة[٢].

الثالثة: أن يكون ناصحاً ودوداً، فإن النصح والمودة يصدقان الفكرة، ويمحِّضان الرأي.

الرابعة: أن يكون سليم الفكر من هم قاطع، وغمّ شاغل، فإن من عارض فكره شوائب الهموم لا يسلم له رأي ولا يستقيم له خاطر.

الخامسة: ألا يكون له في الأمر المستشار فيه غرض يتابعه، ولا هوى يساعده، لأن الرأي إذا عارضه الهوى وجاذبته الأغراض فسد، وكان ضرره راجحاً على نفعه[٣].

---

(١) انظر نظم الحكم والإدارة في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية ص ٢٧١: للمستشار علي علي منصور، نشر دار الفتح للطباعة والنشر ـ ليبيا، ط ٢، سنة (١٣٩١هـ).

(٢) انظر: مختصر في سياسة الحروب ص ٢١؛ وأدب الدنيا والدين ص ٢٩٠: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، حققه وعلق عليه مصطفى السَّقا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط ٤، سنة (١٣٩٨)؛ والجامع لأحكام القرآن ٤/٢٥١؛ ونظم الحكم والإدارة ص ٢٣٣، ٢٦٨.

(٣) انظر: أدب الدنيا والدين ص ٢٩٠، ٢٩١.

المبحث التاسع

تطهير الجيش من عناصر الفتنة

من واجبات القائد: تطهير الجيش من عناصر الفتنة التي تكون سبباً في فشله وذهاب ريحه. وذلك لأن وجود مثل هذه العناصر يُعَدّ ضرراً محضاً والضرر يجب أن يُزال[1].

وقد نبه القرآن الكريم إلى خطر عناصر التخريب، وسوف أشير إلى بعضها في المطالب الآتية:

المطلب الأول

المتثاقلون

وهم الذين يتثاقلون عن واجب الجهاد، ويثبِّطون بتثاقلهم عزائم غيرهم، ومن أبرز ميزات هذا الصنف: أنهم يفرحون عندما ينهزم إخوانهم المقاتلون، ويحمَدُون الله على تخلّفهم عن هذا لقتال. وعندما ينتصر أولئك المجاهدون يُظهرون الأسف والحزن على فوات مساهمتهم في هذا القتال الذي نال به المجاهدون فضلاً ونعمةً.

وقد بيّن الله في كتابه العزيز موقف هذا الصنف فقال تعالى: ﴿وإنْ منكم لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فإن أصابَتْكُم مصيبةٌ قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً، ولئن أصابكم فضلٌ من اللهِ ليقولُنَّ كأنْ لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنتُ معهم فأفوزَ فوزاً عظيماً﴾[2].

---

(١) انظر هذه القاعدة في الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية ص ٩٢: تأليف عبد الرحمن السيوطي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه؛ والأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان ص ٨٥؛ وخاتمة مجامع الحقائق ص ٣٢٢؛ ودرر الحكام شرح مجلة الأحكام (المادة ٢٠) ١/٣٣.

(٢) سورة النساء: الآيتان: ٧٢، ٧٣.

المطلب الثاني

المبيِّتون غير ما يظهرون

وهم الذين يظهرون الطاعة والامتثال عند سماع أمر القتال، فإذا خرجوا مع المؤمنين بيّتوا غير الذي يُظهرون من العزم على المخالفة والنكوص عن الدعوة[1].

وقد بيّن الله في كتابه العزيز موقف هذا الصنف من الجهاد فقال تعالى: ﴿ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذي تقول، والله يكتب ما يبيِّتون، فأعرض عنهم وتوكّل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾[2].

المطلب الثالث

المُـرْجِفـون

وهم الذين تعوّدوا الإرجاف بما يسمعون غير مقدِّرين لنتائجه، كمن يقول: هلكت سرية المسلمين، وما لهم مدد، ولا طاقة لهم بالكفّار...[3]، وذلك: لأن هذا الصنف يفتّ في أعضاد الجند، وبذلك تضعف روحهم المعنوية عند سماع تلك الأراجيف.

المطلب الرابع

المخذِّلون

وهم الذين يزهِّدون الناس في القتال ويقعِّدونهم عن الغزو، كمن

---

(١) انظر تفسير القرآن الكريم ص ٢٥٢: للشيخ محمود شلتوت، ط ٦، سنة (١٣٩٤هـ)، دار الشروق.

(٢) سورة النساء: آية ٨١.

(٣) انظر المغني ٢٠١/٩؛ وشرح منتهى الإرادات ١٠٣/٢؛ وتفسير القرآن الكريم ص ٢٥٢.

يقول: الحر أو البرد شديد، أو لا تؤمن هزيمة الجيش. . . ونحو ذلك[1].

وقد ذكر الماوردي أن من واجبات أمير الجيش: أن يتصفح الجيش ومَن فيه ليخرج من كان فيه تخذيل للمجاهدين، وإرجاف للمسلمين. . .[2].

فقد ردّ رسول الله ﷺ عبد الله بن أبيّ ابن سلول في بعض غزواته لتخذيله المسلمين[3].

ومثل هؤلاء: المتجسِّس والساعي بين المسلمين بالفساد، وفي هؤلاء الأصناف يقول ابن قدامة: (ولا يستصحب الأمير معه من يُعين على المسلمين بالتجسس للكفار وإطلاعهم على عورات المسلمين ومكاتبتهم بأخبارهم ودلالتهم على عوراتهم أو إيواء جواسيسهم، ولا من يوقع العداوة بين المسلمين ويسعى بالفساد، لقول الله تعالى: ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدُّوا له عُدّةً ولكن كَرِهَ اللَّهُ انبعاثهم فثبَّطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين * لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلّا خَبالاً ولأوضعوا خلالكم يَبْغُونكم الفتنة وفيكم سمّاعون لهم والله عليم بالظالمين﴾[4].

قال ابن قدامة: (وإن كان الأمير أحد هؤلاء لم يُستحب الخروج معه لأنه إذا منع خروجه تابعاً، فمتبوعاً أولى، ولأنه لا تؤمن المضرة على من صحبه. قال الإمام أحمد رحمه الله: لا يعجبني أن يخرج مع الإمام أو القائد

---

(١) انظر المغني ٩/٢٠١؛ وشرح منتهى الإرادات ٢/١٠٣؛ والمحرر ٢/١٧١؛ ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ٨/٦٠؛ وتكملة المجموع شرح مهذب الشيرازي ١٩/٢٨٩، وهو الجزء السادس من تكملة الشرح للشيخ محمد نجيب المطيعي، ط ١؛ والكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل ٤/٢٦٣: لأبي محمد عبد الله بن قدامة المقدسي، ط ٢، سنة (١٣٩٩هـ).

(٢) الإرجاف: مشتق من رجف يرجف رجفاً ورجوفاً، وأرجف: بمعنى: خفق واضطرب اضطراباً شديداً. وأرجف القوم: إذا خاضوا في الأخبار السيئة والفتن. انظر: لسان العرب ١/١١٣٢.

(٣) الأحكام السلطانية ص ٣٧.

(٤) سورة التوبة الآيتان ٤٦، ٤٧.

إذا عُرِفَ بالهزيمة وتضييع المسلمين، وإنما يغزو مع من له شفقة وحيطة على المسلمين، فإن كان القائد يعرف بشرب الخمر والغلول يُغزى معه، إنما ذلك في نفسه)[1].

والدليل على ذلك: ما صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله ليؤيِّد هذا الدين بالرجل الفاجر»[2].

قال ابن المنير رحمه الله: (موضع الترجمة من الفقه أنه لا يتخيل في الإمام إذا حمى حوزة الإسلام وكان غير عادل أنه يطَّرح النفع في الدين لفجوره فيجوز الخروج عليه).

قال ابن حجر ـ معقباً على قول ابن المنير ـ : (فأراد أن هذا التخيل مندفع بهذا النص وأن الله قد يؤيد دينه بالفاجر وفجوره على نفسه)[3].

---

(١) المغني لابن قدامة ٩/٢٠١.

(٢) الحديث أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الجهاد، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، ح (٣٠٦٢)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/١٧٩، وأخرجه في كتاب القدر، باب العمل بالخواتيم، ح (٦٦٠٦)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١/٤٩٨.
وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشيء عُذِّب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ح (١١١)، صحيح مسلم ١/١٠٥.
وأخرجه الدارمي في كتاب السِّير، باب إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، سنن الدارمي ٢/٢٤٠.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/٣٠٩.

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/١٨٠.

المبحث العاشر

العــدل بين الجنود

من واجبات القائد نحو جنـده: العدل بينهم، وقـد ثبتت مشروعيـة هذا الواجب بالكتاب والسنّة:

أولاً ـ الكتاب: قال الله تعالى: ﴿إن الله يأمـر بالعـدل والإحسان وإيتـاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يَعِظُكُم لعلّكم تذكّرون﴾[1].

ففي هذه الآية الكريمة يخبر الله سبحانه وتعالى أنه يأمر عباده بـالعدل. وممن يشملهم هذا الأمـر القادة العسكريون.

ومن أنواع العدل التي أُمروا بها العدل بين جنودهم.

قال ابن العربـي ـ في بيان المراد بهذا النوع ـ:

(وأما العدل بينه وبين الخلق: ففي بذل النصيحـة وترك الخيـانة، فيمـا قلّ وكثر، والإنصاف من نفسه لهم بكل وجه، ولا يكـون منه إلى أحـد مساءة بقول ولا فعل لا في سر ولا في علن حتى بالهمّ والعزم والصبر على مـا يصيبه منهم من البلوى)[2].

ويقصد أهل «الاصطلاح العسكري» بهذا الواجب أن يكون القائد عادلاً منصفـاً في معاملة جميـع جنـده بروح المسـاواة وعـدم المحـابـاة بمنحٍ منه أو فرض عقوبة ونحو ذلك[3].

ثانياً ـ السنّة: عن عبـد الله بن عمـر قـال: قــال رسـول الله ﷺ: «إن

---

(١) سورة النحل: آية ٩٠.

(٢) أحكام القرآن: لابن العربي ٣/١١٦٠.

(٣) القيادة ص ١١٩: للقائم مقـام عبد التواب هديب ومحمود زكي.

المقسطين عند الله على منابر عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حُكمِهم وأهليهم وما وُلُّوا»[1].

فقد بيّن النبي ﷺ في هذا الحديث منزلة الإمام العادل بين رعيته عند الله، وهذا دليل على مشروعية هذا الواجب في الدين الإسلامي.

وقد ذكر الماوردي رحمه الله أن من واجب أمير الجيش: (أن لا يمالىء من ناسبه أو وافق رأيه ومذهبه على من باينه في نسبٍ أو خالفه في رأيه ومذهبه، فيظهر من أحوال المباينة ما تفرق به الكلمة الجامعة تشاغلاً بالتقاطع والاختلاف)[2]، بل يجب عليه أن يستعمل العدل مع الجميع. ولقيام قادة الجيش بالعدل بين جنودهم آثار طيبة، في الدنيا والآخرة:

* **فمن آثاره الدنيوية: مِلْك سرائر الجند به** فمن قام بالعدل ملك سرائر رعاياه ومن قام فيهم بالجَوْر والظلم لم يملك إلاّ الأجساد مع اختلاف القلوب عليه، وذلك أن السرائر تتطلب من يملكها بالإحسان[3].

* **ومن منافعه الأخروية:** أنه يفك صاحبه يوم القيامة من ذلك الغِلّ الذي في عنقه.

عن رجل، عن سعد بن عبادة، قال: سمعت غير مرة ولا مرتين يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما من أمير عشرة إلاّ يوتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه من ذلك الغل إلاّ العدل»[4].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ح (٨٢٧)، صحيح مسلم ٣/٤٥٨.
وأخرجه النسائي في كتاب آداب القضاء، باب فضل الحاكم العادل في حكمه، سنن النسائي ٨/٢٢١.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/١٦٠.

(٢) الأحكام السلطانية ص ٣٧: للماوردي؛ والأحكام السلطانية ص ٤١: لأبي يعلى.

(٣) انظر بدائع السلك في طبائع الملك ١/٢٣٢.

(٤) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٢٨٥ وبنحوه في ٥/٣٢٣ و ٥/٣٢٧ =

كما أنه ينتج من عدم قيام القائد بالعدل بين جنوده آثار سيئة في الدنيا والآخرة.

* **فمن آثاره الدنيوية ما يأتي:**

أولاً: الخذلان عند الحاجة وإفساد القلوب. قال الشيخ مصطفى السيوطي: (ولا يميل الأمير مع قريبه وذي مذهبه فتنكسر قلوب غيرهم فيخذلوه عند الحاجة ولأنه يفسد القلوب)[1].

ثانياً: فواتُ الطاعة والمحبة، ومما قيل في هذا الشأن: إذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة، وأعلم أن المحبة لا تنقاد إلاّ للعدل[2].

* **ومن مضار الأخروية:** أن الوالي الجائر يبقى مغلولاً بسبب ظلمه لمن ولاه الله أمرهم؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما من أمير عشرة إلاّ يؤتى به يوم القيامة مغلولاً حتى يفكه العدل أو يوثقه الجَوْر»، وفي رواية: «فإن كان مسيئاً زيد غِلاً إلى غلّه»[3].

= وأخرجه البزار في كتاب الإمارة، باب أحوال الأمراء في الآخرة، ح (١٦٤٠)، ٢/٢٥٤، من طريق يزيد بن أبي زياد، عن عيسى بن فائد، عن رجل، عن سعد بن عبادة... الحديث، وسنده ضعيف لأن الراوي عن سعد لم يسم، ولكن الحديث له شاهد من حديث أبي هريرة عند أحمد والدارمي والبزار.

(١) مطالب أولي النهى ٢/٥٧٢.

(٢) بدائع السلك في طبائع الملك ١/٢٣٤.

(٣) الحديث أخرجه الإمام في المسند ٢/٣٤١.
وأخرجه الدارمي في كتاب الجهاد، باب في التشديد في الإمارة، سنن الدارمي ٢/٢٤٠.
وأخرجه البزار في كشف الأستار في كتاب الإمارة، باب أحوال الأمراء في الآخرة ٢/٢٥٣، والرواية المذكورة في هذا الحديث هي عند البزار في الحديث رقم (١٦٤١)، كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة ٢/٢٥٤ للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٩هـ)، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

المبحث الحادي عشر
رعاية شؤون الجند

تُعَدّ رعاية شؤون الجند: أحد الواجبات الملقاة على عاتق القائد، وقد كان النبي ﷺ القدوة الحسنة في هذا الجانب، حيث كان يُولي جنده كل رعايته واهتمامه. فكان إذا سار مع الجيش تارة يتقدم، وتارة يكون في الساقة[1]، حتى يساعد المتأخِّر ويعين الضعيف[2]. فعن أبي الزبير رضي الله عنه أن جابر بن عبد الله حدثهم، قال: كان رسول الله ﷺ يتخلف في المسير، فيزجي[3] الضعيف ويردف ويدعو لهم[4].

كما كان ﷺ يُمرّض الجرحى من أصحابه. ومن الأمثلة على ذلك:

---

(١) السّاقة: أي: مؤخرة الجيش، والسّاقة أيضاً: جمع سائِق، وهم: الذين يسوقون جيش الغزاة ويكونون من ورائه يحفظونه. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٤٢٤؛ ولسان العرب ٢/٢٤٢.

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٩٦: لابن قيم الجوزية، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٩هـ)، نشر مؤسسة الرسالة ــ بيروت ومكتبة المنار الإسلامية بالكويت.

(٣) يزجي: يقال: زجى الشيء وأزجاه: ساقه سوقاً ليناً، والمعنى: أنه ﷺ كان يسوق الضعيف ليلحقه برفاقه، وفي التنزيل: ﴿أَلَمْ تر أن الله يُزجي سحاباً﴾ بمعنى: يدفعه لينساق. انظر لسان العرب ٢/١٣ مادة زجى، والمفردات في غريب القرآن مادة زجى ص ٢١٣: لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، ط سنة (١٣٨١هـ).

(٤) الحديث: أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في لزوم الساقة، ح (٢٦٣٩)، سنن أبي داود ٣/١٠٠.
وأخرجه الحاكم في كتاب الجهاد، باب في النهي عن التفرق في المنزل إذا نزلوا، وقال: صحيح على شرط مسلم. المستدرك على الصحيحين ٢/١١٥.

اهتمامه بشأن زياد بن السَّكن لما أثبتته الجراح يوم أُحد حيث وسّده ﷺ قدمه حتى مات عليها.

عن يزيد بن السَّكن، أن رسول الله ﷺ لما لَحَمَهُ[1] القتال يومئذٍ ـ يعني يوم أُحد ـ وخَلُص إليه، وكان رسول الله ﷺ قد ثقل، وظاهر بين درعين يومئذٍ ودنا منه العدو، فذب عنه مصعب بن عمير حتى قُتل، وأبو دُجانة سِماك بن خرشة حتى كثرت فيه الجراحة، وأصيب وجه رسول الله ﷺ وثُلِمتْ رباعيته وكُلِمَتْ شفتهُ وأُصِيبَتْ وَجْنته، فقال عند ذلك: «من رجل يبيع لنا نفسه؟»، فوثب فتية من الأنصار خمسة فيهم: زياد بن السَّكن فقُتلوا حتى كان آخرهم زياد بن السَّكن، فقاتل حتى أثبت، ثم ثاب إليه ناس من المسلمين فقاتلوا عنه حتى أجهضوا عنه العدو، فقال رسول الله ﷺ: «ادن مني»، وقد أثبتته الجراحة، فوسّده رسول الله ﷺ قدمه حتى مات عليها وهو زياد بن السَّكن[2].

ولم يقتصر ﷺ على رعايته لأصحابه فحسب، بل دعا لكل من رفق برعيته أن يرفق الله به، ومن أدخل عليهم المشقة والعنت أن يشق الله عليهم.

فعن عبد الرحمن بن شماسة، قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء، فقالت: من أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت: كيف صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئاً، إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير، والعبد فيعطيه العبد، ويحتاج النفقة فيعطيه النفقة، فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل فيَّ محمد بن أبي بكر أخي أن أخبرك ما سمعته من

---

(١) المراد به: اشتباك الحرب بينه وبين عدوّه، ولزوم بعضهم بعضاً. انظر لسان العرب ٣٥٢/٣.

(٢) كتاب الجهاد ص ٧٥، ٧٦: للإمام الحافظ عبد الله بن المبارك، تحقيق نزيه حماد، نشر الدار التونسية، سنة (١٣٩٠هـ)؛ والإصابة في تمييز الصحابة ٥٣٩/١، رقم (٢٨٥٤)، للشيخ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر دار الكتاب العربي ـ بيروت.

رسـول الله ﷺ يقـول في بيتي هـذا: «اللهم من ولي من أمـر أمتي شيئـاً فشق عليهم فاشقُقْ عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفُقْ به»[1].

ففي دعـائـه ﷺ على من شق على رعيتـه دليـل على أن هــذا الـوالي ارتكب أمراً محرماً، ولا سبيل إلى سلامته من عواقب تلك الدعوة إلاّ إذا رعى شؤون من ولّاه اللّهُ أمرهم بالرفق.

ويعد الماوردي رعاية شؤون الجند من واجبات القـائد، ويـذكر لـذلك نماذج فيقول: (وعليه في السَّير بهم سبعة حقوق:

أحــدها: الرفق بهم في السَّير الذي يقدر عليه أضعفهم وتُحفظ به قوة أقواهم، ولا يجدّ السير فيهلك الضعيف ويستفرغ جلد القوي.

والثــاني: أن يتفقــد خيلهم التي يجـاهــدون عليهـا وظهــورهم التي يمتطونها فلا يدخـل في خيل الجهـاد ضخماً كبيـراً ولا أعجف زارحاً هـزيلاً، لأنها لا تقي، وربما كان ضعفها وهناً. ويتفقد ظهور الامتطاء والركوب فيخرج منها ما لا يقدر على السَّير ويمنـع من حمل زيادة على طاقتها)[2].

ويقـابل خيـل الجهاد في عصـرنا الحـاضـر الآلات التي يقـاتل عليهـا الجنـود من المدرَّعـات وحامـلات الجنود وغيـرهما. ويقـابل ظهـور الامتـطاء وسائل النقل بمختلف أصنافها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن رعاية القائد لشؤون جنده في عهد النبـي ﷺ تعدُّ سَبْقاً عسكرياً لم تعرفه قادة الجيش إلاّ في العصر الحديث.

والدليل على ذلك قول المارشال مونتجمري: (وفي العصر الحديث إذا

---

(١) الحـديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، بـاب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجـائر، والحث عـلى الرفق بـالرَّعيـة والنهي عن إدخـال المشقـة عليهم، ح (١٨٢٨)، صحيـح مسلم ١٤٥٨/٣.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٣٥.

قابل القائد مشكلات جنوده الإنسانية بطريقة باردة ومجرّدة عن الشعور الحقيقي فلن يحصل منهم إلاّ على القليل، ولكنه إذا استطاع كسبَ ثقتهم وإيمانهم وجعلهم يشعرون بأنه يرعى مصالحهم وأنهم بين أيدٍ أمينة عليهم يكون بذلك قد امتلك رجالاً ذوي مستوى عالٍ ونادر، معنوياً وقتالياً، [وحقق في نفس الوقت][1] أعظم ما يمكن أن يحققه قائد.

وعندما تحدثت عن علاقة القائد والجنود بدأت بكلمة «العصر الحديث»، لأن الحال لم تكن هكذا في العصور الماضية... أما خلال العصور الوسطى فلم يكن للقوى البشرية أيّ اعتبار، ولم تكن ذات قيمة، لأن العبيد كانوا يعملون في الأرض، وبعد ذلك يُستهلكون في المعارك)[2].

فقول هذا القائد العسكري: (لأن الحال لم تكن هكذا في العصور الماضية) دليل على أن هذا الواجب لم يكن معروفاً في تاريخ الفن العسكري في العصور الماضية، وليس الأمر كذلك بل إن تلك الرعاية كانت معروفة في عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين من بعده (نظرياً وعملياً) عندما كان عَلَم الجهاد مرفوعاً لإعزاز دين الإسلام والتمكين له في الأرض.

---

(١) الصواب وحقق في الوقت نفسه.

(٢) الحرب عبر التاريخ ص ٢١، ٢٢، تأليف الفيلد مارشال فيكونت مونتجمري، تعريب وتعليق العميد فتحي عبد الله النمر، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، سنة (١٩٧١م).

المبحث الثاني عشر
إعلان الحرب على الأعداء

من واجبات قائد الجيش إعلان الحرب على الأعداء وقتالهم. وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

* **القول الأول: أنه يجب إنذار الأعداء مطلقاً**، سواء بلغتهم الدعوة أو لم تبلغهم، قال ذلك مالك رحمه الله وغيره. فقد سأل سحنون بن سعيد عبد الرحمن بن القاسم: أكان مالك يأمر بالدعوة قبل القتال؟ قال: نعم، كان يقول: لا أرى أن يقاتَل المشركون حتى يُدعَوْا[1].

وهذا قول ضعيف، ويُرَدّ عليه بما يأتي:

أولاً: ما ثبت في الحديث الصحيح عن ابن عون، قال: كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال، فكتب إليّ: (إنما كان هذا في أول الإسلام. قد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارُّون وأنعامهم تُسْقَى على الماء. . .)[2].

---

(١) انظر: المدوّنة الكبرى ٢/٢.

(٢) الحديث أخرجه مسلم بهذا اللفظ في كتاب الجهاد والسِّير، باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام من غير تقدّم الإعلام بالإغارة، ح (١٧٣٠)، صحيح مسلم ٣/١٣٥٦.

وأخرجه البخاري في كتاب العتق، باب من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع وجامع وفدى وسبى الذرية، ح (٢٥٤١)، فتح الباري ٥/١٧٠، وأخرجه في كتاب المغازي، باب غزوة بني المصطلق، وهي غزوة المريسيع، ح (٤١٣٨)، فتح الباري ٧/٤٢٨.

وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، ح (٢٦٣٣)، سنن أبي داود ٣/٩٧.

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/٣١، ٣٢، ٥١.

فقد دل هذا الحديث على جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم الدعوة، وفيه أيضاً دليل على أن دعاء من بلغته الدعوة قبل القتال مستحب مبالغة في الإنذار[1].

ثانياً: دليل العقل وخلاصته أن من بلغته الدعوة فقد قامت عليه الحجة، فلا يجب في هذه الحالة إنذاره. قال ابن قدامة رحمه الله عن عَبَدة الأوثان: (فإن من بلغته الدعوة منهم لا يُدعون، وإن وجد منهم من لم تبلغه الدعوة دعي قبل القتال).

. فقد فرّق رحمه الله بين من بلغته الدعوة، ومن لم تبلغه من حيث وجوب الإنذار أو عدمه.

* القول الثاني: **لا يجب الإنذار مطلقاً**. وهذا القول أضعف من الذي قبله لما يأتي:

أولاً: قول الله تعالى: ﴿وما كنّا معذّبين حتى نبعثَ رسولاً﴾[2]. ووجه الدلالة أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده أنّ من مقتضى عدله أن لا يُعَذِّب أحداً حتى يقيم عليه الحجة، وذلك بأن يرسل إليه رسولاً[3].

ثانياً: عن سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «. . . وإذا لقيت عدوّك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال: ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكُفّ عنهم، ثم ادعهم إلى التحوّل من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٣٦؛ الهداية ٢/١٣٦؛ الاختيار لتعليل المختار ٤/١٨٧: للشيخ عبد الله بن محمود المَوْصلي، نشر مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر وميدان الأزهر بالقاهرة، مطبعة المدني.

(٢) سورة الإسراء: آية ١٥.

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٨؛ وتكملة المجموع شرح المهذب ١٨/٧٦.

يفعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أَبَوْا أن يتحوّلوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكمُ الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أَبَوْا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكُفّ عنهم، فإن هم أَبَوْا: فاستعن بالله وقاتلهم...»[1] الحديث.

ووجهه أن النبي ﷺ أمر بإنذار المشركين وذلك بدعوتهم إلى الإسلام قبل قتالهم، وجَعَل إعلان الحرب عليهم آخر الأمور التي يُلجأ إليها.

ثالثاً: عن فروة بن مُسَيْك، قال: قلت يا رسول الله: قاتل مقبل قومي ومدبرهم؟ قال: «نعم»، فلما وليت دعاني فقال: «لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام»[2].

---

(١) الحديث: أخرجه مسلم واللفظ له في كتاب: الجهاد والسِّير، باب: تأمير الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، ح (١٧٣)، صحيح مسلم ٣/١٣٥٧.
وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب: في دعاء المشركين، ح (١٦١٢)، سنن أبي داود ٣/٨٣.
وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب: وصية الإمام، ح (٢٨٥٨)، سنن ابن ماجة ٢/٩٥٣.
وأخرجه الدارمي في كتاب السِّيَر، باب: في الدعوة إلى الإسلام قبل القتال، سنن الدارمي ٢/٢١٦.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/٣٥٢، ٣٥٨.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، سورة سبأ، ح (٣٢٢٠)، بلفظ: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، ألا أقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم، فأذن لي في قتالهم وأمّرني، فلما خرجت من عنده سأل عني ما فعل الغُطَيْفي؟ فأخبر أني قد سرت، قال: فأرسل في أثري فردَّني فأتيته وهو في نفر من أصحابه، فقال: «ادع القوم فمن أسلم منهم فاقبل منه ومن لم يسلم فلا تعجل عليه حتى أُحْدِثَ إليك». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. سنن الترمذي ٨/٣٥٦، تحقيق عزت عبيد الدعاس.
وأخرجه أبو داود بنحو هذا اللفظ في كتاب الحروف والقراءات، ح (٣٩٨٨)، سنن أبي داود ٤/٢٨٨.

ووجهــه: أن النبي ﷺ نهى عن قتـال المشــركين حتى يُـدْعَـوْا إلى الإسلام فتقوم عليهم الحجة بذلك.

رابعاً: ما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما قاتل رسول الله ﷺ قوماً حتى يدعوهم(١).

* القول الثالث: أنه يجب الإنذار إن لم تبلغهم الدعوة، ولا يجب إنْ بلغتهم، لكن يستحب(٢).

قـال المـاوردي: (والمشـركـون في دار الحـرب صنفـان: صنف منهم بلغتهم دعوة الإسلام فامتنعوا منها وثابوا عليها، فأمير الجيش مخيَّـر في قتالهم بين أمرين يفعل منهمـا ما علم أنـه الأصلـح للمسلمين وأنكأ للمـشـركين من بياتهم ليلاً ونهاراً بالقتال والتحريق، وأن ينذرهم بالحرب ويصافهم بالقتال.

والصنف الثاني: لم تبلغهم دعوة الإسلام، وقلَّ أن يكـون اليوم لمـا قد أظهر الله من دعوة رسوله إلاّ أن يكون قوم من وراء من يقابلنا من الترك والروم

---

(١) الحـديث أخرجه الدارمي في كتاب السِّيَر، بـاب في الدعوة إلى الإسلام قبـل القتال، سنن الدارمي ٢/٢١٧.
وأخرجه الإمام أحمد في المسنـد ١/٢٣٦، من طريق سفيـان عن ابن أبـي نجيـح، عن أبيه، عن ابن عباس، ورجال الإسناد كلهم ثقات، إلاّ أن الدارمي قـال: سفيان لم يسمـع من ابن أبـي نجيـح، يعني هذا الحديث، وبهذا يكون هذا الحديث فيه انقطاع، ولكن تـابعـه حجـاج بن أرطـاة، عن ابن أبـي نجيـح عنـد أحمـد في المسنـد ١/٢٣١، وحجـاج وإن كان فيـه كلام ـ كـما تقدّم في ص ٥٩ ـ لكن يصلح للمتـابعـة فيقـوى الحديث إلى درجة الحسن، والله أعلم. انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ١/١٧٦: للحـافظ جلال الـدين عبد الـرحمن بن أبـي بكر السيـوطي، حققه وراجـع أصـوله عبـد الوهـاب عبـد اللطيف، الـطبعـة الثـانية، سنـة (١٣٨٥هـ)، دار الكتب الحديثة.

(٢) انـظـر المغني ٩/٢١٠؛ فتـح البـاري شـرح صحيـح البخـاري ٧/٤٨٧؛ صحيـح مسلم بشرح النووي ١٢/٣٦؛ اللباب في شرح الكتـاب ٤/١١٦: للشيـخ عبد الغني الغنيمي الدمشقي المَيْداني الحنفي، حققه وعلَّق عليه محمـد محيـي الدين عبـد الحميد، ط ٤، سنة (١٣٨٣هـ).

في مبادىء المشرق وأقاصي المغرب لا نعرفهم[1]، فيحرم علينا الإقدام على قتالهم غِرَّة وبياتاً بالقتل والتحريق وأن نبدأهم بالقتل قبل إظهار دعوة الإسلام لهم وإعلامهم عن معجزات النبوّة وإظهار الحجة بما يقودهم إلى الإجابة، فإن أقاموا على الكفر بعد ظهورها لهم حاربهم وصاروا فيه كمن بلغتهم الدعوة)[2].

وهذا قول جمهور أهل العلم، وهو الراجح في نظري والله أعلم حيث تظاهرت الأدلة الصحيحة على معناه وفيه جمع بين القولين الآخرين[3].

* **الأدلــة:**

مما يدل على صحة هذا القول الأحاديث الصحيحة التي تدل على أن الرسول ﷺ قاتل بعض المشركين الذين بلغتهم الدعوة من غير إنذار، ومنها حديث نافع ـ المذكور ـ وحديث قتل كعب بن الأشرف وحديث قتل ابن الحقيق.

* **أولاً ـ حديث قتل كعب بن الأشرف:** عن عمرو بن دينار، قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله؟» فقام محمد بن مَسْلَمة، فقال: يا رسول الله: أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم»، قال: فأذن لي أن أقول شيئاً، قال:

---

(١) هذا الحكم الذي ذكره الماوردي في القرن الخامس له ما يبرره بحكم ندرة وسائل الإعلام والاتصال، أما في عصرنا الحاضر فلا يكاد يوجد دولة ذات سلطة وسيادة إلّا والقائمون عليها قد بلغتهم دعوة الإسلام بدليل وجود وسائل التعليم والإعلام التي تحارب الإسلام وتسعى جاهدة للتشكيك في نظمه وأحكامه إلى جانب الحرب الضروس التي توجه إلى المسلمين في شتى بقاع الأرض أفراداً وجماعات.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٣٧.

(٣) انظر نيل الأوطار ٧/٢٦٢.

«قل»،فأتاه محمد بن مسلمة ومعه رجلان، قيل لسفيان: سماهم عمرو؟ قال: سمّى بعضهم قال عمرو: جاء معه برجلين، وقال غير عمرو: أبو عبس بن جبر، والحارث بن أوس، وعبّاد بن بشر. . . فقال: إذا ما جاء فإني قائل بشعره[1] فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، وقال مرة أُشِمُّكم[2]، فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحاً أي: أطيب وقال غير عمرو، قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب، قال عمرو، فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فشمه ثم أَشَمَّ أصحابه، ثم قال: أتأذن لي، قال: نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم فقتلوه، ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه[3].

ففي هذا الحديث: دليل على جواز قتل المشرك بغير دعوة إذا كانت الدعوة العامة قد بلغته.

* ثانياً ـ حديث قتل أبي رافع بن أبي الحقيق: عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: بعث رسول الله ﷺ رهطاً من الأنصار إلى أبي رافع ليقتلوه، فانطلق رجل منهم فدخل حصنهم، قال: فدخلت في مربط دواب لهم، قال: وأغلقوا باب الحصن، ثم إنهم فقدوا حماراً لهم فخرجوا يطلبونه فخرجت فيمن خرج أريهم أنني أطلبه معهم فوجدوا الحمار فدخلوا ودخلت وأغلقوا باب الحصن ليلاً، فوضعوا المفاتيح في كَوَّة[4]، حيث أراها، فلما ناموا أخذتُ المفاتيح ففتحت باب الحصن، ثم

---

(١) قوله: (فإني قائل بشعره): فيه جواز إطلاق القول على الفعل. انظر فتح الباري ٧/ ٣٣٩.

(٢) أُشِمُّكم: يقال: أشَمَّه إياه، أي: جعله يشمه، والمعنى: أمكِّنكم من شمه. انظر: لسان العرب ٢/ ٣٦٤، فتح الباري ٧/ ٣٣٩.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، ح (٤٠٣٧)، فتح الباري ٧/ ٣٣٦.

(٤) الكَوَّة: هي الخرق في الحائط، والثقب في البيت ونحوه. انظر لسان العرب ٣/ ٣١٩.

دخلت عليه، فقلت: يا أبا رافع، فأجابني، فتعمدت الصوت فضربته فصاح، فخرجت ثم رجعت كأنني مغيث، فقلت: يا أبا رافع ـ وغيَّرت صوتي ـ فقال: ما لك لأمك الويل؟ قلت: ما شأنك؟ قال: لا أدري من دخل عليَّ فضربني؟ قال: فوضعت سيفي في بطنه، ثم تحاملت عليه حتى قرع العظم، ثم خرجت وأنا دَهِش فأتيت سُلَّماً لهم لأنزل منه فوقعت فَوُثِئَتْ[1] رجلي، فخرجت إلى أصحابي فقلت: ما أنا ببارح حتى أسمع الناعية، فما برحت أسمع نعايا أبي رافع تاجر أهل الحجاز، قال: فقمت وما بي قَلَبَةٌ[2]، حتى أتينا النبي ﷺ فأخبرناه[3].

ووجهه أن هذا الحديث دل على جواز قتل المشرك الذي بلغته الدعوة وأصرّ على كفره دون إنذاره قبل ذلك[4].

---

(١) فَوُثِئَتْ: الوثأ والوثاءة: وَخْمٌ يصيب اللحم ولا يبلغ العظم فيرم. والمعنى هنا: أنِ رجله وثئت ولم ينكسر عظمها. انظر لسان العرب ٣/٨٧٥.

(٢) قَلَبَةٌ: أي: ليس به علة يخشى عليه منها، وهو مأخوذ من قول العرب: قُلِبَ الرجل: إذا أصابه وجع في قلبه، وليس يكاد يفلت منه. انظر لسان العرب ٣/١٤٥.

(٣) الحديث: أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب قتل النائم المشرك، ح (٣٠٢٢، ٣٠٢٣)، فتح الباري ٦/١٥٥؛ وأخرجه في كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق، ح (٤٠٣٨، ٤٠٣٩، ٤٠٤٠)، فتح الباري ٧/٣٤٠.
وأخرجه أحمد في مسنده ٢/٣١، ٣٢، ٥١، ٣/٦٣، ٦٨، ٧٢، ٦/٢٧٧.

(٤) انظر فتح الباري ٦/١٥٦، ٧/٣٤٥.

المبحث الثالث عشر
تحـديد المحـاربـين

من واجبات القائد تحديد المحاربين الذين يجوز قتلهم، ومما يتعلق بهذا الواجب ـ أيضاً ـ تحديد الذين وردت النصوص الشرعية بالنهي عن قتلهم.

أما الذين يُقاتَلون: فقد اتفق العلماء على أنهم جميع المشركين المقاتلين من الذكور البالغين[1]، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿... وقاتلوا المشركين كافّةً كما يقاتلونكم كافةً واعلموا أن الله مع المتقين﴾[2].

وعلة قتال المشركين كونهم حرباً علينا، خلافاً للشافعي رحمه الله فإنه يرى أن علة القتل هي الكفر وذلك لأن منع قتل النساء والصبيان ويابس الشق يبطل كون الكفر من حيث هو كفرٌ علةً أخرى من محاربة المشركين وإلاّ لجاز قتل الأصناف الثلاثة لكونهم متصفين بالكفر، وليس الأمر كذلك[3].

وأما الذين لا يجوز قتلهم فهم تسعة: المرأة[4]، والصبي،

---

(١) انظر بداية المجتهد ونهاية المقتصد ١/٣٩٤، ١/٢٩٢: لأبي الوليد محمد بن رشد القرطبي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، سنة (١٣٨٦هـ) وكتاب الكافي في فقه أهل المدينة المالكي ١/٤٦٦، تأليف أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ النمري القرطبي، تحقيق وتعليق محمد محمد حيدر ولد ماديك الموريتاني، نشر مكتبة الرياض الحديثة، ط ١، سنة (١٣٩٨هـ).

(٢) الآية ٣٦ من سورة التوبة.

(٣) انظر فتح القدير للكمال بن الهمام ٤/٢٩١؛ البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٥/٧٦.

(٤) ويُلحق بالمرأة: الخنثى المشكل، فلا يجوز قتله لأنه يجوز أن يكون امرأة ويجوز أن يكون رجلاً فلم يقتل مع الشك. انظر تكملة المجموع شرح المهذب ١٨/٢٩٣؛ وحاشية =

والمعتوه[1]، والشيخ الفاني، والزَّمِن[2]، والأعمى، والراهب المنعزل، والوصيف[3]، والعسيف[4].

* **الأدلّة:**

* **أولاً ـ الدليل على عدم جواز قتل المرأة والصبي:** عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: (وُجِدتْ امرأة مقتولة في بعض مغازي النبي ﷺ فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان)[5].

فهذا الحديث: نص صريح في النهي عن قتل هذين الصنفين، وعلة النهي عن قتل النساء ضعفهن، وأما الصبيان فلقصورهم عن فعل الكفر، ولما في استبقائهم جميعاً من المصلحة لنا، إما بالرق، أو بالفداء، في من يجوز أن يُفادى به. ولكن هذين الصنفين إذا باشرا القتل فإنه يجوز قتلهما لأنهما صارا حرباً على المسلمين. قال ابن حبيب رحمه الله: (لا يجوز

= الدسوقي على الشرح الكبير ٢/١٥٧: للشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي على الشرح الكبير لأبي البركات أحمد الدردير، مصوّرة عن طبعة المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.

(١) المعتوه: المدهوش من غير مس جنون، وقد يطلق المعتوه والمخفوق على المجنون، وقيل: المعتوه: الناقص العقل. انظر: لسان العرب ٢/٦٨٢.

(٢) الزَّمِن: مأخوذ من قولهم: زمن الرجل زمناً وزمانة فهو زمن، من باب: تعب، وهو: مرض يدوم زماناً طويلاً. انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/٢٧٥.

(٣) الوصيف: الخادم، غلاماً كان أو جارية، يقال: وصف الغلام: إذا بلغ الخدمة، ويُجمع على وصفاء، ويقال للجارية: وصيفة بيّنة الوصافة، وتجمع على وصائف. انظر لسان العرب ٣/٩٣٦.

(٤) العسيف: هو الأجير والعبد المستعان به، فعيل بمعنى فاعل، من عسف له، أو بمعنى مفعول مأخوذ من قولهم: عسفه أي استخدمه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٢٣٦؛ والقاموس المحيط ٣/١٨١.

(٥) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: قتل النساء والصبيان، ح (٣٠١٥)، فتح الباري ٦/١٤٨.

القصد إلى قتلها إذا قاتلت ــ أي المرأة ــ إلاّ إن باشرت القتل وقصدت إليه. . . وكذا الصبي المراهق)[1].

* **ثانياً ــ دليل النهي عن قتل المعتوه:** عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «رُفع القلم عن ثلاثة: النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه ــ أو قال المجنون ــ حتى يَعْقِل، وعن الصبي حتى يشب»[2].

ووجهه أن المعتوه ليس مكلفاً لكونه فاقد العقل، فلا يقتل لعدم الأهلية عنده.

* **ثالثاً ــ دليل النهي عن قتل الشيخ الفاني:** عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «انطلقوا باسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ ولا تقتلوا شيخاً فانياً. . .»[3] الحديث.

---

(١) انظر فتح الباري ٦/١٤٨؛ ونيل الأوطار ٧/٢٨١.

(٢) الحديث: أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/١١٨.
وأخرجه الترمذي في كتاب الحدود، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، ح (١٤٢٣)، سنن الترمذي ٥/١١٠. قال أبو عيسى: حديث علي حديث حسن غريب من هذا الوجه وقد روي من غير وجه عن علي، عن النبي ﷺ.
وأخرجه أبو داود في كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً، ح (٤٤٠٣)، سنن أبي داود ٤/٥٦٠.
وأخرجه ابن خزيمة في جماع أبواب الفريضة عند العلة تحدث، باب: بيان أن أمر الصبيان بالصلاة قبل البلوغ على غير إيجاب، رقم الحديث (١٠٠٣)، صحيح ابن خزيمة ٢/١٠٢، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط ١، سنة (١٣٩١هـ).
وأخرجه ابن حبان في كتاب الحدود، باب: فيمن لا حد عليه، ح (١٤٩٧)، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ٦٣، حققه محمد عبد الرزاق حمزة، المطبعة السلفية ومكتبتها.
وأخرجه الحاكم في كتاب البيوع، باب ذكر من رفع عنهم القلم، المستدرك على الصحيح ٤/٣٨٩، وسكت عنه الحاكم، وقال الذهبي: صحيح فيه إرسال.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، ح (٢٦١٤)، سنن أبي داود ٣/٨٦، وفي إسناده خالد بن الفِزْر البصري، قال فيه يحيى بن معين: =

ووجهه أن النبي ﷺ صرَّح في هذا الحديث بالنهي عن قتل الشيخ الفاني، لأنه ليس فيه نفع للكفار ولا مضرة على المسلمين[1].

وهذا الحديث يعارضه الحديث الآتي:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتلوا شيوخ المشركين واستبقوا شرخهم»[2].

ووجه الجمع بين هذين الحديثين أن الشيخ المنهي عن قتله في الحديث الأول هو من لا خير فيه لأصحابه ولا شر منه على المسلمين.

أما الشيخ المأمور بقتله في الحديث الثاني فهو من ينتفع منه في المعركة ولو برأيه ومشورته كما في قصة «دريد بن الصمة» في غزوة حنين[3].

* **رابعاً ـ علة النهي عن قتل الزَّمِن والأعمى:** هي أنهم كالمستضعفين في أهل دينهم الذين ليس لهم قدرة على القتال[4].

* **خامساً ـ دليل النهي عن قتل الرهبان:** عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه، قال:

ليس بذاك، وقال أبو حاتم: شيخ، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: مقبول. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣/١١٢: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى، سنة (١٣٢٦هـ)، بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد ـ الهند؛ وتقريب التهذيب ١/٢١٧: للحافظ ابن حجر، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٥هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.

(١) انظر نيل الأوطار ٧/٢٨١؛ وسنن أبي داود ٣/٨٦.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في قتل النساء، ح (٢٦٧٠)، سنن أبي داود ٣/١٢٢.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/١٢، ١٣، ٢٠.
وأخرجه الترمذي في كتاب السِّيَر، باب ما جاء في النزول على الحكم، ح (١٥٨٣)، سنن الترمذي ٥/٣١١. وقال فيه: (هذا حديث حسن صحيح غريب).

(٣) انظر الاختيار لتعليل المختار ٤/١٨٩؛ ونيل الأوطار ٧/٢٨١؛ وبدائع الصنائع ٩/٤٣٠٨؛ والبحر الرائق شرح كنز الدقائق ٥/٧٧.

(٤) انظر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٢/١٥٧.

«. . . ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع . . .»[1].

ففي هذا الحديث: صرَّح النبي ﷺ بالنهي عن قتل أصحاب الصوامع وهم الرهبان لأنهم قصروا أنفسهم على العبادة وتركوا محاربة المسلمين[2].

وقد استثنى الفقهاء رحمهم الله من هذا النهي جواز قتال أربعة أصناف وهم: المرأة والصبي والشيخ الفاني والمُقْعَد، فيجوز قتل هؤلاء الأصناف، أو أحدهم، إذا كان ذا رأي في الحرب أو مَلِكاً، وذلك لما في قتلهم من كسر شوكة الأعداء وإزالة ضررهم عن المسلمين[3].

وقد وردت أدلّة على جواز قتل هؤلاء:

* **أولاً ــ الدليل على جواز قتل المرأة والصبي**: عن عكرمة: أن النبي ﷺ رأى امرأة مقتولة بالطائف، فقال: «ألم أنْهَ عن قتل النساء، من

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٣٠٠. قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: إسناده حسن، المسند ح (٢٧٢٨)، ٢٥٧/٤، ونسبه في مجمع الزوائد لأحمد وأبي يعلى والبزار والطبراني في الكبير والأوسط، قال الهيثمي: وفي رجال البزار إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، وبقية رجال البزار رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٣١٦/٥، ٣١٧. وقد وثق بعض علماء الحديث ابن حبيبة وذكر بعضهم فيه جرحاً؛ قال الإمام البخاري: عنده مناكير، وقال النسائي: ضعيف، وقال الإمام أحمد: ثقة، وقال ابن معين مرَّة: صالح الحديث، ومرَّة قال: ليس بشيء، وقال الدارقطني: ليس بالقوي. مات سنة خمس وستين ومائة. انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ١٩/١.

(٢) انظر تنوير الحوالك ٦/٢، تأليف الشيخ جلال الدين عبد الرحمٰن السيوطي الشافعي، ط مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، نيل الأوطار ٢٨١/٧، والأوزاعي وتعاليمه الإنسانية والقانونية ص ٤٢٩: للدكتور صبحي محمصاني، ط ١، سنة (١٩٧٨م)، دار العلم للملايين.

(٣) انظر الأم ٢٧٢/٢: لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، أشرف على طبعه وتصحيحه محمد زهري النجار، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٣هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر ــ بيروت؛ وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ٣٤٤/٣: للعلاّمة الشيخ عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، ط ٢، دار المعرفة ــ بيروت لبنان؛ ونيل الأوطار ٢٨١/٧.

صاحب هذه المرأة المقتولة؟» فقال رجل من القوم: أنا يا رسول الله، أردفتها فأرادت أن تصرعني فتقتلني. فأمر رسول الله ﷺ أن توارى[1].

وكذلك الحكم إذا حرّضت أوأعانت على قتال المسلمين، وفي ذلك يقول ابن العربي: (وللمرأة آثار عظيمة في القتال منها: الإمداد بالأموال، ومنها التحريض على القتال، فقد كنَّ يخرجن ناشرات شعورهنّ نادبات مثيرات للثأر، معيِّرات بالفِرار، وهذا يبيح قتلهن)[2].

ويقاس الصبي على المرأة في هذا الحكم إذا وُجد سبب يقتضي قتله.

* **ثانياً ـ الدليل على جواز قتل الشيخ الفاني والمقعد** عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: لما فرغ النبي ﷺ من حنين[3] بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس[4]، فلقي دريداً، وهزم الله أصحابه... الحديث[5].

---

(1) الحديث: أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب: في فضل الجهاد، مراسيل أبي داود ص ١٨٣، تحقيق الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٦هـ)، دار القلم ـ بيروت.

(2) أحكام القرآن لابن العربي ١/١٠٤، ١٠٥.

(3) حنين: هو وادٍ من أودية مكة، يقع شرقها بقرابة (٣٠)كيلاً، ويعرف الآن باسم وادي الشرائع، وأعلاه: صدر حنين، وهو على طريق الخارج من مكة إلى الطائف على بعد (٢٨)كيلاً، وكانت في الأصل عيناً وقريةً، ثم نُسب الوادي إليها. انظر: معجم معالم السيرة النبوية ص ١٠٧.

(4) أوطاس وادٍ في ديار هوازن، وقد عسكروا هم وثقيف فيه عندما أجمعوا على حرب الرسول ﷺ، ويقع الآن في شمال شرقي عشيرة على ضفة العقيق قرب بركة زُبيدة، وهو اليوم من ديار الشيابين والروقة من عتيبة، وهي أرض جلدة ليس فيها جبال ولا حزوم ولا رمل. انظر: معجم ما استعجم ١/٢١٢: لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، حققه وضبط أصوله مصطفى السقًا، الطبعة الأولى، سنة (١٣٦٤هـ)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر؛ ومعجم معالم الحجاز ١/١٥٢.

(5) الحديث: أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: غزوة أوطاس، ح (٤٣٢٣)، فتح =

ووجهه أن أبا عامر لما قتل دريد بن الصمة وكان شيخاً فانياً مقعداً لم ينكر النبي ﷺ عليه فِعْلَه، لأن دريداً كان ذا رأي في الحرب، وقد أحضره قومه لهذا الغرض[1].

وأما إذا تترس أهل الحرب بهؤلاء الأصناف، أو تحصّنوا بحصن وهم معهم فإنه لا يجوز رميهم أو تحريقهم، وبذلك قال مالك والأوزاعي. وذهب غيرهما إلى أنه يجوز رميهم لكن ينبغي أن يقصد المقاتلة[2].

* **سادساً ـ دليل النهي عن قتل العُسفاء والوُصفاء**: عن أيوب قال: سمعت رجلاً منا يحدث عن أبيه، قال: بعث رسول الله ﷺ سريّة كنت فيها فنهانا أن نقتل العسفاء والوصفاء[3].

= الباري ٨/٤١، وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رضي الله عنهما، ح (٢٤٩٨)، صحيح مسلم ٤/١٩٤٣.

(١) انظر الأم ٨/٢٧٢: للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ط ٢، سنة (١٣٩٣هـ)، إشراف وتصحيح محمد زهري النجار، دار المعرفة للطباعة والنشر، اللباب ص ١١٩، ٢٢٠؛ المحرر ٢/١٧١، ١٧٢؛ الإفصاح عن معاني الصحاح ٢/٢٧٤: لأبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الحنبلي، الناشر المؤسسة السعيدية بالرياض.

(٢) انظر المحرّر في الفقه ٢/١٧١، ١٧٢؛ فتح الباري ٦/١٤٨؛ فقه الإمام الأوزاعي ٢/٣٩٩؛ نيل الأوطار ٧/٢٠٦.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٤١٣، وإسناده ضعيف لجهالة شيخ أيوب. لكن له شاهد من حديث حنظلة الكاتب.
وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب: الغارة والبيات وقتل النساء، ح (٢٨٤٢)، سنن ابن ماجه ٢/٩٤٨.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/١٧٨.
وأخرجه الحاكم في كتاب الجهاد أن النبي ﷺ قال لخالد: لا تقتل ذريةً ولا عسيفاً. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين المستدرك على الصحيحين ٢/١٢٢. ومن =

ففي هـذا الحديث: نهى رسـول الله ﷺ عن قتل العسفـاء والوصفـاء الذين يكونون مـع المشركين، وذلـك لكون هـذين الصنفين من المستضعفين الذين لا يخرجون غالباً للقتال.

ومما ينبغي أن يُعـلم أن هؤلاء الأصناف الذين ورد النهي عن قتلهم إذا باشروا القتال أو أعانـوا عليه مـادياً أو معنـوياً فـإنهـم يُقتلون وذلك أن العلة في الكف عن قتالهم هي عدم محاربتهم للمسلمين، وأما إذا وُجـدت العلة فإنهم يقتلون، وذلك أن الحكم يدور مـع علته وجوداً وعدماً[1].

= حـديث رباح بن ربـيـع أخـرجه أبـو داود في كتاب الجهـاد، بـاب في قتـل النسـاء، ح (٢٦٦٩)، سنن أبـي داود ٣/١٢٢.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٤٨٨.

وابن حبان في كتاب الجهاد، باب: فيما نُهيَ عن قتله، ح (١٦٥٦)، موارد الظمآن إلى زوائـد ابن حبـان ص ٣٩٨، بلفظ: إن النبـي ﷺ بعث رجـلاً، فقـال: قـل لخـالـد لا يقتلن امرأة ولا عسيفاً.

(١) انظـر الاختيار لتعليل المختار ٤/١٨٩.

المبحث الرابع عشر
إسداء النصيحة للجند

مما يجب على قائد الجيش إسداء النصيحة لجنده، وذلك بدلالتهم على ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم حتى تتحقق لهم سعادة الدارين، وليتسنى لهم القيام بواجباتهم على الوجه المطلوب[1].

وقد دلت السنّة النبوية على مشروعية القيام بهذا الواجب:

فعن ابن المليح: أن عبيد الله بن زياد دخل على مَعْقِل بن يسار في مرضه فقال له معقل: إني محدِّثك بحديث لولا أني في الموت لم أحدثك به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجتهد لهم إلّا لم يدخل معهم الجنة»[2].

وعن مَعْقِل بن يسار رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعيةً، يموت يوم يموت وهو غاشّ لرعيته إلّا حرَّم الله عليه الجنة»[3].

---

(١) انظر الفكر الإداري الإسلامي والمقارن ص ١٩٩.

(٢) الحديث أخرجه مسلم واللفظ له في كتاب الإمارة، باب: فضل الإمام العادل وعقوبة الجائر...، صحيح مسلم ٣/١٤٦٠، وأخرجه في كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، ١/٢٢٧.
وأخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب من استُرعيَ رعية فلم ينصح، (٧١٥٠)، فتح الباري ١٣/١٢٦، ١٢٧.

(٣) الحديث أخرجه مسلم بهذا اللفظ في كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، ح(٢٢٨)، صحيح مسلم ١/١٢٥.
وأخرجه في كتاب الإمارة، باب: فضل الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ح (١٤٢)، صحيح مسلم ٣/١٤٦٠. =

فقد دل هذان الحديثان على وجوب نصيحة كل والٍ لرعيته وتحريم غشهم، ومن هؤلاء الولاة قادة الجيوش[1].

ويحصل الغش وعدم النصيحة المذكورين في هذين الحديثين بظلمه لهم، وذلك بأخذ أموالهم وسفك دمائهم أو انتهاك أعراضهم وحبس حقوقهم، وترك تعريفهم ما يجب عليهم في أمر دينهم ودنياهم وبإهمال إقامة الحدود بينهم وردع المفسدين منهم، وترك حمايتهم وغير ذلك.

ولفظة: «وهو غاشّ» الواردة في الحديث الثاني: قيد للفعل، ولذكرها في هذا المقام معنى، فالمراد أن الله إنما ولاه على تلك الرعية ليديم لهم النصيحة، لا ليغشّهم، فمن قلب القضية استحق أن يعاقب على ذلك[3].

= وأخرجه البخاري بنحو هذا اللفظ في كتاب الأحكام، باب من استُرعيَ رعية فلم ينصح . . . ، ح (٧١٥١)، فتح الباري ١٣/١٢٧.
وأخرجه الدارمي في كتاب الرقاق، باب: في العدل بين الرعية، سنن الدارمي ٢/٣٢٤.
وأخرجه أحمد في مسنده ٥/٢٥.

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٢١٥.
(٢) انظر فتح الباري ١٣/١٢٨.
(٣) انظر فتح الباري ٧/٢٥٨؛ نيل الأوطار ٣/١٢٨.

الباب الثاني

نماذج من الغـزوات

التي قادها النبي صلى الله عليه وسلم

الفصل الأول : أحداث غزوة بدر الكبرى.

الفصل الثاني : أحداث غزوة أحد.

الفصل الثالث : أحداث غزوة الخندق.

الفصل الرابع : أحداث غزوة الحديبية.

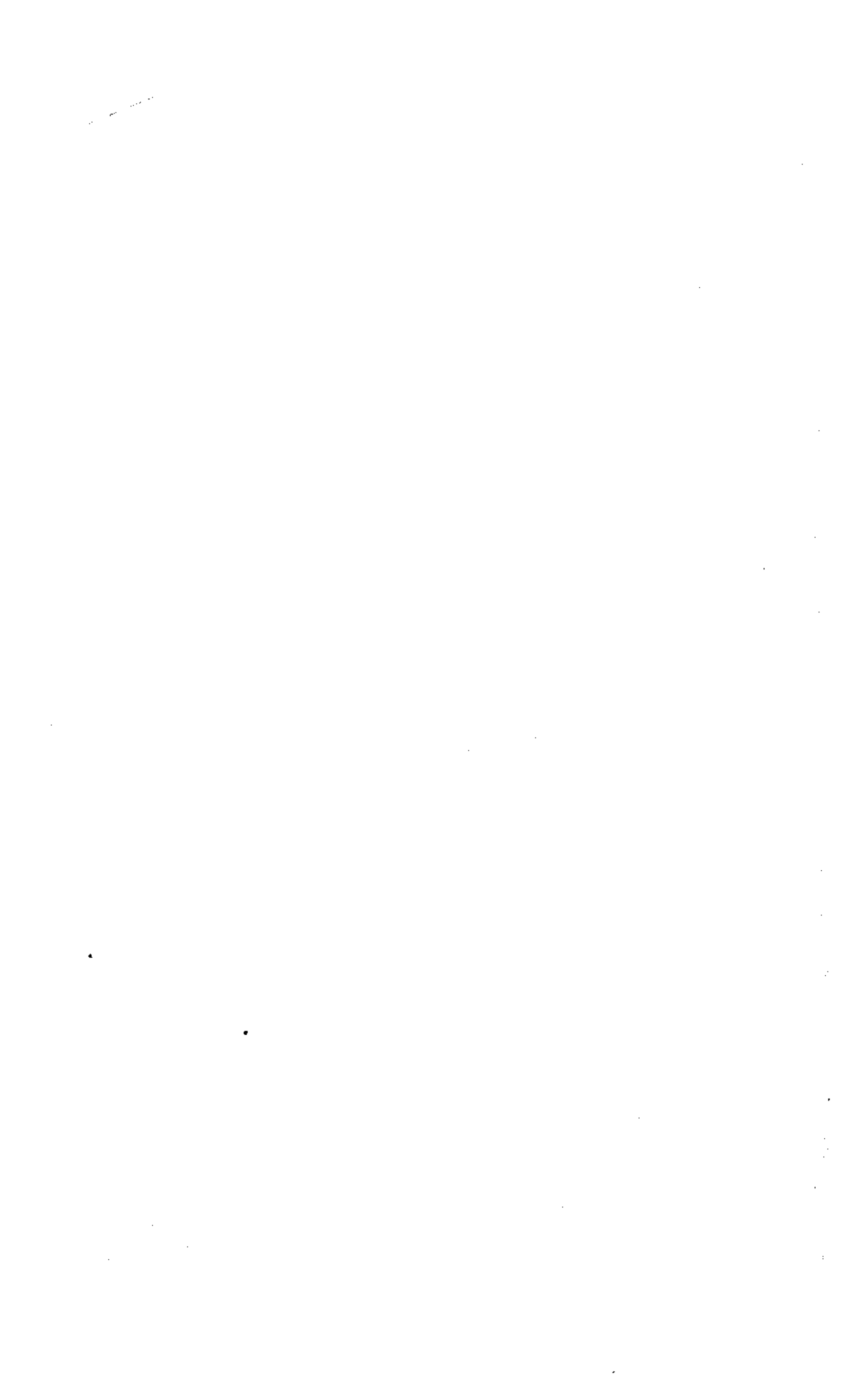
الفصل الخامس : أحداث فتح مكّة.

الفصل السادس : أحداث غزوة حنين.

الفصل السابع : أحداث غزوة تبوك.

الفصل الثامن : أبرز الصفات القيادية للنبي ﷺ.

الفصل التاسع : الدروس القيادية العامّة.



الفَصْل الأوَّل

أَحْدَاثُ غَزْوَةِ بَدْر

المبحث الأول

سبب الغزوة وتاريخها

عندما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة أصبحوا في ضيق من العيش حيث منعهم كفّار قريش من الخروج بأموالهم. ولمّا سمع رسول الله ﷺ أن عير قريش راجعة من الشام ندب الصحابة للخروج إليها.

* فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان فتكلّم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلّم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة، فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغِماد[1] لفعلنا... فقال: فندب رسول الله ﷺ الناس...[2].

وبعد أن ساروا فترة من الزمن أُخبروا أن قريشاً خرجت لحماية عيرها فكرهوا ذلك. فقد روى أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، قال: فلما سرنا

---

(١) بَرْك الغِمَاد: بلد مرفأ على الساحل، جنوب مكة، على مسافة ٦٠٠كيلاً، ولها واد يسمى بهذا الاسم، وقيل: إنه موضع باليمن دفن عنده عبد الله بن جدعان. انظر: معجم البلدان ١/٣٩٩؛ معجم معالم السيرة النبوية ص ٤٢.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب غزوة بدر، ح (١٧٧٩)، صحيح مسلم ٣/١٤٠٤.
وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الأسير ينال منه ويضرب ويقرن، ح (٢٦٨)، سنن أبي داود ٣/١٣٠.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٢١٩، ٢٥٧.

يوماً أو يومين قال لنا: «ما تَرَوْن في القوم فإنهم أُخبروا بمخرجكم؟» قلنا: لا والله ما لنا طاقة لقتال العدو، ولكنا أردنا العير[1].

* كما جاء عن عبد الله بن كعب رضي الله عنه أنه قال: سمعت كعب بن مالك يقول: (. . . إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد)[2].

وقد نزل القرآن بهذا الأمر فقال سبحانه وتعالى: ﴿كما أخرجك ربُّك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون * يجادلونك في الحق بعدما تبيَّنَ كأنما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾[3].

قال مجاهد: معناه: كما أخرجك ربك بالحق على كُرْه من فريق من المؤمنين كذلك يجادلونك في الحق بعدما تبيَّن، وهو خروجهم للقتال.

وقال أبو جعفر الطبري رحمه الله: (والصواب من القول في ذلك ما قاله ابن عباس وابن إسحق، من أن ذلك خبر من الله عن فريق من المؤمنين كأنهم كرهوا لقاء العدوّ وكان جدالهم نبي الله ﷺ أن قالوا: لم يعلمنا أنّا نلقى العدوّ، فنستعد لقتالهم، وإنما خرجنا للعير. ومما يدلّ على صحته قوله تعالى: ﴿وإذ يَعِدُكُمُ الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودُّون أن غير ذات الشوكة[4]

(١) الحديث أخرجه الطبراني وإسناده حسن. انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/٧٣.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب قصة بدر، ح (٣٩٥)، فتح الباري ٧/٢٨٥.
وأخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ح (٢٧٦٩)، صحيح مسلم ٤/٢١٢٠.

(٣) سورة الأنفال: الآيتان ٥، ٦.

(٤) الشَّوكة: مفرد، جمعه شَوْك، وهو ما يدق ويصلب رأسه من النبات. والشَّوْكة في اللغة: هي السِّلاح، وقيل: حِدَّة السِّلاح، ويراد بها هنا: القوم أو قريش، وغير ذات الشَّوكة: هي العِير. =

تكون لكم﴾[1]. ففي هذا الدليل الواضح ـ لمن فهم عن الله ـ أن القوم قد كانوا للشوكة كارهين، وأن جدالهم كان في القتال ـ كما قال مجاهد ـ كراهيةً منهم له)[2].

ولكن الله سبحانه وتعالى أراد بحكمته أن يجمع بين عباده المؤمنين وتلك الطائفة، التي لها الشوكة والمنعة لينصر عباده المؤمنين، ويظهر دينه ويرفع كلمة الإسلام، ويجعله غالباً على سائر الأديان، فهو سبحانه الذي يعلم عواقب الأمور فيدبّر عباده بحسن تدبيره، وإن كان العباد يحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم[3].

وأما تاريخها فهو في السنّة الثانية وفي ذلك يقول ابن إسحاق: كانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة السابع عشر من رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة[4].

= وعلى هذا يكون المعنى: تودون أن تظفروا بالطائفة التي ليس معها سلاح ولا فيها حرب. انظر لسان العرب ٢/٣٨٤؛ المفردات في غريب القرآن ص ٢٧١؛ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/٣٦٩؛ فتح القدير للشوكاني ٢/٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(١) الآية ٧ من سورة التوبة.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٣/٩٦: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، حقّقه وخرّج أحاديثه محمود شاكر، الناشر دار المعارف، سنة (١٩٥٨م).

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٢/٢٨٨.

(٤) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ١/٣٦٨: للشيخ حسين بن محمد بن الحسن الدياربكري، مؤسسة شعبان ـ بيروت.

المبحث الثاني

خروج قريش لحماية عيرها

لمّا علم أبو سفيان بخروج المسلمين لأخذ عير قريش أرسل رجلاً إلى أهل مكة يستنفرهم لحماية عيرهم.

قال ابن كثير: قال محمد بن إسحاق رحمه الله: (... وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسّس من لقي من الركبان تخوّفاً على أموال الناس، حتى أصاب خبراً من الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فحذر عند ذلك واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه. فخرج ضمضم بن عمرو واستنفر أهل مكة كما استنفرهم أبو جهل)[1].

وفي صحيح البخاري: (... فلمّا كان يوم بدر وجاء الصريخ[2] استنفر أبو جهل الناس، قال: أدركوا عيركم)[3]. فخرجت قريش إلى بدر بكل ما تملك يدفعها البطر والمفاخرة ومحاربةُ الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ والرغبةُ في استئصال العصبة المؤمنة[4].

---

(١) البداية والنهاية ٣/١٧.

(٢) قوله: (وجاء الصَّرِيخ): ليست من رواية البخاري، وإنما هي زيادة من إسرائيل بن يونس. انظر: فتح الباري ٧/٢٨٤.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: ذكر النبي ﷺ من يُقتل ببدر، ح (٣٩٥٠)، فتح الباري ٧/٢٨٢، وأخرجه في كتاب المناقب، باب: علامات النبوّة، ح (٣٦٣٢)، فتح الباري ٦/٦٢٩.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٤٠٠.

(٤) انظر في ظلال القرآن ٣/١٥٣١.

ويتجلى هذا في قول أبـي جهل: (والله لا نرجع حتى نرد بدراً[1] فنقيم عليـه ثلاثـاً فننحر الجـزر ونطعم الـطعام ونسقي الخمـر وتعزف علينـا القيـان وتسمـع بنـا العـرب وبمسيـرنـا وجمعنـا فـلا يـزالـون يهـابـوننـا أبـداً بعدها، فامضوا)[2].

وقد حذّر الله عباده المؤمنين من التشبُّه بهؤلاء المشركين، وبيَّن وصفهم فقـال سبحانـه وتعالي: ﴿ولا تكـونوا كـالذين خـرجوا من ديـارهم بطراً ورئـاء الناس ويصدّون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط﴾[3].

وقد ختم الله سبحانه هذه الآيـة الكريمـة بما ينـاسب حال هؤلاء بقـوله تعالى: ﴿والله بما يعملون محيط﴾، فهـو سبحانـه عالم بمـا جاؤوا بـه، ومن أجله، ولهذا كان الجزاء من جنس العمل، فـانقلب ذلك كله إلى ذلّ وصَغَـار وانكسار في الدنيا وعذاب سرمديّ في الآخرة[4].

---

(١) بَـدْر: ماء مشهـور بين مكـة والمدينـة، وبينه وبـين المدينـة ١٦٠ كيلومتراً، وبـه عينـان جاريتان، يُعتمد عليهـا في زراعة الفواكه والنخيل، وهو المكان الذي وقعت فيـه هذه الغزوة. انظر: معجم البلدان ١/٣٥٧؛ معجم معالم الحجاز ١/١٩٠.

(٢) السيرة النبويـة لابن هشام ٢/٢٥٨.

(٣) الآية ٤٧ من سورة الأنفال.

(٤) انظـر تفسير ابن كثير ٢/٣١٧.

المبحث الثالث

نـــزول الجيشين ببـــدر

المطلب الأول

نزول جيش أهل مكّة

بعد أن علم أبو سفيان بنجاة العير من محمد ﷺ وأصحابه، أرسل إلى أهل مكّة يأمرهم بالرجوع، ولكنّ أبا جهل أصرّ على المسير إلى بدر، ومضى القوم حتى نزلوا بالعدوة القصوى[1]، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إذ أنتم بالعُدْوة الدنيا[2] وهم بالعُدْوة القصوى والرَّكْبُ أسفلَ منكم ولو تواعدتُّم لاختلفتم في الميعاد ولكنْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أمراً كان مفعولاً﴾[3].

المطلب الثاني

نزول الرسول ﷺ بجيشه

لمّا وصل الرسول ﷺ إلى وادي ذَفِران[4] ونزل فيه أتاه الخبر عن مسير قريش، فاستشار الناس في الخروج فأجمعوا على ملاقاة عدوهم فانطلق بالناس حتى نزلوا بدراً[5].

---

(١) و(٢) العُدْوة القصوى: جانب وادي يليل، مما يلي مكة. والعدوة الدنيا: هي جانب وادي يليل مما يلي المدينة. انظر: معجم المعالم الجغرافية في السِّيرة النبوية ص ٢٠١.

(٣) الآية ٤٢ من سورة الأنفال.

(٤) ذَفِرَان: وادٍ قرب وادي الصفراء، ولذَفِران مضيق يسمى (قلعة حرب)، وهو طريق صعب يطلع إلى وادي يليل، فوق الصدمتين، ويسمى: (نَقْب الفأر)، لضيقه، وهذا الوادي يقع بقرب المدينة. انظر معجم ما استعجم ٢/٦١٣. وانظر معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ١٣١؛ معجم معالم الحجاز ٣/٢٥٧.

(٥) انظر البداية والنهاية ٣/٢٦٢.

ثم توجّه الحباب بن المنذر بسؤال إلى الرسول ﷺ، مفاده: أهذا منزل أنزلكه الله؟ أم هو الرأي والحرب؟ قال عليه الصلاة والسلام: «بل هو الرأي والحرب»، ثم أشار عليه الحباب بالمكان المناسب قائلاً: (كلا ليس هذا بمنزل)، فقبل منه ﷺ[1].

وفي شأن قصة الحباب مع الرسول ﷺ روى الحاكم ـ رحمه الله ـ عن الحباب بن المنذر رضي الله عنه أنه قال: (أشرتُ على رسول الله ﷺ يوم بدر بخصلتين، فقبلهما مني، فقلت: يا رسول الله، أبوحي فعلتَ أو برأي؟ قال: «برأي يا حباب»، قلت: فإن الرأي أن تجعل الماء[2] خلفك فإن لجأت لجأت إليه. فقبل ذلك)[3].

---

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ١/٣٠٢.

(٢) يُعدّ الماء في المعركة أمراً ضرورياً، كما يتبين من هذا الحديث، وسوف أفرد لهذا الموضوع مبحثاً خاصاً حتى يعلم القارىء ضرورة هذا العنصر في حياة الإنسان بصفة عامة وفي حالة الحرب بصفة خاصة.

(٣) الحديث أخرجه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة بساب في ذكر مناقب الحباب بن المنذر بن الجموح رضي الله عنه ٣/٤٢٦، ٤٢٧، قال الذهبي في التلخيص: (حديث منكر وسنده).

قال الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي ص ٢٤٠: (وقد وصله الحاكم... وفي سنده لم أعرفه). ثم عقب على حكم الذهبي رحمه الله بقوله: (ولعله سقط منه «واهٍ»)، أي: وسنده واه.

المبحث الرابع
أهمية الماء في الميدان الحربي

الماء مصدر أساسي من مصادر الحياة لدى الحيوان والنبات. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الحقيقة بقوله: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون﴾[1].

وهذا ما أثبتته العلوم التطبيقية، فقد ثبت في علم البيولوجيا، أن الماء مصدر أساسي في تركيب مادة «الخلية» وهي وحدة البناء في كل كائن حي، سواء أكان حيوانياً أم نباتاً.

وأثبت علم الكيمياء الحيوية أيضاً أن الماء لازم لحدوث التفاعلات التي تتم داخل أجسام الأحياء، فهو إما وسط أو عامل مساعد أو داخل في التفاعل أو ناتج عنه، كما أثبت علم وظائف الأعضاء أن الماء عنصر ضروري لقيام كل عضو بوظيفته، وبدونه لا تتوافر لهذه الأعضاء مظاهر الحياة ومقوماتها.

ومن تحليل بعض الكائنات الحية اتّضح أنّ الماء يكوّن من (٨٠ ــ ٩٠) من وزنها، مما يدلّ على أنه عنصر أساسي في الكائن الحيّ[2].

ومما سبق يتبين أن الماء ــ أيضاً ــ عنصر ضروري في الميدان الحربي، فهو يُعَدّ أداة من أدوات النصر في هذا الجانب، فمنه يشرب المقاتل

(١) الآية ٣٠ من سورة الأنبياء.

(٢) انظر المنتخب من تفسير القرآن الكريم ص ٤٧٦، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، سنة (١٩٧٣م)؛ وكتاب الله والعلم الحديث ص ١٢٣ ــ ١٢٥: لعبد الرزاق نوفل، بيروت، سنة (١٩٧٢م).

ويغتسل. والجيش الذي يفقد الماء في الصحراء يفقد الروح المعنوية قبل أن يواجه خصومه في الميدان.

والدليل على أهمية الماء في هذا الظرف ما ذكره الله سبحانه وتعالى في معرض امتنانه على المؤمنين يوم بدر، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿إذ يُغَشِّيكم النعاسَ أَمَنَةً منه ويُنَزِّل عليكم من السماء ماءً ليطهِّركم به ويُذْهِبَ عنكم رِجْزَ الشيطان وليربطَ على قلوبكم ويثبِّت به الأقدام﴾[1].

فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أنّ لهذا المطر في ذلك الموطن أربع منافع:

الأولى: تطهير المؤمنين به تطهيراً حسِّياً بالنظافة التي تشرح الصدر وتنشط الأعضاء لكل عمل، وشرعياً بالغُسل من الجنابة والوضوء من الحدث الأصغر.

الثانية: إذهاب رِجْز الشيطان عنهم من الوسوسة التي ألقاها في أنفسهم.

الثالثة: الربط على القلوب وهو تثبيتها وتوطينها على الصبر.

الرابعة: تثبيت الأقدام الذي هو وسيلة لتثبيت القلوب لأن من يقاتل على أرض تسوخ فيها قدمه يكون وَجِلاً مضطرباً.

ولمّا كان الماء مهماً للمحاربين، فإن الرسول ﷺ قَبِلَ مشورة الحباب بن المنذر يوم بدر حيث أشار بأن ينزل في أقرب ماء من القوم حتى يتمكن المسلمون من وضع أيديهم على الماء ويبنوا لهم حوضاً يشربون منه، كما تضمّنت المشورة أيضاً أمراً آخر له أهمية في هذا الظرف وهو تغوير سائر الآبار حتى لا يستطيع المشركون الاستفادة من هذا العنصر الضروري.

---

(١) الآية ١١ من سورة الأنفال.

ولقد كان الماء في هذا الموطن بالنسبة للمسلمين بمثابة السّلاح ذي الحدّين، حيث استغلوه لصالح جيشهم كما حرموا منه جيش أعدائهم[1].

---

(1) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٥٩، ٢٦٠؛ وتاريخ الطبري ٢/٤٤٠: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار سويدان ــ بيروت؛ وفي ظلال القرآن ٣/١٤٨٤، ١٤٨٥؛ والبشرى بالجهاد وغزوة بدر الكبرى ص ١١٣: لمحمد مصطفى أبي العلا، الطبعة الأولى، سنة (١٣٧٢هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ والمدرسة العسكرية الإسلامية ص ٥٥٠؛ والعبقرية العسكرية في غزوات الرسول ص ٢٦٠ ــ ٢٦٢.

المبحث الخامس

بثّ العيون وتلقّي الأخبار

لمّا خرج الرسول ﷺ إلى بدر بعث العيون[1] إلى الجهات المحيطة بهذا المكان، وأخذ في تتبُّع أخبار قريش.

* عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان. . . قال: فندب رسول الله ﷺ الناس، فانطلقوا حتى نزلوا بدراً، ووردت عليهم روايا[2] قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج فأخذوه فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه، فيقول: ما لي علم بأبي سفيان، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف، فإذا قال ذلك ضربوه فقال: نعم أنا أخبركم، هذا أبو سفيان، فإذا تركوه فسألوه فقال: ما لي بأبي سفيان عِلْم، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف في الناس، فإذا قال هذا أيضاً ضربوه، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فلما رأى ذلك انصرف، قال: «والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم وتتركوه إذا كذبكم»[3].

وفي رواية الإمام أحمد رحمه الله لهذا الحديث تتمة وهي: (. . . فقال له ـ أي النبي ﷺ ـ: كم القوم؟ فقال: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجهد

---

(١) العُيُون جمع عين، والمراد به: الرجل الذي يُبعث ليتجسس الخبر. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٣٣١؛ ولسان العرب ١/١٢٦١؛ والمصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ٢/٥٣٤.

(٢) الرَّوايا من الإبل: الحوامل للماء، مفردها راوية، وبه سميت المزادة التي يُحمل فيها الماء. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٢٧٩؛ ولسان العرب ١/٢٦١.

(٣) الحديث سبق تخريجه في ص ١١١.

النبـي ﷺ أن يخبره كم هم فأبـى، ثم إن النبـي ﷺ سـأله: كم ينحـرون من الجزر؟ فقال: عشراً، كل يوم، فقال الـرسول ﷺ: «القـوم ألف، كل جـزور لمائة ونيفها»[1].

وثبت عن ابن إسحاق ـ رحمه الله ـ زيادات ليست واردة في الحديثين السابقين، أذكرها هنا لما تشتمل عليه من الفوائد، قـال:

(ثم رجـع رسـول الله ﷺ إلى أصحـابـه، فلمـا أمسى بعث عليّ بن أبـي طالب والزبيـر بن العوّام وسعـد بن أبـي وقّاص في نفـر من أصحابـه إلى مـاء بدر يلتمسـون الخبر لـه عليه، كمـا حدّثني يـزيد بن رومـان عن عروة بن الـزبير فـأصابـوا راوية لقـريش فيهـا أسلم ـ غـلام بني الحجـاج ـ وعـريض أبو يسار، غلام بني العاص بن سعيد، أتوا بهـما، وسألـوهما ورسـول الله ﷺ قائم يصلي، فقالا: نحن سقـاة قريش بعثـونا نسقيهم من المـاء، فكره القـوم خبرهـما، ورجوا أن يكونـا لأبـي سفيان، فضـربوهمـا، فلمّا إذ لقـوهما قـالا: نحن لأبـي سفيان، فتركوهـما وركع رسول الله ﷺ وسجـد سجدتيـه، ثم سلّم وقال: إذا صدقاكم ضربتموهـما وإذا كـذباكم تـركتموهمـا، صدقـا والله إنهـما لقـريش، أخبراني عن قـريش؟ قالا: هم والله وراء هـذا الكثيب الـذي تـرى بالعدوة القصوى، فقال لهما رسول الله ﷺ: «كم القوم؟»، قالا: كثيـر، قال:

---

(١) الحـديث أخرجه الإمام أحمـد في المسند ١٩٣/٢، تحقيق الشيـخ أحمـد شاكـر، وقال: صحيح الإسناد. وانظر: فتح الباري ٢٩٨/٧.
وأخرجه أبو داود بنحو هذا اللفظ في كتاب الجهـاد، بـاب في المبارزة، ح (٢٦٦٥)، سنن أبـي داود ١١٩/٣.
وأورده الهيثمي في مجمـع الزوائـد ومنبـع الفـوائـد ٧٥/٦، ٧٦، ثم قـال: رواه أحمـد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيـح، غير حارثة بن مضرب، وقـد ترجم لـه الذهبـي فذكر أنـه روى عن علي وعمر وسلمان رضي الله عنهم وروى عنـه أبو إسحـاق، ووثقـه يحيـى، وقال الإمام أحمد: حسن الحديث. وقـال ابن المديني: متـروك. انظـر ميـزان الاعتدال في نقد الرجال ٤٤٦/١.

«ما عدّتهم؟»، قالا: لا ندري، قال: «كم ينحرون كل يوم؟» قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً، فقال رسول الله ﷺ: «القوم فيما بين التسعمائة والألف». ثم قال لهما: «فمن فيهم من أشراف قريش؟» قالا: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحرث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدي بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ودّ. فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: «هذه مكّة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها»[1].

كما خرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه من أجل الوقوف على أخبار قريش.

قال ابن إسحاق رحمه الله: ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذَفِرَان فسلك على ثنايا يقال لها (الأصافر)[2] ثم انحط منها إلى بلد يقال لها: (الدبة)[3]، وترك الحنان[4] بيمين، ثم نزل قريباً من بدر فركب هو ورجل من أصحابه[5] حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم؟ فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) الأصافِر: جبال قريبة من الجحفة عن يمين الطريق من المدينة إلى مكة، سمّيت بذلك لأنها هضاب صفر. انظر معجم ما استعجم ١/١٦٢؛ ومعجم معالم الحجاز ١/١٠٩.

(٣) الدَّبَّة: بفتح الدال وتشديد الباء وبعدها هاء هو جبل أسود في ديار بني رَشيد يمرّ به طريق المدينة إلى الشام، على بُعد ٤٠ كيلاً، ويقع جنوب بدر، والظاهر أنها أصبحت مهجورة الآن انظر معجم معالم السيرة ص ١٢٥؛ ومعجم معالم الحجاز ٣/٢٠٦.

(٤) الحَنَّان: رمل عظيم يشرف على قرية بدر من جهة الشمال، ويسميه العوام قُوز علي. انظر معجم البلدان ٢/٣١٠؛ ومعجم معالم السيرة النبوية ص ١٠٧.

(٥) صرَّح ابن هشام باسم هذا الرجل فذكر أنه أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه. انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٥٤.

فقال ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك»، قال: أو ذاك بذاك؟ قال: «نعم»، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ للْمَكان الذي به رسول الله ﷺ ـ وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ للْمَكان الذي به قريش ـ فلما فرغ من خبره، قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء»، ثم انصرف[1] عنه، قال: يقول الشيخ: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟[2].

وبالإضافة إلى ما سبق، بعث رسول الله ﷺ رجلين من أصحابه لمعرفة أخبار عير أبي سفيان.

* فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: بعث رسول الله ﷺ بُسَيْسَة عيناً ينظر ما صنعت عير أبي سفيان[3].

وقد وردت روايتان، إحداهما عن ابن إسحاق والأخرى عن ابن سعد، تتضمنان زيادة على ما ورد في هذا الحديث، وسوف أثبتهما في هذا المقام لتمام الفائدة:

* قال ابن إسحاق رحمه الله: (وكان بسبس بن عمرو وعديّ بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدراً، فأناخا إلى تل قريب من الماء ثم أخذا

---

(١) الصواب أن يقال: انصرفا عنه، لأن الضمير هنا يعود إلى مثنى، فقد يكون هذا خطأً مطبعياً، أو أنه عنى أن الرسول ﷺ بعد أن فرغ من التحدث مع الشيخ انصرف عنه وتبعه أبو بكر.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٥٤، ٢٥٥.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ح (١٩٠١)، صحيح مسلم ٣/ ١٥١٠.
وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في بث العيون، ح (٢٦١٨)، سنن أبي داود ٣/ ٨٨.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٣٦.

شَنّاً لهما يستقيان فيه ومجدي بن عمرو على الماء، فسمع عديّ وبسبس جاريتين من جواري الحاضر وهما تتلازمان على الماء، والملزومة تقول لصاحبتها: إنما تأتي العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك، قال مجدي: صدقتِ. ثم خلّص بينهما وسمع ذلك عديّ وبسبس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا)[1].

وذكر ابن سعد رحمه الله في روايته لهذه القصة: (أن رسول الله ﷺ بعث عديّ بن أبي الزغباء وبسبس بن عمرو طليعة يوم بدر، فأتيا الماء فسألا عن أبي سفيان فأُخبرا بمكانه فرجعا إلى رسول الله ﷺ، فقالا: يا رسول الله، نزل بماء كذا وكذا ونتزل نحن بماء كذا يوم كذا، وينزل هو ماء كذا يوم كذا وننزل نحن ماء كذا يوم كذا، حتى نلتقي نحن وهو على الماء)[2].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٢٤.

المبحث السادس
قـوّات الجـيـشـين

لقد كان عدد جيش الرسول ﷺ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً. وقد تبيَّن هذا من حديث البراء ـ رضي الله عنه ـ حيث قال: (كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدّث أن عدّة أصحاب بدر على عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا مؤمن، بضعةَ عشر وثلاثمائة)[1].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: (كان أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وكان المهاجرون ستة وسبعين)[2].

وعُدّتهم فَرَسان وسبعون بعيراً وستون درعاً[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر، ح (٣٩٥٨)، فتح الباري ٧/٢٩٠.
وأخرجه الترمذي في كتاب السِّيَر، باب: ما جاء في عدة أصحاب بدر، ح (١٥٩٨)، سنن الترمذي ٥/٣٢٣.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/٢٩٠.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٢٤٨، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/٩٣، ثم عزاه للإمام أحمد والطبراني والبزار، وفيه الحجاج بن أرطأة وقد سبقت ترجمته في ص ٥٩، وفيه أيضاً نصر بن باب أبو سهيل الخراساني المَرْوَزي روى عن داود بن أبي هند وإبراهيم الصائغ وروى عنه أحمد وابن المديني ومحمد بن رافع وتركه جماعة وكان البخاري يرميه بالكذب وقال: ليس حديثه بشيء، وقال ابن حبان: لا يُحْتج به، وقال أحمد بن حنبل: ما كان به بأس إنما أنكروا عليه حين حدث عن إبراهيم الصائغ، قيل إنه توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة. انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٤/٢٥٠. وبهذا يتبين أن الحديث ضعيف بهذا الإسناد لوجود الجرح في هذين الراويين، والله أعلم.

(٣) انظر البداية والنهاية ٣/٢٦٠.

أما عدد جيش المشركين فهو ألف رجل تقريباً، ويدلّ على هذا العدد ما ثبت في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ قال: (لمّا كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف...)[1].

وعدّتهم مائتا فرس وستمائة درع[2].

ومع أن جيش المشركين ثلاثة أضعاف جيش المؤمنين تقريباً، لقد أيَّد اللَّهُ رسولَه ﷺ والمؤمنين بنصر من عنده، قال تعالى: ﴿وإذ يُرِيكُمُوهم إذ التقيتُمْ في أعينكم قليلاً ويقلّلكم في أعينهم لِيَقْضِيَ اللَّهُ أمراً كان مفعولاً﴾[3].

فقد جعل الله سبحانه وتعالى كلاً من الفريقين، على صورة تُطمِعُ في الآخر، رحمة بالمؤمنين وعقوبة للكافرين، وهذا ما أخبر الله عز وجل عنه في آية أخرى، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا فئةٌ تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهم رأيَ العين واللَّهُ يؤيِّد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾[4].

فإن قيل: أليس الأولى تكثير المؤمنين في أعين الكافرين ليتحقق عزتهم وانتصارهم عليهم؟.

فيجاب عن ذلك بما يأتي:

أولاً: أن المؤمنين لو كثروا في أعين الكافرين، لم يقدموا عليهم ومن ثم لم يحدث قتال بين الفئتين، ومعلوم أن القتال سبب لإهلاك الكافرين

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب الإمداد بالملائكة يوم بدر وإباحة الغنائم، ح (١٧٦٣)، صحيح مسلم ٣/١٣٨٤.
وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب في تفسير سورة الأنفال، ح (٣٠٨١)، سنن الترمذي ٨/٢٣٧.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٣٠، ٣٢.

(٢) انظر البداية والنهاية ٣/٢٦٠.

(٣) الآية ٤٤ من سورة الأنفال.

(٤) الآية ١٣ من سورة آل عمران.

ونصر المؤمنين، ولهذا فقد قلَّل الله المؤمنين في أعين الكافرين حتى يتحقق هذا السبب.

ثانياً: أنه قلَّل المؤمنين لئلاَّ يتأهب لهم المشركون التأهُّب كلّه، فإذا حدث قتال وجدهم المسلمون غير مستعدِّين لهم، فيظفروا بهم.

ثالثاً: أنه قلَّل المؤمنين ليغري الأعداء بهم مع كثرتهم فتتحقق الغَلَبَة للمسلمين، وفي ذلك آية للمشركين وتنبيه على نصرة الحق[1].

---

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير ٣/٣٦٤: لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي، بتحقيق محمد زهير الشاويش، ط ١، سنة (١٣٨٤هـ)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.

المبحث السابع
خطة الرسول الحربية

تتلخص الخطة الحربية التي اتبعها الرسول ﷺ في هذه الغزوة في المطالب الآتية:

المطلب الأول
بناء العريش

أمر النبي ﷺ أن يُتخذ له عريش[1] في مكان مرتفع يكون مقرّاً لقيادته حتى يشرف على سير المعركة ويكون في مكان آمن من كيد أعدائه.

وقد ثبت بناء العريش يوم بدر بالأدلة الآتية:

* **الحديث الأول**: عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: (أن النبي ﷺ قال ـ وهو في قبة[2] له يوم بدر ـ: «اللهم إني أَنْشُدُك[3] عهدكَ ووعدَكَ اللهم إن شئتَ لم تُعْبَدْ بعد اليوم»، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حَسْبُك يا رسول الله، فقد ألححت على ربك. . .)[4] الحديث.

---

(١) العَريش: خيمة تصنع من خشب وثمام، وتطلق كذلك على الحظيرة التي تسوّى للماشية، لكي تقيها من البرد. والمراد بالعريش هنا: القُبَّة التي صنعها الصحابة للنبي ﷺ يوم بدر. انظر لسان العرب ٢/٧٣٥.

(٢) القُبَّة بضم القاف: بيت صغير مستدير، وهو من بيوت العرب. انظر لسان العرب ٣/٤.

(٣) أنشُدُك: مشتق من النشيد، وهو رفع الصوت، ومنه قيل للناشد: طالب، لرفع صوته بالطلب. ويأتي النشيد أيضاً بمعنى السؤال وعلى هذا يكون معنى أنشدك أي: أسألك انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٥٣؛ لسان العرب ٣/٦٣٥.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب ما قيل في درع النبي ﷺ

* الحديث الثاني: قال ابن إسحاق رحمه الله: (خفق النبي خفقة في العريش ثم انتبه، فقال: أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه)[1].

المطلب الثاني
التعبئة

عبّأ رسول الله ﷺ جيشه للقتال، مادياً ومعنوياً، لكي يواجه أعداءه وهو على أكمل استعداد.

فعن عبد الرحمن بن عوف ــ رضي الله عنهما ــ قال: (عبّأنا[2] رسول الله ﷺ ليلاً)[3].

= والقميص في الحرب، ح (٢٩١٥)، فتح الباري ٩٩/٦، وأخرجه في كتاب المغازي، باب: قول الله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني مُمِدُّكم بألف من الملائكة مُرْدِفين﴾ الآية ١٢ من سورة الأنفال، ح (٣٩٥٣)، فتح الباري ٢٨٧/٧.
وأخرجه في كتاب التفسير، باب: قوله ﴿سيُهزم الجمع ويولُّون الدُّبُر﴾ الآية ٤٥ من سورة القمر، ح (٤٨٧٥)، فتح الباري ٦١٩/٨، وفي قوله تعالى: ﴿بل السَّاعة موعدُهُم والساعةُ أدهى وأمرّ﴾ الآية ٤٦ من سورة القمر، ح (٤٨٧٧)، فتح الباري ٦١٩/٨.
وأخرجه النسائي في كتاب التفسير (السنن الكبرى، مخطوط). انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (٦٠٥٤)، ١٢٧/٥: للحافظ الزكي عبد الرحمن بن يوسف المِزّي، بتحقيق عبد الصمد شرف الدين الطبعة الثانية، سنة (١٤٠٣هـ).

(١) الحديث أورده ابن كثير في البداية والنهاية ٢٧٦/٣، قال الألباني في تعليقه على فقه السيرة: وعند ابن هشام في السيرة ٢٦٧/٢ بدون سند لكن وصله الأموي من طريق ابن إسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير، وهذا سند حسن وسكت عنه ابن كثير. فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ٢٤٣، ط السابعة.

(٢) التعبئة لغة: تهيئة الجيش وتجهيزه، وفي الاصطلاح العسكري تعني: القيام بالأعمال العسكرية اللازمة لإحضار الجيش للمعركة وإدارته فيها. انظر: القاموس المحيط ٢٣/١؛ المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ٤٨٨/٢.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الجهاد، باب ما جاء في الصف والتعبئة،

أما من الناحية المادية، فقد نظَّم ﷺ جيشه صفوفاً متراصّة وعبأهم أحسن تعبئة[1].

ومما يدل على ذلك ما رواه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، فقد قال: (صففنا يوم بدر فندرت منا نادرة ـ وفي رواية: بدرت منا بادرة ـ أمام الصف، فنظر رسول الله ﷺ، فقال: معي معي)[2]، وعن أبي طلحة رضي الله عنه، قال: (غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم بدر)[3].

ففي هذين الحديثين دليل على أن الرسول ﷺ قد صفَّ أصحابه يوم بدر كصف الصلاة وذلك لأن هذه الطريقة أدعى إلى تماسك الجنود، وثباتهم كما أن فيها استغلالاً للطاقات البشرية والإفادة منها.

وأما من الناحية المعنوية فقد تعددت صور التعبئة في هذا الجانب.

فمن صور التعبئة أنه ﷺ كان يحرض أصحابه على القتال ويبين لهم جزاء من قُتل في سبيل الله. فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: (... فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «لا يُقَدِّمَنَّ أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه»، فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»[4].

= ح (١٦٧٧)، سنن الترمذي ٦/٨.
قال أبو عيسى: (وهذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه، وسألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فلم يعرفه، وقال: محمد بن إسحاق سمع من عكرمة، وحين رأيته كان حسن الرأي في محمد بن حُميد الرازي، ثم ضعَّفه بعد).

(١) انظر البداية والنهاية ٣/٢٧١.
(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٤٢٠، وقد أورده ابن كثير في البداية والنهاية ٣/٢٧٦، ثم قال: (تفرد به أحمد وهذا إسناد حسن).
(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/٣٩، ح (٢١٩٧، ٢١٩٨)، وإسناده صحيح. انظر المسند بتحقيق الشيخ أحمد شاكر.
(٤) هذا الحديث سبق تخريجه في ص ٢١.

وقال ابن كثير ــ رحمه الله ــ: قال الأموي في مغازيه: وقد كان النبي ﷺ حين حرّض المسلمين على القتال قد نفل كل امرىء ما أصاب، وقال: «والذي نفسي بيده، لا يقاتلهم اليوم رجلٌ فيُقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلّا أدخله الله الجنة»(١).

ومن صور التعبئة أيضاً أنه ﷺ كان يبشر أصحابه بالنصر لكي تتقوّى روحهم المعنوية على القتال. وفي هذا يقول ابن كثير: (قال ابن إسحاق ــ رحمه الله ــ: خفق النبي خفقة وهو في العريش ثم انتبه، فقال: أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع)(٢).

ومن ذلك ــ أيضاً ــ أنه كان يبشرهم بقتل رؤساء المشركين، وكان ــ أيضاً ــ يحدد مصرع كل واحد منهم. فقد جاء عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ أنه قال: (... فقال رسول الله ﷺ: «هذا مصرع فلان»، ويضع يده على الأرض هاهنا، وهاهنا، قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ)(٣).

وعنه أيضاً قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة... ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر، فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس، يقول: هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، قال: فقال عمر: (فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حدّ رسول الله ﷺ)(٤).

وفي حديث آخر جاء التصريح بأسماء رؤوس الكفر، ووقف رسول الله ﷺ بعد ثلاثة أيام على مصارعهم.

عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً،

---

(١)(٢) هذا الحديث سبق تخريجه في ص ١٣٠.

(٣) هذا الحديث سبق تخريجه في ص ١١١. وهو قطعة من الحديث المذكور هناك.

(٤) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجنة ووصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، ح (٢٨٧٣)، صحيح مسلم ٤/٢٢٠٣.

ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم، فقال: «يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً»[1].

ففي هذه الأحاديث بشارة للمؤمنين بمصارع رؤوس الكفر يوم بدر، كما أن فيها معجزة من أعلام نبوته ﷺ حيث لم يتعد أحد من هؤلاء الجبابرة مصرعه الذي عيّنه له ﷺ[2].

المطلب الثالث

المبارزة[3]

وتمثلت في خروج ثلاثة من كبار قريش وهم: شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابنه الوليد، فخرج لهم ثلاثة من الأنصار ولكن هؤلاء المشركين طلبوا مبارزة أكفائهم من قريش من المسلمين، فأُجيبوا إلى ما طلبوا.

قال ابن إسحاق رحمه الله: (... ثم خرج عتبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية ثلاثة وهم: عوف ومعوّذ ـ ابنا الحارث وأمهما عفراء ـ ورجل آخر يقال هو عبد الله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار،

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوّذ منه، ح (٢٨٧٤)، صحيح مسلم ٤/٢٢٠٣.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/١٠٤، ٢٢٠، ٢٦٣.

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/١٢٦.

(٣) يقال في اللغة: بارز زيد قرنه مبارزة وبِرَازاً: إذا برز إليه ونازله. والمبارزة في الاصطلاح العسكري: نوع من التدريب العسكري على القتال بالحراب أو السيوف.
انظر: لسان العرب ١/١٩٣؛ والمصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ١/٧٩.
(تنبيه): تكلم الفقهاء عن أحكام المبارزة وقسموها من حيث الحكم الشرعي إلى ثلاثة أقسام. وسوف أفردها في مطلب مستقل لاختلاف الحكم بحسب كل حالة.

قالوا: ما لنا بكم حاجة، ثم نادى منادٍ منهم: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: «قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم يا علي»، فلما قاموا ودَنَوْا منهم قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي. قالوا: نعم، أكفاء كرام، فبارز عبيدة ـ وكان أسنَّ القوم ـ عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز عليٌّ الوليدَ بن عتبة.

فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما عليّ فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه، وكرّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عتبة فدفَّفا عليه[1]، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه[2].

وفي شأن هؤلاء النفر الستة نزل قول الله تعالى: ﴿هـذان خصمان اختصموا في ربِّهم فالذين كفروا قُطِّعت لهم ثيابٌ من نار يُصَبُّ من فوق رؤوسهم الحميم﴾[3].

وروى البخاري في صحيحه عن قيس بن عُباد، عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: (نزلت: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربِّهم...﴾ في ستة من قريش: علي وحمزة وعبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة)[4].

---

(١) دفَّفا عليه: بمعنى أجهزا عليه وحرّرا قتله، تقول: دافَفت على الأسير وأدفيته ودففت عليه إذا أجهزت عليه. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/١٢٥؛ لسان العرب ٢/٩٢٢.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٦٥، وقد أخرج الإمام أحمد هذه القصة مختصرة بسند صحيح. انظر المسند، تحقيق أحمد شاكر، ح (٩٤٨)، ٢/١٩٤؛ وفتح الباري ٧/٢٩٨.

(٣) الآية ١٩ من سورة الحج.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، ح (٣٩٦٦، ٣٩٦٨، ٣٩٦٩)، فتح الباري ٨/٤٤٣.
وأخرجه مسلم في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿هـذان خصمان اختصموا في =

المطلب الرابع
حكم المبارزة والغرض منها

● **الفرع الأول ـ أقسام المبارزة من حيث حكمها:**

قسّم الفقهاء المبارزة من حيث حكمها إلى ثلاثة أقسام:

* **الأول ـ المستحبة:** وهي ما إذا خرج عِلْج يطلب البراز فإنه يُستحب لمن يعلم من نفسه القوة والشجاعة أن يبارزه، لأن في ذلك منافحة عن المسلمين وإظهاراً لقوتهم.

* **الثاني ـ المباحة:** وهي أن يبتدىء الرجل الشجاع بطلبها فتباح في هذه الحالة ولا تستحب لأنه لا حاجة إليها، ولا يأمن أن يُغلب فيكسر قلوب المسلمين، إلّا أنه طالما كان شجاعاً واثقاً من نفسه أمام خصمه أُبيح له أن يبارز لأنه بحكم الظاهر غالباً.

* **الثالث ـ المكروهة:** وهي أن يبرز الضعيف الذي لا يثق من نفسه فتُكره له المبارزة لما فيها من كسر قلوب المسلمين بقتله[1].

= ربهم﴾، (٣٠٣٣)، صحيح مسلم ٤/٢٣٢٣.

وأخرجه النسائي في كتاب التفسير باب في المبارزة (السنن الكبرى، مخطوط، انظر: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (١١٩٧٤)، ٩/٨٢، ١٤/١٠٧).

وأخرجه في كتاب المناقب، باب في فضائل علي رضي الله عنه (السنن الكبرى، مخطوط، انظر تحفة الأشراف بمعرف الأطراف، ح (١١٩٧٤)، ٩/١٨٢و ١٤/١٠٠).

وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب المبارزة والسلب، ح (٢٨٣٥)، سنن ابن ماجه ٢/٩٤٧. وانظر الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٠٠: للشيخ مقبل بن هادي الوادعي، ط مكتبة المعارف بالرياض، سنة (١٤٠٠هـ).

(١) انظر: المغني ٩/٢١٧؛ الفروع ٤/٢٨٣: للشيخ أبي عبد الله محمد بن مفلح، ط ٢، سنة (١٣٨٨هـ)، ط دار مصر للطباعة. وانظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ٤/١٧٤: للشيخ أبي الحسن بن سليمان المرداوي، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي، ط ١، سنة (١٣٧٥هـ)، مطبعة السنّة المحمدية.

● **الفرع الثاني ـ الغرض من المبارزة:**

الغرض من المبارزة تحقيق ثلاثة أمور:

* **الأمر الأول:** إظهار المهارة الفردية والقوة البدنية وعرض الفن الحربي أمام النظارة ليخلع المبارز بفنه قلوب الأعداء ويقوِّي به قلوب الأصحاب.

* **الأمر الثاني:** أنها بما يحدث فيها من قتل متتابع تثير في الفرسان شهوة الانتقام والأخذ بالثأر، فتجيش نفوسهم للقتال وتتحرّق للطعان، فهي تُعَدُّ من المرغِّبات والمحرِّضات عليه، كما يقدَّم بين يدي الآكل شيء من المشهِّيات لتغريه به وتدفعه إلى أكله.

* **الأمر الثالث:** أنها سبيل للتفاهم بين قائدي الجيشين المتحاربين، فقد تكون نتيجة المبارزة سبباً لفض النزاع وحقن الدماء وإنهاء الحرب بين الطرفين لصالح جانب المبارز المنتصر[1].

المطلب الخامس
مرحلة القتال

وقد جعل الرسول ﷺ القتال في غزوة بدر على مرحلتين:

● **الفرع الأول ـ القتال الدفاعي:**

في هذه المرحلة أمر النبي ﷺ أصحابَ النبال والرماح برمي جنود الأعداء إذا اقتربوا منهم، وهذا ما يفيده حديثا حمزة بن أسيد عن أبيه:

---

(١) انظر الفن الحربي في صدر الإسلام ص ٥٣، ٥٤، لعبد الرؤوف عون. ط دار المعارف بمصر، سنة (١٩٦١م).

١ ـ قال: قال النبي ﷺ يوم بدر حين صففنا لقريش وصفوا لنا: «إذا أكثبوكم[1] فعليكم نبلكم»[2].

٢ ـ وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «إذا أكثبوكم فارموهم بالنبل واستبقوا نبلكم»[3].

ففي هذين الحديثين، أمر النبي ﷺ بترك الرمي والقتال حتى يقرب الأعداء، وذلك لأن الرمي من بُعْد قد لا يصل إليهم فتذهب الرَّمية في غير منفعة. وفائدة البدء بهذه المرحلة أولاً هو إنهاك قدرة العدو على القتال.

● الفرع الثاني ـ القتال الهجومي:

وفي هذه المرحلة أمر الرسول ﷺ بالهجوم على الأعداء حين تتداخل الصفوف، وهذا ما يدل عليه حديث مالك بن حمزة بن أسيد الساعدي، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «إذا أكثبوكم فارموهم بالنبل، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم»[4].

ففي هذا الحديث، أمر النبي ﷺ الصحابة برمي الأعداء في حالة

---

(١) الكَثَب في اللغة: القرب، فيقال: أكثب إذا قارب، وأكثبوكم أي: قربوا منكم. والهمزة هنا لتعدية الفعل. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١٥١/٤؛ لسان العرب ٢٢٢/٣، ٢٢٣.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب التحريض على الرمي، ح (٢٩٠٠)، فتح الباري ٩١/٦.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب إذا أكثبوكم فارموهم واستبقوا نبلكم، ح (٢٩٨٤، ٢٩٨٥)، فتح الباري ٣٠٦/٧.
وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الصفوف، ح (٢٦٦٣)، سنن أبي داود ١١٨/٣.

(٤) الحديث بهذا اللفظ أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في سل السيوف عند اللقاء، ح (٢٦٦٤)، سنن أبي داود ١١٨/٣.
وأورده الحافظ المنذري في مختصر سنن أبي داود ١١/٤ وسكت عنه وهو حديث حسن.

قربهم منهم: «إذا أكثبوكم فارموهم»، ثم نهاهم عن سل السيوف حتى تتداخل الصفوف، لأن قوى العدو في هذا الظرف قد أُنهكت فيكون أنسبَ سلاح حينئذٍ هو سل السيوف والمجالدة بها[1].

المطلب السادس

سحب رؤساء المشركين إلى القليب

أمر النبي ﷺ بعد انتهاء المعركة بسحب رؤساء المشركين وطرحهم في قليب كانت في بدر[2]. والدليل على ذلك ما رواه أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقُذفوا في طويّ[3] من أطواء بدر خبيث مخبث وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة[4] ثلاث ليال. فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشدّ عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلاّ لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي[5] فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء أبائهم: يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أَسَرَّكم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقّاً؟ قال: فقال عمر: يا رسول الله ما تكلِّم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم». قال قتادة: أحياهم الله

---

(١) انظر غزوة بدر الكبرى ص ٦٤: للدكتور محمد أبو فارس، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٢هـ)، دار الفرقان للنشر والتوزيع ـ عمان، الأردن.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٧٩؛ وتاريخ الطبري ٢/٤٥٦؛ والبداية والنهاية ٣/٢٩٢.

(٣) الطويّ: البئر المطوية بالحجارة، والطوي في الأصل صفة، فعيل بمعنى مفعول. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١٤٦؛ ولسان العرب ٢/٦٣١.

(٤) العرصة: هي كل موضع واسع لا بناء فيه، وتجمع على عرصات كسجدة وسجدات. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٢٠٨؛ ولسان العرب ٢/٧٣٥.

(٥) الرَّكي: جنس للركية وهي البئر وتجمع على ركايا. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٢٦١؛ ولسان العرب ١/١٢٢٠.

حتى أسمعهم قوله، توبيخاً وتصغيراً ونقيمة وحسرة وندماً[1].

وقد وقع خلاف حول هذه القصة بين عائشة ـ رضي الله عنها ـ وعبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ؛ فعائشة ـ رضي الله عنها ـ تنكر أن يكون صناديد قريش قد سمعوا كلام النبي ﷺ، بينما يذهب ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ إلى إثباته، والدليل على ذلك ما رواه ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: وقف النبي ﷺ على قليب بدر، فقال: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟» ثم قال: «إنهم الآن يسمعون ما أقول»، فذكر لعائشة فقالت: إنما قال النبي ﷺ: «إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق، ثم قرأتْ: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾[2] حتى قرأَتْ الآية[3].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب المغازي، باب: قتل أبي جهل، ح (٣٩٧٦)، فتح الباري ٧/٣٠٠، ٣٠١.
وأخرجه في كتاب الجهاد، باب من غلب العدو فأقام على عرصتهم، ح (٣٠٦٥)، فتح الباري ٦/١٨١.
وأخرجه في كتاب المغازي، باب مات أبو زيد ولم يترك عقباً وكان بدرياً، ح (٤٠٢٦)، فتح الباري ٧/٣٢٤.
وأخرجه مسلم بنحو لفظ البخاري في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، ح (٢٨٧٥)، صحيح مسلم ٣/٢٢٠٤.
وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الإمام يقيم عند الظهور على العدو بعرصتهم، ح (٢٦٩٥)، سنن أبي داود ٣/١٤٣.
وأخرج الترمذي بعضه في كتاب السِّيَر، باب البيات والغارات، ح (١٥٥١)، سنن الترمذي ٥/٢٧١.
وأخرجه الدارمي في كتاب السِّيَر، باب أن النبي ﷺ إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة. سنن الدارمي ٢/٢٢٢.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٢٦، ٢٧، ١٣١، ٣/١٠٤، ١٤٥، ١٨٢، ٢٢٠، ٤/٢٩، ٦/١٧٠، ٢٧٦.

(٢) الآية ٨٠ من سورة النمل.

(٣) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، ح (٣٩٨٠، ٣٩٨١)، فتح الباري ٧/٣٠١. =

وقد نقل ابن حجر ــ رحمه الله ــ عن الإسماعيلي قولاً في كيفية الجمع بين هذين الرأيين، فقال: قال الإسماعيلي: كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه لكن لا سبيل إلى ردّ رواية الثقة إلّا بنصٍّ مثله يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته، فكيف والجمع بين الذي أنكرتْه وأثبتَه غيرها ممكن، لأن قوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ لا ينافي قوله ﷺ «إنهم الآن يسمعون» لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المُسْتَمِع في أذن السّامع فالله تعالى هو الذي أسمعهم بأنْ أبلغهم صوت نبيّه ﷺ بذلك. وأما جوابها بأنه إنما قال: إنهم ليعلمون فإن كانت سمعت ذلك فلا ينافي رواية يسمعون بل يؤيدها[1].

= وأخرجه النسائي في كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين، سنن النسائي ٤/١١٠، ١١١.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/٣١، ٣٨.

(١) فتح الباري ٧/٣٠٤.

المبحث الثامن

المشاورة في شأن الأسرى

بعد أن انتصر المؤمنون على المشركين، وقع في أيديهم سبعون أسيراً من أهل مكة. وقد استشار الرسول ﷺ في حكم هؤلاء الأسرى عدداً من الصحابة، كان من أبرزهم ثلاثة هم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن رواحة. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ـ وذلك في شأن الإمداد بالملائكة يوم بدر ـ: (. . . فقتلوا يومئذٍ سبعين وأسروا سبعين. . . فلما أسروا الأسرى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: ما تَرَوْن في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العمّ والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فديةً فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكِّنّا فنضرب أعناقهم. . . فهوِيَ رسولُ الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يَهْوَ ما قلتُ، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أيِّ شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدتُ بكاءً بكيت، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرِضَ عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة، وأنزل الله عز وجل: ﴿ما كان لنبيٍّ أن يكون له أسرى حتى يُثخن في الأرض. . .﴾ إلى قوله: ﴿فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً﴾[1]، فأحل الله الغنيمة لهم)[2].

---

(١) الآيات ٦٧ ـ ٦٩ من سورة الأنفال.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب الإمداد بالملائكة يوم بدر، =

وقد ذكر ابن جرير الطبري رأيَ عمر في هؤلاء الأسرى فروى بسنده عن ابن زيد أنه قال: (لم يكن أحد من المؤمنين ممن نُصِرَ إلاّ أحبَّ الغنائم إلاّ عمر بن الخطاب، جعل لا يلقى أسيراً إلاّ ضرب عنقه، وقال: يا رسول الله، ما لنا وللغنائم، نحن قوم نجاهد في دين الله حتى يُعبد الله، فقال رسول الله ﷺ: «لو عُذِّبنا في هذا الأمر يا عمر ما نجا غيرك»، قال الله: لا تعودوا تستحلون قبل أن أحلّ لكم)[1].

وأما عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فإنه قال: (... يا رسول الله: انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه، ثم أضرم عليهم ناراً).

قال: (... فدخل رسول الله ﷺ ولم يردّ عليهم شيئاً، قال: فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة.

قال: فخرج رسول الله ﷺ فقال: «إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللّبن، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشدّ من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام، قال: ﴿فمن تَبِعَني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾[2]، ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى، قال: ﴿إن تعذّبهم فإنهم عبادُك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾[3]،

= وإباحة الغنائم. ح (١٧٦٣)، صحيح مسلم ٣/١٣٨٣ ـ ١٣٨٥.
وأخرجه الترمذي بنحو هذا اللفظ في كتاب التفسير، باب ومن تفسير سورة الأنفال، ح (٣٠٨٥)، سنن الترمذي ٨/٢٣٦، ٢٣٧.
وأخرجه أبو داود مختصراً في كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال، ح (٢٦٩٠)، سنن أبي داود ٣/٣٩.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند (بنحو هذا اللفظ) ١/٣٢، ٣٣.

(١) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٤/٧١.
(٢) الآية ٣٦ من سورة إبراهيم.
(٣) الآية ١١٨ من سورة المائدة.

وإن مثلك يا عمر كمثل نوح، قال: ﴿ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّاراً﴾[1]، وإن مثلك يا عمر كمثل موسى، قال: ﴿واشدُدْ على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يَرَوُا العذاب الأليم﴾[2]. . .)[3].

---

(١) الآية ٢٦ من سورة نوح.

(٢) الآية ٨٨ من سورة يونس.

(٣) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/٣٨٣، والحديث بهذا الإسناد ضعيف لانقطاعه، لأن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود. انظر المسند، تحقيق أحمد شاكر، ح (٣٦٣٢)، ٥/٢٢٧، ٢٢٨.
وأخرجه الترمذي في أبواب الجهاد، باب ما جاء في المشورة، ح (١٧١٤)، سنن الترمذي ٦/٣٥. وأخرجه أيضاً في أبواب التفسير، باب ومن سورة الأنفال، ح (٣٠٨٥)، سنن الترمذي ٨/٢٣٩، ٢٤٠. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، وأبو عبيدة بن عبد الله لم يسمع من أبيه.
وأخرجه الحاكم في كتاب المغازي، باب مشاورته ﷺ أصحابه في أسارى بدر، المستدرك على الصحيحين ٣/٢١، ٢٢. قال الحاكم ـ رحمه الله ـ: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الفَصْلُ الثَّانِي

أَحْدَاثُ غَـزْوَةِ أُحُـد

المبحث الأول

. الأحداث التي تمت قبل الغزوة

المطلب الأول

سبب الغزوة وتاريخها

أرادت قريش أت تشفي غليلها وتثأر لقتلاها في بدر، حيث كانت ترى أن في هزيمتها ببدر خطراً كبيراً، يقلل من هيبتها في أنظار قبائل العرب. فقررت أن تعيد هيبتها وتثأر لقتلاها وتعيد طريق التجارة حرّاً آمناً إلى الشام.

قال ابن إسحاق: (لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القَليب[1]، ورجع فلّهم[2] إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بِعِيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه، لعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا)[3].

---

(١) المراد بأصحاب القَليب: قتلى بدر، الذين رُدِموا بعد موتهم في بئر قريبة من بدر، فنسبوا إليها. انظر: معجم معالم السيرة النبوية ص ٢٥٦.

(٢) الفَلّ: المنهزمون، يقال: فَلَّ القوم يفلهم فلاًّ: هزمهم، فانفلوا وتفللوا. انظر لسان العرب ٢ / ١١٣٠.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣/١؛ ومغازي الواقدي ١ / ٢٠٠؛ والبداية والنهاية ٤ / ١٠.

ويذكر بعض كتّاب السيرة أن قريشاً إنما تجهّزت بأرباح العير، وفي ذلك يقول الواقدي: (إنما قالوا يا أبا سفيان بع العِير ثم اعزل أرباحها، وكانت العير ألف بعير، وكان المال خمسين ألف دينار، وكانوا يربحون في تجارتهم للدينار ديناراً)[1].

وأياً كان الأمر فإن قريشاً قد بذلت أموالاً طائلةً في سبيل الأخذ بثأرها واستعادة هيبتها.

المطلب الثاني
اجتماع قريش للحرب

اجتمعت قريش ومن أطاعها من بني كنانة وأهل تِهامَة[2] لحرب رسول الله ﷺ وفي ذلك يقول ابن إسحاق: (فخرجت قريش بحدِّها وجدها وحديدها وأحابيشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة، وخرجوا معهم بالظَّعن التماس الحفيظة[3]، وألّا يفروا، فخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس، ومعه هند ابنة عتبة... فأقبلوا حتى نزلوا بِعَيْنَين[4]، بجبل ببطن السبخة، من قناة على شفير الوادي، مقابل المدينة)[5].

---

(١) مغازي الواقدي ١/٢٠٠.

(٢) هي تلك الأرض المنكفئة إلى البحر الأحمر من الشرق، من العقبة في الأردن، إلى المخا في اليمن، ففي اليمن تسمى تهامة اليمن، وهي أرض واسعة كثيرة القرى والزروع، وفي الحجاز تسمى تهامة الحجاز، ويطلق على أودية كثيرة. انظر: معجم معالم السيرة النبوية ص ٦٦.

(٣) الحَفِيظة: الحميَّة والغضب. انظر: القاموس المحيط ٢/٤٠٩.

(٤) عَيْنَين: جبل السَّبْخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة، وهي أكمة صغيرة بارزة قرب جبل أُحد من جهة المدينة، وقد هُجِرَتْ في هذا الزمن وتحول الناس إلى ما حولها من السهل، وهي المسماة كذلك بجبل الرماة. انظر معجم البلدان ٤/١٧٤؛ ومعجم معالم الحجاز ٦/٢٠٣.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٣/٥، ٦.

وأما تاريخها فقد اتفق أهل المغازي والسِّيَر على أن غزوة أُحد كانت في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة، ولكنهم اختلفوا في اليوم الذي حدثت فيه والأقرب إلى الصواب (والله أعلم) أنها كانت في النصف من شوال.

عن محمد بن إسحاق رحمه الله قال: (. . . خرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة حين صلى الجمعة فأصبح بالشِّعْب من أُحُد فالتَقَوْا يوم السبت في النصف من شوال)[1].

المطلب الثالث

رؤيا الرسول ﷺ

رأى النبي ﷺ قبل ليلة أحد رؤيا، فقصَّها على أصحابه قبل خروجهم إلى أُحد. فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: أُرى عن النبي ﷺ قال: «رأيت في رؤياي أني هززتُ سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أُحد، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماعَ المؤمنين، ورأيت بقراً والله خير، فإذا هم المؤمنون يوم أُحُد»[2].

---

(١) الحديث: أخرجه الطبراني ورجاله ثقات، انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٢٤، وقد أورده ابن جرير الطبري في تفسيره، اانظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٩٩/٧؛ وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٩٧/١، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٧هـ).

(٢) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب المغازي، باب: من قُتل من المسلمين يوم أُحد، ح (٤٠٨١)، فتح الباري ٣٧٥/٧، وأخرجه في باب رقم (١٠)، بغير ترجمة، ح (٣٩٨٧)، فتح الباري ٣٠٧/٧، وأخرجه في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة، ح (٣٦٢٢)، فتح الباري ٦٢٧/٦، وأخرجه في كتاب التعبير، باب: إذا هزّ سيفاً في المنام، ح (٧٠٤١)، فتح الباري ٤٢٦/١٣، وفي باب إذا رأى بقراً تُنحر، ح (٧٠٣٥)، فتح الباري ٤٢١/١٣.
وأخرجه مسلم في كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، ح (٢٢٧٢)، صحيح مسلم ١٧٧٩/٤. =

المطلب الرابع
جمع المعلومات عن جيش الأعداء

كانت رسالة العباس بن عبد المطلب إلى النبي ﷺ أوّل المعلومات عن وصول جيش قريش إلى المدينة. ثم إن الرسول ﷺ أرسل الحُباب بن المنذر بن الجموح إلى قريش يستطلع خبرهم، فرجع إلى النبي ﷺ، فقال له: «ما رأيت؟» قال: رأيت يا رسول الله عدداً، حزرتهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً، والخيل مائتي فرس، ورأيت دروعاً ظاهرة حزرتها سبعمائة درع، قال: «هل رأيت ظعناً؟» قال: رأيت النساء معهن الدفاف والأكبار[1]... فقال رسول الله ﷺ: «أَرَدْنَ أن يحرِّضْنَ القوم ويذكِّرنَهم قتلى بدر، هكذا جاءني خبرهم لا تذكر من شأنهم حرفاً، حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم بك أجول وبك أصول»[2].

كما أن الرسول ﷺ أرسل عينين له ليستطلعا خبر قريش، وهما أنس ومؤنس ــ ابنا فضالة ــ.

وفي ذلك يقول الواقدي: (وبعث النبي ﷺ عينين له: أنساً ومؤنساً ــ ابني فضالة ــ ليلة الخميس، فاعترضا لقريش بالعقيق[3]، فسارا معهم

= وأخرجه ابن ماجه في باب تعبير الرؤيا، ح (٣٩٢١)، سنن ابن ماجه ٢/١٢٩٢.
وأخرجه الدارمي في كتاب الرؤيا، باب: في القميص والبعير واللبن والعسل والسّمن والتمر وغير ذلك في النوم، سنن الدارمي ٢/١٢٩.

(١) الأكْبار: جمع كَبَر، مثل سبب وأسباب، والكَبَر، هو: الطبل الذي له وجه واحد، وهو فارسي معرّب. انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢/١٨٣.

(٢) مغازي الواقدي ١/٢٠٧ ــ ٢٠٨.

(٣) العَقيق: وادٍ من أشهر أودية المدينة، يأتيها من الشمال، ويأخذ أعلى مساقط مياهه من جبال قُدس على بعد ١٤٠ كيلاً، ويسمى أعلاه: النقيع وما بين جبل عير وحمراء الأسد يسمى (الحسا)، فإذا تجاوز ذا الحُلَيْفة سُمّي العقيق. انظر معجم البلدان ٤/١٣٩؛ ومعجم معالم السيرة النبوية ص ٢١٣.

حتى نزلوا «بالوِطَاء»[1]، فأتيا رسول الله ﷺ فأخبراه)[2].

المطلب الخامس
المشاورة في كيفية لقاء العدو

بعد أن تحقق للنبي ﷺ وصول جيش قريش إلى المدينة جمع صحابته وشاورهم في كيفية لقاء العدو، فقال لهم ـ بعد أن قصّ عليهم رؤياه ـ: «لو أنا أقمنا بالمدينة، فإنْ دخلوا علينا فيها قاتلناهم»، فقالوا: يا رسول الله، مادُخل علينا فيها في الجاهلية فكيف يُدخل علينا في الإسلام؟ قال عفان في حديثه، فقال: «شأنكم إذاً»، فقالت الأنصار: رددنا على رسول الله رأيه، فجاؤوا فقالوا: يا نبي الله، شأنك إذاً، فقال: «إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته[3] أن يضعها حتى يُقاتِل»[4].

وقبل أن يخرج إلى أُحد جعل ﷺ نساءه في أطم من آطام المدينة لحفظهن من كيد الأعداء. فعن صفية بنت عبد المطلب: (أن رسول الله ﷺ

---

(١) الوِطاء: هو غدير دائم في صلد من الأرض، بطرف شامية ابن حمادي، من الشمال، وكان يُعرف بالرَّجيع، ويقع شرق عُسْفَان يسار الخارج منها إلى مكة ويفرق طريقه على ١٣ كيلاً من عُسْفان، ويبعد عن الطريق قرابة سبعة أكيال. انظر معجم معالم الحجاز ٤/٣٥؛ ٩/١٤٤.

(٢) انظر مغازي الواقدي ١/٢٠٦.

(٣) اللأمَة: هي الدِّرع، وقيل: السِّلاح، ولأمَةُ الحرب: أداته. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٢٢٠.

(٤) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٥١.
وأخرجه الدارمي في كتاب الرؤيا، باب في القميص والبعير واللبن والعسل والسَّمن والتمر وغير ذلك في النوم، سنن الدارمي ٢/١٢٩.
وأخرجه النسائي في كتاب الرؤيا (السنن الكبرى، مخطوط، انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (٢٦٩٨)، ٢/٢٩٥).
وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٠٧، وقال بعد عزوه للإمام أحمد: ورجاله رجال الصحيح.

لما خرج إلى أُحد جعل نساءه في أطم، يقال له «فارع»[1]، وجعل معهن حسان بن ثابت، قالت: فجاء ناس من اليهود فبقي أحدهم في الحصن حتى أطلّ علينا، فقلتُ لحسان: قم إليه فاقتله، فقال: ما ذاك فيّ[2]، ولو كان فيّ لكنت مع رسول الله ﷺ، فضربت صفية رأسه حتى قطعته، قالت: يا حسان قم إلى رأسه فارم به إليهم وهم أسفل من الحصن، فقال: والله ما ذاك فيّ، قالت: فأخذتُ برأسه فرميتُ به عليهم فقالوا: قد علمنا أن محمداً لم يكن يترك أهله خلوفاً ليس معهم أحد وتفرقوا فذهبوا)[3].

المطلب السادس

قـوّات الجيشـين

أقبلت قريش بجيش قوامه ثلاثة آلاف رجل وعدتهم مائتا فارس

---

(١) أَطَم فارع: حصن بالمدينة وكان فيها بعد داراً لجعفر بن يحيى، وهو الآن قرية آهلة بالسكان تقع في رأس وادي ساية. انظر: معجم البلدان ٤/٢٢٨؛ معجم معالم الحجاز ٧/٨.

(٢) يمكن أن يَفهم بعض الناس من هذا الحديث أنّ حسّان بن ثابت كان شديد الجبن. وقد أنكر العلماء هذه التهمة، وذلك للأسباب الآتية:
أولاً: أنّ هذا الحديث منقطع الإسناد.
ثانياً: أنّ هذه التهمة لو صحّت لهُجِيَ حسّان بها، فإنه كان يهاجي الشعراء ويناقضونه ويردون عليه فما عيّره أحد منهم بجبن.
ثالثاً: أنه على فرض صحة الحديث فإنه قد يكون معتلاً في ذلك اليوم بعلّة منعته من شهود القتال. انظر الدرر في اختصار المغازي والسِّير ص ١٧٥؛ والروض الأنف ٦/٣٤٢: لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن الحسن الخثعمي السُّهَيْلي، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن الوكيل، الطبعة الأولى، سنة (١٣٨٧هـ)، ط دار الكتب الحديثة.
قلت: ويمكن أن يكون الرسول ﷺ أبقى حساناً رضي الله عنه في الحصن خوفاً عليه من القتل لأن لديه شاعرية متفوقة كان يستخدمها في المنافحة عن الله ورسوله.

(٣) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط من طريق غروة بنت جعفر بن الزبير عن أبيها. قال الهيثمي: لم أعرفها وبقية ورجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١١٥. والحديث بهذا الإسناد منقطع، لأن الراوي بين الرسول ﷺ وصفية مجهول.

وسبعمائة دارع[1]، وعدد جيش النبي ﷺ سبعمائة رجل وعدتهم فرسان ومائة دارع.

قال الطبري: (... انخزل عبد الله بن أبيّ، عن رسول الله ﷺ من الشيخين[2] بثلاثمائة، وبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة، وكان المشركون ثلاثة آلاف والخيل مائتي فارس، وكان في المشركين سبعمائة دارع، وكان في المسلمين مائة دارع، ولم يكن معهم من الخيل إلاّ فرسان)[3].

المطلب السابع
نزول الرسول ﷺ بجيشه في أحد

بدأ الرسول ﷺ بالتحرك جهة أُحد، بعد منتصف الليل. قال الواقدي: (... ونام رسول الله ﷺ حتى أدلج، فلما كان السَّحر[4] قال لأصحابه: «من رجل يخرج بنا على القوم من كثب من طريق لا يمر بنا عليهم؟» فقال أبو خيثمة ـ أخو بني حارثة بن الحارث ـ: أنا يا رسول الله، فنفذ به في حرّة[5] بني حارثة، وبين أموالهم، حتى سلك به في مال لمربع بن قيظي،

---

(١) دارع: أي ذو دِرْع على النسب، كما يقال لابن وتامر والمراد به لابس الدرع وهي الزرْدية. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/١١٤؛ ولسان العرب ١/٩٦٩.

(٢) الشِّيخين: تثنية شيخ، وهو موضع بالمدينة، وهما هضبتان بُدِيء الخندق، من عندهما، ويقعان في طرف الحرّة الشرقية للشمال الغربي منها، قيل: إن سبب تسميتها بذلك، أنّ شيخاً وشيخة كانا يتحدثان هناك. وانظر معجم البلدان ٣/٣٨٠، معجم معالم الحجاز ٥/١١٧.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٠٤، ٥٠٥؛ وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٣٦.

(٤) مغازي الواقدي: ٢/٢١٧.

(٥) حرة بني حارثة: آخر حرة المدينة الشرقية، ونهايتها مما يلي السُّوط بين وادي قناة والمدينة، وتقع على طريق الذاهب من المدينة إلى مشهد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه. انظر: معجم معالم السيرة النبوية ص ٩٥، ٩٦.

ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشِّعْب[1] من عدوة الوادي إلى الجبل[2].

وعبّأ الرسول أصحابه للقتال، واختار خمسين من الرماة لحماية المسلمين من ظهورهم، وجعل عليهم أميراً وأوصاهم ألا يبرحوا أماكنهم مهما كانت الحالة. فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (لقينا المشركين يومئذٍ وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة، وأمّر عليهم عبد الله، وقال: «لا تبرحوا، إنْ رأيتمونا ظَهَرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تُعينونا...)[3].

المطلب الثامن

خطة الرسول ﷺ في القتال

وضع الرسول ﷺ للقتال يوم أُحد خطةً محكمةً، تقوم على ثلاثة أسس:

* الأساس الأول: إحكام السيطرة على جبل أُحد[4]

من أجل حماية المسلمين من الخلف، جعل الرسول ﷺ خمسين من

---

(١) الشِّعْب: موضع بأُحُد، يُرى من مشهد حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه، ومن جبل عَيْنَيْن، يمتدّ من جبل أُحد إلى ضفة قناة اليمن، وقد كانت عنده المناظرة بين أبي سفيان والمسلمين، وفي الجنوب الغربي منه تقع مدرسة أُحُد الابتدائية. انظر: معجم معالم السِّيرة النبوية ص ١٦٩.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣/٩.

(٣) الحديث: أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: غزوة أُحُد، ح (٣٠٤٣)، فتح الباري ٧/٣٤٩.

وأخرجه الإمام أحمد بنحو هذا اللفظ في المسند، ح (٢٦٠٩)؛ ٤/٢٠٩، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر.

(٤) جبل أُحُد: جبل يقع شمال المدينة، بينه وبينها: ثلاثة أميال، وهو الجبل الذي وقعت عنده الغزوة، وإليه تُنسَب، وسُمّي أحداً لتوحّده حيث لم يكن معه سلسلة من الجبال. انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ١٩.

الرماة على جبل أُحد، وأمّر عليهم عبد الله بن جبير، وذلك من أجل حرمان المشركين من الالتفاف على قوات المسلمين من الخلف.

* **الأساس الثاني: صف الجنود**

جعل الرسول ﷺ جنوده على هيئة صفوف الصلاة، قال الواقدي: (وجعل الرسول ﷺ يصفّ أصحابه)[1]. وقد أخذ ﷺ بهذا الأسلوب لأنه أبلغ في قتال الأعداء مع الاحتفاظ بجزء من قواته لتكون على أهبة الاستعداد عند الحاجة.

* **الأساس الثالث: ألا يقاتل أحد إلاّ بعد أمره ﷺ**

وهذا الأساس في غاية الأهمية، وذلك لما فيه من توحيد لجهة القيادة والمسؤولية، لأنه ﷺ أدرى بالمصلحة في هذا المقام. وفي ذلك يقول الطبري: (فجعل ظهره وعسكره إلى أُحد، وقال: «لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال»)[2].

---

(١) مغازي الواقدي ١/٢١٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٠٧؛ وانظر: العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ص٣٥٥، ٣٥٦.

المبحث الثاني

المرحلة الأولى من القتال

المطلب الأول

بدء القتال

بدأ القتال في هذه المعركة ـ كما هي العادة في الحروب ـ بالمبارزة، فقد خرج من صفّ المشركين طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين يوم أُحد، وطلب المبارزة، وفي ذلك يقول الطبري: (لما برز رسول الله ﷺ إلى المشركين بأُحد، خرج طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين فقال: إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنة، أو يعجلني بسيفه إلى النار؟ فقام إليه علي بن أبي طالب، فقال: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار أو يعجلني بسيفك إلى الجنة، فضربه علي فقطع رجله، فسقط فانكشفت عورته، فقال: أنشدك اللَّهَ والرحمَ ابنَ عمّ، فتركه، فكبّر رسول الله ﷺ وقال لعلي أصحابه: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني الرحمَ حين انكشفت عورته فاستحييت منه)[1].

المطلب الثاني

اشتداد القتال بين الجيشين

حَرّض الرسول ﷺ أصحابه على القتال يوم أُحد، فعن أنس رضي الله

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧/٢٨١؛ وانظر السيرة الحلبية ٢/٢٢٣: للعلّامة علي بن برهان الدين الحلبي، نشر المكتبة الإسلامية، لصاحبها الحاج رياض الشيخ ـ بيروت.

عنه: (أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أُحد، فقال: «من يأخذ مني هذا؟»فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا، قال: «فمن يأخذه بحقه؟» قال: فأحجم القوم، فقال سِمَاك بن خَرَشة[1] (أبو دُجانة): أنا آخذه بحقه، قال: فأخذه ففلق به هام المشركين[2])[3].

وقد كان لشجاعة أبي دجانة في ذلك اليوم أثر بارز على جيش الرسول ﷺ حيث ارتفعت معنويات المسلمين لقتال الأعداء، فاشتد القتال وزادت ضراوته وظلت سيوف الحق تحصد رؤوس الكفرة، فكان حملة لواء المشركين أول القتلى[4].

وحلت الهزيمة بجيش قريش، قال ابن عبد البر: (وقاتل الناس قتالاً شديداً ببصائر ثابتة، فانهزمت قريش، واستمرت الهزيمة عليهم)[5].

المطلب الثالث

مخالفة الرماة لأمر النبي ﷺ

لمّا انتصر المسلمون ـ في المرحلة الأولى ـ وولّى المشركون هاربين، رأى الرماة الغنائم في ميدان المعركة، فظنوا أن مهمتهم قد انتهت، فقالوا: قد هُزم أعداء الله فما لقعودنا هنا معنى، فذكَّرهم أميرهم عبد الله أمر

---

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٥٩.

(٢) ففلق به هام المشركين: المعنى: أنه شق به رؤوسهم، ويراد بذلك: القتل والإبادة. انظر صحيح مسلم ٤/ ١٩١٧.

(٣) الحديث: أخرجه مسلم في كتاب المناقب، باب فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة، ح (٢٤٧٠)، صحيح مسلم ٤/ ١٩١٧.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٢٣.
وأخرجه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة، باب إعطاء النبي أبا دجانة يوم أحد سيفاً، المستدرك على الصحيحين ٣/ ٢٣٠.

(٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٠؛ ومغازي الواقدي ١/ ٢٢٨.

(٥) الدرر في اختصار المغازي والسِّيَر ص ١٤٨.

رسـول الله ﷺ إياهم[1]، ولكنهم انـطلقوا يجمعـون الغنائم ولم يعبـأوا بقـول أميـرهم، وقد ذكـر ابن عباس رضي الله عنهمـا وصفاً لحـالة الـرماة في ذلـك اليـوم، فقال: (فلمـا غنم النبـي ﷺ وأباحـوا عسكر المشـركين، أكب الرمـاة جميعـاً فدخلوا في العسكـر ينهبون، وقـد التقت أصحاب رسـول الله ﷺ فهم هكذا ــ وشبك بين أصابـع يديه ــ والتبسوا فلمـا أخلّ الـرماة تلك الخلة التي كانوا فيها، دخلت الخيل من تلك المـوضع على أصحـاب النبـي ﷺ فضرب بعضهم بعضاً، والتبسوا وقُتل من المسلمين ناس كثير)[2] بسبب مخالفة الرماة لأمـر النبـي ﷺ وهذا هو السبب الرئيس[3] في حصـول الخسائـر الكبيـرة التي أصيب بها المسلمون، يحدثنا عن ذلك البراء بن عـازب، فيقول: (. . . فلمـا لقينـا هربـوا حتى رأيتُ النساء يشتـددون في الجبل، رفعن عن سـوقهـن قـد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة، فقال عبدالله: عهد إليّ النبـي ﷺ أن لا تبرحوا، فأبوا، فلما أَبَوْا صرفت وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً)[4].

---

(١) انظـر المرجع والصفحة السابقين.

(٢) الحـديث أخـرجـه الإمـام أحمـد في المسنـد ١/٢٨٧، والمسنـد تحقيق أحمـد شـاكـر، ح (٢٦٠٩)، ٤/٢٠٩.
ورواه الحاكم في كتاب التفسـير، بـاب قصـة غزوة أحـد، المستدرك عـلى الصحيحين ٢/٢٩٦، وقـال: هذا حـديث صحيـح، ووافقه الـذهبـي. وذكـره الهيثمي في مجمـع الزوائد ومنبـع الفوائد ٦/١١٠، ١١١، ثم قال: وفيه عبد الرحمن بن أبـي الزناد وقـد وثق على ضعفه. قال فيه ابن معين: هو أثبت الناس في هشام وعروة، وقال أبـو حاتم وغيـره: لا يحتج بحـديثه. انـظـر الكاشف في معـرفة من لـه روايـة في الكتب الستـة ٢/١٤٦.

(٣) يذكر بعض الكتّاب العسكريين المعاصرين أن هناك سببين آخرين هما:
أولاً: عدم مطاردة المسلمين للأعداء بعد انهزامهم.
ثانياً: مباغتة قوات الأعداء للمسلمين بسبب انشغالهم بجمع الغنائم. انظر: الرسول القائد ص ١٨٨.

(٤) الحـديث سبق تخريجه في ص ١٥٢.

المبحث الثالث

المرحلة الثانية من القتـــال

المطلب الأول

إشاعة مقتل النبي ﷺ

عنـدما اشتـد قتال المشـركين للمسلمين، وبلـغ القتال ضـراوته، تعـذّر الـوصـول إلى رسـول الله ﷺ ، وصـار المشـركـون يقتلون كـل من يَلقَـوْنـه من المؤمنين ظنـاً منهم أنـه رسـول الله ﷺ. ثم إن «ابن قمئـة» حمـل على مصعب بن عميـر ـ حين كان مثخنـاً بالجـراح ـ وكان شـديد الشَّبـه بـرسـول الله ﷺ، فقتله، ونادى بأعلى صوته: قتلت محمداً[1].

وقد أثَّرت هذه الإشاعة في صفوف المؤمنين تأثيراً كبيـراً، حتى انهارت معنوياتهم، حتى صار بعضهم يقتل بعضاً ظناً منـه أنه عـدوه. ومما يـدل على ذلـك مـا روت عـائشـة رضي الله عنهـا قـالت: (لـمّـا كـان يـوم أُحـد هُـزم المشركون، فصرخ إبليس ـ لعنة الله عليه ـ أي عباد الله أُخراكم، فاجتلدت هي وأُخراهم، فبصر حذيفة، فإذا هو بأبيه «اليمان»، فقال أي عباد الله أبـي أبـي، قالت: فوالله ما احتجزوا عنـه حتى قتلوه، فقال حـذيفة: يغفـر الله لكم، قال عروة: فوالله ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله)[2].

---

(١) انـظر السيرة النبوية لابن هشام ١٨/٣.

(٢) الحـديث أخـرجـه البخـاري بهـذا اللفظ، في كتـاب منـاقب الأنصـار، بـاب: ذكـر حـذيفة بن اليمـان رضي الله عنه، ح (٣٧٢٤)، فتـح الباري ١٣٢/٧، وأخـرجـه في كتـاب المغازي، بـاب: قولـه تعالى: ﴿إذ همّت طـائفتان منكم﴾، ح (٤٠٦٥)، فتـح الباري ٣٦١/٧، وأخرجه في كتاب الأيمان والنذور، بـاب إذا حنث ناسياً في الأيمان، =

المطلب الثاني

بلاء الرسول ﷺ يوم أحد

لقد ثبت النبي ﷺ يوم أحد ثبوت الشم الرواسي، وقاتل الأعداء بكل شجاعة وإقدام حتى روى سيفه من دمائهم، فأعطى القدوة لمن بعده في التضحية والفداء.

لقد اعترضته ﷺ مصائب جمة، كادت تودي بحياته، لولا عناية الله ولطفه. فقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: (ضُرِبَ وجه النبي ﷺ بالسيف سبعين ضربة، وقاه الله شرها كلَّها)[1].

وعن أنس رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُه يوم أحد، وشُجَّ رأسه، فجعل يسلت الدم عنه ويقول: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رَبَاعِيَتَهُ[2]؟ وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله عز وجل: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾...)[3].

كما أخبر عن ذلك أبو بكر رضي الله عنه فقال: (... فانتهينا إلى

= ح (٦٦٦٨)، فتح الباري ١١/٥٤٩، وأخرجه في كتاب الديات، باب العفو في الخطأ بعد الموت، ح (٦٨٨٣)، فتح الباري ١٢/٢١١، وفي باب إذا مات في الزحام أو قتل، ح (٦٨٩٠)، فتح الباري ١٢/٢١٧.

(١) المصنف لعبد الرزاق ٥/٣٦٧.

(٢) الرَبَاعية ـ بوزن الثمانية ـ هي: السِّن التي بين الثنية والناب. انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/٢٣٢.

(٣) الحديث أخرجه مسلم بهذا اللفظ في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب: غزوة أُحُد، ح (١٧٩١)، صحيح مسلم ٣/١٤١٧.
وأخرجه الترمذي بنحو هذا اللفظ، في كتاب التفسير، تفسير سورة آل عمران، ح (٣٠٠٥، ٣٠٠٦)، سنن الترمذي ٨/١٨٤.
وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، ح (٤٠٢٧)، سنن ابن ماجه ٢/١٣٣٦.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٩٩، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٥٣، ٢٨٨.

رسولﷺ وقد كُسرت رَبَاعِيَتُه وشجّ في وجهه، وقد دخل في وجنتيه حلقتان من حلق المغفر. . .)[1].

كما وقع في حفرة على جنبه، قال ابن هشام ـ رحمه الله ـ: (. . .ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر (الفاسق)، ليقع فيها المسلمون، وهم لا يعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺورفعه طلحة حتى استوى قائماً. . .)[2].

المطلب الثالث

بلاء الصحابة رضوان الله عليهم

أبلى الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يوم أُحد بلاءً عظيماً، ومنهم من أكرمه الله بالشهادة في سبيله، وممن أبلى في ذلك اليوم طلحة بن عبيد الله.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أُحد بكى ثم قال: (. . . فقال رسول الله ﷺ: «عليكما صاحبكما ـ يريد طلحة وقد نزف ـ». . . فأصلحنا من شأن النبي ﷺ ثم أتينا طلحة في

---

(١) الحديث أخرجه الطيالسي في أبواب ما وقع بعد الهجرة إلى وفاته ﷺ، باب ما جاء في غزوة أُحد، ح (٢٣٤٦)، منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود ٢/٩٩: للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، ط ١، سنة (١٣٧٢هـ)، المطبعة المنيرية بالأزهر.
وأخرجه ابن المبارك في كتاب الجهاد ص ٧٧، ٧٨، تحقيق نزيه حماد.
وأخرجه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة ٣/٢٦٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.
وأخرجه أبو نُعيم في الحلية ٨/١٧٥.
ورواه البزار كما في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١١٢، وفيه إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي، قال أحمد: متروك. انظر خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ص ٣٠، للعلاّمة أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري، ط ٢، سنة (١٣٩١هـ)، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٧.

الجفار[1]، فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت أصبعه، فأصلحنا من شأنه)[2]. وعن قيس بن أبي حازم رضي الله عنه قال: (رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ يوم أُحد)[3].

وممن أبلى يوم أحد قتادة بن النعمان رضي الله عنه، يحدثنا عن ذلك، فيقول: (أُهدي إلى رسول الله ﷺ قوس، فدفعها إليَّ رسول الله ﷺ يوم أحد، فرميت بها بين يدي رسول الله ﷺ حتى اندقت سِيَتها[4]، ولم أزل على مقامي نصب وجه رسول الله ﷺ ألقى السهام بوجهي كلما مال سهم منها إلى وجه رسول الله ﷺ ميّلتُ رأسي لأقي وجه رسول الله ﷺ بلا رمي أرميه، فكان آخرها سهم ندرت منها حدقتي بكفي، فسعيت بها في كفي إلى رسول الله ﷺ، فلما رآها رسول الله ﷺ في كفي، دمعت عيناه، فقال: «اللهم إن قتادة قد أوجه نبيّك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدَّهما نظراً»، فكانت أحسنَ عينيه، وأحدَّهما نظراً)[5].

---

(١) الجِفَار: جمع، مفرده: جُفْرَة، على وزن: فُعْلَة، وهي: الحفرة الواسعة المستديرة. انظر لسان العرب ١/٤٧١.

(٢) الحديث سبق تخريجه في ص ١٥٩.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب: ذكر طلحة بن عبيد الله، ح (٣٧٢٤)، فتح الباري ٧/٧٢، وأخرجه في كتاب المغازي، باب: قول الله تعالى: ﴿إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا واللّهُ وليُّهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾، ح (٤٠٦٣)، فتح الباري ٧/٣٥٩.
وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب: فضل أصحاب رسول الله ﷺ فضل طلحة بن عبيد الله، ورقم الحديث (١٢٨)، سنن ابن ماجه ١/٤٦.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١/١٦١.

(٤) سِيَة القوس: طرفها المنحني، يقال لسِيَتها العليا: يدها، ولسِيَتها السفلى: رجلها. انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/٣٢١.

(٥) الحديث أخرجه الطبراني، وقال عنه الهيثمي: وفيه من لم أعرفه، انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١١٣.
وأخرجه الحاكم بنحو هذا اللفظ في كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر مناقب قتادة بن =

ومن الصحابة من أكرمه الله بالشهادة في ذلك اليوم، ومن هؤلاء حامل اللواء مصعب بن عمير.

عن خباب بن الأرت ـ رضي الله عنه ـ قال: (هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله، ومنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئاً، كان منهم مصعب بن عمير، قُتل يوم أُحُد)[1].

ومن أولئك الشهداء، حمزة بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ. عن جعفر بن عمر بن أمية الضمري، قال: (خرجت مع عبد الله بن عدي بن الخيار، فلما قدمنا حمص[2]، قال لي عبد الله بن عديّ: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم، قال عبد الله: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم، إن حمزة قتل طُعَيْمة بن عديّ بن الخيار ببدر، فقال لي مولاي «جبير بن

= النعمان الظفري، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه، وقد سكت عنه الحاكم ووافقه الذهبي. المستدرك على الصحيحين ٣/٢٩٥.

(١) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب المغازي، باب غزوة أُحد، ح (٤٠٤٧)، فتح الباري ٧/٣٥٤، وأخرجه في باب: من قتل من المسلمين يوم أُحد ح (٤٠٧٨)، فتح الباري ٧/٣٧٤، وأخرجه في كتاب الجنائز، باب إذا لم يجد كفناً إلّا ما يواري رأسه أو قدميه غطى رأسه، ح (١٢٧٦)، فتح الباري ٣/١٤٢، وأخرجه في كتاب مناقب الأنصار، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ح (٣٨٩٧)، فتح الباري ٧/٢٢٦، وأخرجه في كتاب الرقاق، باب فضل الفقر، ح (٦٤٤٨)، فتح الباري ١١/٢٧٣.
وأخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب في كفن الميت، ح (٩٤٠)، صحيح مسلم ٢/٦٤٩.
وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب مصعب بن عمير رضي الله عنه، ح (٣٨٥٢)، سنن الترمذي ٩/٣٧٧.
وأخرجه النسائي في كتاب الجنائز، باب القميص في الكفن، سنن النسائي ٤/٣٧.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/١٠٩، ١١٢، ٦/٣٩٥.

(٢) حِمْص: بلدة كبيرة مشهورة قديمة، بالشام، وتقع بين دمشق وحلب في نصف الطريق. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٢.

مطعم»: إنْ قتلتَ حمزة بعمي فأنت حر، قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثُنَّته، حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم. . .)[1] الحديث.

كما أبلى حنظلة بن عبد الله، الملقب بـ «غسيل الملائكة»، بلاءً حسناً نال الشهادة. قال ابن إسحاق رحمه الله: (حدثني يحيى بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عن قتيل حنظلة بن أبي عامر، بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن الحارث حين علاه شداد بن الأسود بالسيف، فقتله، فقال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم تغسله الملائكة»، فسألوا صاحبته فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة[2]، وهو جُنُبٌ، فقال رسول الله ﷺ: «لذلك غسّلته الملائكة»[3].

وقد بلغ عدد الذين استشهدوا يوم أُحد سبعين شهيداً، دلّ على ذلك الكتاب والسنّة:

* **أما الكتاب:** ففي قوله تعالى: ﴿أو لمّا أصابتْكُمْ مصيبةٌ قد أصبتم

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، ح (٤٠٧٢)، فتح الباري ٧/٣٦٧.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٥٠١.
وأخرجه الطيالسي بنحو هذا اللفظ، في كتاب السِّيرة النبوية، باب: قصة قتل حمزة بن عبد المطلب، ح (٢٣٤٨)، منحه المعبود ٢/١٠٠.

(٢) الهَائِعة: هي الصوت الشديد، الذي يجعل الإنسان يخاف من عدوه. انظر لسان العرب ٣/٨٥٦.

(٣) الحديث: أخرجه البيهقي في كتاب الجنائز، باب: الجنب يستشهد في المعركة، السنن الكبرى ٤/١٥.
وأخرجه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب حنظلة، قال الحاكم رحمه الله: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم)، وسكت عنه الذهبي. انظر المستدرك على الصحيحين ٣/٢٠٤، ٢٠٥.

مِثْلَيْها. . . ﴾[1]الآية، قال أبو جعفر الطبري ــ في تفسيره للآية ــ : (والمعنى أَوَحين أصابتكم أيها المؤمنون مصيبة ــ وهي القتلى الذين قُتلوا منهم يوم أُحد ــ وكان المشركون قَتلوا منهم يومئذٍ سبعين نفراً، ﴿قد أصبتم مِثْلَيْها﴾ يقول: قد أصبتم أنتم أيهاالمؤمنون من المشركين مِثْلَيْ هذه المصيبة التي أصابوا هم منكم، وهي المصيبة التي أصابها المسلمون من المشركين ببدر، وذلك أنهم قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين)[2].

* **وأما دلالة السنّة على ذلك**: فعن البراء بن عازب ــ رضي الله عنهما ــ قال: (جعل النبي ﷺ على الرماة يوم أُحد عبد الله بن جبير، فأصابوا منا سبعين، وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً. . .)[3] الحديث.

المطلب الرابع
عتاب الله عزّ وجلّ للفارّين من المسلمين

نتيجة لهول الصدمة التي أصابت المؤمنين، حيث التف عليهم المشركون، لاذ جزء من المسلمين بالفرار، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عتاب هؤلاء في كتابه العزيز وذلك في قوله تعالى: ﴿إن الذين تَوَلَّوْا منكم يوم التقى

(١) الآية ١٦٥ من سورة آل عمران.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧/ ٣٧١.
(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: ما يُكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، ح (٣٠٣٩)، فتح الباري ٦/ ١٦٢، ١٦٣.
وأخرجه في كتاب المغازي، باب: رقم(١٠)، بغير ترجمة، ح (٣٩٨٦)، فتح الباري ٧/ ٣٠٦، وأخرجه في كتاب المغازي، باب: غزوة أُحد، ح (٤٠٤٣)، ٧/ ٣٤٩، وفي باب: قوله تعالى: ﴿والرسولُ يدعوكم في أخراكم﴾، ح (٤٥٦١)، فتح الباري ٨/ ٢٢٧.

الجمعان إنما استزلّهم الشيطانُ ببعض ما كسبوا، ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور رحيم﴾[1].

وسبب فرارهم أنهم سمعوا أن النبي ﷺ قد قُتل فترخّصوا في الفرار، قاله ابن عباس في آخرين[2].

ومن هؤلاء الذين فروا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ فعن عثمان بن موهب، قال: جاء رجل حج البيت، فرأى قوماً جلوساً، فقال: من هؤلاء القعود؟ قالوا: هؤلاء قريش، قال: من الشيخ؟ قالوا: ابن عمر، فأتاه فقال: إني سائلك عن شيء، أتحدثني؟ قال: أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أن عثمان بن عفان فرّ يوم أُحد؟ قال: نعم... قال: فكبر، قال ابن عمر: (تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه، أما فراره يوم أُحد فأشهد أن الله عفا عنه)[3].

وقد ذكر الواقدي ـ رحمه الله ـ أسماء هؤلاء النفر الذين فروا، فقال: (كان

---

(١) الآية ١٥٥ من سورة آل عمران.

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٧/٤٨٣.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ح (٣٦٩٨)، فتح الباري ٧/٥٤.
وأخرجه في كتاب المغازي، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ح(٣٦٩٨)، فتح الباري ٧/٥٤.
وأخرجه في كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿إن الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور رحيم﴾ الآية ١٥٥ من آل عمران، ح (٤٠٦٦)، فتح الباري ٧/٣٦٣.
وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب ابن عمر يعدد فضائل عثمان رضي الله عنه، ح (٣٧٠٩)، سنن الترمذي ٩/٢٩٦.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/١٠١.

ممن ولّى: عمر[1] وعثمان والحارث بن حاطب وثعلبة بن حاطب وسواد بن غُزية وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان وخارجة بن عمرو. . . وأوس بن قيظي في نفر من بني حارثة، بلغوا الشقر[2]، ولقيتهم أم أيمن تحثي في وجوههم التراب، وتقول لبعضهم: هاك المغزل فاغزل به)[3].

(١) قول الواقدي رحمه الله: (إن عمر كان ممن فرّ): قول مجانب للصواب، لما يأتي:
أولاً: أن أحداً من المحدثين وأهل السِّيَر لم يذكر ذلك.
ثانياً: أن عمر هو الذي أجاب أبا سفيان حين سأل: أفيكم محمد؟.
ثالثاً: أن ابن عبد البرّ صرَّح بأن عمر كان من النفر الذين انحازوا إلى رسول الله ﷺ.
انظر: الدرر ص ١٥٠.

(٢) الشُقَر على وزن فُعَلْ: ماء بالربذة عند جبل سنام. انظر المغانم المطابة في معالم طابة ص ٢٠٦، تأليف مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ــ الرياض، ط ١، سنة (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م).

(٣) مغازي الواقدي ١/٢٧٧.

المبحث الرابع
غزوة أُحد في الميزان

تقاس نتيجة أي معركة بالهدف الذي يتحقق منها دون نظرة إلى الخسائر المادية، ويمكن أن تتضح الرؤية السليمة في تقييم هذه المعركة بعد مناقشة الخطة التي أرادت قريش تنفيذها بعد وصولها إلى المدينة، فقد وضعت قريش خطة تقوم على ثلاثة أسس:

* **الأساس الأول: مباغتة المسلمين في المدينة**: كان هدف قريش عند تحركها من مكة هو مباغتة المسلمين واستئصال شأفتهم، وسرعان ما باءت هذه المحاولة بالفشل حين علم الرسول ﷺ بخبر تحركهم وذلك عن طريق العيون، التي كان يستعين بها في مكة، وغيرها، حتى قال أبو سفيان: (أحلف بالله أنهم جاؤوا محمداً وأخبروه بمسيرنا وبعددنا)[1].

وبهذا يظهر أن جزءاً من هذا المخطط العدواني باء بالإخفاق.

* **الأساس الثاني: التخذيل والتفريق بين صفوف المؤمنين**: عمدت قريش إلى تحقيق هذا الهدف، لأنها تعلم أن الوحدة أساس القوة، وحين تصاب أيّ جماعة بالتصدع والفرقة، فسرعان ما تتلاشى وتسهل السيطرة عليها.

وقد قوبلت تلك الخطة بالرفض والمجابهة من جيش المؤمنين، فقد قال ابن إسحاق: (حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة أن أبا عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان كان يَعِدُ قريشاً أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه

---

(١) مغازي الواقدي ١/٢٧٧.

منهم رجلان ثم راضخهم[1] بالحجارة)[2].

* **الأساس الثالث: قتل النبي ﷺ والفتك بكبار الصحابة:** فشلت قريش في تحقيق هذا الهدف فقد عصم الله نبيه ﷺ من كيد أعدائه، وكذلك لم يتحقق لقريش ما أرادت من الفتك بكبار الصحابة، ولقد كان رد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على أبي سفيان خيبة أمل مُنيت بها قريش في إحباط مخططها العدواني.

عن البراء بنْ عازب رضي الله عنه قال: (لقينا المشركين يومئذٍ... وأشرف أبو سفيان، فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قُتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت يا عدوّ الله، أبقى الله عليك ما يخزيك)، زاد زهير: إن الذين عددت لأحياء كلهم[3].

أما إن قريشاً قتلت سبعين رجلاً من المسلمين، فإن هذا العدد يعد قليلاً أمام عدد جيش المسلمين، الذي خاض المعركة، إذ يمثل القتلى ١٠٪ من الجيش، مع أنه ينبغي أن يوضع في الحسبان ذلك الظرف الذي كان يعيشه المسلمون في ذلك اليوم من التفكك والحيرة بسبب إطباق قوات المشركين من كل جهة، حتى إن الواحد منهم كان يقتل أخاه المسلم ولا يدري ماذا يفعل[4].

---

(١) المُراضَخة صيغة مُفاعلة، وهي: المراماة بالسهام، مشتقة من الرَّضخ، وهو الشَّدْخ. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣/١٢.

(٣) الحديث أخرجه البخاري، وقد سبق تخريجه في ص ١٥٢، وهو قطعة من الحديث المذكور آنفاً.

(٤) وذلك كما في قصة اليمان ـ والد حذيفة رضي الله عنهما ـ حينما قتله المسلمون ظناً منهم أنه من المشركين.

ثم هنا أمر في غاية الأهمية، وهو معرفة الطرف الذي أنهى المعركة، لقد كانت قريش ـ وهي المتفوّقة عدداً وعُدّة ـ هي السبب في إنهاء المعركة ويتجلّى هذا في انصراف أبي سفيان بجيش قريش حين سمع معبد الخزاعي، يقول: (محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أرَ مثله قط، يتحرّقون عليكم تحرّقاً قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه في يومكم)[1].

وبهذا يتبين أن ما أصاب المسلمين لا يُعَدّ خسارةً إلى جانب خروج بقية القوات سالمة من أرض المعركة، لذلك لا يوصف ما وقع يوم أُحد للمسلمين بأنه هزيمة كما أن قريشاً لا تعد منتصرة حيث لم يتحقق شيء من الأهداف التي رسمتها.

(١) البداية والنهاية ٤/٤٩.

الفصل الثالث

أحداث غزوة الخندق

المبحث الأول

سبب الغزوة وتاريخها

عندما أخرج النبي ﷺ يهود بني النضير، من المدينة إلى خيبر[1]، امتلأت قلوب اليهود حقداً على النبي ﷺ، كما أن قريشاً قد تجرّعت مرارة الآلام عندما قَتل المؤمنون يوم بدر رجالها بالإضافة إلى أنهم لم يحرزوا يوم أُحد انتصاراً يُذكر، وقد انضم إلى هؤلاء في عداوتهم للنبي ﷺ والمؤمنين بعض القبائل المجاورة للمدينة[2]. فتحالفت تلك الطوائف التي يجمعها الكفر بالله والعداء لدينه، على حرب النبي ﷺ والمؤمنين.

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: (إنه كان من حديث الخندق[3]: أن نفراً من اليهود منهم سلّام بن أبي الحقيق النضري وحُيَيّ بن أخطب

---

(١) خَيْبَر: هي بلد كثير الماء والزرع والنخل، ويبعد (١٦٥) كيلاً عن المدينة من جهة الشمال، وقاعدته بلدة الشريف. وقد فتحها النبي ﷺ سنة سبع للهجرة، وقيل: سنة ثمان، وأقرّ أهلها على الشطر من الثمر والحب. ولما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجلى أهلها إلى الشام وقسم أموالهم بين المسلمين. انظر معجم البلدان ٢ / ٤١٠؛ ومعجم المعالم الجغرافية في السِّيرة النبوية ص ١١٨.

(٢) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ص ٤٣٧: للواء محمد فرج.

(٣) الخندق في اللغة: يُطلق على الوادي وعلى المحفور، والمراد به هنا: الخندق الذي قام النبي ﷺ بحفره بينه وبين جيوش الأحزاب عندما أرادوا الاعتداء على المدينة. وقد كانت الجهة التي تصلح أن يحتشد فيها المشركون: هي الجهة الشمالية الغربية، بين جبل سَلْع وأسفل حرة الوبَرَة المعروفة اليوم بـ«حرة المدينة الغربية»، والجهة الشمالية الشرقية بين سَلْع وحرة واقم، فحفر النبي ﷺ الخندق بين هاتين الحرتين بعمق يصعب على العدو أن يخرج منه لو هبطه، واتساع يصعب على خيل المشركين قفزه. انظر: لسان العرب ١ / ٩٠٩؛ ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ١١٤.

وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري وهوذة بن قيس الوائلي وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم: ﴿ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجِبْت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً* أولئك الذين لعنهم اللَّهُ ومنْ يلعنِ اللَّهُ فلن تجدَ له نصيراً* أم لهم نصيبٌ من المُلْك فإذاً لا يُؤتون الناس نقيراً* أم يحسُدُون الناسَ على ما آتاهم اللَّهُ من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتابَ والحكمةَ وآتيناهم مُلكاً عظيماً* فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه وكفى بجهنم سعيراً﴾[1].

قال: فلما قالوا ذلك لقريش، سرَّهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك، واتّعدوا له، ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان فدَعَوْهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه[2].

فخرج الأحزاب وكانوا ثلاثة عساكر: قريش وغطفان واليهود ومن معهم، بقيادة أبي سفيان بن حرب قاصدين المدينة وكان عدد هذا الجيش عشرة آلاف وكان معهم ثلاثمائة فرس وألف وخمسمائة بعير[3].

---

(١) سورة النساء: الآيات ٥١ ـ ٥٥. (٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٣٠.

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٦٦، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١/ ١١١: للشيخ أحمد بن محمد بن أبي بكر الخطيب القسطلاني، ط الشرقية، سنة (١٣٢٦هـ).

وكتب أبو سفيان إلى النبي ﷺ يخبره أنه قادم إليه في جمع كبير، قال أبو سفيان: (أما بعد: فإنك قتلت أبطالنا وأيتمت الأطفال ورمّلت النسوان، والآن فقد اجتمعت القبائل والعشائر يطلبون قتالك وقلع آثارك، وقد أنفذنا إليك نريد منك نصف نخل المدينة، فإن أجبتنا إلى ذلك وإلا أَبشر بخراب الديار وقلع الآثار.

تجاوَبت القبائل من نزارٍ ... لنصر اللّات[1] في بيت الحرامِ

وأقبلت الضراغمُ[2] من قريش ... على خيلٍ مسوَّمة ضرام[3][4]

ويرى عامة أهل المغازي والسِّيَر أن غزوة الخندق وقعت في شوال سنة خمس للهجرة[5].

---

(١) اللّات: صنم لثقيف بالطائف، كانت صخرة مربعة وعندها يهودي يلتّ السويق، فسميت بذلك، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها. وهو يقع غربي مسجد ابن عباس عن قرب منه. انظر: كتاب الأصنام ص ١٦: لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحقيق الأستاذ أحمد زكي باشا، الطبعة الثانية، سنة (١٣٤٣هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة. وانظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٢٧١.

(٢) الضراغم: جمع ضرغام وهي صفة للأسد، فإذا قالوا: أسد ضرغام، فالمراد به الضاري الشديد المقدام، والذي يقصده الشاعر هنا: الرجال الشجعان، فإما أن يكون المراد تشبيههم بالأسد في هذه الصفة أو أن ذلك أصلاً فيهم.
انظر: لسان العرب ٢/٥٣١.

(٣) ضِرَام: يقال ضرم الفرس في عَدْوه ضرماً فهو: ضارم، واضطرم، وذلك في الإلهاب، ولعل المراد هنا: إقبال الشجعان على خيل شديدة العدو. انظر: لسان العرب ٢/٥٣٢.

(٤) ذكر الدكتور محمد أحمد حميد الله هذا الكتاب نقلاً عن كتاب السِّيرة للطبري مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص ٧٢، دار النفائس، ط ٤، سنة (١٤٠٣هـ).

(٥) انظر مغازي رسول الله ﷺ ص ١٨٤: لعروة بن الزبير بن العوام برواية أبي الأسود الدؤلي عنه، جمعه وحققة وقدم له الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، منشورات مكتب التربية لدول الخليج، سنة (١٤٠١هـ)؛ والسيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٢٩؛ البداية والنهاية ٤/٩٣.

المبحث الثاني

المشاورة في كيفية مواجهة الأحزاب

لمّا بدأت قريش بالتحرك من مكة إلى المدينة جاء وفد من خزاعة إلى النبي ﷺ وأخبروه بذلك. وحينئذٍ جمع رسول الله ﷺ الصحابة وشاورهم في كيفية لقاء هذه الجموع الكثيرة التي لا قبل لهم بها، فأدلى سلمان الفارسي رضي الله عنه برأيه الذي يتضمّن حفر خندق كبير لصدّ عدوان الأحزاب فأُعجب النبي ﷺ بذلك.

قال الواقدي رحمه الله تعالى: (فلما فصلت قريش من مكة إلى المدينة خرج ركب من خزاعة إلى النبي ﷺ فأخبروه بفصول قريش فساروا من مكة إلى المدينة أربعاً، فذلك حين ندب النبي ﷺ الناس وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم في أمرهم... فقال: «أنبرز لهم من المدينة أم نكون فيها ونخندقها علينا؟ أم نكون قريباً ونجعل ظهورنا إلى هذا الجبل؟».

فاختلفوا، فقالت طائفة: نكون مما يلي «بُعاث»[1] إلى ثنية الوداع إلى الجُرْف[2]، فقال قائل: ندع المدينة خلوفاً، فقال سلمان: يا رسول الله: إنا إذا كنا بأرض فارس وتخوّفنا الخيل، خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله أن نخندق؟ فأعجب رأي سلمان المسلمين)[3]، فأخذ رسول الله ﷺ برأيه.

---

(١) بُعَاث: موضع بالمدينة في الشمال الشرقي منها، ويقع الآن في الطرف الغربي الشمالي من نخل العوالي، وقد دارت في هذا المكان حرب بين الأوس والخزرج عُرفت بيوم بُعَاث. انظر: معجم ما استعجم ١/٢٥٩، ٢٦٠؛ ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٤٦، ٤٧.

(٢) الجُرْف: موضع بالمدينة على بعد ٣ أميال منها، ويقع في الجهة الشمالية الغربية، جهة الجامعة الإسلامية، ويرى من جبل سَلْع وقد أصبح الآن من أحياء المدينة المعروفة بهذا الأسم. انظر: معجم المعالم الجغرافية في السِّيرة النبوية ص ٢٨١.

(٣) انظر: مغازي الواقدي ٢/٤٤٤؛ والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٦٦.

المبحث الثالث

حفــر الخــندق

عندما استقر الرأي ـ بعد المشاورة ـ على حفر الخندق، ذهب النبي ﷺ هو وبعض الصحابة لتحديد مكانه.

قال الواقدي: (حدثني أبو بكر بن أبي سبرة، قال: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن جهم، أن رسول الله ﷺ ركب فرساً له ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار، فارتاد موضعاً ينزله فكان أعجب المنازل إليه، أن يجعل سلعاً خلف ظهره[1]، وخط لهم رسول الله ﷺ مكان الخندق.

عن عمرو بن عوف المزني: أن رسول الله ﷺ خط الخندق من أحمر السبختين[2] ـ طرف بني حارثة ـ عام حزَّب الأحزاب، حتى بلغ المداحج[3] فقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً[4].

وقد عمل الرسول ﷺ مع الصحابة في حفر الخندق بهمة عالية تنشيطاً

---

(١) مغازي الواقدي ٢/٤٤٥.

(٢) أحمر السُّبْخَتين: موضع بالمدينة يمين الخندق، وجبل سَلْع المتصل بالمدينة، وقد عمرت الآن السُّبخة، فهي الآن حي حديث جميل. انظر معجم ما استعجم ٣/٧١٧.

(٣) قال السمهودي رحمه الله عند ذكره لهذا الحديث: وأما المداحج فلا ذكر لها في بقاع المدينة. وفاء الوفاء ٢/٢٠٣. وبهذا يتبين أنّ المراد به المذاد وهو طرف من موضع الخندق حيث كان يتذاود فيه المسلمون والكفار، وقيل: المذاد: وادٍ بين سَلْع وخندق المدينة. انظر: معجم البلدان ٥/٨٨؛ ومعجم معالم السيرة النبوية ص ٢٨٥.

(٤) الحديث أخرجه الحاكم في كتاب المناقب، باب مناقب سلمان الفارسي، المستدرك على الصحيحين ٣/٥٩٨، قال الذهبي: سنده ضعيف.
وأخرجه الطبراني في الكبير، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٣٠، قال الهيثمي: فيه عند الطبراني كثير بن عبد الله المزني ضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات. قال الشافعي رحمه الله عنه: ذاك أحد الكذابين أو أحد أركان الكذب، وقال الحاكم: حدَّث عن =

للمسلمين على العمل وترغيباً لهم في الأجر، فأنجزوا حفره في مدة ستة أيام، إذ كانوا يعملون مستعجلين قبل وصول عدوهم[1].

ووقع في أثناء حفر الخندق معجزات من أعلام نبوته ﷺ كتكثير الطعام القليل على يديه، وضربه الكدية[2] بالمعول[3]، حتى صارت رملاً سائلاً.

روى عبد الواحد بن أيمن عن أبيه، قال: (أتيت جابراً ـ رضي الله عنه ـ فقال: إنا يوم الخندق مُحْفِر[4]، فعرضت كدية شديدة، فجاؤوا النبي ﷺ، فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «أنا نازل»، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول، فضرب في الكدية فعاد كثيباً أهيل[5] أو أهيم[6]، فقلت: يا رسول الله، ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعناق[7]، فذبحت العناق وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم بالبرمة[8]، ثم جئت النبي والعجين قد انكسر، والبرمة بين

= أبيه، عن جده نسخة فيها مناكير، وقال ابن عبد البرّ: مجمع على ضعفه. كانت وفاته بين الخمسين ومائة إلى الستين. انظر: تهذيب التهذيب ٨/٤٢١ ـ ٤٢٣.

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٣١؛ ومغازي الواقدي ٢/٤٤٥؛ والطبقات الكبرى ٢/٦٧؛ تاريخ الطبري ٢/٥٦٦.

(٢) الكُدْية: هي صخرة عظيمة صلبة، لا يؤثر فيها ضرب الفأس. انظر: لسان العرب ٣/٢٣٢.

(٣) المِعْوَل: هو الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر، وتتخذ من الحديد الصلب وتجمع على معاول. انظر: لسان العرب ٢/٩٣٣. (٤) مُحْفِر: على وزن مُفْعِل، اسم فاعل من حفر.

(٥) أَهْيَل: أي: رملاً سائلاً. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٢٨٩.

(٦) أَهْيَم: الأهيم من الرمل ما كان تراباً دقاقاً، وقيل: هو التراب أو الرمل الذي لا يتمالك أن يسيل من اليد للينه. انظر لسان العرب ٣/٨٥٨.

(٧) العَنَاق: الأنثى من أولاد المعز، ما لم يتم لها سنة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٣١٠.

(٨) البُرْمَة: هي القِدْر مطلقاً، وجمعها: بِرَام، وهي في الأصل: تتخذ من الحجر المعروف بالحجاز واليمن، وتجمع على: بُرَم، مثل: غرفة وغُرَف. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/١٢١؛ والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/٥١.

الأثـافي[1]، قد كـادت أن تنضج، فقلت: طُعَيم لي، فقم أنت يـا رسـول الله ورجل أو رجلان، قال: كم هو؟ فذكرت له، فقال: «كثيـر طيب»، قال: قـل لهـا لا تنـزع البـرمـة ولا الخبـز من التنـور حتى آتي. فقـال: قـومـوا، فقـام المهـاجرون والأنصـار، فلما دخـل على امرأتـه قال: ويحـكِ جـاء النبـي ﷺ بـالمهاجـرين والأنصار ومن معهم، قـالت: هل سـألك؟ قلت: نعم، فقـال: ادخلوا ولا تضاغطوا[2]، فجعل يكسِّر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنـور إذا أخذ منْه ويقرب إلى أصحـابـه، ثم ينـزع فلم يـزل يكسّـر الخبـز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقيـة، قال: كلي هـذا وأهدي فـإن الناس أصـابتهم مجـاعة)[3].

وأمـر النبـي ﷺ بالـذراري والنسـاء والصبيـان فجُعلوا في حصن خـوفـاً عليهم من كيد الأعداء.

فعن رافـع بن خديـج ـ رضي الله عنه ـ قال: (لم يكن حصن أحصن من حصن بني حارثة، فجعل النبـي ﷺ النساء والصبيان والذراري فيه... وجعل معهم حسان بن ثابت...)[4].

---

(١) الأثـافي: جمع أُثْفِيَّـة، وتخفف الياء في الجمـع، وهي الحجارة التي تنصب ويجعـل القدر عليها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٢٣؛ والقاموس المحيط ٣/١٢٠.

(٢) قال ابن منظور: الضُغط والضُغْطة: عصر شيء إلى شيء، والتضاغط صيغـة مفاعلة، ومعناها: التزاحم. انظـر لسان العرب ٢/٥٣٧.

(٣) الحديث: أخرجه البخاري في كتاب المغازي، بـاب غزوة الخنـدق، وهي الأحزاب، ح (٤١٠١)، فتح الباري ٧/٣٩٥.
وأخرجه مسلم في كتاب الأشربـة، بـاب جـواز استتباعـه غيره إلى دار من يثق بـرضاه بذلك ويتحققه تحققاً تاماً، واستحباب الاجتماع عـلى الطعـام، ح (٢٠٣٨)، صحيـح مسلم ٣/١٦٠٩.
وأخـرجه الـدارمي في المقدمـة، بـاب مـا أكرم بـه النبي ﷺ في بركـة طعـامـه، سنن الدارمي ١/٢٠.

(٤) الحـديث أخرجـه الطبـراني ورجالـه ثقات. انـظـر مجمـع الـزوائـد ومنبـع الفـوائـد ٦/١٣٣.

المبحث الرابع
تتبُّع أخبار بني قريظة

كان النبي ﷺ يخشى أن تنقض بنو قريظة العهد الذي بينهم وبينه، لأن اليهود قوم لا عهد لهم ولا ذمة، ولذلك انتدب النبي ﷺ الزبير بن العوام ليأتيه بأخبارهم.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «من يأتينا بخبر القوم؟» فقال الزبير: أنا، ثم قال: «من يأتينا بخبر القوم؟» فقال الزبير: أنا، ثم قال: «من يأتينا بخبر القوم؟» فقال الزبير: أنا[1].

فذهب الزبير، فنظر ثم رجع فقال: يا رسول الله: رأيتهم يصلحون

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب فضل الطليعة، ح (٢٨٤٦)، فتح الباري ٦/٥٢، وفي باب هل يبعث الطليعة وحده؟، ح (٢٧٤٧)، فتح الباري ٦/٥٣، وأخرجه في باب السير وحده، ح (٢٩٩٧)، فتح الباري ٦/١٣٧، وأخرجه في كتاب فضل الصحابة، باب مناقب الزبير بن العوام، ح (٣٧١٩)، فتح الباري ٧/٧٩، وأخرجه في كتاب المغازي، باب: غزوة الخندق، وهي الأحزاب، ح (٤١١٣)، فتح الباري ٧/٤٠٦، وأخرجه في كتاب أخبار الآحاد، باب بعث النبي ﷺ الزبير طليعة وحده، ح (٧٢٦١)، فتح الباري ٧/٢٣٩.
وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما، ح (٢٤١٥)، صحيح مسلم ٤/١٨٧٩.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/٣٦٥.
وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب فضل أصحاب رسول الله ﷺ فضل الزبير، ح (١٢٢)، سنن ابن ماجه ١/٤٤.

حصونهم ويدرّبون[١] طرقهم، وقد جمعوا ماشيتهم[٢].

ثم أراد ﷺ أن يتحقق من هـذا الأمر، فبعث سعـد بن معـاذ وسعـد بن عبادة وخوات بن جبير وعبد الله بن رواحـة، فقال لهم: انـطلقوا حتى تنـظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً، فـالحنوا لي لحنـاً أعرفـه، ولا تفتّوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهـروا به للناس، فخرجوا حتى أتوهم فـوجدوهم على أخبث مـا بلغهم عنهم، فرجعـوا إلى النبـي ﷺ فـأخبروه بـذلك، وعـظم عند ذلـك البلاء واشتـد الخوف على المؤمنين[٣].

---

(١) يُدَرِّبون طـرقهم: تقول: دربت البـازي على الصّيـد: أي ضرَّبتـه غليه، والمعنى: أنهم يسهلون طــرقهم من أجـل السَّـير إلى المسلمـين، أو أنــه كنى بــذلــك عن الأخــذ بالاستعدادات كافتها لقتال المسلمين. انـظر لسان العرب ١/٩٦٢.

(٢) مغازي الواقدي ٢/٤٥٧.

(٣) انـظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٣١، ٢٣٨.

المبحث الخامس
مفاجأة الأحزاب بالخندق
ومحاصرتهم للمدينة

لمّا وصل جيش الأحزاب إلى المدينة، من جهة جبل أُحد، وقف نفر من قريش على الخندق فرأوه يعترض طريقهم، فصار مفاجأة كبرى لهم، وأُسقط في أيديهم حيث باءت خطتهم بالفشل. وقد اشتد الكرب على المسلمين حين نقض بنو قريظة العهد.

قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ بعد أن ساق قصة نقضهم العهد: (وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظنّ المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط... وحتى قال أوس بن قيظي: يا رسول الله، إن بيوتنا لعورة من العدوّ، وذلك على ملأ من رجال قومه، فَأْذَنْ لنا فلنرجع إلى دارنا فإنها خارجة من المدينة)[1].

وظل الأحزاب يحاصرون المدينة عشرين يوماً ونيفاً دون قتال.

قال ابن إسحاق رحمه الله: (فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون، وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال، إلاّ أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس أخو بني عامر بن لؤي[2] اقتحم هو ونفر معه خيولهم من

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٧٢.

(٢) السيرة النبوية ٣/٢٤٠؛ وانظر الدرر في اختصار المغازي والسِّير ص ١٧٣.

نـاحية ضيقـة من الخندق حتى صـاروا بالسبخـة[1] فبـارزه عليّ فقتله، وبـرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة فقتله الزبير[2].

(١) معنى السَّبْخَـة مضى عند تحديد موقع أحمر السبختين في ص ١٧٣ .
(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١ /١١٣ : للشيـخ أحمد بن محمد بن أبـي بكـر الخطيب القسطلاني، مطبعة السنّة المحمدية، سنة (١٣٦٩هـ).

المبحث السادس
محاولة النبي ﷺ عقد صلح منفرد مع غطفان

لمّا اشتد البلاء والخوف على المؤمنين، فكّر النبي ﷺ في حيلة يفرق بها صفوف الأحزاب، فرأى أن أفضل أسلوب يسلكه هو عقد صلح مع قائدي غطفان، على أن يعطيهما ثلث ثمار المدينة، ويرجعا بمن معهما إلى بلادهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جاء الحارث الغطفاني إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد شاطرنا[1] تمر المدينة، فقال: حتى أستأمر السعود، فبعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة وسعد بن مسعود، فقال: «إني قد علمت أن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وأن الحارث سألكم أن تشاطروه تمر المدينة، فإن أردتم أن تدفعوا عامكم هذا حتى آمركم بعد»، فقالوا: يا رسول الله أَوَحيٌ من السماء فالتسليم لأمر الله؟ أو عن رأيك وهواك فرأينا نتبع هواك ورأيك، فإن كنت إنما تريد الإبقاء علينا فوالله لقد رأيتنا وإياهم على سواء ما ينالون منا تمرة إلاّ شراءً أو قِرىً، فقال رسول الله ﷺ: «هو ذا تسمعون ما يقولون»)[3].

---

(١) المُشاطرة: مشتقة من الشَّطر وهو: نصف الشيء، فعلى هذا يكون المراد ناصفنا ثمر المدينة، كما ورد في الرواية الأخرى. انظر: لسان العرب ٢/٣١٥.

(٢) قرى الضيف قرىً وقراء: أضافه، وتقول قريتُ الضيفَ قِرىً، على وزن قليته قِلىً، إذا أحسنت إليه. انظر: لسان العرب ٣/٨٠.

(٣) الحديث أخرجه الطبراني والبزار، وفي رجالها محمد بن عمرو وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ٦/١٣٣؛ وكشف الأستار عن زوائد البزار ٢/٣٣١، ٣٣٢. وأخرجه ابن أبي شيبة بنحو هذا اللفظ عن أبي معشر. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ٤/٤٢٠: للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق أحمد مختار الندوي، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٣هـ).

وكان قد جرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة[1] في ذلك، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة ومحا ما فيها من الكتاب وقال: ليجهدوا[2] علينا[3].

---

(١) المُراوضة: صيغة مفاعلة، وهي في الأصل تُطلق على ما يجري بين المتبايعين من الزيادة والنقصان كأن كل واحد منها يرّوض صاحبه، مأخوذ من رياضة الدابة، وتطلق كذلك على المداولة التي تكون بين طرفين في أمر من الأمور، ما لم تصل إلى العزم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٢٧٦؛ لسان العرب ١/١٢٥٥.

(٢) يقال: جَهِدَ القوم في الشيء، أي جدّوا فيه وبالغوا، وعلى هذا يكون معنى قول سعد: ليجهدوا علينا، أي ليبذلوا أقصى غايتهم في حربنا، وهذا دليل على عدم اهتمام سعد رضي الله عنه بما يكيده هؤلاء الأعداء للمسلمين. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٣١٩؛ ولسان العرب ١/٥٢٠.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٢/٥٧٣.

المبحث السابع
التخذيل بين الأعداء

عندما اشتد حصار الأحزاب وتحرّج موقف المؤمنين، جاء نُعيم بن مسعود الغَطَفاني فأبدى استعداده لمساعدة الرسول ﷺ بما يكفل مصلحة المسلمين ويدفع كيد الأحزاب.

قال نُعيم رضي الله عنه: (فلما سارت الأحزاب إلى رسول الله ﷺ سرتُ مع قومي وأنا على ديني، وقد كان رسول الله ﷺ عارفاً، فأقامت الأحزاب ما أقامت... وقذف الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في قلبي الإسلام، وكتمت قومي إسلامي، فأخرج حتى آتي رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء، وأجده يصلي فلما رآني جلس، ثم قال: «ما جاء بك يا نعيم؟» قلت: إني جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق، فمُرْني بما شئت يا رسول الله، فوالله لا تأمرني بأمر إلاّ مضيت له، قومي لا يعلمون بإسلامي ولا غيرهم. قال: «ما استطعت أن تخذِّل الناس فخذِّل»، قال: قلت: أفعل، ولكن يا رسول الله، أقول، فأذن لي، قال: «قل ما بدا لك، فأنت في حلّ»[1].

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً[2]، في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم وُدّي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتّهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان

---

(١) مغازي الواقدي ٢/٤٨١.

(٢) النَّديم: هو الذي يرافق المرء ويشاربه ويقال: المنادمة مقلوبة من المدامنة، لأنه يدمن شرب الشراب مع نديمه. انظر لسان العرب ٣/٦٠٩.

ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون أن تحولوا منه إلى غيره، إن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نُهْزةً[1] أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخَلُّوْا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقةً لكم على أن تقاتلوا محمداً حتى تناجزوه، فقالوا له: لقد أشرت بالرأي.

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم وُدّي لكم وفراقي محمداً، وأنه قد بلغني أمر قد رأيت عَلَيَّ حقاً أن أُبْلِغَكُموه نصحاً لكم، فاكتموا عني، قالوا: نفعل.

قال: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم، فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم، حتى نستأصلهم، فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعثَتْ إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إليّ ولا أراكم تتهمونني، قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتّهم، قال: فاكتموا عني، قالوا: نفعل، فما أمرك؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم.[2].

---

(١) النُّهْزة على وزن فُعْلة: اسم للشيء الذي هو معرض للإنسان كالغنيمة، والنُّهزة أيضاً: هي الفرصة التي يجدها الإنسان من صاحبه أو عدوّه. انظر: لسان العرب ٣/٧٢٩.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٤٧، ٢٤٨.

وقد نجحت خطة نعيم في تفريق جموع الأحزاب، حيث ثبّط قوماً عن قوم وأوقع بينهم شراً، فكان كل حزب منهم يرى أنه ينصح له، فاختلفت كلمتهم واستوحش كل حزب من صاحبه)[1].

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٦٩؛ ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٣/٤٠٤، ٤٠٥ لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه الدكتور عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية بيروت؛ والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١/١١٣.

المبحث الثامن

نصر الله للمؤمنين بالملائكة والريح

أمدّ الله نبيه محمداً ﷺ والمؤمنين بجند من الملائكة والريح، وقد امتنّ الله على عباده المؤمنين بهذه النعمة فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تَرَوها وكان الله بما تعملون بصيراً﴾[1].

قال القرطبي رحمه الله تعالى: (وكانت هذه الريح معجزة للنبي ﷺ لأن النبي ﷺوالمسلمين كانوا قريباً منها، لم يكن بينهم وبينها إلاّ عرض الخندق، وكانوا في عافية منها، ولا خبر عندهم بها... وبعث الله تعالى عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد وقطّعت أطناب الفساطيط[2]، وأطفأت النيران وأكفأت القدور وجالت الخيول بعضها في بعض، وأرسل الله عليهم الرعب وكثر تكبير الملائكة في جوانب العسكر حتى كان سيد كل خباء يقول: يا بني فلان هلم إليَّ، فإذا اجتمعوا قال لهم: النجاءَ النجاءَ، لما بعث الله عليهم من الرعب)[3].

وقد صور حذيفة رضي الله عنه ذلك الظرف الذي كان يعيشه المسلمون تصويراً دقيقاً: عن عبد العزيز ـ ابن أخي حذيفة ـ قال: (ذكر حذيفة مشاهدهم مع رسول الله ﷺ فقال جلساؤه: أما والله لو كنا شهدنا ذلك لكنا

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٩.

(٢) الفساطيط: جمع فسطاط، وهي: نوع من الأبنية يتخذ في السفر وهو دون السرادق. انظر لسان العرب ٢/١٠٩٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٤/١٤٤.

فعلنا وفعلنا، ، فقال حذيفة: لا تمنَّوْا ذلك، لقد رأيتُنا ليلة الأحزاب ونحن صافُّون قعود، وأبو سفيان ومن معه فوقنا، وقريظة اليهود أسفل منا، نخافهم على ذرارينا وما أتت علينا ليلةٌ قطّ أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها، في أصوات ريحها أمثال الصواعق، وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه)[1].

---

(١) هذا الأثر أخرجه البيهقي في جماع أبواب مغازي رسول الله ﷺ، باب إرسال رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان ٣/٤٥١، ٤٥٢، ونقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية ٤/١١٤، ١١٥.

المبحث التاسع

تحرّي انصــراف الأحزاب

عنـدما علم النبـي ﷺ بنبـأ تفرّق الأحـزاب، أرسل حـذيفـة بن اليمـان ـ رضي الله عنه ـ ليتوثق من ذلك، ويأتيه بخبرهم. عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال: (كنا عند حذيفة فقـال رجل: لـو أدركتُ رسول الله ﷺ قـاتلتُ معه وأبليت، فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريـح شديـدة، وقرّ، فقـال رسول الله ﷺ: «ألا رجـل يأتينـا بخبـر القوم، جعله الله معي يـوم القيامـة»، فسكتنا، فلم يجبـه منا أحـد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة»، فسكتنا فلم يجبـه منا أحد، ثم قال: «ألا رجل يـأتينا بخبـر القوم جعله الله معي يـوم القيامـة»، فسكتنا فلم يجبه منا أحد. فقال: «قم يا حذيفة فـأتنا بخبـر القوم»، فلم أجـد بُدّاً إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: «اذهب فأتني بخبـر القوم ولا تـذعرهم[1] عليّ»، فلما ولّيت من عنده، جعلت كأني أمشي في حمام[2]، حتى أتيتهم)[3].

---

(١) الذُّعْر: هو الفزع، والمعنى لا تعلمهم بنفسك، وامش في خفية لئلا ينفروا منك ويقبلوا عليّ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/١٦١؛ ومجمع بحـار الأنوار في غـريب التنـزيل ولـطائف الأخبـار ٢/٢٣٥: للشيـخ محمـد طـاهـر الصـدّيقي الهنـدي الفتّني الكجراتي، ط مـطبعـة مجلس دائـرة العثمـانيـة بحيـدر آبــاد الـدكـن ـ الهنـد، سنـة (١٣٩١هـ).

(٢) في حمام: أي أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس ولا من الريـح الشديدة شيئاً، بل عـافاه الله من ذلك ببركة إجابته للنبـي ﷺ، واستمر ذلك اللطف به ومعـافاتـه من البرد حتى عـاد إلى النبـي ﷺ، فلما عاد ووصـل إليه عـاد إليه البـرد الذي يجـده الناس. انـظر صحيـح مسلم ٣/١٤١٥.

(٣) الحـديث أخـرجــه مسلم في كتـاب الجهــاد والسِّيَر، بــاب: غــزوة الأحــزاب، =

(. . . فوجدت أبا سفيان يوقد النار في عصبة حوله، وقد تفرق الأحزاب عنه، فجئت حتى أجلس فيهم فحسَّ أبو سفيان أنه قد دخل فيهم من غيرهم، فقال: ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه، قال: فضربت بيدي على الذي عن يميني، فأخذت بيده، ثم ضربت على الذي عن يساري فأخذت بيده، فلبثت فيهم هُنيهة ثم قمت فأتيت النبي ﷺ وهو قائم يصلي فأومأ لي أن ادن، فدنوت حتى أرسل علي من الثوب الذي كان عليه، ليدفئني، فلما فرغ من صلاته، قال: «يا ابن اليمان، اقعد ما خبر الناس»؟ فقلت: يا رسول الله، تفرق الناس عن أبي سفيان فلم يبقَ إلّافي عصبة توقد النار، وقد صبَّ الله تبارك وتعالى عليهم من البرد الذي صبّ علينا، ولكنا نرجو من الله ما لا يرجون)[1].

ح (١٧٨٨)، صحيح مسلم ٣/١٤١٤.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٣٩٢.

(١) الحديث أخرجه البزار، قال الهيثمي: ورجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٣٦.
وأخرجه البيهقي في كتاب أبواب مغازي رسول الله ﷺ، في باب إرسال حذيفة بن اليمان إلى معسكر المشركين. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٣/٤٥١.
وأخرجه الحاكم في كتاب المغازي، باب إرسال النبي ﷺ حذيفة بن اليمان لتفتيش حال العدو. المستدرك على الصحيحين ٣/٣١. قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.
وأورده ابن حجر في باب: غزوة الأحزاب، ثم قال: هذا حديث حسن. قال البزار عن هذا الحديث ـ لما أخرجه من طريق يوسف ـ: هذا لا يُروى عن بلال عن حذيفة، إلّا بهذا الإسناد.
قال البوصيري: رواه ابن أبي شيبة والبزار وأصله في الصحيحين وفي هذا زيادة ظاهرة. انظر المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٤/٢٢٧. قلت: (والله أعلم): الصواب أنه ورد في صحيح مسلم، وقد سبق ذكره قريباً في ص ١٨٧.

المبحث العاشر
نهايـة الغـزوة

لمّا أرسل الله سبحانه وتعالى الريح والملائكة على الأحزاب، وأنزل الرعب في قلوبهم، قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدارِ مقام، لقد هلك الكراع[1] والخُف[2] وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جَمَله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فوالله ما أطلق عقاله إلّا وهو قائم.

وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم[3].

ولما أصبح النبي ﷺ وقد ذهب الأحزاب، رجع إلى المدينة ووضع المسلمون السلاح[4].

وقد ذكر الله ذلك في قوله تعالى: ﴿وردّ اللهُ الذين كفروا بغَيْظِهم لم

---

(١) الكُراع: مستدق الساق العاري من اللحم، والكراع من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الخيل والإبل والحمر، وذكر الكراع في هذا الموضع من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، وهذا من أنواع البلاغة. انظر لسان العرب ٣/٢٤٥.

(٢) الخُفّ: هو مجمع فرسن البعير والناقة، وهو للإبل كالحافر للفرس، ويُجمع على خِفاف، والمراد بها هنا: الإبل، وهو من إطلاق الجزء وإرادة الكل. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٥٥؛ ولسان العرب ١/٨٦٨.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٥١؛ ومغازي الواقدي ٢/٤٩٠؛ والسيرة الحلبية ٢/١٠١.

(٤) الدرر في اختصار المغازي والسِّيَر ص ١٧٧.

ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾[1].

وكان عدد من استشهد من المسلمين ثمانية رجال، وقُتِلَ من المشركين يومئذٍ أربعة نفر[2].

(١) الآية ٢٥ من سورة الأحزاب.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٧٣؛ وغزوة الأحزاب ص ٢٧٣ للشيخ محمد أحمد باشميل، الطبعة الرابعة، سنة (١٣٩٣هـ)، دار الفكر.

المبحث الحادي عشر

تصوير القرآن لأحداث الغزوة

صَوَّر القرآن الكريم أحداث هذه الغزوة في سورة الأحزاب ويتجلى هذا التصوير فيما يأتي:

أولاً: الامتنان على المؤمنين بذكر نعم الله عليهم حيث توالى المدد الإلهي فكان سبباً في تفرق الأحزاب: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تَرَوها، وكان الله بما تعلمون بصيراً﴾[1].

ثانياً: أن الكفار ــ على اختلاف طوائفهم وقبائلهم من يهود وقريش وغطفان ــ قد تحزبوا في جموع كثيرة وزحفوا على المدينة حيث أحاطوا بالمسلمين من جميع الجهات، ونتيجة لذلك أصاب المؤمنين كربٌ شديد، حتى بلغت القلوب الحناجر وزلزلوا زلزالاً شديداً نتيجة للفزع الذي استولى عليهم: ﴿إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفَلَ منكم وإذ زاغت الأبصارُ وبلغتِ القلوبُ الحناجر وتظُنّون بالله الظنونا * هنالك ابتُلي المؤمنون وزُلزلوا زلزالاً شديداً﴾[2].

ثالثاً: أن المنافقين ومرضى القلوب، أظهروا جزعاً شديداً واستغلوا هذا الظرف العصيب الذي يعيشه المؤمنون وذلك بإطالة ألسنتهم بالدسائس وتثبيط المؤمنين عن الجهاد، زاعمين أن الله ورسوله لم يعدهم إلا غروراً، كما هتف

(١) سورة الأحزاب: آية ٩ .
(٢) سورة الأحزاب: الآيتان ١٠ ــ ١١ .

بعضهم بأهل المدينة أن يرجعوا لحماية بيوتهم بحجة أنها مكشوفة للعدو، وحقيقة الأمر أنهم إنما كانوا يريدون الفرار من الجهاد، إذ كانوا يتوقعون أن ينزل الشر بالمؤمنين في أية لحظة.

كما كشف كتاب الله ـ أيضاً ـ عن بعض أوصاف هؤلاء المنافقين القبيحة من نقض العهد والشُّح والحرص على متاع الدنيا والجبن عن قتال الأعداء: ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً * وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مُقامَ لكم فارجعوا ويستأذِنُ فريقٌ منهم النبيَّ يقولون إنَّ بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً * ولو دُخِلَتْ عليهم من أقطارها ثم سُئلوا الفتنة لَآتوها وما تَلَبَّثوا بها إلا يسيراً * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبلُ لا يُوَلّون الأدبار وكان عهدُ الله مسئولاً * قُل لن ينفعَكم الفِرَارُ إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تُمتّعون إلاّ قليلاً * قل من يَعْصِمُكُم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً * قد يعلمُ اللهُ المعوِّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً * أشِحَةً عليكم فإذا جاء الخوف رأيتَهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنةٍ حِدادٍ أشحةً على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً * يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً * لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة لمن كان يرجو اللهَ واليومَ الآخر وذكر اللهَ كثيراً﴾[1].

رابعاً: أن المؤمنين المخلصين ازدادوا بهذه المصائب إيماناً وتسليماً لله سبحانه وتعالى فصبروا وأيقنوا أن الفرج مع الكرب ولم تتبدّل مواقفهم من النبي ﷺ، من حيث النصرة والتأييد، وتضمن هذا المقطع ـ أيضاً ـ بيان

---

(١) سورة الأحزاب: الآيات ١٢ ـ ٢١.

جزاء المؤمنين الصادقين والمنافقين الكاذبين: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا اللهُ ورسُوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً * من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا اللَّهَ عليه فمنهم من قضى نحبَهُ ومنهم من ينتظِرُ وما بدّلوا تبديلاً * ليجزي اللهُ الصادقين بصدقهم ويعذِّبَ المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن اللهَ كان غفوراً رحيماً﴾[1].

خامساً: بيان نهاية الأحزاب وهو رجوعهم إلى بلادهم دون أن يتحقق لهم ما أرادوا من المؤمنين. وفيه ـ أيضاً ـ إشارة إلى سلامة المؤمنين من كيد أعدائهم الذين يتربصون بهم الدوائر[2]: ﴿وردّ اللهُ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتالَ وكان الله قوياً عزيزاً﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب: الآيات ٢٢ ـ ٢٤.

(٢) انظر سيرة الرسول ٢/٣٤٣: للشيخ محمد عزة دروزة، ط ٢، سنة (١٣٨٤هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٣) سورة الأحزاب: آية ٢٥.



الفَصْلُ الرَّابِعُ

أَحْدَاثُ غَـزْوَةِ الحُدَيبِيَةِ

المبحث الأول

سببهـا وتاريخهـا

المطلب الأول

سببـهـا

أن الرسول ﷺ خرج معتمراً لا يريد حرباً وساق معه الهدي[1].

وقد كان ﷺ رأى في المنام أنه دخل البيت الحرام وحلق رأسه وأخذ مفتاح الكعبة، فصدّق الله سبحانه وتعالى رؤياه[2]. قال تعالى: ﴿لقد صَدَقَ اللَّهُ رسولَه الرؤيا بالحق لتدخُلُنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلِّقين رؤوسكم ومقصِّرين لا تخافون فعَلِمَ ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾[3].

قال العلاّمة الشوكاني رحمه الله: (قال المفسرون: إن الله سبحانه وتعالى أرى نبيه ﷺ في المدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية[4] كأنه

---

(١) انظر مغازي عروة بن الزبير ص ١٩٢؛ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٠٨: لعبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، منشورات محمد الداية، ط دار الفكر.

(٢) انظر السيرة الحلبية ٢/٦٨٨؛ والرحيق المختوم ص ٣٧٨: للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، ط ١، سنة(١٤٠٠هـ)، مكة المكرمة.

(٣) الآية ٢٧ من سورة الفتح.

(٤) الحُدَيْبِيَة: اسم لقرية قريبة من مكة، سميت ببئر عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ الصحابة تحتها، وتعرف اليوم باسم الشميسي (بالتصغير)، وتقع غرب =

هو وأصحابه حلقوا وقصروا، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنهم سيدخلون مكة عامهم ذلك[1]. فلما رجعوا من الحديبية ولم يدخلوا مكة قال المنافقون: والله ما حلقنا ولا قصّرنا ولا دخلنا المسجد الحرام، فأنزل الله هذه الآية[2].

المطلب الثاني

تـــاريخـــهـــا

خرج النبي ﷺ في مستهل شهر ذي القعدة سنة ست للهجرة قاصداً العمرة[3]. فعن قتادة رضي الله عنه قال: سألت أنساً رضي الله عنه كم اعتمر النبي ﷺ؟ قال: أربع عمرة الحديبية في ذي القعدة حيث صدَّه المشركون، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة حيث صالحهم، وعمرة

= مكة خارجة عن حدود الحرم بينها وبين المسجد الحرام قرابة ٢٢ كيلاً. انظر: معجم ما استعجم ١/ ٤٣٠؛ ومعجم معالم الحجاز ٢/ ٢٤٦، ٢٤٧.

(١) مما يدل على كلام الشوكاني قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه للرسول ﷺ: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال: قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوِّف به؟ أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ح (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، فتح الباري ٥/ ٣٢٩.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٣٢٨ وما بعدها.

(٢) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٥/ ٥٥ للشيخ محمد بن علي الشوكاني، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. وانظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٦/ ١٠٧؛ وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٠١؛ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠؛ والدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦/ ٨٠ للإمام جلال الدين السيوطي، نشر مؤسسة الرسالة؛ والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٣/ ٥٤٩: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت، لبنان.

(٣) انظر مغازي رسول الله ﷺ ص ١٩٢ لعروة بن الزبير؛ والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٩٥؛ والدرر في اختصار المغازي والسِّيَر ص ١٩١؛ والبداية والنهاية ٤/ ٦٤؛ وفتح الباري ٣/ ٦٠٠.

الجِعْرانة[1] إذ قسم غنيمةَ ــ أُراه ــ حُنَينٍ، قلت: كم حج؟ قال: واحدة[2].

وفي رواية: اعتمر النبي ﷺ حيث ردُّوه، ومن القابل عمرة الحديبية، وعمرة في ذي القعدة، وعمرة مع حجته[3].

وعن نافع ــ مولى ابن عمر ــ رضي الله عنه قال: كانت الحديبية سنة ست بعد مقدم النبي ﷺ المدينةَ في ذي القعدة[4].

وقد أجمع المسلمون على ذلك، قال ابن كثير: وكانت الحديبية في ذي القعدة سنة ست بلا خلاف[5].

---

(١) الجِعْرانة ــ بإسكان العين وتخفيف الراء ــ هي ماء يقع شمال شرق مكة على بُعد (٢٩) كيلاً في صدر وادي سرف وهي أحد مواقيت الإحرام.
وقد اعتمر النبي ﷺ منها بعد غزوة الطائف. انظر: معجم البلدا ١٤٢/٢؛ ومعجم معالم الحجاز ١٥١/٢.

(٢) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب العمرة، باب: كم اعتمر النبي ﷺ، ح (١٧٧٨)، وبنحوه ح (١٧٧٩، ١٧٨٠، ١٧٨١)، فتح الباري ٦٠٠/٣.
وأخرجه في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح (٤١٤٨)، فتح الباري ٤٣٩/٧.
وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب عدد عُمَر النبي ﷺ وزمانهن، ح (١٢٥٣)، صحيح مسلم ٩١٦/٢.
وأخرجه أبو داود في كتاب المناسك الحج، باب العمرة، ح (١٩٩٤)، سنن أبي داود ٥٠٦/٢.
وأخرجه الترمذي في كتاب الحج، باب: ما جاء كم حَجَّ النبيُّ ﷺ، ح (٨١٥)، سنن الترمذي ١٦٣/٣.
وأخرجه الدارمي في كتاب المناسك، باب في حَجِّ النبيِّ ﷺ حجةً واحدةً، سنن الدارمي ٢٩/٢.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب العمرة، باب كم اعتمر النبيّ ﷺ، ح (١٧٨٠)، فتح الباري ٦٠٠/٣.

(٤) هذا الأثر أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٩١/٤.

(٥) البداية والنهاية ١٦٤/٤؛ وانظر التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ٩/٤ للشيخ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بتصحيح السَّيِّد عبد الله هاشم اليماني، شركة الطباعة الفنية المتحدة، سنة (١٣٨٤هـ).

المبحث الثاني
أهداف الطرفين وقواتهما

المطلب الأول
أهـداف الطـرفـين

كان هدف المسلمين من الخروج هو أداء العمرة وزيارة البيت الحـرام، أما المشركون فكان هـدفهم من الخروج هـو صدّ رسـول الله ﷺ ومن معه عن دخول مكة في ذلك العام، والدليل على ذلك قول بُدَيْل بن ورقاء للنبـي ﷺ: إني تـركت كعب بن لؤيّ وعامـر بن لؤيّ نزلـوا أعداد ميـاه الحديبيـة، ومعهم العوذ المطافيل[1]، وهـم مقاتلوك وصادوك عن البيت[2].

---

(١) العوذ المطافيل: العوذ الحديثات النتاج، من الظباء والإبل والخيل، واحدتها عائـذ مثل: حائل وحول، ويُجمع ـ أيضاً ـ على عوذان، مثل: راع ورعيان، ويريد بالعوذ المطافيل هنـا: النساء والصبيـان لإرادة طول المقـام وليكون أدعى إلى عـدم الفرار، وقـد يكون المراد بالمطافيل: الأمهات التي معها أطفالها، ومراده: أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه. انظر: لسـان العرب ٢/٩٢٤؛ والفتح الـرباني لترتيب مسند الإمـام أحمد بن حنبـل الشيباني ٢١/٩٧: للشيـخ أحمـد بن عبد الـرحمٰن البنا، ط دار الشهاب بالقاهرة.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه في ص ١٩٦، وهو جزء من الحديث المذكور هناك. وانـظر في هذا الموضوع أيضاً: السـيرة النبوية لابن هشـام ٣/٣٥٦؛ والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٩٥؛ وتـاريـخ الطبـري ٢/٦٢٢؛ والدرر في اختصـار المغازي والسِّـيَر ص ١٩٢؛ وإمتـاع الأسماع بمـا للرسول من الأبنـاء والأمـوال والحفـدة والمتـاع ١/٢٧٨: للشيـخ أحمـد بن علي المقـريزي، صححـه وشرحـه محمود محمـد شاكـر، مطبعـة لجنة التـأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.

المطلب الثاني
قـوات الطـرفـين

ذكر ابن إسحاق رحمه الله أن النبيّ ﷺ لما أراد الخروج إلى الحديبية (استنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب، ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ومن لحق به من العرب)(١).

وكان عدد من خرج في هذه الغزوة ألفاً وأربعمائة.

عن جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنهما ــ قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض»، وكنا ألفاً وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة(٢).

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٣٥٥، ٣٥٦.

(٢) الحديث: أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح (١٤٥٤)، فتح الباري ٧/٤٤٣، وأخرجه في كتاب السِّيَر، باب قوله تعالى: ﴿إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾، ح (٤٨٤١)، فتح الباري ٨/٥٨٧.
وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة، ح (٧١)، صحيح مسلم ٣/١٨٨٤.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده بنحو هذا اللفظ ٣/٣٠٨.
وأخرجه البيهقي في جماع أبواب مغازي رسول الله ﷺ، باب عدد من كان مع النبي ﷺ بالحديبية، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٤/٩٧.

المبحث الثالث

تحرك النبي ﷺ إلى مكة

عندما عزم النبي ﷺ على المسير إلى مكة ساق معه الهدي ليعلم قريشاً أنه جاء معتمراً، ولم يجيء لقتال أحد، وقد ساق البخاري رحمه الله خبر توجهه إلى مكة: فعن المسور بن مخرمة ومروان ـ يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ـ قالا: (خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: «إن خالد بن الوليد بالغميم[1]، في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين»، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنيّة التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حلّ حلّ، فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»، ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلاّ أعطيتهم إياها»، ثم زجرها فوثبت، قال: فعدل عنهم، حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد[2] قليل الماء يتبرّضه[3] الناس تبرّضاً، فلم يُلَبِّثه الناس حتى نزحوه، وشُكي إلى

---

(١) الغَمِيم: هو وادٍ أمام عُسْفَان بثمانية أميال، ويقع بالقرب منه جبل أسود يسمى الكُرَاع، فأُضيف إليه فقيل: كُرَاع الغَمِيم. ويعرف اليوم ببرقاءْ الغَمِيم، وهو طرف من حرة ضجنان، يمتد شمالاً غربياً بين شامية ابن حمادي والصغو، على بعد (١٦) كيلًا، من عُسْفَان على طريق مكة. انظر: معجم البلدان ٤/٤٤٣؛ ومعجم معالم الحجاز ٦/٢٦٥، ٧/٢١٣.

(٢) الثَّمَد: الماء القليل الذي لا مادَّ له. انظر لسان العرب ١/٣٧٢.

(٣) معنى يتبرضه: أي: كلما اجتمع منه شيء قليل غرفه. انظر لسان العرب ١/١٩٥.

رسول الله ﷺ فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالريّ حتى صدروا عنه)[1].

وروى الإمام أحمد في مسنده، عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، قالا: خرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعسفان[2] لقيه بشر بن سفيان الكعبي، فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله ألا تدخلها عليها عنوةً أبداً، فقال رسول الله ﷺ: «يا ويح[3] قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خَلُّوا بيني وبين سائر الناس؟ فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وهم وافرون[4]، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فماذا تظن قريش؟ والله إني لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله له أو تنفردَ هذه السالفة»[5].

---

(١) الحديث سبق تخريجه في ص ١٩٦.

(٢) عُسفان: بلدة على بعد ٨٠ كيلاً من مكة شمالاً على طريق المدينة، وهي مجمع ثلاثة طرق مسفلتة: طريق إلى المدينة وقبيله إلى مكة وثالث إلى جدة. انظر معجم البلدان ٤/١٢١، ١٢٢؛ ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٢٠٨.

(٣) يا ويح: كلمة ترحّم وتوجّع، وقد تطلق ويراد بها المدح والعجب، وذكر الليث أنها رحمة لمن تنزل به بلية. انظر: لسان العرب ٣/٩٩٦.

(٤) وافرون: جمع وافر، وهو الذي لم ينقص منه شيء ويراد بها أحد معنيين:
الأول: أن حقوقهم إذا دخلوا في الإسلام لا تنقص.
الثاني: رعاية حرماتهم إذا أسلموا. انظر: لسان العرب ٣/٩٥٨.

(٥) الحديث: أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/٣٢٨، والفتح الرباني ٢١/٩٥، بهذا اللفظ. وله أصل فيما رواه البخاري في صحيحه، انظر: ح (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، فتح الباري ٥/٣٢٩، ٣٣٠، ولكن الإمام أحمد انفرد ببعض الألفاظ دون البخاري.
وأخرجه أيضاً النسائي في كتاب السِّير، باب توجيه عين واحدة (السنن الكبرى للنسائي مخطوط، انظر: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ٨/٣٦٨٦، ١٤/٤١٤).
سند هذا الحديث: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق عن معمر، قال الزهري: أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، ورجال هذا السند كلهم ثقات، وقد أخرج لهم البخاري في صحيحه. انظر: الفتح الرباني ٢١/٩٥.

المبحث الرابع
خروج قريش إلى «بلدح»

لمّا علمت قريش ببدء تحرّك النبي ﷺ إلى مكة، أجمعت العزم على صده عن هدفه.

فعن عروة بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ قال: (وخرجت قريش من مكة فسبقوه إلى «بلدح»[1] وإلى الماء فنزلوا عليه)[2].

وعندما وصل النبي ﷺ إلى «عُسْفَان» جاءه بشر بن سفيان الخزاعي، وأخبره بخروج قريش واستعدادها لصده عن دخول البيت الحرام[3].

وحينئذٍ شاور النبي أصحابه كعادته في الميل إلى عيال هؤلاء الأعداء وذراريهم، فقال: «أشيروا عليَّ أيها الناس، أتروْن أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدُّونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلاّ تركناهم محروبين»[4]، قال أبو بكر:

---

(١) بلدح: واد قبل مكة من جهة الغرب وهو المعروف باسم وادي فتح عند الشهداء، وهي قرية اتصلت في هذا الزمن بمكة المكرمة. انظر: معجم البلدان ١/٤٨٠؛ معجم معالم الحجاز ١/٢٥١.

(٢) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٤/١١٢.

(٣) انظر إخبار بشر للنبي ﷺ في مبحث التحرك إلى مكة ص ٢٠١.
الذي رواه الإمام أحمد.

(٤) محروبين؛ الحَرَب ـ بفتح الحاء والراء ـ هو: نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له، ومعنى محروبين: أي مسلوبين منهوبين. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٣٥٨؛ ولسان العرب ١/٥٩٥.

(يا رسول الله، خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فمن صدّنا عنه قاتلناه، قال: «امضوا على اسم الله»)[1].

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح (٤١٧٨، ٤١٧٩)، فتح الباري ٤٥٣/٧.
وأخرجه أحمد في مسنده بنحو هذا اللفظ ٣٢٨/٤.

المبحث الخامس
تبادل السفراء بين الطرفين

حين وصل النبي ﷺ إلى الحديبية، واطمأن بها، تبادل المسلمون مع المشركين السفراء، لتوضيح الغرض الذي خرج المسلمون من أجله.

المطلب الأول
سفراء قريش إلى النبي ﷺ

بعثت قريش أربعة سفراء وذلك لمعرفة الهدف الذي جاء الرسول ﷺ من أجله. وقد روى البخاري رحمه الله في صحيحه خبر ذهاب هؤلاء السفراء الأربعة إلى النبي ﷺ وهم:

* **الأول: بديل بن ورقاء،** وقد جاء وأخبر النبي ﷺ، على سبيل النصح، عن قريش وما هي عليه من الاستعداد لحرب الرسول ﷺ[1].

* **الثاني: عروة بن مسعود،** وقد ذهب إلى النبي ﷺ وعاد فأخبر قومه بهدفه ﷺ.

قال البخاري: (... فقام عروة بن مسعود فقال: أيْ قوم، ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عُكاظ[2]، فلما

---

(١) انظر: إخبار بديل بن ورقاء للنبي ﷺ في مبحث أهداف الطرفين، من رواية البخاري ص ١٩٨.

(٢) عُكَاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، كانت قبائل العرب تجتمع به في كل سنة فيتفاخرون ويحضرها شعراؤهم، ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون، ويقع عكاظ في شمال الطائف، على قرابة ٣٥ كيلًا في أسفل وادي شرب، وهو على =

بلحوا[1] علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإنّ هذا عَرَض عليكم خطة رشد فاقبلوها، ودعوني آته، قالوا: ائته، فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل[2]، فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإنني واللهِ لا أرى وجوهاً، وإني لأرى أشواباً[3] من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك. فقال أبو بكر: امصص بظر[4] اللّات، أنحن نفرُّ عنه وندعه؟!)[5]. وقد عاد عروة إلى أصحابه فنصحهم، ثمّ انصرف هو ومن اتبعه إلى الطائف[6].

* **الثالث: الحُليس بن علقمة**، قال البخاري رحمه الله: (فقال رجل من بني كنانة، دعوني آته، فقالوا ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان، وهو من قوم يعظِّمون البُدْن، فابعثوها له»، فبعثت له واستقبله الناس يلبُّون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء

= وجه التقريب يقع في الجهة الشرقية الشمالية من بلدة «الحَوِيَّة». انظر: معجم البلدان ٤/١٤٢؛ ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٢١٥.

(١) بلحوا علي: أي أَبَوْا، كأنهم أعيوا عن الخروج معه وإعانته. انظر لسان العرب ١/٢٥٤.

(٢) انظر قول بديل في مبحث أهداف الطرفين، ص ١٩٨.

(٣) أشواباً من الناس: أي أخلاطاً من قبائل شتى، انظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ٣/٣٦١.

(٤) البُظر: ما تقطعه الخافضة من بضع المرأة عند ختانها، وقد كان من عادة العرب الشتم بذلك بلفظ الأم، فاستعار أبو بكر هذا اللفظ مبالغة في سب عروة وإهانته لمعبوده، وقد كان الذي حمله على ذلك ما أغضبه من نسبة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه إلى الفرار.

(٥) هذا الحديث سبق تخريجه في ص ١٩٦.

(٦) انظر فتح الباري ٥/٣٤٢.

أن يُصَدّوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قُلّدت وأُشعرت فما أرى أن يُصَدوا عن البيت.

* الرابع: مِكرز بن حفص، قال البخاري رحمه الله: (فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال: دعوني آته، فقالوا: ائته، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: هذا مكرز وهو رجل فاجر[1]، فجعل يكلم النبي ﷺ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو، قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة، أنه لما جاء سهيل بن عمرو، قال النبي ﷺ: «قد سهل لكم من أمركم»)[2].

المطلب الثاني
سفيرا النبي ﷺ إلى قريش

بعث النبي ﷺ سفيريه إلى قريش وهما: خراش بن أمية الخزاعي، وعثمان بن عفان، وذلك لتوضيح الهدف الذي جاء المسلمون من أجله. فعن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: (... وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة وحمله على جمل يقال له

---

(١) تعجب ابن حجر ــ رحمه الله ــ من وصف مكرز بن حفص بالفجور مع أنه لم يحدث منه فجور ظاهر في قصة الحديبية، ثم ذكر ــ رحمه الله ــ أن السبب في ذلك حدوث أمرين منه:
الأول: أن مكرزا قتل عامر بن يزيد سيد بني بكر غِرّة، بعد أن اصطلحت قريش وبنو بكر في شأن دم حفص بن الأحنف (والد مكرز، الذي قُتل في الجاهلية فعدّ الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك من مكرز غدراً.
الثاني: أن مكرزاً أراد أن يبيت المسلمين بالحديبية فخرج في خمسين رجلاً فأخذهم محمد بن مسلمة وهو يومئذٍ على الحرس فانفلت منه مكرزاً فكأن النبي ﷺ أشار إلى هذا الفعل حين وصف مكرزاً بالفجور. انظر فتح الباري ٣٤٢/٥.
(٢) الحديث سبق تخريجه في ص ١٩٦.

«الثعلب»، فلما دخل مكة عقرت به قريش وأرادوا قتل خراش، فمنعهم الأحابش حتى أتى رسول الله ﷺ قال: فدعاه ـ أي: عثمان بن عفان ـ رسول الله ﷺ فبعثه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأتِ لحرب وأنه جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته، فخرج عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلّغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به)[1].

(١) هذا الحديث سبق تخريجه في ص ٢٠١.

المبحث السادس
بيعة الرضــوان وسببها

لـمّـا بعث النبـي ﷺ عثمان بن عفـان إلى مكـة لتبليـغ رسـالتـه تعنتت قريش (. . . فاحتبستـه عندهـا، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمـان قد قُتِلَ)[1]، وحينئذٍ أظهر عزمه على محاربة القوم، وبايـع الصحابـة على ذلك.

قـال ابن إسحـاق: (فحـدثني عبـد الله بن أبـي بكـر أن رسـول الله ﷺ قـال ــ حين بلغه أن عثمان قد قتل ــ : «لا نبرح حتى نناجِزَ القوم»، فـدعا رسـول الله ﷺ إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة)[2][3].

قـال البخاري في صحيحـه ــ مبيناً سبب هـذه البيعة ــ : (وكـانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال النبـي ﷺ بيده اليمنى: «هـذه يد عثمان»، فضرب على يده، «اذهب بهذا الآن معك»)[4].

---

(١) الحديث: سبق تخريجه في ص ٢٠١.

(٢) الشجرة المذكورة في هذه الآية الكريمـة في الحديبيـة بذي الحُلَيْفـة وكانت سَمُـرة، وهي على ستة أميال من المدينة وكان النبـي إذا خرج إلى مكة ينزل عندهـا ويحرم منهـا. وقد بلغ عمر رضي الله عنه أن الناس يكثرون قصدها وزيارتها فخشي أن تُعبـد كما عُبـدت اللات والعزّى فأمر بقـطعها فـأصبـح الناس فلم يَـرَوْا لها أثـراً. انـظر معجم البلدان ٣/٣٢٥.

(٣) السيـرة النبويـة لابن هشام ٣/٣٦٤. انـظـر دلائـل النبـوة ومعـرفـة أحـوال صـاحب الشريعة ٤/١٣٥؛ وجامع البيـان عن تأويـل آي القرآن ٢٦/٢٨؛ والـدرر في اختصار المغازي والسِّيَر ص ١٩٣؛ والبداية والنهاية ٤/١٦٧.

(٤) الحديث بهذا اللفـظ أخرجه البخاري في كتاب المغازي، بـاب قـول الله تعالى: ﴿إن الذين تَوَلَّوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استـزلّهم الشيطان ببعض مـا كسبوا ولقـد عفا الله عنهم إن الله غفـور رحيم﴾ الآية ١٥٥ من سـورة آل عمـران، ح (٤٠٦٦)، فتـح =

ونـزل في شأن هـذه البيـعـة قـوله تعـالى: ﴿لقـد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعَلِمَ مـا في قلوبهم فأنـزل السكينةَ عليهم وأثـابهم فتحـاً قريبـاً﴾[1]. ولما علمت قـريش بهذه البيعـة أطلقت عثمـان، فعـاد إلى رسول الله ﷺ.

= الباري ٣٦٣/٧، وأخرجه: في كتاب فـرض الخمـس، باب: إذا بعث الإمـام رسولاً في حاجة أو أمره بالمقام هل يسهم له؟ ح (٣١٣٠)، فتح الباري ٢٣٥/٦، وأخرجـه: في كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب عثمان بن عفان القرشي، ح (٣٦٩٨)، فتـح الباري (٥٤/٧)، وأخرجه في كتاب التفسير، بـاب قـول الله تعالى: ﴿وقـاتلوهـم حتى لا تكون فتنةٌ ويكونَ الدينُ لله فإن انتهَوْا فلا عُدْوان إلاّ عـلى الظالمـين﴾ الآية ١٩٣ من سورة البقرة، ح (٤٥١٥)، فتح الباري ١٨٤/٧، وأخرجه في بـاب قول الله تعـالى: ﴿وقـاتلوهـم حتى لا تكونَ فتنـة ويكونَ الـدينُ كلُّه لله﴾ الآية ٣٩ من سـورة الأنفـال، ح (٤٦٥٠)، فتح الباري ٣١٠/٨، وأخرجه في كتاب الفتن، بـاب قول النبـي ﷺ: «الفتنة من قبل المشرق»، ح (٧٠٩٥)، فتح الباري ٤٥/١٣.

وأخـرجـه التـرمذي بنحـو هـذا اللفظ عن أنس بن مـالـك رضي الله عنـه في كتـاب المناقب، باب: منـاقب عثمان بن عفـان رضي الله عنه، ح (٣٧٠٣)، سنن التـرمذي ٢٩٢/٩.

(١) الآية ١٨ من سورة الفتح.

المبحث السابع
بدء المناوشات بين الطرفين

(أرادت قريش التحريش بالمسلمين، فبعثت ثمانين رجلاً مسلحين ليطوفوا بمعسكر المسلمين لعلهم يصيبون منهم أحداً، وحين قُبض عليهم وأُتي بهم إلى رسول الله ﷺ من جبل «التنعيم»[1] متسلحين يريدون غرة[2] النبي ﷺ فأخذهم سلماً[3] فاستحياهم[4]، فأنزل الله عز وجل: ﴿وهو الذي

---

(١) جبل التنعيم: موضع بمكة في الحِلّ، يقع قرب مكة على بعد فرسخين من مكة، وسمّي بذلك لأن جبلاً عن يمينه يقال له «نعيم» وآخر عن شماله يقال له «ناعم»، ومن التنعيم يُحرم من أراد العمرة من مكة، وهو الذي أمر الرسول ﷺ عبدَ الرحمن بنَ أبي بكر أن يعمر عائشة رضي الله عنها منه وقد وصله الآن العمران وخطط ليكون مدينة صناعية. انظر: معجم البلدان ٢/٤٩؛ معجم معالم الحجاز ٢/ ٤٤.

(٢) الغِرَّة: على وزن فعلة: الغفلة. انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢/٩٧.

(٣) سَلْماً: ضبطها العلماء بوجهين:
أحدهما: سَلْماً: بفتح السين.
والثاني سِلْماً: معناه صلحاً، والمعنى: أنه أسرهم، والسلم الأسر.
وقد جزم الخطّابي بقراءة «الفتح»، قال ابن الأثير رحمه الله: هذا هو الأشبه بالقصة، فإنهم لم يؤخذوا صلحاً وإنما أخذوا قهراً وأسلموا أنفسهم عجزاً، ثم قال رحمه الله: وللقول الآخر (الثاني) وجه: وهو أنه لم يجر معهم قتال بل عجزوا عن دفعهم والنجاة منهم، فرَضوا بالأسر فكأنهم قد صولحوا على ذلك. انظر صحيح مسلم ٣/١٤٤٢؛ والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٣٩٤.

(٤) استحياهم: مشتق من الاستحياء، وهو استفعال، من الحياة، والمعنى: أنه تركهم أحياء فلم يقتلهم. انظر لسان العرب ١/٧٧٦، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/١٧٣.

كفَّ أيـدِيهُم عنكم وأيـديكُم عنهـم ببـطن مكـة من بعـد أن أظفـركـم عليهم﴾[1])[2].

---

(١) سورة الفتح : آية ٢٤.

(٢) الحـديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسِّيَر، بـاب قول الله تعـالى: ﴿وهو الـذي كفَّ أيدِيَهم عنكم...﴾، ح (١٨٠٨)، صحيـح مسلم ٣/٤٤٢.
وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، بـاب في المنّ على الأسير بغـير فداء، ح (٢٦٨٨)، سنن أبـي داود ٣/١٣٧.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/١٢٢، ١٢٥.
وخرجه الترمذي في أبواب التفسير، تفسير سورة الفتـح، ح (٣٢٦٠)، سنن الترمـذي ٩/١٧.

المبحث الثامن

التفاوض بيـــن الطرفـين

لـمّـا رأى وفد قـريش سرعـة مبايعـة الصحابـة للنبـي ﷺ على الحـرب دخلهم الـرعب، فدعـوا إلى الموادعـة والصلـح. قـال محمـد بـن إسحـاق: (فحدثني الزهري أن قريشاً بعثوا سهيل بـن عمرو ــ أحد بني عامر بن لؤي ــ فقـالوا: ائت محمـداً فصالحـه ولا يكون في صلحـه إلا أن يرجـع عنـا عامـه هذا، فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة[1] أبداً. . . فأتاه سهيل بن عمـرو، فلمـا رآه النبـي ﷺ قـال: «لقد أراد القـوم الصلـح حين بعثـوا هــذا الرجل»، فلمـا انتهى إلى رسول الله ﷺ تكلمـا وأطالا الكـلام وتراجعـا حتى جرى بينهما الصلـح. . .)[2].

وقد روى الشيخان ــ رحمهما الله تعالى ــ نص الكتاب:

أخرج البخاري ــ رحمه الله ــ في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنهـمـا، قـال: (لمّـا صـالـح رسـول الله ﷺ أهــل الحـديبيــة كتب علي بن أبـي طالب ــ رضوان الله عليه ــ بينهم كتاباً: فكتب (محمد رسول الله)، فقال المشـركون: لا تكتب محمـد رسول الله، لـو كنت رسـولاً لم نقـاتلك، فقـال لعلي: امحه، فقال علي: ما أنا بـالذي أمحـوه، فمحاه رسـول الله ﷺ بيده،

---

(١) العَنْوة ــ بفتح العين وتسكين النون ــ : القهر، تقول: أخذته عنوة أي: قسراً وقهراً، وهو مشتق من عنا يعنـو، إذا ذل وخضع، والعنـوة: المرة منـه، ويقال: أُخِـذَت البلاد عنوة: أي بالقهر والإذلال. انظر: النهـاية في غـريب الحديث والأثـر ٣/٣١٥؛ ولسـان العرب ٢/٩١١.

(٢) الحـديث سبق تخريجه في ص ٢٠١.

وصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلاّ بجُلبان[1] السلاح، فسألوه: ما جلبان السلاح؟ فقال القراب بما فيه)[2].

وزاد مسلم في روايته لهذا الكتاب شرطاً آخر، فقال: (... فاشترطوا على النبي ﷺ أنّ من جاء منكم لم نردّه عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا، فقالوا: يا رسول الله، أنكتب هذا؟ قال: نعم، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل له فرجاً ومخرجاً)[3].

---

(١) الجُلُبَان: شبه الجراب، يُتخذ من الجلد، يوضع فيه السيف مغموداً، ويطرح فيه الراكب سوطه وأداته ويعلقه في آخرة الكور أو واسطته، وهو مشتق من الجلبة وهي: الجلدة التي تجعل على القتب. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٢٨٢؛ ولسان العرب ١/٤٧٦.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب: كيف يكتب هذا ما صالح فلانُ بن فلانٍ فلانَ بن فلان، وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه؟ ح (٢٦٩٨)، فتح الباري ٥/٣٠٣.
وأخرجه مسلم بنحو هذا اللفظ في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب صلح الحديبية في الحديبية، ح (١٧٨٣)، صحيح مسلم ٣/١٤٠٩.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/٢٩١.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب صلح الحديبية في الحديبية، ح (١٧٨٤)، صحيح مسلم ٣/١٤١١.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/٢٦٨.

المبحث التاسع
رجوع النبي ﷺ إلى المدينة ونزول سورة الفتح

لـمّا فرغ النبي ﷺ من أمر كتابة الصلح تحلّل من إحرامه ونحر هديه وأمر أصحابه بذلك ثم عاد من حيث أتى.

فعن زيد بن أسلم عن أبيه: (أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (ثكلتك أمك يا عمر، نَزَرْتَ[1] رسول الله ﷺ، ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركتُ بعيري ثم تقدمتُ أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فيَّ قرآنٌ، فما نَشِبْتُ أن سمعتُ صارخاً يصرخ بي، قال: فقلت: خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآنٌ، وجئت رسول الله ﷺ، فسلمت عليه، فقال: أُنزلت عليَّ الليلة سورة، لهي أحبُّ إليّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾[2])[3].

---

(١) نزرت: المعنى ألْحَحْتَ عليه في المسألة إلحاحاً حتى أدّبك بسكوته عن جوابك. وتقول العرب في هذا المعنى: فلان لا يُعطي حتى يُنْزَر، أي يُلَحّ عليه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ٤٠.

(٢) الآية ١ من سورة الفتح.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح (٤١٧٧)، فتح الباري ٧/ ٤٥٢، وأخرجه في كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾، ح (٤٨٣٣)، فتح الباري ٨/٥٨٢، وأخرجه في كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الفتح، ح (٥٠١٢)، فتح الباري ٩/ ٥٨. =

وقد جاء بيان المراد من هذا السفر في صحيح مسلم: فعن قتادة عن أنس بن مالك حدّثهم قال: (لمّا نزلت ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفرَ لك الله﴾. . . إلى قوله: ﴿فوزاً عظيماً﴾ مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهديَ بالحديبية، فقال: «لقد أنزلت عليّ آية هي أحبّ إليّ من الدنيا جميعاً»)[1].

= وأخرجه الترمذي في أبواب التفسير، تفسير سورة الفتح، ح (٣٢٥٨)؛ سنن الترمذي ٩/١٥.

وأخرجه مالك في كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن، ح (٩)، موطأ مالك ١/٢٠٣، ٢٠٤.

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/٣١.

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب صلح الحديبية في الحديبية، ح (١٧٨٦)، وصحيح مسلم ٣/ ١٤١٣.

وأخرجه الإمام احمد في مسنده ٣/٢١٥، ٢٥٢.



الفَصل الخامِس

أَحْدَاثُ فَتْحِ مَكَّةَ

المبحث الأول

سبب الفتح وتاريخه

المطلب الأول

سبب فتح مكة

لما نقضت قريش عهد الحديبية وساعدت حلفاءها من بني بكر على قتال خزاعة ــ حلفاء النبي ﷺ ــ كان ذلك سبباً لفتح مكة المكرمة. وفي ذلك يقول ابن كثير: (وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية. . . أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل، فتواثبت خزاعة وقالوا: نحن ندخل في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر وقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً، ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بماء يقال له «الوتير»[1]، وهو قريب من مكة وقالت قريش: ما يعلم بنا محمد وهذا الليل، وما يرانا من أحد، فأعانوهم عليهم بالكُراع[2] والسلاح

---

(١) الوتير: هو اسم ماء لخزاعة ويقع جنوب غرب مكة على حدود الحرم، يبعد عن مكة (١٦ كيلًا)، وهو من ديار خزاعة قديماً وحديثاً، ويُطلق على جزء منه في هذا الزمن «الكَفْكِيَة» نسبة إلى الذي تملّكه ويطلق على حيز منه اسم «العُكيشية». انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٦٠ ــ ٣٦١، ومعجم معالم السيرة النبوية، ص ٣٣١.

(٢) الكُرَاع: على وزن فُعَال، هو من ذوات الحوافر ما دون الرسغ، وقد يستعمل الكُرَاع أيضاً للإبل. ٢١٦ انظر لسان العرب ٣/٢٤٥.

وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله ﷺ وأن عمرو بن سالم ركب عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير حتى قدم على رسول الله ﷺ يخبره الخبر[1].

وحينئذ أمر رسول الله ﷺ بالجهاز وكتمهم مخرجه[2].

المطلب الثاني
تاريخ الفتح

لقد تم فتح مكة على يدي النبي ﷺ في رمضان من السنة الثامنة للهجرة. عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة[3]. وقد خرج ﷺ حين مضى من شهر رمضان ليلتان. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ بالرحيل عام الفتح في ليلتين خلتا من رمضان، فخرجنا صُوّاماً حتى بلغنا الكديد[4]، فأمرنا

---

(١) البداية والنهاية ٤/٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) انظر المرجع السابق والصفحتين نفسها.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزو الفتح في رمضان ح (٤٢٧٦)، فتح الباري ٨/٣.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/١٧٠ ح (٢٥٠٠) تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر.

(٤) الكُدَيد: فيه روايتان:
الأولى: بضم أوله وكسر ثانيه.
والثانية: بضم أوله وفتح ثانيه.
وهو موضع بالحجاز بين عُسْفان وأمج (خليص)، والمسافة بينهما عشرون كيلاً، والكديد يعرف اليوم باسم (الحمض)، لكثرة نبات العصلاء فيه، وهي على مسافة (٩٠) كيلاً من مكة على الطريق الرئيسي المؤدي إلى المدينة. انظر معجم البلدان ٤/٤٤٢؛ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٢٦٣.

رسول الله ﷺ بالفطر فأصبح الناس شرجين[1]، منهم الصائم والمفطر[2].

ودخل النبي ﷺ مكة في اليوم الثالث عشر من ذلك الشهر. عن الزهري ــ رضي الله عنه ــ قال: (صبّح رسول الله ﷺ مكة لثلاث عشرة خلت من رمضان)[3].

(١) شَرْجَيْن: مفرده: شرج، وهو: النصف، والمعنى: أصبح الناس نصفين نصف صيام ونصف مفاطير. انظر: لسان العرب ٢ / ٢٩٠.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣ / ٢٩، ٨٧.

ورواه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٢ /٦٦، تحقيق محمد زهري النجار، الناشر مطبعة الأنوار المحمدية.

والحديث سنده صحيح، ورواته كلهم ثقات. انظر: تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار ١ / ١١١: لأبي جعفر الطبري، قرأه وخرج أحاديثه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، بمصر. وانظر فتح الباري ٨ / ٤.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الصوم، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، إذا كان سفره مرحلتين فأكثر، وأن الأفضل لمن أطاقه بلا ضرر أن يصوم، ولمن يشق عليه أن يفطر، ح (١١١٣)، صحيح مسلم ٢ / ٧٨٤.

المبحث الثاني
محاولة قريش تثبيت أمر الهدنة

عندما غدرت قريش بعهدها وأعانت بني بكر على خزاعة حلفاء النبي ﷺ أخذ الرسول ﷺ في الاستعداد لحربهم.

روى عبد الرزاق عن معمر عن عثمان الجزري، عن مقسم مولى ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما كانت المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش زمن الحديبية، وكانت سنين ذكر أنها كانت حرباً بين بني بكر وهم حلفاء قريش وبين خزاعة وهم حلفاء رسول الله ﷺ فأعانت قريش حلفاءها على خزاعة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده لأمنعنّهم مما أمنع منه نفسي، وأهل بيتي»).

وأخذ في الجهاز إليهم[1] فبلغ ذلك قريشاً فقالوا لأبي سفيان: ما تصنع وهذه الجيوش تجهز علينا؟ انطلِقْ فجدِّد بيننا وبين محمد كتاباً[2]. فتوجه إلى المدينة ليجدد لهم هذا العهد[3].

وعندما تحرك أبو سفيان لهذا الغرض قال رسول الله ﷺ للناس: «كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد في المدة، وهو راجع بسخطه» وقد وقع ما أخبر به الرسول ﷺ حيث عاد أبو سفيان إلى قومه خائباً، دون أن يحصل على زيادة في المدة أو تجديد للعقد[4].

---

(١) يمكن الجمع بين أخذه ﷺ في الجهاز وكتمانه في أول الأمر أن الكتمان كان في وقت الاستعدادات الأولية وهي أخطر مراحل المعركة، أما بعد ذلك فليس هناك داع للكتمان بل لا بد من التصريح حتى يستعد الجند للسير إلى عدوهم.

(٢) المصنف ٥/٣٧٤. (٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨/٦.

(٤) انظر البداية والنهاية ٤/٨١، ٨٢.

المبحث الثالث

استعداد النبي ﷺ للفتح

لما تحقق النبي ﷺ من نقض قريش للعهد، فكّر في الاستعداد لفتح مكة ــ حرسها الله ــ لتخليصها من مظاهر الشرك والوثنية، حتى ينعم الناس بالأمن والطمأنينة في ظل البيت الحرام الذي وصفه الله ــ سبحانه وتعالى ــ بقوله: ﴿وإذ جَعَلْنا البيتَ مَثَابةً للناس وأمْناً﴾(١).

ولتحقيق هذا الهدف أمر النبي ﷺ عائشة ــ رضي الله عنها ــ أن تجهّزه ولا تخبر بذلك أحداً.

عن ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ: (أن رسول الله ﷺ بات عندها في ليلة فقام يتوضأ للصلاة، فسمعته يقول في متوضئه: «لبيك لبيك ثلاثاً نصرت نصرت ثلاثاً»، فلما خرج قلت: يا رسول الله سمعتك تقول في متوضئك لبيك لبيك ثلاثاً، نصرت نصرت ثلاثاً، كأنك تكلم إنساناً وهل كان معك أحد؟ قال: هذا راجزُ بني كعب يستصرخني(٢)، ويزعم أن قريشاً أعانت عليهم بكر بن وائل، ثم خرج فأمر عائشة أن تجهّزه ولا تعلم أحداً)(٣).

---

(١) سورة البقرة: آية ١٢٥.

(٢) الاسْتِصْراخ: هو الإغاثة، واستُصْرِخ الإنسان ــ بالبناء على المجهول ــ: إذا أتاه الصارخ، وهو المصوِّت يعلمه بأمر حادث يستعين به عليه، أو ينعي له ميتاً. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٢١؛ لسان العرب ٢/٤٢٦.

(٣) الحديث أخرجه الطبراني في الصغير وقال: لم يروه عن جعفر إلا محمد بن نضلة، تفرد به يحيى بن سليمان، ولا يُروى عن ميمونة إلا بهذا الإسناد. المعجم الصغير ٢/٧٣ ــ ٧٥: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة (١٤٠٣هـ). =

وقد استشار النبي ﷺ اثنين من كبار الصحابة، وهما أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ للوقوف على رأيهما في هذا الأمر. وفي ذلك يقول الحلبي: (فذكر له أبو بكر رضي الله عنه ما يشير به إلى عدم السير، حيث قال له: هم قومك، وحضّه عمر ـ رضي الله عنه ـ حيث قال: نعم، هم رأس الكفر، زعموا أنك ساحر وأنك كذاب... وذكر له كل سوء كانوا يقولون، وأيم الله لا تذل العرب حتى تذل أهل مكة، فعند ذلك، ذكر ﷺ أن أبا بكر كإبراهيم، وكان في الله ألين من اللبن، وأن عمر كنوح وكان في الله أشد من الحجر، وأن الأمر أمر عمر)[1]. وعندئذ أظهر عزمه على المسير.

= وأخرجه أيضاً في الكبير، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٦٤، قال الهيثمي: وفيه يحيى بن سليمان بن نضلة، وهو ضعيف. قال فيه ابن حجر: روى عن مالك وسليمان بن بلال وروى عنه ابن صاعد، وقال ابن عقدة: لا يسوى شيئاً، وذكره ابن أبي حاتم فعدَّ من شيوخه: مسلم بن خالد وابن أبي الزناد وغيرهما، وذكره ابن حبان في الثقات، فقال: يخطىء ويهم، وقال الإمام مالك: روى عن أهل المدينة أحاديث عامتها مستقيمة. انظر لسان الميزان ٦/٢٦١ للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٠هـ) نشر مؤسسة الأعلمي ـ بيروت. وبهذا يتبين لنا أن هذا الحديث ضعيف لضعف أحد رجال السند، زيادة على ما فيه من التفرد.

(١) السيرة الحلبية ٣/١٠.

المبحث الرابع
عدد قوات الجيش الإسلامي[1]

بلغ عدد جنود الجيش الإسلامي الذي توجّه لفتح مكة بقيادة الرسول ﷺ عشرة آلاف رجل، والدليل على هذا العدد ما ثبت في صحيح البخاري رحمه الله وذلك في الحديث المتقدم ذكره[1].

ويذكر ابن جرير الطبري رحمه الله أسماء القبائل وعدد أفرادها فيقول: (وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، من بني غفار أربعمائة، ومن أسلم أربعمائة، ومن مُزَيْنة ألف وثلاثة نفر، ومن بني سليم سبعمائة، ومن جُهَينة ألف وأربعمائة رجل، وسائرهم من قريش والأنصار[2] وحلفائهم)[3].

أما عدد جيش أهل مكة فلم أقف له على ذكر بعد البحث والاطلاع ـ في حدود إمكاناتي ـ وأغلب الظن أنه لم يكن هناك جيش مستعد لمواجهة جيش الرسول ﷺ وذلك لسببين:

الأول: أنه كان من ضمن بنود الاتفاقية بين الرسول ﷺ وأبي سفيان بن حرب، حقن دماء أهل مكة وتأمينهم على أموالهم من قِبَل الجيش النبوي[4].

---

(١) سبق ذكر نص الحديث الذي يدل على عدد جيش المسلمين المتّجه إلى مكة في ص ٢١٧.

(٢) ذكر الواقدي في كتاب المغازي ٢/٨٠٠: أن عدد الأنصار في هذا الجيش أربعة آلاف، أما المهاجرون فكان عددهم سبعمائة رجل.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٦٤، ٦٥.

(٤) انظر: فتح مكة ص ٢١٤: للشيخ محمد أحمد باشميل.

ويدل على ذلك، ما ثبت في صحيح مسلم رحمه الله: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ... قال رسول الله ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السِّلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن...»[1]، «ومن دخل المسجد فهو آمن»[2].

الثاني: امتناع القرشيين عن إبداء أية مقاومة مسلحة عندما دخل الجيش النبوي مكة، بناء على الاتفاق الذي تم بين الرسول ﷺ وزعيم قريش أبي سفيان بن حرب[3].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب فتح مكة، ح (٨٦)؛ صحيح مسلم ٣/١٤٠٧، ١٤٠٨.
وأخرجه النسائي في كتاب التفسير (السنن الكبرى، مخطوط. انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (١٣٥٦١)، ١٠/١٣٤).

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الإمارة، باب ما جاء في خبر مكة، ح (٣٠٢٢)، سنن أبي داود ٣/٤١٧، ٤١٨.
والحديث بهذا الإسناد فيه رجل مجهول، لكن ورد له شاهد بمعناه في صحيح مسلم (الحديث المتقدم)، وهذا يجعله في مرتبة الحسن، والله أعلم.

(٣) انظر فتح مكة ص ٢١٤، ٢٣٦: للشيخ محمد أحمد باشميل.

المبحث الخامس
كتمان أمر المسير إلى مكّة

عندما قرر النبي ﷺ السير لفتح مكة المكرمة، كتم هذا الأمر حتى لا يصل الخبر إلى قريش فتعدّ العدة لمجابهته وتصدّه قبل أن يبدأ في تنفيذ هدفه.

وقد سلك صلوات الله وسلامه عليه في سبيل التكتم على نياته الحقيقية عِدة طرق، يمكن تلخيصها فيما يأتي:

*** أولاً: أنه كتم أمره حتى عن أقرب الناس إليه:**

قال ابن إسحاق رحمه الله: (حدثني محمد بن جعفر عن عروة بن الزبير عن عائشة، أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تغربل[1] حنطة، فقال: ما هذا؟ أمركم رسول الله ﷺ بالجهاز؟ قالت: نعم، فتجهز، قال: وإلى أين؟ قالت: ما سمى لنا شيئاً، غير أنه قد أمرنا بالجهاز)[2].

*** ثانياً ـ أنه بعث سرية بقيادة أبي قتادة إلى بطن إضَم:**

بعث النبي ﷺ قبل مسيره إلى مكة سرية مكونة من ثمانية رجال وذلك لإسدال الستار على نياته الحقيقية، وفي ذلك يقول ابن سعد: (لما همّ رسول الله ﷺ بغزو أهل مكة بعث أبا قتادة بن ربعي في ثمانية نفر سريةً إلى بطن إضَم[3]، ليظن ظانٌّ أن رسول الله ﷺ توجه إلى تلك الناحية ولأن تذهب

---

(١) يقال: غَرْبَل الشيء: أي نخله، وغَرْبل الحنطة: جعلها في غِرْبَال، فَفرق بين الجيِّد والرديء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٣٥٢؛ ولسان العرب ٢/٩٧٠.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٤/١٤؛ وانظر: البداية والنهاية ٤/٢٨٣.

(٣) بطن إضَم ـ بكسر أوله وفتح ثانية ـ هو وادي المدينة، إذا اجتمعت أوديتها الثلاثة: =

بـذلك الأخبـار. . . فمضوا ولم يلقـوا جمعاً، فـانصرفـوا حتى انتهوا إلى ذي خُشُب[1]، فبلغهم أن رسول الله ﷺ قد تـوجّه إلى مكة، فأخذوا على «بيين»، حتى لقوا النبـي ﷺ بالسُّقْيا[2])[3].

*** ثالثاً ــ أنه بثّ العيون لمنع وصول المعلومات إلى الأعداء:**

ثم إنه ﷺ بثّ العيون داخل المدينة وخارجهـا حتى لا تنقل أخبـاره إلى قـريش. قال الـواقدي: (وأخـذ رسول الله ﷺ بـالأنقـاب[4]، فكـان عمـر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف على الأنقاب قيمـاً بهم فيقول: لا تـدعوا أحـداً يمـر بكم تنكرونـه إلا رددتموه. . . إلا من سلك إلى مكـة فإنـه يتحفظ[5] بـه ويسأل عنه أو ناحية مكة)[6].

= بـطحـان وقنـاة والعقق، ويصب في البحـر الأحمـر. انـظر: معجم البلدان ١/٢١٤؛ معجم معالم السيرة ــ ص ٢٩.

(١) ذو خُشُب: هو موضع على مرحلة من المدينة إلى الشام قبيل وقعة الحـرة، وتوجـد الآن أنقـاض خشب على بعـد (٣٥) كيلاً من المـدينة عـلى ضفـة وادي الحمض الشـرقيـة، وتوجد بوابة عالية من الآجرّ الأحمر عـلى أنقاض قلعـة في ذلك المـوضع. انـظر: كتاب المناسك وأماكن طرق الحـج ومعالم الجزيرة ــ ص ٦٥١، تأليف إبراهيم بن إسحاق بن إبـراهيم بن بشر، أبـي إسحاق الحـربـي، تحقيق حمد الجـاسر، منشورات دار اليمـامة للبحث والترجمة والنشر ــ الرياض، سنة (١٣٨٩هـ).

(٢) السُّقْيا: هو موضع يُعرف بسقيا يزيد وسقيـا الجِزل، للتفـريق بينها وبـين سقيا غفـار، وتقـع في وادي القـرى (وادي العلا)، وتعـرف الآن باسم أم البـرك الـواقعـة في وادي القاحة على بعد (٨٢ كيلاً) شمال شرقي مستورة، و (٥٣ كيـلاً) غرب الفـرع. انظر: معجم البلدان ٣/٢٨٨؛ انظر كتاب المنـاسك وأمـاكن طرق الحـج ومعـالم الجزيـرة ــ ص ٦٥٠؛ ومعجم معالم الحجاز ٤/٢١٠، ٢١١.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٣٣.

(٤) الأنقـاب: جمـع نقيب، وهو كـالعـريف على القـوم، المقـدم عليهم الـذي يتعـرف أخبـارهم ويفتش عن أحوالهم. انـظر النهايـة في غريب الحـديث والأثر ٥/١٠١؛ ولسان العرب ٣/٦٩٩.

(٥) التحفظ: هو الاحتراز والتيقظ لكـل من يـمـر بـهم. انـظر: لسان العـرب ١/٦٧٣؛ القاموس المحيط ٢/٤٠٩.

(٦) مغازي الواقدي ٢/٧٩٦.

* رابعاً ـ أنه أحبط محاولةَ تجسس حاطب لصالح قريش:

عندما أكمل النبي ﷺ استعداده للسير إلى فتح مكـة، كتب حاطب بن أبـي بلتعة كتاباً إلى أهل مكـة يخبرهم فيـه نبأ تحـرك النبـي ﷺ إليهم، ولكن الله سبحـانه وتعـالى أطلع نبيـه ﷺ عن طـريق الـوحي على هـذه الـرسـالـة، فقضى ﷺ على هذه المحاولة وهي في مهدها.

عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: (بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير، وكلنـا فارس، قـال: انطلقـوا حتى تأتـوا روضة[1] خـاخ، فـإن بهـا امـرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبـي بلتعة إلى المشركين فـأدركناهـا تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ، فقلنا: الكتاب، فقالت: ما معنا كتاب، فأنخناهـا فالتمسنـا فلم نجد كتـاباً فقلنـا: ما كـذب رسول الله ﷺ، لَتُخْـرِجِنّ الكتاب أو لَنُجَرِّدَنّك، فلما رأت الجدّ، أهوت إلى حُجْـزَتها[2] وهي محتجـزة بكساء فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ فقال عمر: يا رسـول الله، قد خـان اللّهَ ورسولَـه والمؤمنين فدعني فـلأضربْ عنقـه، فقـال رسـول الله ﷺ: مـا حملك على ما صنعت؟ قـال حاطب: والله مـا بـي أن لا أكون مؤمنـاً بالله ورسـوله ﷺ أردت أن تكـون لي عنـد القـوم يـد[3] يـدفـع الله بهـا عن أهلي

---

(1) روضة خاخ: وادٍ يصب في النقيـع من الشرق، بين رواوة والغصن بقرب حمراء الأسـد من المدينة، وهي: روضة طيّبة المرعى وقد أكثر الشعراء الأقـدمون من وصفهـا، وهذا الموضع يعد من أحماء المدينة التي حمـاها النبـي ﷺ والخلفـاء الراشـدون بعده. انـظر: معجم البلدان ٢/ ٣٣٥؛ معجم معالـم الحجاز ٣/ ٩١.

(2) الحُجْـزَة: هي موضـع شَـدِّ الإزار في الـوسط، ثم قيـل لـلإزار حُـجْزَة للمجـاورة، ويقال: احتجز الرجل بالإزار: إذا شده على وسطه. انظر: النهايـة في غريب الحـديث والأثر ١/ ٣٤٤؛ لسان العرب ١/ ٥٧٤.

(3) اليد في اللغة: تطلق ويُراد بها معانٍ متعددة، والمعنى المراد هنا: أن يكون هـذا الكتاب إحساناً ومنَّة، من حاطب لكفار قـريش، حتى يقومـوا بحمايـة أهله في مكة. انـظر: لسان العرب ٣/ ١٠٠٦.

ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك في عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال النبي ﷺ: «صدق، ولا تقولوا له إلا خيراً».

فقال عمر: (إنه قد خان الله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه، فقال: أليس من أهل بدر؟ لعل الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو قد غفرت لكم، فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم)[1].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب المغازي، باب: فضل من شهد بدراً، ح (٣٩٨٣)؛ فتح الباري ٧/ ٣٠٤، وأخرجه في كتاب الجهاد بنحو هذا اللفظ، باب: الجاسوس، ح (٣٠٠٧)؛ فتح الباري ٦/ ١٤٣، وفي باب إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة والمؤمنات إذا عصين الله وتجريدهن، ح (٣٠٨١)؛ فتح الباري ٦/ ١٩٠، وأخرجه في كتاب التفسير، باب: ﴿لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء﴾، ح (٤٨٩٠)؛ فتح الباري ٨/ ٦٣٣، وأخرجه في كتاب الاستئذان، باب من نظر في كتاب من يحذر على المسلمين ليستبين أمره، ح (٦٢٥٩)؛ فتح الباري ١١/ ٤٦، وأخرجه في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، ح (٦٩٣٩)؛ فتح الباري ١٢/ ٣٠٤.

وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم، وقصة حاطب بن أبي بلتعة، ح (٢٤٩٤)؛ صحيح مسلم ٤/ ١٩٤١.

وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الجاسوس الذمي، ح (٢٦٥٢)، سنن أبي داود ٣/ ١١١.

وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير، تفسير سورة الممتحنة، ح (٣٣٠٢)، سنن الترمذي ٩/ ٤٣ ـ ٤٥.

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٧٩، ٨٠.

المبحث السادس
تحرُّك الجيش نحــو مكّة

لما أكمل النبي ﷺ جميع الاستعدادات عيّن نائباً له على المدينة.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: (ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره واستخلف على المدينة أبا رُهْم كُلثوم بن الحصين بن عتبة بن خلف الغِفاري، ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل مرّ الظهران[1])[2].

ولما بلغ ذلك (... قريشاً خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرَّ الظهران فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة، فقال أبو سفيان: ما هذه لكأنها نيران

---

(١) مرّ الظهران: هو وادٍ كانت به عيون ونخيل لأسلم وهذيل وغاضرة، يمر على جزء من مكة من جهة الشمال ويقع على بعد (٢٤ كيلًا) على طريق مكة ـ المدينة، وصار هذا الوادي الآن من أحياء مكة التي امتد إليها العمران. انظر: معجم البلدان ٤/٦٣؛ معجم معالم الحجاز ٨/١٠٢.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/١٢٥، ح (٢٣٩٢)، تحقيق أحمد محمد شاكر، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٦٤، ثم قال: رجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع.
قال الخزرجي في ترجمته: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، مولى قيس بن مخرمة، أحد الأئمة الأعلام، لا سيما في المغازي والسِّيَر، روى عن عطاء والزهري وخلق، وروى عنه يحيى الأنصاري وعبدالله بن عون وشعبة والحمادان وخلق، قال عنه ابن شهاب: لا يزال بالمدينة علم جمّ ما كان ابن إسحاق، وقال أحمد: حسن الحديث، وقال البخاري: رأيت علي بن عبد الله يحتجّ به، وقال ابن نُمير: كان حسن الحديث صدوقاً، وقال يعقوب بن شيبة: لم أر لابن إسحاق إلا حديثين منكرين، ووثقه العِجلي وابن سعد وقال: مات سنة إحدى وخمسين ومائة. انظر: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ ص ٣٢٦، ٣٢٧.

عرفة؟ فقال بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو، فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان، فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند خَطْم[1] الجبل حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمرُّ مع النبي ﷺ تمر كتيبة[2] كتيبة على أبي سفيان فمرت كتيبة فقال: يا عباس من هذه؟ فقال: هذه غفار، قال: ما لي ولغفار، ثم مرت جهينة قال مثل ذلك، ثم مرت سعد بن هذيم، فقال: مثل ذلك، ومرت سليم فقال مثل ذلك...)[3].

وقد أشار العباس على أبي سفيان حين أعلن إسلامه أن يذهب إلى قريش ليخبرهم بوصول النبي ﷺ بجيش لا قِبَل لهم به.

قال العباس رضي الله عنه: (قلت: التجىء إلى قومك، قال: فخرج حتى جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَل لكم به...)[4].

---

(١) خَطْم الجبل: بفتح الخاء وسكون الطاء أنفه، وهو ما ضاق منه. انظر فتح الباري ٨/٨.

(٢) الكتِيبةَ: هي القطعة العظيمة من الجيش وجمعها كتائب، وتطلق الكَتِيبَة أيضاً على جماعة الخيل إذا أغارت ويتراوح عددها بين المائة والألف. انظر لسان العرب ٢١٧/٣.

(٣) الحديث: أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي ﷺ الرَّاية يوم الفتح، ح (٤٢٨٠)؛ فتح الباري ٨/٥، ٦.
وأخرجه الطبراني بنحو هذا اللفظ. انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٦٥، ١٦٧.

(٤) الحديث أخرجه الطبراني. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٦٧/٦، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

المبحث السابع
وصول الجيش إلى ضواحي مكّة

لمّا وصل النبي ﷺ إلى ذي طوى[1]، قسّم جيشه خمس فرق، وعين لكل فرقة قائداً خاصاً بها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة فبعث الزبير على إحدى المجنّبتين[2]، وبعث خالداً على المجنّبة الأخرى وبعث أبا عبيدة على الحُسَّر[3]، فأخذوا بطن الوادي ورسول الله في كتيبة)[4].

وروى البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه ـ عند ذكر قصة إسلام أبي سفيان وحَبْس العباس له عند مضيق الجبل ـ قال: (.. حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة، معه الراية)[5].

---

(١) ذي طُوى: واد من أودية مكة معمور الآن، وتفضي إليه ثنية الحجون وثنية رِيع الرِّسام، ويذهب حتى يصب في المسفلة وعليه من الأحياء: العُتَيبية وجرول والتنضباوي ومعظم شارع المنصور واللِّيط والحفائِر، وقد انحصر اسم هذا الوادي الآن في بئر في جرول، تسمى (بئر طوى). انظر معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ــ ص ١٨٨، ١٨٩.

(٢) المُجَنِّبة من الجيش: جناحه، وهما مُجَنِّبتان ميمنة وميسرة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٣٠٣؛ والمصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ١/١٥٦.

(٣) الحُسَّر: بضم الحاء وفتح السين المشددة، جمع حاسر، وهو الذي لا درع عليه ولا مِغْفَر. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٣٨٣.

(٤) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب فتح مكة، ح (٨٤، ٨٦)؛ صحيح مسلم ٣/١٤٠٦، ١٤٠٧.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/٥٣٨.

(٥) سبق تخريج الحديث في ص ٢٢٩.

وقد حدد النبي ﷺ لكل قائد جهةً معينةً يدخل منها إلى مكة، على النحو الآتي:

* **الفرقة الأولى**: بقيادة الزبير بن العوام، وقد أمره أن يدخل من جهة كُدَيّ[1].

* **الفرقة الثانية**: بقيادة سعد بن عبادة[2]، وأمره أن يدخل من جهة كَدَاء[3].

* **الفرقة الثالثة**: بقيادة خالد بن الوليد وقد أمره أن يدخل من جهة اللِّيْط[4].

---

(١) كُدَيّ: ثنية بأسفل مكة عند ذي طوى، يخرج منها الطريق من الحرم إلى جرول، تفصل بين نهاية قعيقعان في الجنوب الغربي وجبل الكعبة، وقد جعل فيها زمن الأشراف مركزاً لرسم البضائع، فسميت «ريع الرسَّام». انظر معجم البلدان ٤/٤٤١؛ معجم معالم الحجاز ٧/٢٠٢.

(٢) ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن هذه الكتيبة حين مرت على أبي سفيان قال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة... فلما مرّ رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: ما قال؟ قال: كذا وكذا، فقال: «كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة». الحديث سبق تخريجه في ص ٢٢٩، وهو جزء من الحديث المذكور هناك.
وعن أنس رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ مكة، كان قيس في مقدمته، فكلم سعد النبيَّ ﷺ أن يصرفه عن الموضع الذي هو فيه مخافة أن يقدم على شيء، فصرفه عن ذلك. الحديث أورده البزار كما في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٧٥؛ وكشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة ٢/٣٤٢.
قال الهيثمي ـ بعد ذكره هذا الحديث: رجاله رجال الصحيح.

(٣) هي العقبة الصغرى التي بأعلى مكة، وتعرف اليوم باسم (ريع الحَجُون)، ويقع الآن بين مقبرتي المعلاة ويفضي من الجهة الأخرى إلى حي العتيبية وجرول. انظر: معجم البلدان ٤/٤٤٠؛ معجم معالم السيرة النبوية ـ ص ٢٦١.

(٤) اللِّيْط: هو أسفل وادي ذي طوى، ويقع فيه الآن حي جرول والتنضباوي والحفائر، ويمتد هذا السهل حتى يجتمع بوادي إبراهيم في المسفلة عند قوز المكاسة. انظر أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ٢/٢٩٦ لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد =

* **الفرقة الرابعة**: بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح، وقد كلفه أن يدخل من الجهة الشمالية الغربية.

* **الفرقة الخامسة**: بقيادته ﷺ مع بقاء قيادة الجيش العامة له، وقد دخلت مكة من الجهة الشمالية الغربية(١).

وقد ضرب النبي ﷺ في ذلك اليوم المثل الرائع في التواضع حيث دخل مكة وذقنه يكاد يمس واسطة الرحل تواضعاً لما أكرمه الله به من نعمة النصر. فعن أنس رضي الله عنه قال: (لما دخل رسول الله ﷺ مكة استشرفه الناس فوضع رأسه على رحله تخشعاً)(٢).

= الأزرقي، الطبعة الثالثة، سنة (١٣٩٨هـ)، مطابع دار الثقافة بمكة المكرمة. معجم معالم السيرة ـ ص ٢٧٤؛ معجم معالم الحجاز ٢٧٢/٧.

(١) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ١١٧/٩؛ والسيرة النبوية لابن هشام ٢٥/٤، ٢٦؛ وفتح مكة ـ ص ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٧: لمحمد أحمد باشميل.

(٢) الحديث أخرجه أبو يعلى كما في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٦٩/٦، قال الهيثمي وفيه عبد الله بن أبي بكر المقدمي وهو ضعيف.
قال ابن حجر في ترجمته: عبد الله بن أبي بكر المقدمي، يروي عن جعفر بن سليمان وحماد، قال عنه ابن عدي: ضعيف، وكان أبو يعلى كلما ذكره يضعفه.
قال ابن عدي ـ بعد تخريج هذا الحديث: رأيت من رواه عن جعفر غير المقدمي.
وذكره ابن حبان في الثقات وكان يخطىء. وقال عبد الله البوشنجي: فيه ضعف ولين وأخوه محمد دونه في السن إلا أنه ثقة. وقال أبو زرعة: ليس بشيء، كنت أمرُّ به ولم أكتب عنه. مات سنة أربع وثلاثين ومائتين. انظر: لسان الميزان ٢٦٣/٣. كما وصله الحاكم في المستدرك ٤٧/٣، ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ولم يوافقه الذهبي.
وعقب الشيخ الألباني على تخريج الحاكم لهذا الحديث فقال: وهذا وهم من أوهامهما، فإن في سنده عبد الله بن أبي بكر المقدمي وهو ضعيف، وهذا المقدمي غير عبد الله بن أبي بكر شيخ ابن إسحاق، فإن هذا متأخر من طبقة الإمام أحمد، وذاك تابعي صغير، يروي عن أنس رضي الله عنه وهو ثقة. انظر خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ ص ١٩٢؛ وتعليق الألباني على فقه السيرة ـ ص ٤١٢ للشيخ محمد الغزالي.

وعندما وصل النبيّ ﷺ إلى منطقة ذي طوى، أمر أن تركز رايته بمكان يسمى (الحجون)[1].

فعن هشام بن عروة عن أبيه قال: (... أمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون، قال عروة: وأخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال: سمعت العباس يقول للزبير بن العوام: يا أبا عبد الله ها هنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية...)[2].

(١) الحجون: هي الثنية التي تفضي على مقبرة المعلاة، والمقبرة عن يمينها وشمالها. وتعرف هذه الثنية الآن: (ريع الحجون). انظر معجم معالم السيرة ـ ص ٩٤؛ معجم معالم الحجاز ٢/٢٣٨.

(٢) الحديث سبق تخريجه في ص ٢٢٩.

المبحث الثامن

دخول النبـي ﷺ المسجد الحرام

روى ابن إسحاق عن صفية بنت شيبـة قالت: (لمـا نزل رسـول الله ﷺ واطمأن الناس. . .[١] اغتسل ولبس المغفر ثم دعـا بناقتـه القصواء فـأدنيت له وقـد صف الناس)[٢]، (. . . وأقبـل رسول الله ﷺ حتى أقبـل إلى الحِـجْر[٣] فاستلمه ثم طاف بالبيت، فلما فرغ من طوافه أتى الصَّفَـا[٤]، فعلا عليـه حتى نظر إلى البيت ورفـع يديه فجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو)[٥].

وروى ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ (أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أبـى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخـرج صورة إبـراهيم وإسمـاعيـل في أيـديهمـا من الأزلام[٦]، فقـال: «قـاتلهم الله لقــد علمـوا

(١) فتـح الباري ٨/١٨، وإسناده حسن.

(٢) انظر: مغازي الواقدي ٢/٨٣١.

(٣) الحِجْر بكسر الحاء وتسكين الجيم: حِـجْر الكعبة، وهو ما تركتـه قريش وحجِّـرت عليه ليُعْلم أنه من الكعبة. وهو ما بين الركن الشامي والركن الغـربـي، وعرضـه من جدار الكعبة من تحت الميزاب إلى جـدار الحِجْر سبعـة عشر ذراعاً وعـرضـه اثنـان وعشرون ذراعاً. انـظر أخبار مكة للأزرقي ١/٣٢٠؛ ومعجم معالم الحجاز ٢/٢٣٠.

(٤) الصَّفَا: أكمة صخرية من جبل أبي قبيس كان بينه وبين المسجد الحرام عـرض الوادي قبل التوسعة الأخيرة، ومن وقف به كان بحذاء الحجر الأسـود، وهو بـداية المسعى من الجنوب. انظر: معجم البلدان ٣/٤١١؛ معجم معالم الحجاز ٥/١٤٢.

(٥) الحديث: سبق تخريجه في ص ٢٣٠.

(٦) الأزلام: الـزّلم يـطلق في اللغـة على القـدح الذي لا ريش عليـه، ويجمـع على (أزلام) والأزلام في الاصطلاح الشّرعي: أقداح كان يـستقي بها العرب في الجاهلية، وكـانت عـلى ثلاثـة أنـواع أحـدهـا مكتـوب عليه (افعـل) والثـاني مكتـوب عليه (لا تفعـل) والثـالث مهمل، وكـانوا يجعلون هـذه الثلاثـة في خريـطة (وهي متشابهـة)، فإذا أراد =

ما استقسما بها قط»، ثم دخل البيت فكبـر في نواحي البيت وخـرج ولـم يصل فيه)[1].

الواحد فعل شيء أدخل يده فإذا خرج له أحدها ائتمـر أو انتهى بحسب ما يخـرج له، وإذا خرج الذي لا شيء عليه أعاد الضرب مرة أخـرى. انـظر لسـان العرب ٢/٤٢؛ وجـامع البيـان عن تأويـل آي القـرآن ٩/٥١٠؛ الجـامـع لأحكـام القـرآن للقـرطبـي ٦/٥٨؛ زاد المسير في علم التفسير ٢/٢٨٤؛ فتـح القدير للشوكاني ٢/١٠.

(١) الحـديث أخرجه البخاري بهـذا اللفظ في كتاب المغـازي، بـاب أين ركـز النبـي ﷺ الراية يوم الفتـح؟ ح (٤٢٨٨)، فتـح الباري ٨/١٦.
وأخرجه بنحوه في كتاب الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾، ح (٣٣٥٢)، فتـح الباري ٦/٣٨٧.

المبحث التاسع
هدم الأصنام التي كانت خارج مكة

لم يقتصر النبي ﷺ على إزالة الأصنام التي كانت حول البيت فحسب، بل بعث عدداً من الصحابة لهدم الأصنام التي كانت خارج مكة وذلك من أجل استئصال هذا الوباء الخبيث، الذي ينافي عقيدة التوحيد.

المطلب الأول
بعث خالد بن الوليد لهدم العزى

عن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نَخْلَة[1]، وكانت بها العُزّى[2]، فأتاها وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً»، فرجع فلما نظرت إليه السَّدَنَة[3] ــ وهي

---

(١) نَخْلَةُ الشَّامية: واديان لهذيل على بُعد (٤٣ كيلًا)، من مكة شمالاً شرقاً يجتمعان ببطن مرٍّ وسَبوحة، وهو وادٍ يصب من الغُمَير ويُعَدّ أحد رافدَيْ مرِّ الظهران. انظر معجم البلدان ٥/٢٧٧؛ معجم معالم الحجاز ٩/٤١، ٤٢.

(٢) صنم لقريش وهو أحدث من اللات ومناة، وكان الذي اتخذها ظالم بن أسعد وكانت قريش تعظمها وتزورها وتهدي لها وتتقرب عندها بالذبائح، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أفرأيتم اللاتَ والعُزّى * ومناة الثالثةَ الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذاً قسمةٌ ضِيزى * إنْ هي إلاّ أسماءٌ سمَّيْتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان. . .﴾ الآية ١٩، ٢٣ من سورة النجم، وكانت العرب تسمِّي بها «عبد العُزّى». انظر كتاب الأصنام لابن الكلبي ــ ص ١٧، ١٨.

(٣) السَّدَنَة: جمع سادن، وهم حُجّاب البيت وَقَوَمَة الأصنام في الجاهلية، والمراد بالسَّدَنَة هنا: القائمون على أمر الأصنام. انظر لسان العرب ٢/١٢٣.

حُجّابها ــ أمضوا هرباً في الجبل وهم يقولون: يا عُزّى خبليه، يا عزى عوذيه، وإلا فموتى برغم.

قال: فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها ووجهها، فغممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «تلك العزى»[1].

المطلب الثاني

هدم سواع

قال ابن سعد رحمه الله: (ثم سرية عمرو بن العاص إلى سواع[2] في شهر رمضان سنة ثمان من مهاجر رسول الله ﷺ.

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني وفيه يحيى بن المنذر وهو ضعيف. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/٧٦.
قال الذهبي في ترجمته: يحيى بن المنذر الكندي عن إسرائيل، ضعّفه الدارقطني وغيره، وقال العقيلي: في حديثه نظر. ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٤/٤١١.
وأخرجه النسائي في كتاب التفسير بهذا السند عن علي بن المنذر عن ابن فضيل عن الوليد بن جميع به (السنن الكبرى، مخطوط، انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (٥٠٥٤)، ٤/٢٣٥).
وعليّ المذكور هو ابن المنذر بن زيد الأودي ويقال: الأسدي، الطريقي، روى عن جماعة منهم: ابن عيينة وابن فضيل وابن نمير ووكيع والوليد بن مسلم وإسحاق بن منصور، وروى عنه الترمذي والنسائي وابن ماجه ومطين وابن منده وجماعة آخرون. قال ابن أبي حاتم: سمعت منه عن أبي وهو صدوق ثقة، وقال النسائي: شيعي محض، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال مطين: سمعت ابن نمير يقول: ثقة صدوق، وقال الدارقطني: لا بأس به. مات في ربيع الآخر سنة ست وخمسين ومائتين. انظر تهذيب التهذيب ٧/٣٨٦.
وأخرجه البيهقي في جماع أبواب فتح مكة حرسها الله، باب ما جاء في بعثة خالد بن الوليد إلى نخلة كانت بها العزى. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٥/٧٧.

(٢) سواع: اسم صنم لهذيل بن مدركة، وسدنته. من بني لحيان، كان برهاط من أرض ينبع، وهو من أصنام قوم نوح كما أخبر القرآن عنه. انظر معجم البلدان ٣/٢٧٦؛ كتاب الأصنام لابن الكلبي ــ ص ٩، ١٠؛ ومعجم معالم الحجاز ٤/٢٥٠.

قالوا: بعث النبيُّ ﷺ حين فتح مكة عمرو بن العاص إلى سُواع ـ صنم هذيل ـ ليهدمه، قال عمرو: فانتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه، قال: لا تقدر على ذلك، قلت لم؟ قال: تمنع، قلت: حتى الآن أنت في الباطل! ويحك، وهل يسمع أو يبصر؟ قال: فدنوت منه فكسرته، وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته، فلم يجدوا فيه شيئاً، ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت)[1].

المطلب الثالث

هدم مناة

قال ابن سعد رحمه الله: (ثم سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة[2]، في شهر رمضان سنة ثمان من مهاجر رسول الله ﷺ. قالوا: بعث رسول الله ﷺ حين فتح مكة سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة، وكانت بالمشلَّل[3]، للأوس والخزرج وغسان، فلما كان يوم الفتح، بعث

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٤٦؛ وانظر تاريخ الطبري ٣/٦٦؛ وكتاب الأصنام لابن الكلبي، ص ٩، ١٠.

(٢) مَنَاة صنم كانت العرب جميعاً تعظّمه وتذبح حوله، ولم يكن أحد أشد إعظاماً له من الأوس والخزرج، وقد بلغ من تعظيم العرب له أنهم كانوا يسمون أبناءهم (عبد مناة)، و (زيد مناة). وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ومناةَ الثالثةَ الأخرى﴾ الآية ٢٠ من سورة النجم. وكانت مناة لهذيل وخزاعة. انظر: كتاب الأصنام ــ ص ١٣ ــ ١٥.

(٣) المُشَلَّل: هو جبل يهبط منه إلى قديد من جهة البحر، وتعرف اليوم: بالقديدية، نسبة إلى قديد الوادي المعروف، وتقع على طريق مكة ــ المدينة، وهي مستطيلة من المشرق إلى المغرب مع انحراف إلى الجنوب على يمين المتجه إلى المدينة بعد مجاوزة القُضيمة. انظر معجم البلدان ٥/١٣٦؛ كتاب الأصنام لابن الكلبي ــ ص ١٥؛ معجم معالم الحجاز ٨/١٧٣.

رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأشهلي يهدمها، فخرج في عشرين فارساً حتى انتهى إليها، وعليها سادن، فقال السادن: ما تريد؟ قال: هدم مناة، قال: أنت وذاك، فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء، ثائرة الرأس، تدعو بالويل وتضرب صدرها، فقال السادن: مناة دونك بعض غضباتك، ويضربها سعد بن زيد الأشهلي، وقتلها، ويقبل إلى الصنم ومعه أصحابه، فهدموه، ولم يجدوا في خزانتها شيئاً وانصرف راجعاً إلى رسول الله ﷺ وكان ذلك لستٍ بقين من شهر رمضان[1].

وبذلك يكون رسول الله ﷺ قد قضى على معاقل الشرك في داخل مكة وخارجها.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٤٦؛ وأخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ١/١٢٥.

المبحث العاشر

ما نزل في فتح مكة من القرآن

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: (كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لِمَ تدخلُ هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في ﴿إذا جاء نصرُ الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً...﴾[1]؟ حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري أو لم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس، أكذلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له، إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة، فذاك علامة أجلك، فسبِّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً)، قال عمر: (ما أعلم منها إلا ما تعلم)[2].

---

(١) سورة النصر: الآيتان ١، ٢.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾، ح (٤٢٩٤)؛ فتح الباري ٨/٢٠، وأخرجه في كتاب التفسير، باب: قول الله تعالى: ﴿فسبِّح بحمد ربك واستغفره * إنه كان تواباً﴾، ح (٤٩٧٠)، فتح الباري ٨/٧٣٤.

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/٣٣٧.

المبحث الحادي عشر
خسائــر الطــرفــين

عندما قسَّم رسول الله ﷺ جيشه إلى أرتال، أوصى قوّاده بأن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، فتعرض جماعة من المشركين لخالد بن الوليد فحدث من جراء ذلك خسائر بشرية في كلا الطرفين، حيث استشهد من المسلمين ثلاثة رجال، وقتل من المشركين ثلاثة عشر[1].

قال ابن إسحاق رحمه الله: (حدثني عبد الله بن أبي نُجيح وعبد الله بن أبي بكر أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا أناساً بالخَنْدَمة[2]، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئاً من قتال، فقتل كرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر، وحنيش بن خالد بن ربيعة بن أصرم، حليف بني منقذ، وكانا في خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقاً غير طريقه، فقتلا جميعاً. وأصيب من جهينة سلمة بن الميلاء، في خيل خالد بن الوليد. وأصيب من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلاً أو ثلاثة عشر رجلاً، ثم انهزموا)[3].

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/٥٨؛ عيون الأثر ٢/١٧٣.

(٢) هي جبال مكة الشرقية تبدأ من أبي قبيس شرقاً وشمالاً ويقع الآن في سفوحها الغربية والشمالية أحياء كثيرة من مكة مثل شعب ابن عامر والملاوي والمعابدة والروضة وقد شقت الآن أنفاق عبر جبال الخنادم تدخل من عند المسجد الحرام وتخرج من عند محبس الجن بطرف العزيزية الغربي أو ما كان يسمى حوض البقر. انظر أخبار مكة للأزرقي ٢/٢٦٩؛ ومعجم معالم السيرة النبوية ـ ص ١١٥.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٤/٢٧؛ والبداية والنهاية ٤/٢٩٦.

الفصل السادس

أحداث غزوة حنين

المبحث الأول

سبب الغزوة وتاريخها

المطلب الأول

سبب الغــــزوة

كانت العرب في الجاهلية تنظر إلى قريش نظرة إجلال ومهابة، لما تتمتع به من المكانة الدينية والسياسية والعسكرية، حيث كانت تقوم على سدانة البيت الحرام وسقاية الحجاج واستضافتهم، ثم إنها كانت تتميز بالوحدة السياسية والعسكرية التي تتصف بالمتانة والقوة، خلاف ما هي عليه القبائل الأخرى من التشتت والضعف والفوضى.

وبناءاً على تلك النظرة التي كان ينفرد بها القرشيون وهم في مركز السيادة والنفوذ، فإن أيّ اعتداء يمسُّ هذه القبيلة يعد تهديداً خطيراً لبقية قبائل العرب التي هي أقل شأناً منها.

وحين تم للنبي ﷺ فتح مكة وتحريرها من سلطان الوثنية، ودخل معظم القرشيين في الإسلام، رأى قادة هوازن ــ والتي كانت ديارهم تقع بالقرب من مكة ــ أن غزو النبي ﷺ لهم أصبح وشيكاً بعد أن تحررت جارتها من قبضة الوثنيين.

وقد رأى ملك هوازن ــ مالك بن عوف النصري ــ أن أفضل خطة يمكن تطبيقها حينئذ، هو محاربة النبي ﷺ وهو في مكة قبل أن يتوجه إليهم.

فتجمعت هوازن ومن انضم إليها من قبائل العرب الأخرى لهذا الأمر[1].

المطلب الثاني

تاريخ الغزوة

بعد أن أكرم الله سبحانه وتعالى نبيَّه ﷺ بفتح مكة واستتبَّ له الأمر فيها، توجَّه إلى حنين وذلك في السنة الثامنة للهجرة لست ليال خلون من شهر شوال ووصل إلى حنين في العاشر منه[2].

---

(1) انظر غزوة حنين ــ ص ٥٤، ٥٥ للشيخ محمد أحمد باشميل، الطبعة الثالثة، سنة (١٤٠٣هـ)، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ــ القاهرة.

(2) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/٦٤، ٦٥؛ الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٥٠؛ تاريخ الطبري ٣/٧٠؛ البداية والنهاية ٤/٣٢٢؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري ٧/٤٨.

المبحث الثاني
قــوات الطــرفــين

المطلب الأول
قــوات المسلمــين

لمّا حصل النبي ﷺ على المعلومات التي أظهرت له عزم هوازن بقيادة مالكْ بن عوف على التوجه إلى مكة لحرب المسلمين، قرر ﷺ الزحف إلى حنين، للقضاء على قبيلتي هوازن وثقيف، حيث كانتا أعظم قوة في الجزيرة العربية تهدد أمن الدولة الإسلامية وتتربص بالمسلمين الدوائر.

وقد أعدَّ النبي ﷺ لهذه المعركة جيشاً قوامه عشرة آلاف، وهم من خرجوا معه من المدينة، وألفان من مُسْلِمة الفتح، فكان عدد من خرج في تلك الغزوة اثني عشر ألفاً. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغَطَفان بذراريهم ونَعمهم ومع النبي ﷺ يومئذ عشرة آلاف، ومعه الطلقاء[1] وهم ألفان[2])[3].

---

(١) الطُّلَقَاء: جمع طليق، بمعنى: مُطْلَق، وهو الأسير إذا أُطلق سبيله، والمراد بالطُّلَقَاء هنا: هم الذين أطلقهم النبي ﷺ بعد فتح مكة وخلّى سبيلهم فلم يسترقهم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١٣٦؛ لسان العرب ٢/٦٠٧.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/٦٨؛ تاريخ خليفة بن خياط ـ ص ٨٨؛ والبداية والنهاية ٤/٣٢٤.

(٣) الحديث أخرجه مسلم واللفظ له، في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبُّر من قوي إيمانه، ح (١٣٥)، صحيح مسلم ٢/٧٣٥.
وأخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، ح (٤٣٣٧)، فتح الباري ٨/٥٣.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده بنحو هذا اللفظ ٣/١٩٠.

أمـا عدة هـذا الجيش، فقد سعى النبـي ﷺ إلى تـأمينهـا من شخصين هما:

الأول: ابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

الثاني: صفوان بن أمية.

وكان هذان الـرجلان، لا يـزالان على الشرك، أمـا ابن عمه فقـد أعاره ثـلاثـة آلاف رمـح، فقـــال ﷺ: «كـأني أنـظر إلى رمـاحــك تقصف ظهـر المشـركين»[1]. وأمـا صفـوان بن أميـة، فقـد أعـاره ثـلاثين درعـاً[2] عـاريّـة مضمونة.

عن صفـوان بن يعلى بن أمية عن أبيـه عن النبـي ﷺ قـال: «إذا أتتـك رسلي فأعطهم ـ أو قال فادفع إليهم ـ ثلاثين درعاً، وثلاثين بعيراً، أو أقل من ذلـك»، فقـال لـه: العـاريـة مؤداة يـا رســول الله، قـال: فقـال النبـي ﷺ: «نعم»[3].

وعن صفوان بن أمية: أن رسول الله ﷺ استعار منـه يوم حنين أدراعـاً، فقال: أغصباً يا محمد؟ قال: «لا، بل عارية مضمونة»، قال: فضاع بعضهـا،

---

(١) انـظر الاستيعاب ٢/٧٢٠، ٤/١٥١٢؛ السيرة الحلبية ٣/١٢٣.

(٢) الدِّرع: هي لبوس الحديد في الحرب تذكر وتؤنث، وتُجمع في القلة على أدرع وأدراع وفي الكثرة على دروع. انظر: لسان العرب ١/٩٦٩.

(٣) الحـديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/٢٢٢؛الفتح الرباني ١٥/١٢٩. وأخرجه النسائي في كتاب العارية والوديعة، باب: تضمين العارية (السنن الكبرى، مخطوط، انـظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (١٨٤١)، ٩/١١٦ و١٤/٣٧٥).
وأخرجه أبو داود في كتاب البيوع والإجارات، بـاب في تضمين العارية، ح (٣٥٦٦)، سنن أبـي داود ٣/٨٢٦.
وقد أورد له الحاكم شاهداً من حديث ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان بن أمية درعا وسناناً في غزوة حنين فقال: يا رسول الله، أعارية مؤادة؟ قال: «عارية مؤداة» المستدرك على الصحيحين ٢/٤٧، ثم قال الحاكم: صحيـح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقد سكت عنه الذهبـي في التلخيص.

فعرض عليه رسول الله ﷺ أن يضعها له، فقال: أنا اليوم يا رسول الله في الإسلام أرغب. قال أبو داود: وكان أعاره قبل أن يسلم، ثم أسلم[1].

المطلب الثاني
قوات المشركين

حَشَد مالك بن عوف النصري قبيلة هوازن وثقيف كلها ونصر وجشم وسعد بن بكر وقليل من بني هلال، وفي ذلك يقول ابن إسحاق: (لما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة جمعها مالك بن عوف النصري فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهم قليل... وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب)[2].

وكان جميع من شارك في هذه المعركة عشرون ألف مقاتل[3] وقد جعل مالك وراء تلك الجموع نساءهم وأطفالهم[4].

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٤٠١، ٦/٤٦٥؛ والفتح الرباني ١٥/١٢٩.
وأخرجه أبو داود بنحو هذا اللفظ في كتاب البيوع والإجارات، باب في تضمين العارية، ح (٣٥٦٢)، سنن أبي داود ٣/٨٢٣.
وأخرجه النسائي في كتاب العارية، باب تضمين العارية (السنن الكبرى، مخطوط، انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (٤٩٤٥)، ٤/٢٣٩).
وأخرجه البيهقي في كتاب العارية، باب العارية مؤداة، السنن الكبرى ٦/٨٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٤/٦٥؛ تاريخ الطبري ٣/٧٠.

(٣) انظر مغازي الواقدي ٣/٨٩٣.

(٤) انظر الدليل على هذا الحشد في ص ٢٤٥ .

المبحث الثالث

تحرك النبي ﷺ إلى حنين

لمّا أكمل النبي ﷺ جميع الاستعدادات لهذه المعركة، تحرك بجيشه نحو حنين. وقد أرسل ﷺ عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي عيناً على المشركين، حتى يأتيه بخبرهم، فذهب ودخل بينهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا عليه من حرب الرسول ﷺ وما كان من أمر مالك وهوازن[1].

روى سهل بن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين فأطنبوا[2] السَّير، حتى كانت عشية، فحضرت الصلاة عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فارس فقال: يا رسول الله، إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعتُ جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن على بكرة آبائهم بظُعُنهم[3] وَنَعمهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله»، ثم قال: «من يحرسنا الليلة؟» قال أنس بن أبي مرثد الغنوي: أنا يا رسول الله، قال: فاركب، فركب فرساً له، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «استقبل هذا الشِّعب ولا نُغَرَّنَّ من قبلك الليلة».

فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه فركع ركعتين، ثم قال:

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/٦٨؛ تاريخ الطبري ٣/٧٣.

(٢) أطنبوا السير: أي أنهم مضوا فيه باجتهاد ومبالغة، يقال: أطنبت الريح إذا اشتدت في غبار. انظر: لسان العرب ٢/٦١٧.

(٣) الظُّعُن: النساء، واحدتها ظعينة، وأصل الظعينة الراحلة التي يُسار عليها، ثم صارت الظعينة تُطلق على المرأة في الهودج، ثم قيل للهودج بلا امرأة وللمرأة بلا هودج ظَعِينَة. انظر: لسان العرب ٢/٦٤٤.

«هل أحسستم فارسكم؟» قالوا: يا رسول الله، ما أحسسناه، فثوّب[1] بالصلاة، فجعل رسول الله ﷺ وهو يلتفت إلى الشِّعب حتى إذا قضى صلاته وسلم قال: «أبشروا فقد جاءكم فارسكم»، فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر، في الشِّعب، فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشِّعب حيث أمرني رسول الله ﷺ فلما أصبحت اطلعت الشِّعبين (كليهما)، فنظرت فلم أر أحداً، فقال له الرسول ﷺ: «هل نزلت الليلة؟» قال: لا، إلا مصلياً أو قاضياً حاجة، فقال له رسول الله ﷺ: «قد أوجبت[2] فلا عليك أن لا تعمل بعدها»[3].

---

(١) يقال في اللغة: ثوَّب الداعي تثْويباً إذا أعاد مرة بعد أخرى، والأصل في التَّثْويب: هو أن يجيء الرجل مستصرخاً فيلوِّح بثوبه ليُرى ويشتهر، فسُمّي الدعاء تَثْوِيباً لذلك. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٢٢٦، ٢٢٧؛ لسان العرب ١/٣٨٤.
أما التثويب في الاصطلاح الشرعي فله معنيان:
الأول: عند الحنفية: هو قول المؤذن بين الأذان والإقامة في صلاة الفجر: حي على الصلاة، حي على الفلاح ــ مرتين ــ. انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ١/٤٠٧.
الثاني: عند المالكية والشافعية والحنابلة: أن يقول المؤذن في أذان الصبح بعد الحيعلة: الصلاة خير من النوم ــ مرتين ــ. انظر: كتاب الكافي في الفقه المالكي ١/١٩٧؛ المهذب ١/٦٣ لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ والمغني لابن قدامة ١/٢٩٦.

(٢) يقال: أوجَبَ الرجلُ: إذا أتى بالمُوجِبَة وهي: الكبيرة من الذنوب أو الحسنات، التي توجب النار أو الجنة، ومعنى أوجبتَ في هذا الحديث: أي أتيت بما يوجب لك دخول الجنة. انظر القاموس المحيط ١/١٤١.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود بهذا اللفظ في كتاب الجهاد، باب في فضل الحراسة، ح (٢٥٠١)؛ سنن أبي داود ٣/٢٠ ــ ٢١.
وأخرجه في كتاب الصلاة، باب الرخصة في ذلك أي النظر، ح (٩١٦)، سنن أبي داود ١/٥٦٣.
وأخرجه النسائي في كتاب السِّير، باب ذهاب الطليعة وحده (السنن الكبرى، مخطوط. انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (٤٦٥٠)، ٤/٩٥، ١٤/٤١٤). =

المبحث الرابع
تعبئة مالك بن عوف جيشه

عبّأ مالك بن عوف جيشه للقتال على النحو التالي:

*** أولاً ـ رفع الروح المعنوية لدى الجند:**

وقف مالك خطيباً في جيشه وحثهم على الثبات والاستبسال، ومما قال في هذا الجمع الحاشد: (إن محمداً لم يقاتل قط قبل هذه المرة، وإنما كان يلقى قوماً أغماراً[1] لا علم لهم بالحرب فيُنصر عليهم)[2].

*** ثانياً ـ حشد ذراري المقاتلين وأموالهم خلف الجيش:**

أمر قائد هوازن بحشد نساء المقاتلين وأطفالهم وأموالهم خلفهم، وقد قصد من وراء هذا التصرف، دفعَ المقاتلين إلى الاستبسال والثبات أمام أعدائهم، لأن المقاتل ـ من وجهة نظره ـ إذا شعر أن أعزَّ ما يملك وراءه في المعركة صعب عليه أن يلوذ بالفِرار مخلِّفاً ما وراءه في ميدان المعركة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (افتتحنا مكة ثم غزونا حنيناً فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت، قال: فصفّت الخيل ثم صفّت

= وأخرج الحاكم قصة عبد الله بن أبي حدرد في كتاب المغازي، باب ذكر غزوة حنين واجتماع الأنصار عند النبي ﷺ. ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي صحيح. المستدرك على الصحيحين ٣/٤٩.

(١) أغمار: جمع غُمْر، بضم الغين وإسكان الميم، هو الجاهل الغرّ الذي لم يجرِّب الأمور، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٣٨٥؛ ولسان العرب ٢/١٠١٥.

(٢) مغازي الواقدي ٣/٨٩٣.

المقاتلة، ثم صفّت النساء من وراء ذلك، ثم صفّت الغَنَم ثم صفت النَّعَم)[1].

ولكنّ الفارس المحنك دريد بن الصمة، بيّن لمالك خطأ هذه الوجهة التي رآها.

سأل دريد مالكاً فقال: ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويُعَار الشاء؟... قال: سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولم ذاك؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم، قال: فأنقض[2] به، ثم قال: راعي ضأن والله، وهل يرد المنهزم شيء، إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك[3].

*** ثالثاً ـ تجريد السيوف وكسر أجفانها:**

جرت عادة العرب في حروبهم، أن يكسروا أجفان[4] سيوفهم قبل بدء القتال، وهذا التصرف يؤذن بإصرار المقاتل على الثبات أمام الخصم حتى النصر، أو الموت.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلَّفة قلوبهم وتصبر من قوي إيمانه، ح (١٣٦)، صحيح مسلم ٢/٧٣٦، ٧٣٧.
وأخرجه أحمد في مسنده ٣/٢٥٧.
وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (مخطوط، انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (٨٩٧)، ١/٢٣٦).

(٢) فأنْقَضَ به: أي نَقَرَ بلسانه في فيه كما يُزْجَر الحمار وقد فعل ذلك استجهالاً له أو يكون المراد: صَفَّق بإحدى يديه على الأخرى حتى سُمِعَ لها نَقِيض ـ أي: صوت ـ. انظر لسان العرب ٣/٧٠٦.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٤/٦٦؛ البداية والنهاية ٤/٣٢٣.

(٤) الأجْفَان: جمع جَفْن، وهي أَغْماد السيوف التي توضع فيها. انظر لسان العرب ١/٤٧٤.

وقد أمر مالك جنده بذلك تحقيقاً لهذا الهدف، بدليل قوله لهم: إذا أنتم رأيتم القوم فاكسروا جفون سيوفكم وشدوا شدّة رجل واحد عليهم[1].

* **رابعاً ـ وضع الكمائن لمباغتة جيش المسلمين والانقضاض عليهم:**

كانت عند مالك معلومات وافية عن الأرض التي ستدور عليها المعركة ولهذا رأى أن يستغل هذه الظروف الطبعية لصالح جيشه، فعمل بمشورة الفارس المحنك دريد بن الصمة في نصب الكمائن لجيوش المسلمين.

وقد كادت هذه الخطة أن تقضي على قوات المسلمين لولا لطف الله سبحانه وتعالى وعنايته.

* **خامساً ـ الأخذ بزمام المبادرة في الهجوم على المسلمين:**

كان من ضمن الخطة التي رسمها القائد الهوزاني الأخذ بزمام المبادرة ومهاجمة المسلمين، لأن النصر في الغالب يكون للمهاجم، أما المدافع فغالباً ما يكون في مركز الضعيف، ولهذا آتت هذه الخطة ثمارها بعض الوقت، ثم انقلبت موازين القوى ـ بفضل الله تعالى ـ ثم بثبات رسول الله ﷺ حيث كسب المسلمون الجولة وانتصروا على أعدائهم.

* **سادساً ـ شن الحرب النفسية ضد المسلمين:**

كان من ضمن بنود الخطة الحربية التي رسمها القائد الهوزاني، استعمال سلاح معنوي له تأثير كبير في النفوس، فقد شنَّ الحرب النفسية ضد المسلمين من أجل إلقاء الخوف في نفوسهم، وذلك بأن عمد إلى عشرات الآلاف من الجمال التي صحبها معه في الميدان فجعلها وراء جيشه، ثم أركب عليها النساء، فكان لذلك المشهد منظر مهيب، يحسب من يراه أن هذا الجيش مائة ألف مقاتل، وهو ليس كذلك[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٧٢.

(٢) انظر غزوة حنين ـ ص ١٢٨ ـ ١٣١: للشيخ محمد أحمد باشميل.

وفي وصف ذلك المشهد، يقول أنس بن مالك: (لما انتهينا إلى وادي حُنَين ـ وهو وادٍ من أودية تهامة له مضائق وشعاب ـ فاستَقْبَلَنَا من هوازن شيء، لا والله ما رأيت مثله في ذلك الزمان قطّ من السواد والكثرة، قد ساقوا نساءهم وأموالهم وأبناءهم وذراريهم، ثم صفوا صفوفاً فجعلوا النساء فوق الإبل وراء صفوف الرجال. فلما رأينا ذلك السواد حسبناه رجالاً كلهم...)[1].

(١) مغازي الواقدي ٣/٨٩٧.

المبحث الخامس
بـــدء القـــتال

المطلب الأول
الصفحة الأولى من القتال

لمّا صلى رسول الله ﷺ بالمسلمين صلاة الفجر، توجه في عَمَايـة[1] الصبح إلى وادي حنين حيث يعسكر مالك بن عوف الهوازني، بجيشه.

ولنـدع الآن الحديث لشـاهدَيْ عيـان ليصفا لنـا ذلك المشهـد الـرهيب الذي تعرّض له المسلمون في تلك الساعة:

فعن جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنهما ــ قال: (لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في وادٍ من أودية تهامة أجوف حَطوط[2]، إنما تنحدر فيه انحداراً وفي عَمَاية الصبح، وقد كان القوم كمنوا لنا في شعابه وفي أجنابه ومضايقه، وقد جمعوا وتهيّئوا وأعدوا، فوالله ما راعنا ونحن منحـطون إلا الكتائب قـد شدت علينا شدة رجل واحد، وانهزم الناس راجعين، فـاستمروا لا يلوي أحـد منهم على أحد)[3].

---

(١) عَمَـاية الصبـح: أي بقيـة ظلمة الليـل. انــظـر النهـايـة في غـريب الحـديث والأثـر ٣٠٥/٣.

(٢) الحَـطُوط: هو المنحدر من أعلى إلى أسفل. ويطلق أيضاً على الأكمة الصعبة الانحدار، ووادي حنين ينطبق عليه كلا هذين المعنيين. انـظر لسان العرب ٦٦٣/١؛ القامـوس المحيط ٣٦٧/٢.

(٣) الحـديث أخرجـه الإمام أحمـد في المسند ٣٧٦/٣؛ والفتـح الـرباني ١٧٢/٢١، قـال الشيخ البنا رحمه الله: الحديث صحيـح ورجاله كلهم ثقات.
وأخـرجه ابن حبـان في صحيحه، مـوارد الظمـآن إلى زوائد ابن حبـان، ح (١٧٠٤)، ص ٤١٧.
=

وعن إياس بن سلمة قال: حدثني أبي قال: (غزونا مع رسول الله ﷺ حنيناً فلما واجهنا العدو تقدمتُ فأعلو ثنية فاستقبلني رجل من العدو، فأرميه بسهم، فتوارى عني، فما دريت ما صنع ونظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنية[1] أخرى، فالتقوا هم وصحابة النبي ﷺ فولى صحابة النبي ﷺ وأرجع منهزِماً وعليّ بُرْدَتَان[2] متزراً بإحداهما مرتدياً بالأخرى، فاستطلق إزاري فجمعتهما جميعاً، ومررت على رسول الله ﷺ منهزماً[3] وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله ﷺ: «لقد رأى ابن الأكوع فزعاً»)[4].

ومع أن الغالبية العظمى فرّت من الميدان، إلا أن عصبة قليلة من المؤمنين ثبتت إلى جانب النبي ﷺ يحدثنا عن ذلك عبد الله بن مسعود فيقول: (كنت مع النبي ﷺ يوم حنين. . . فولى الناس وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار، فنكصنا على أقدامنا نحواً من ثمانين رجلاً،

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/ ١٨٠ ثم قال: رواه أحمد وأبو يعلى. . . ورواه البزار باختصار، وفيه ابن إسحاق وقد صرّح بالسماع في رواية أبي يعلى وبقية رجاله ثقات.

(١) الثنيّة في الجبل كالعقبة فيه، وقيل: هي الطريق العالي فيه، وقيل: أعلى المسيل فيه. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٢٢٦؛ لسان العرب ١/ ٣٨١.

(٢) البُرْدَتَان مثنّى مفرده بردة وهي الشملة المخططة وقيل هي كساء مربع أسود فيه صِغر تلبسه الأعراب. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ١١٦؛ ولسان العرب ١/ ١٨٩.

(٣) منهزماً حال من ابن الأكوع كما صرّح رضي الله عنه بذلك أولاً. أما النبي ﷺ فلم يرد أنه انهزم ولم ينقل أحد قط أنه انهزم في موطن من المواطن. وقد نقل العلماء إجماع المسلمين على أنه لا يجوز أن يعتقد أحد أنه انهزم ﷺ وأن ذلك لا يجوز عليه. انظر صحيح مسلم ٣/ ١٤٠٢.

(٤) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب غزوة حنين، ح (١٧٧٧)، صحيح مسلم ٣/ ١٤٠٢.

ولم نولِّهم الدبر وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة)[1].

وفي هذا الجو الذي يملؤه الرعب والخوف، أمر النبي ﷺ عمه العباس بن عبدالمطلب أن ينادي في الناس، فعادوا إلى الميدان مرة أخرى، ومنذ تلك اللحظة تبدلت موازين المعركة لصالح جيش المؤمنين.

عن كثير بن عباس بن عبدالمطلب قال: قال عباس: (شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء... فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَل الكفار، قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أي عباس، ناد أصحاب السَّمُرة»[2]، فقال عباس ـ وكان رجلاً صَيِّتاً ـ: (فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السَّمُرة»، قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا: يا لبيك يا لبيك، قال: فاقتتلوا

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٤٥٣؛ والفتح الرباني ٢١/١٧٠.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٨٠، قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحرث بن حَصِيرة وهو ثقة.
وذكره في كشف الأستار عن زوائد البزار، ح (١٨٢٩)، ٢/٣٤٨. وقد ترجم له الأنصاري وغيره وهو: الحارث بن حصيرة بكسر الصاد الأزدي، أبو النعمان الكوفي، رُمي بالرفض، روى عن زيد بن وهب وعكرمة، وروى عنه مالك بن مغول وعلي بن عياش. قال أبو أحمد الزبيري: كان يؤمن بالرجعة، لكن وثقه ابن معين والنسائي وقال ابن معين: يُكْتَبُ حديثه على ضعفه. انظر خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ ص ٦٧؛ وانظر تهذيب التهذيب ٢/١٤٠.

(٢) السَّمُرة: هي ضرب من شجر الطَّلْح، والمراد بها هنا الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٣٩٩.
والمراد بهذا النداء: هو تذكير هؤلاء الصحابة بالبيعة التي أعطوها للرسول ﷺ وهي: أن يقاتلوا معه ولا يفروا عنه.

والكفار والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ: «هذا حين حمي الوطيس[1]»[2].

المطلب الثاني
الصفحة الثانية من القتال

عندما استجاب الفارّون من ميدان المعركة لنداء الرسول ﷺ وعادوا إلى مواقعهم، بدأ القتال من جديد، واشتدت ضراوته، «واجتلد الناس، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ»[3].

(وحاقت الهزيمة بالأعداء.... فقتل الله من قتل منهم وانهزم من انهزم منهم وأفاء اللَّهُ على رسوله أموالهم ونساءهم وأبناءهم)[4].

---

(١) الوَطِيس: هو التَّنور وهو كناية عن شدة الأمر واضطرام الحرب، وأول من قال ذلك: هو رسول الله ﷺ، وهو من أحسن الاستعارات. انظر لسان العرب ١/ ٧٣١.

(٢) الحديث أخرجه مسلم بهذا اللفظ في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب في غزوة حنين، ح (١٧٧٥)، صحيح مسلم ٣/ ١٣٩٨.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٢٠٧.
وأخرجه النسائي في كتاب السِّيَر، باب رمي الحصى في وجوه القوم، (السنن الكبرى، مخطوط، انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (٥١٣٤)، ٤/ ٢٦٩، ١٤/ ٤١١).

(٣) هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٣٧٦، وأبو يعلى، ورواه البزار باختصار، وقد سبق تخريجه قريباً، انظر ص ٢٥٦.

(٤) الحديث أخرجه البيهقي في جماع أبواب مغازي رسول الله ﷺ، باب غزوة حنين وما ظهر فيها من آثار النبوة، ٥/ ١٢٩.

المبحث السادس
المعجزات التي أيّد الله بها نبيه يوم حنين

لمّا بدأت الصفحة الثانية واشتد القتال، أيّد الله نبيه ﷺ وجنده المؤمنين بنصرٍ من عنده، حيث أكرمهم ببعض المعجزات الروحية والمادية[1]، وسأتكلم عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول
نزول الملائكة من السماء

أيّد الله جيش المؤمنين بجندٍ من عنده، حيث أنزل عليهم ملائكة من السماء تقاتل معهم. عن جبير بن مطعم ــ رضي الله عنه ــ قال: (رأيت يوم حنين شيئاً أسود مثل البُجَاد[2]، فلما دفع إلى الأرض فشى ذراً وانهزم المشركون).

وعن مصعب بن شيبة عن أبيه قال: (خرجت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، والله ما أخرجني الإسلام ولا معرفة به، ولكنني أَنِفْتُ أن تظهر هوازن على قريش، فقلت وأنا واقف معه: يا رسول الله، إني أرى خيلاً بلقاً[3] قال: «أيا شيبة، إنه لا يراها إلا كافر»[4].

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/ ٤٧٩.

(٢) البُجَاد: على وزن فُعَال، جمع بجد، والبُجاد الكِسَاء، أراد به الملائكة الذين أيدهم الله بهم، وأصبحت الأرض بجدة واحدة عندما أطبقها هذا الجراد الأسود. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٩٦؛ لسان العرب ١/ ١٦٠.

(٣) البَلَق بفتح الباء واللام: سواد وبياض، وكذلك البُلقة بالضم والبَلَق والبُلقة: مصدر الأبلق، وهو ارتفاع التحجيل إلى الفخذين. انظر لسان العرب ١/ ٢٥٩.

(٤) الحديث أخرجه الطبراني، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/ ١٨٣، ثم قال الهيثمي: =

المطلب الثاني

سلاح الرعب

من الأسلحة المعنوية التي أيّد الله بها عباده المؤمنين يوم حنين سلاح الرعب الذي ألقاه الله في قلوب المشركين حين انهزموا.

عن يزيد بن عامر السوائي ــ وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم ــ قال: (سألناه عن الرعب الذي ألقاه الله في قلوبهم يوم حنين كيف كان؟ فأخذ حصاة فرمىٰ بها طستاً قال: كنا نجد في أجوافنا مثل هذا)[1].

المطلب الثالث

تأثير قبضتي الحصى والتراب في أعين الأعداء

من الأسلحة المادية التي أيد الله بها رسوله ﷺ يوم حنين تأثير قبضتي الحصى والتراب اللتين رمى بهما وجوه المشركين، حيث دخل في أعينهم كلهم من ذلك الحصى والتراب، فصار كل واحد يجد لهما في عينيه أثراً، فكان من أسباب هزيمتهم.

عن كثير بن عباس بن عبد المطلب قال: قال عباس: (... أخذ رسول الله ﷺ حَصَيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا وربِّ

رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين في أحدهما عبّاد بن آدم لم يوثقه أحد ولم يجرحه، قال الذهبي في ترجمته عَبَّاد بن آدم الهذلي، عن شعبة، ما روى عنه سوى ولده محمد، لا يُدرى حاله. ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢ / ٣٦٥.

وانظر في ترجمته الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٢/ ٥٣.

(١) الحديث أخرجه الطبراني ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/ ١٨٣.

وأخرجه البيهقي في جماع أبواب مغازي رسول الله، باب رمي النبي ﷺ وجوه الكفار، والرعب الذي ألقي في قلوبهم. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٥/ ١٤٤.

وقد أورده ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ح (٤٣٧١) ٤/ ٢٥١.

محمد»، قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلتُ أرى حدَّهم كليلًا وأمرهم مدبراً)[1].

وعن سلمة بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ قال: (. . . فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم فقال: «شاهت الوجوه» فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة فولّوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل)[2].

وقد عدّ الإمام ابن القيم هذا الأمر من معجزات النبي ﷺ فقال رحمه الله تعالى: (ومنها إيصال الله قبضته التي رمى بها إلى عيون أعدائه على البُعد منه، وبركته في تلك القبضة حتى ملأت أعين القوم)[3].

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه في ص ٢٥٧، وهو جزء من الحديث المذكور هناك.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه في ص ٢٥٥، وهو جزء من الحديث المذكور هناك.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٤٨٣.

المبحث السابع
ما نزل من القرآن في غزوة حنين

أنزل الله سبحانه وتعالى آيات تتلى في كتابه العزيز إلى يوم القيامة في شأن ما حدث للمؤمنين في غزوة حنين لمَّا ولَّوْا مدبرين في الجولة الأولى من القتال، وما أكرمهم الله به من النصر بعد تلك الهزيمة، ليكون في هذه الحادثة عبرة لمن يعتبر بالكثرة، ويغفل عن اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى في طلب النصرة على عدوه.

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿لقد نَصَرَكُمُ اللَّهُ في مواطِنَ كثيرةٍ ويومَ حنينٍ إذ أعجبتكم كَثْرَتُكُم فلم تغنِ عنكم شيئاً وضاقتْ عليكم الأرضُ بما رَحُبَتْ ثم ولَّيْتُم مُدْبرين * ثم أنزل اللَّهُ سكينَته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تَرَوْها وعذَّبَ الذين كفروا وذلك جزاءُ الكافرين * ثم يتوبُ اللَّهُ من بعدِ ذلك على من يشاءُ واللَّهُ غفور رحيم﴾[1].

ويبين الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ الحكمة الإلهية من هزيمة المسلمين في أول الأمر فيقول: (اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عَدَدهم وعُدَدهم وقوة شوكتهم ليطامن رؤوساً رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسوله ﷺ واضعاً رأسه منحنياً على فرسه. . . وليبين سبحانه وتعالى لمن قال: (لا نُغلب اليوم من قلة)[2] أن النصر إنما هو من عنده، وأنه من ينصره فلا غالب له،

---

(١) الآيات ٢٥ ـ ٢٧ من سورة التوبة.

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه البزار، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٧٨، قال الهيثمي ـ بعد ذكره هذا الحديث ـ: وفيه علي بن عاصم بن صهيب وهو ضعيف، =

ومن يخذله فلا ناصر له غيره، وأنه سبحانه هو الذي تولّى نصر رسوله ودينه، لا كثرتكم التي أعجبتكم، فإنها لم تغن عنكم شيئاً، فولّيْتم مدبرين، فلما انكسرت قلوبهم أُرسلت إليهم خلع الجبر مع بريد النصر، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وقد اقتضت حكمته، أن خِلَع النصر وجوائزه إنما تفيض على أهل الانكسار)[1].

ويعلّق سيد قطب رحمه الله على الآيات السابقة فيقول: (ويوم حنين الذي هُزموا فيه بكثرتهم ثم نصرهم الله بقوته يوم أن انضم إلى جيش الفتح ألفان فقط من الطلقاء، يوم أن غفلت قلوب المسلمين لحظات عن الله، مأخوذة بالكثرة في العدد والعتاد، ليعلم المؤمنون أن التجرد لله وتوثيق الصلة به، هي عُدّة النصر التي لا تخذلهم حين تخذلهم الكثرة في العدد والعتاد، وحين يخذلهم المال والإخوان والأولاد)[2].

= لكثرة غلطه وتماديه فيه، وقد وُثّق، وبقية رجاله ثقات. وقال الأنصاري في ترجمته: علي بن عاصم بن صهيب التيمي مولاهم أبو الحسن الواسطي أحد الأعلام، عن يحيى البكاء وعطاء بن السائب وبيان بن بشر وخلق، وعنه أحمد وابن المديني وزياد بن أيوب وخلق... قال يعقوب بن شيبة: أصحابنا مختلفون فيه منهم من أنكر عليه كثرة الغلط، ومنهم من أنكر تماديه في ذلك، وتركه الرجوع عما يخالف فيه الناس، ومنهم من تكلم في سوء حفظه، وقد كان من أهل الصلاح والدين والخير البارع، مات سنة إحدى ومائتين. انظر: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ ص ٢٧٥.

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٤٧٧، ٤٧٨.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب ٣/١٦١٦.

المبحث الثامن
مطاردة فلول الفارين إلى الطائف وأوطاس

لمّا انهزم المشركون يوم حُنَين لاذ بعضهم بالفرار إلى الطائف[1] وبعضهم الآخر إلى أوطاس، وقد طارد النبي ﷺ أولئك الفارِّين وتتبّع فلولهم من أجل القضاء عليهم لئلا يعيدوا الكرة مرة أخرى على المسلمين.

المطلب الأول
محاصرة الفارِّين إلى الطائف

عندما انتهت غزوة حنين بهزيمة المشركين، لجأ بعضهم إلى حصن الطائف، وأغلقوا عليهم بابه، فظل النبي ﷺ محاصراً لهم أربعين يوماً. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ـ بعد أن ذكر هزيمة المشركين في حنين ـ: (ثم انطلقنا إلى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلةً ثم رجعنا إلى مكة [2].

وقد حدث أثناء الحصار قتال شديد بين الفريقين ودخل نفر من الصحابة رضي الله عنهم تحت الدبابة[3]، ثم زحفوا ليحرقوا جدار الحصن

---

(١) الطائف: هي مدينة في السفوح الشرقية لسراة الحجاز، شرق مكة مع مَيْل يسير إلى الجنوب على بُعد (٩٩ كيلًا) منها، ويرتفع عن سطح البحر (١٦٣٠) قدماً، لذا فهو يُعد مصيفاً جميلاً، يؤمه كثير من المصطافين في فصل الصيف. انظر معجم البلدان ٤/٨ ـ ١٠؛ معجم معالم الحجاز ٥/٢٢٢.

(٢) هذ الحديث سبق تخريجه في ص ٢٥١، وهو جزء من الحديث المذكور هناك.

(٣) الدَّبابة: هي آلة تُستعمل في الحرب، يدخل فيها الرجال ثم تدفع في أصل حصن فينقبون جداره وهم في جوفها، سميت بذلك لأنها تدفع وتدب. أما في الحرب الحديثة فإن الدبابة تطلق على سيارة مصفحة تهجم على صفوف العدو وترمى منها القذائف. انظر لسان العرب ١/٩٣٨؛ المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ١/٢٣٤.

فأُرسلت عليهم سكك الحديد المحماة فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل، فقتل عدد منهم، فأمر النبي ﷺ حينئذ بقطع أعنابهم.

عن عروة بن الزبير قال: (فنزل رسول الله ﷺ بالأكمة[1]، عند حصن الطائف، فحاصرهم... وقاتلته ثقيف بالنبل والحجارة وهم في حصن الطائف، وكثرت القتلى من المسلمين، وفي ثقيف، وقطع المسلمون من كروم[2] ثقيف ليغيظوهم بذلك...)[3].

---

(١) الأكَمَة على وزن (فَعَلَة) هي التلّ الذي يكون من حجارة واحدة، أو الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله. انظر: القاموس المحيط ٤/٧٦.

(٢) الكُرُوم: شجر العنب، سُمي بذلك لما ذلل من قطوفه عند ينعه وكثر من خيره في كل حال، وأنه لا شوك فيه. انظر: لسان العرب ٣/٢٤٩.

(٣) الحديث أخرجه البيهقي في كتاب السِّيَر، باب قطع الشجروحرق المنازل، السنن الكبرى ٩/٨٤.

ورواه عروة بن الزبير في مغازيه ــ ص ٢١٦، والحديث بهذا الإسناد فيه ابن لهيعة، وقد ترجم له الذهبي وذكر آراء علماء الجرح والتعديل فيه: هو عبد الله بن لهيعة بن عُقْبَة الحضرمي قاضي مِصْرَ وعالمها أدرك الأعرج وعمرو بن شعيب. قال فيه ابن معين: ضعيف لا يحتج به، وقال ابن مهدي: ما أعتدُّ بشيء سمعته من حديث ابن لهيعة إلا سماع ابن المبارك ونحوه. وقال أبو زرعة وأبو حاتم: أمره مضطرب يُكتب حديثه للاعتبار. وقال الجوزجاني: لا نور على حديثه ولا ينبغي أن يحتج به. وقد وثقه بعضهم: فقال الإمام أحمد: من كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه وضبطه وإتقانه؟ وقال ابن وهب: حدثني الصادق البار ــ والله ــ عبد الله بن لهيعة. وقال أحمد بن صالح: كان ابن لهيعة صحيح الكتاب، طلاباً للعلم، وقد احترقت كتبه سنة سبعين ومائة. وكانت وفاته ــ رحمه الله ــ سنة أربع وسبعين ومائة. انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢/٤٧٥ ــ ٤٨٣.

وبهذا يتبين أن الحديث بهذا الإسناد ضعيف، لضعف أحد رواته. والله أعلم.

وهذا الحديث ورد له معارض في الصحيحين وغيرهما، من حيث إطلاق الكرم على العنب. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا تسموا العنب الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم)[1]. =

(١) الحديث أخرجه مسلم واللفظ له في كتاب الألفاظ، باب كراهة تسمية العنب كرماً، ح (٨)، صحيح مسلم ٤/١٧٦٣. =

ولما مضى على حصارهم مدة خمسة عشر يوماً، استشار النبي ﷺ نوفل بن معاوية الدِّيلي، فقال: «يا نوفل ما ترى في المقام عليهم؟» قال: يا رسول الله، ثعلب في جُحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرّك[1].

قال ابن إسحاق ــ رحمه الله ــ: (وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا بكر إني رأيت أني أُهدِيتَ لي قصعة مملوءة زبداً فنقرها ديك فهراق[2]

= ويمكن الجمع بين هذين الحديثين على النحو الآتي:
أن الحديث الأول فيه جواز تسمية العنب بالكرم لسببين:
الأول: أنه ذلل لقاطفه وليس فيه شوك يؤذي جانيه.
الثاني: أنه يحمل الأصل منه مثل ما يحمل النخل أو أكثر.
أما الحديث الثاني: ففيه النهي عن تسمية العنب كرماً لسببين:
الأول: أن فيه تأكيد تحريم الخمر بمحو اسمها.
الثاني: أن في تبقية هذا الاسم تقريراً لما كانت تتوهمه العرب من تكريم شاربها، فنهى عن هذه التسمية لهذين السببين، وقال: (الكرم الرجل المسلم)، لما في قلبه من نور الإسلام وهدى الإسلام.
ويحمل النهي في هذا الحديث على إرادة حسم مادة الفساد، بترك تسمية أصل الخمر وهو العنب بهذا الاسم الحسن، والله أعلم[1].

(١) الحديث أخرجه البيهقي في جماع أبواب مغازي رسول الله ﷺ، باب: إذن رسول الله ﷺ بالقفول من الطائف، ودعائه لثقيف بالهداية وإجابة الله دعاءه، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٥/١٦٩.
ورواه ابن إسحاق، السيرة النبوية لابن هشام ٤/١٢٩.

(٢) فهراق: هراق الماء يهريقه ــ بفتح الهاء ــ هِراقة بالكسر، وأهرقه يهريقه إهراقاً أي: =

= وأخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ «إنما الكرم قلب المؤمن»، ح (٦١٨٢)، فتح الباري ١٠/٥٦٤.
وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الكرم وحفظ المنطق، ح (٤٩٧٤)، سنن أبي داود ٥/٢٥٥، بنحو هذا اللفظ.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده بنحو هذا اللفظ ٢/٢٣٩، ٢٥٩، ٢٧٢، ٣١٦، ٤٦٤، ٤٧٦، ٥٠٩.
وأخرجه الدارمي في كتاب الأشربة، باب في النهي أن يسمّى العنب كرماً، سنن الدارمي ٢/١١٨.
وأخرجه في كتاب الاستئذان، باب: لا يُقال للعنب الكرم، سنن الدارمي ٢/٢٩٥.

(١) انظر فتح الباري ١٠/٥٦٧.

ما فيها»، فقال أبو بكر: ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد، فقال رسول الله ﷺ: «وأنا لا أرى ذلك»[1].

وعندما رأى النبي ﷺ أنه لن ينال منهم شيئاً، لكونهم قد تمنّعوا وأدخلوا في حصنهم ما يكفيهم مدة سنة[2]، أخبر النبي ﷺ الصحابةَ بأنه سيرجع بهم، ويترك هؤلاء الأعداء حتى يأتوا مسلمين.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف، فلم ينل منهم شيئاً فقال: «إنا قافلون إن شاء الله»، قال أصحابه: نرجع ولم نفتتحه؟! فقال لهم رسول الله ﷺ: «اغدوا على القتال»، فغَدَوْا عليه، فأصابهم جراح، فقال رسول الله ﷺ: «إنا قافلون غداً»، قال: فأعجبهم ذلك، فضحك رسول الله ﷺ)[3].

فقد حملته ﷺ الشفقة على الصحابة والرفق بهم على الرحيل عن حصن الطائف لصعوبة ملازمة الحصار عليهم، وشدة الكفار الذين بداخله، وتقويتهم بحصنهم، مع أنه ﷺ علم عن طريق الوحي أو رجا أنه سيفتحه بعد هذا الحصار بلا مشقة، ـ كما حدث ـ فلما رأى ﷺ حرص أصحابه على

= صبّه، وأصل هراق: أراق، ولم يقولوا: أأريقه لاستثقال الهمزتين، فأبدلوا إحداهما هاء. انظر القاموس المحيط ٣/٣٠٠.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/١٢٩؛ وانظر تاريخ الطبري ٣/٨٤؛ والبداية والنهاية ٤/٣٥٠.

(٢) انظر فتح الباري ٨/٤٥.

(٣) الحديث أخرجه مسلم واللفظ له، في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب غزوة الطائف، ح (١٧٧٨)، صحيح مسلم ٣/١٤٠٢، ١٤٠٣.
وأخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، ح (٤٣٢٥)، فتح الباري ٦/٤٤، وأخرجه في كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، ح (٦٠٨٧)، فتح الباري ١٠/٥٠٣، وأخرجه في كتاب التوحيد، باب في المشيئة، ح (٧٤٨٠)، فتح الباري ١٣/٤٤٥.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/١١.

الجهاد أقام وجدّ في القتال، فلما أصابتهم الجراح رجع إلى ما كان قصده ﷺ أولاً من الرفق بهم، ففرحوا بذلك لما رأوا من المشقة الظاهرة.

ولعلهم نظروا فعلموا أن رأي الرسول ﷺ أبرك وأحسن عاقبةً من رأيهم فوافقوه على الرحيل، وفرحوا بذلك، فضحك النبي ﷺ تعجباً من سرعة تغيّر رأيهم[1].

ثم إن الصحابة رضي الله عنهم اشتكوا إلى رسول الله ﷺ مما لقوا من أذى ثقيف، وطلبوا منه أن يدعو عليهم، ولكنه ﷺ سأل الله أن يهديهم للإسلام.

فعن ابن الزبير ـ رضي الله عنه ـ قال: (لما حاصر الرسول ﷺ الطائف، قال أصحابه: يا رسول الله، أحرقتنا نبال ثقيف فادْعُ الله عليهم، فقال: «اللهم اهد ثقيفاً»)[2].

المطلب الثاني
مطاردة الفارِّين إلى أوطاس

لمّا هزم الله المشركين يوم حنين، فرّ بعضهم إلى وادي أوطاس، فبعث النبي ﷺ في آثارهم سرية من أصحابه، وأمّر عليهم أبا عامر الأشعري، فحدث تناوش بين الطرفين، قُتل من جرّائه أبو عامر ـ رضي الله عنه ـ فأخذ الراية من بعده ابن أخيه، أبو موسى الأشعري فقاتل المشركين.

عن أبي بردة عن أبيه قال: (لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/١٢٤، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة (١٤٠٣هـ).

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٣٤٣.
وأخرجه الترمذي في أبواب المناقب، في ثقيف، وبني حنيفة، ح (٣٩٣٧)، سنن الترمذي ٩/٤٢٣، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

على جيش إلى أوطاس، فلقي دريد بن الصمة، فقُتِل دريد، وهزم الله أصحابه، فقال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر قال: فَرُمِيَ أبو عامر في ركبته، فانتهيت إليه فقلت: يا عمّ من رماك؟ فأشار أبو عامر إلى أبي موسى، فقال: إن ذاك قاتلي، تراه ذلك الذي رماني، قال أبو موسى: فقصدت له، فاعتمدته، فلحقته فلما رآني ولّى عني ذاهباً، فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحي، ألست عربياً، ألا تثبت؟ فكفّ.

فالتقيت أنا وهو، فاختلفنا أنا وهو ضربتين، فضربته بالسيف فقتلته، ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: إن الله قد قتل صاحبك قال: فانزع هذا السهم، فنزعته فنزا[1] منه الماء، فقال: يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السّلام، وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفر لي، قال: واستعملني أبو عامر على الناس، ومكث يسيراً، ثم إنه مات، فلما رجعت إلى النبي ﷺ دخلت عليه ،وهو في بيت على سرير مُرْمَل[2]، وعليه فراش، وقد أثّر رمال السّرير بظهر رسول الله ﷺ وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقلت له: قال لي: قل له يستغفر لي، فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه، ثم رفع يديه، ثم قال: «اللهم اغفر لعُبيد أبي عامر»، حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك ـ أو من الناس ـ» فقلت: ولي يا رسول الله، فاستغفِر، فقال النبي ﷺ: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبَه وأدخله يوم القيامة مُدْخَلاً كريماً» قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر، والأخرى لأبي موسى)[3].

---

(١) نَزَا: يقال: نزا دمه ونزف إذا جرى ولم ينقطع. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٤٣؛ لسان العرب ٣/٦٢١.

(٢) مُرْمَل: تقول: رملتُ الحصير وأرملته فهو مُرْمَل إذا نسجتَه وسففتَه، والمراد بذلك أنه كان السّرير قد نسج وجهه بالسّعف، ولم يكن على السّرير غطاء غير الحصير. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٢٦٥؛ لسان العرب ١/١٢٢٧.

(٣) الحديث أخرجه مسلم واللفظ له في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل =

المبحث التاسع

ردّ سبي هوازن إليهم

لمّا عاد النبي ﷺ إلى الجعرّانة، جاءه وفد هوازن مسلمين يسألونه أن يردّ عليهم ذراريهم، وأموالهم، واستعطفوه في هذا الشأن، فخيّرهم النبي ﷺ بين الأموال والأحساب، فاختاروا الأحساب على الأموال.

فعن عروة بن الزبير: أن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة أخبراه أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «معي من تَرَوْن، وأحبُّ الحديث إلي أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال وقد كنت استأنيت بكم»، وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضعة عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير رادٍّ إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإنا نختار سبينا، فقام رسول الله ﷺ في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فإن إخوانكم قد جاؤونا تائبين، وإني قد

= أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رضي الله عنهما، ح (٢٤٩٨)، صحيح مسلم ٤/١٩٤٣.

وأخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب نزع السهم من البدن، ح (٢٨٨٤)، فتح الباري ٦/٨٠.

وأخرجه في كتاب المغازي، باب غزوة أوطاس، ح (٤٣٢٣)، فتح الباري ٨/٤١.

وأخرجه في كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الوضوء، ح (٦٣٨٣)، فتح الباري ١١/١٨٧.

وأخرجه النسائي في كتاب السِّيَر باب استخلاف صاحب الجيش (السنن الكبرى، مخطوط، ح (٩٠٤٦)، انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ٦/٤٣٩، ١٤/١٠٩).

رأيت أن أردَّ إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل».

فقال الناس: قد طيّبْنا ذلك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم»، فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا[1].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿ويومَ حُنين إذ أعجبتكم كَثْرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقتْ عليكم الأرضُ بما رَحُبَت ثم ولَّيْتُم مدبرين * ثم أنزلَ اللَّهُ سكينته...﴾ إلى قوله: ﴿غفور رحيم﴾ الآيات ٢٥ ـ ٢٧ من سورة التوبة، ح (٤٣١٨، ٤٣١٩)، فتح الباري ٨/٣٢.
وأخرجه في كتاب الوكالة، باب إذا وهب شيئاً لوكيل أو شفيع قوم جاز، ح (٢٣٠٧، ٢٣٠٨)، فتح الباري ٤/٤٨٣.
وأخرجه في كتاب العتق، باب من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع وجامع وفدى وسبى الذرية...، ح (٢٥٣٩، ٢٥٤٠)، فتح الباري ٥/١٦٩.
وأخرجه في كتاب الهبة، باب من رأى الهبة الغائبة جائزة، ح (٢٥٨٣، ٢٥٨٤)، فتح الباري ٥/٢٠٩.
وفي باب: إذا وهب جماعة لقوم، ح (٢٦٠٧، ٢٦٠٨)، فتح الباري ٥/٢٢٦.
وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب: في فداء الأسير بالمال، ح (٢٦٩٣)، سنن أبي داود ٣/١٤١.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/٣٢٦، ٣٢٧.

المبحث العاشر

قسمة غنائم حنين

بعد أن انتصر النبي ﷺ على هوازن، في حنين، وغنم المسلمون أموالهم ونساءهم وأطفالهم أمر ﷺ أن تجمع تلك الغنائم والسبي في مكان يقال له «الجعرانة» وعين مسؤولاً يقوم على حراستها.

وقد بلغ مجموع السبي ستة آلاف رأس، والإبل أربعة عشر ألفاً، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية[1].

ويذكر الإمام ابن القيم رحمه الله الحكمة الإلهية من إعطاء المؤمنين تلك الغنائم الكثيرة في هذه الغزوة فيقول: (ومنها: أن الله سبحانه وتعالى لما منع الجيش غنائم مكة، فلم يغنموا منها ذهباً ولا فضةً ولا متاعاً ولا سبياً ولا أرضاً كما روى أبو داود عن وهب بن منبِّه قال: سألت جابراً: هل غنموا يوم الفتح شيئاً؟ قال: لا[2].

وكانوا قد فتحوها بإيجاف[3] الخيل والركاب وهم عشرة آلاف، وفيهم حاجة إلى ما يحتاج إليه الجيش من أسباب القوة، فحرَّك سبحانه قلوب المشركين لغزوهم وقذف في قلوبهم إخراج أموالهم ونَعَمهم وشائهم وسبيهم معهم نزلاً وضيافةً وكرامةً لحزبه وجنده، وتمم تقديره سبحانه بأن أطمعهم في الظفر وألاح لهم مبادىء النصر ليقضي الله أمراً كان مفعولاً. فلما أنزل الله

---

(١) انظر زاد المعاد في هدى خير العباد ٣/٤٧٣.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والفيء، باب ما جاء في خبر مكة، ح (٣٠٢١)، سنن أبي داود ٣/٤١٦، وهو مرسل حسن.

(٣) الإيجَاف: سرعة السَّيْر، يقال: أوْجَفَ دابتَه يُوجِفُها إيجافاً إذا حثَّها على الإسراع. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/١٥٧؛ لسان العرب ٣/٧٨٢.

نصره على رسوله وأوليائه وبردت الغنائم لأهلها وجرت فيها سهام الله ورسوله قيل: لا حاجة لنا في دمائكم ولا في نسائكم وذراريكم فأوحى الله سبحانه إلى قلوبهم التوبة والإنابة فجاؤوا مسلمين فقيل: إن من شكر إسلامكم وإتيانكم أن نرد عليكم نساءكم وأبناءكم وسبيكم و﴿إنْ يَعلَمِ اللَّهُ في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أُخذ منكم ويغفِرْ لكم والله غفور رحيم﴾[1])[2].

وعندما عاد ﷺ من الطائف، قسَّم تلك الأموال وبدأ أولاً بالمؤلفة قلوبهم.

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: (لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائةً من الإبل، وأعطى عُيَيْنة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه لقسمة ما عُدل فيها، وما أريد بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن النبيَّ ﷺ فأتيته فأخبرته، فقال: «فمن يعدلُ إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر»[3].

---

(١) سورة الأنفال: آية ٧٠.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٤٧٨.

(٣) الحديث أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس، ونحوه، ح (٣١٥١)، فتح الباري ٦/٢٥١، ٢٥٢).

وأخرجه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة﴾، ح (٣٤٠٥)، فتح الباري ٦/٤٣٦.

وأخرجه في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال، سنة ثمان، ح (٤٣٣٥، ٤٣٣٦)، فتح الباري ٨/٥٥.

وأخرجه في كتاب الأدب، باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه، ح (٦٠٥٩)، فتح الباري ١٠/٤٧٥، وفي باب الصبر في الأذى وقول الله تعالى: ﴿إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾، ح (٦١٠٠)، فتح الباري ١٠/٥١١.

وأخرجه في كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارَّة والمناجاة، ح (٦٢٩١)، فتح الباري ١١/٨٣.

=

وعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: (أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كلَّ إنسان منهم مائةً من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس:

أتجعل نهبي ونهب العُبَيْد بين عيينة والأقرع
فما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دونَ امرىء منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع

قال: فأتم له رسول الله ﷺ مائة)(١).

وعن ابن شهاب قال: (غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح (فتح مكة)، ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائةً من النعم، ثم مائة ثم مائة)(٢).

وقد أخبر صفوان عن أثر هذا العطاء في قلبه، قال ابن شهاب: حدثني سعيد بن المسيب، أن صفوان قال: (والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي)(٣).

= وأخرجه في كتاب الدعوات، باب قول الله تعالى: ﴿وصل عليهم﴾، ومن خص أخاه بالدعاء، دون نفسه، ح (٦٣٣٦)، فتح الباري ١١/١٣٦.
وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، وتصبر من قوي إيمانه، ح (١٠٦٢)، صحيح مسلم ٢/٧٣٩.
وأخرجه الترمذي في كتاب الزكاة، باب ما جاء في إعطاء المؤلفة قلوبهم، ح (٦٦٦)، سنن الترمذي ٣/٢٧، ٢٨.

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، ح (١٠٦٠)، صحيح مسلم ٢/٧٣٧.
(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط، فقال: لا، وكثرة عطائه، ح (٢٣١٣)، صحيح مسلم ٤/١٨٠٦.
(٣) هذا الحديث جزء من الحديث الذي قبله وقد سبق تخريجه في موضعه.

ووعد ﷺ مالكَ بن عوف النصري أنه إن جاءه مسلماًردَّ عليه أهله وماله،وأجزل له العطاء، فجاء فأعطاه ما وعده.

عن محمد بن إسحاق:(أن رسول الله ﷺ قال لوفد هوازن بحنين وسألهم عن مالك بن عوف النصري ماذا فعل مالك؟ قال: هو بالطائف، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروا مالكاً أنه إن يأتني مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائةً من الإبل»، فأتى مالك بذلك، فخرج إليه من الطائف وكان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قد قال له ما قال، فيحبسوه، فأمر راحلة له فهُيِّئت، وأمر بفرس له، فأُتي به من الطائف، فخرج ليلاً فجلس على فرسه فلحق برسول الله ﷺ فأدركه بالجعرانة، أو مكة، فرد عليه أهله وماله، وأعطاه مائةً من الإبل)[1].

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني ورجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٨٩.

وأخرجه البيهقي في كتاب المغازي، باب وفود وفد هوازن على النبي ﷺ، وهو بالجعرانة، مسلمين، ورده عليهم سباياهم. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٥/١٩٨.

ورواه ابن إسحاق بدون سند، السيرة النبوية لابن هشام ٤/١٣٧.

وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣/٣٦١.

المبحث الحادي عشر
مَوْجِدَة الأنصار على تلك القسمة

راعى النبي ﷺ في تقسيم الغنائم ـ يوم حنين ـ المصلحة العامة للإسلام، فأعطى بعض رجالات قريش طمعاً في إسلامهم وكفّ شرهم عن المسلمين، بينما حرم الأنصار ـ وهم الذين قاتلوا معه الأعداء ـ من هذه العطايا الجزيلة.

وبسبب هذه القسمة وجد الأنصار بحكم طبيعتهم البشرية على الرسول ﷺ شيئاً، وترددت بينهم قالة زعموا فيها أن الرسول ﷺ أعطى قومه وحرمهم.

فجمعهم ﷺ وكشف لهم عن حقيقة هذا العطاء، والقصد منه، وبيّن في هذا الاجتماع ـ كذلك ـ مكانة الأنصار ومنزلتهم عنده، وأخيراً اقتنع القوم وبكوا حتى اخضلت لحاهم ندماً على ما قالوا[1].

فعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ لما فتح حنيناً قسّم الغنائم، فأعطى المؤلفة قلوبهم، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس، فقام رسول الله ﷺ فخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضُلّالاً، فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ ومتفرِّقين فجمعكم الله بي؟» ويقولون: الله ورسوله أمنّ. فقال: «ألا تجيبوني»؟ فقالوا: الله ورسوله أمنّ. فقال: «أما إنكم لو شئتم أن تقولوا: كذا وكذا... وكان من الأمر كذا وكذا...»، لأشياء عدّدها، زعم عمرو أن

---

(١) انظر: مغازي الواقدي ٣/٩٥٧، ٩٥٨.

لا يحفظها، فقال: «ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟ الأنصار شِعار[1]، والناس دِثار[2]، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبهم، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض[3].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن هذه المقالة لم تصدر من الأنصار كلهم، وإنما قالها حديثو السن منهم، بدليل ما ورد في الصحيحين:

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن ناساً من الأنصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء، فطفق رسول الله ﷺ يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم.

قال أنس بن مالك: فحُدِّثَ ذلك رسول الله ﷺ من قولهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم فلما اجتمعوا، جاءهم رسول الله ﷺ فقال: «ماحديث بلغني عنكم؟» فقال له فقهاء الأنصار: أما ذوو رأينا يا رسول الله

---

(١) الشِّعار: هو ما يلي شعر جسد الإنسان من الثياب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٨٤٠.

(٢) الدِّثار: هو الثوب الذي يكون فوق الشعار. والمراد بذلك أن المخاطبين: هم الخاصة، والناس: هم العامة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/١٠٠؛ لسان العرب ١/٩٤٦.

(٣) الحديث: أخرجه مسلم واللفظ له في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، ح (١٠٦١)، صحيح مسلم ٢/٧٣٨، ٧٣٩.
وأخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، ح (٤٣٣٠)، فتح الباري ٨/٤٧.
وأخرجه في كتاب التمنّي، باب ما يجوز من (اللّو) وقوله تعالى: ﴿لو أنّ لي بكم قوة﴾، ح (٧٢٤٤، ٧٢٤٥)، فتح الباري ١٣/٢٢٥.
وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضل الأنصار، ح (١٦٤)، سنن ابن ماجه ١/٥٨.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند بنحو هذا اللفظ عن أبي هريرة ٣/٢٤٦.

فلم يقولوا شيئاً، وأما أناس منا حديثة أسنانهم قالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال رسول الله ﷺ: «فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم»[1].

ويرى الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ استدلالاً بهذه الحادثة أنه قد يتعين على الإمام أن يتألف أعداءه لاستجلابهم إليه ودفع شرهم عن المسلمين فيقول:

(الإمام نائب عن المسلمين يتصرف لمصالحهم وقيام الدين، فإن تعيّن ذلك ـ أي التأليف ـ للدفع عن الإسلام والذبّ عن حَوْزته واستجلاب رؤوس أعدائه إليه ليأمن المسلمون شرَّهم، ساغ له ذلك، بل تعيّن عليه. . . فإنه وإن كان في الحرمان مفسدة، فالمفسدة المتوقعة من فوات تأليف هذا العدو أعظم، ومبنى الشريعة على دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما، بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين الأصلين)[2].

ولا ينبغي أن يُفهم من التأليف على الإسلام أن ما يُعطاه المؤلَّف قلبه هو ثمن للإيمان أو عِوَض عنه، فليس الإيمان مما يدخل في باب المعاوضات الدنيوية، وغاية ما في الأمر أن هناك طائفة من الناس يؤثر في نفوسها متاع الدنيا، ما لا يؤثر غيره فيها.

والتأليف لهذه الطائفة إنما هو من قبيل الإغراء والتشجيع في أول

---

(١) الحديث أخرجه مسلم واللفظ له، في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، وتصبّر من قوي إيمانه، ح (١٠٥٩)، صحيح مسلم ٢/٧٣٣.
وأخرجه البخاري في كتاب الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، ح (٣١٤٧)، فتح الباري ٦/٢٥١.
وأخرجه في كتاب اللباس تعليقاً، باب القبة الحمراء، ح (٥٨٦٠)، فتح الباري ١٠/٣١٣.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٤٨٦.

الأمر، حتى يخالط الإيمان بشاشة القلب، ويتذوق حلاوته.

ويوضح الشيخ محمد الغزالي حقيقة هذا الأمر في مثال محسوس فيقول: (... إن في الدنيا أقواماً كثيرين يُقادون إلى الحق من بطونهم لا من عقولهم، فكما تُهدى الدوابّ إلى طريقها بحزمة برسيم تظل تَمُدّ إليها فمها، حتى تدخل حظيرتها آمنة، فكذلك هذه الأصناف من البشر تحتاج إلى فنون من الإغراء حتى تستأنس بالإيمان وتهش له)[1].

(١) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ـ ص ٤٢٧.

الفَصْلُ السَّابِعُ

أَحْدَاثُ غَزْوَةِ تَبُوك

المبحث الأول

أسباب الغزوة، وتاريخها

المطلب الأول

أسباب الغزوة

يمكن حصر أسباب غزوة (تبوك)[1] في سببين اثنين:

* **الأول ـ قتال الروم حتى يسلموا، أو يعطوا الجزية:**

فقد رُوي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك.. وغيرهم أنه لما أمر الله تعالى أن يُمنع المشركون من قربان المسجد الحرام في الحج وغيره، قالت قريش: لينقطعن عنا المتاجر والأسواق أيام الحج وليذهبن ما كنا نصيب منها، فعوّضهم الله عن ذلك بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يدٍ[2] وهم صاغرون.

---

(١) تَبُوك: هي إحدى مدن شمال الحجاز الرئيسة تقع على طريق المدينة إلى الشام، على بُعد (٧٧٨ كيلاً)، وتعد هذه المدينة شبكة مواصلات، فمنها إلى الأردن سكة حديد وطريق معبدة وإلى المدينة وإلى حقل غرباً طريق معبدة وإلى الجوف طريق ترابي وترتفع عن سطح البحر (٥٢٤٣) قدماً، وفيها كانت غزوة تبوك المشهورة. انظر معجم البلدان ٢/١٤؛ معجم معالم السيرة ــ ص ٦١، ٦٢.

(٢) اختلف المفسرون في المراد باليد، في هذا المقام على ثلاثة أقوال:

الأول: من يد الذمي إلى يد من يدفعها إليه.

الثاني: أي عن إنعام منكم عليهم لأنهم إذا أخذت منهم الجزية فقد أنعم عليهم بذلك.

=

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (قلت: فعزم رسول الله ﷺ على قتال الروم لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق، لقربهم إلى الإسلام وأهله)[1].

وقد قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يَلُونكم من الكفار وَلْيَجِدُوا فيكم غِلْظة واعلموا أن الله مع المتقين﴾[2].

* **السبب الثاني ــ صد اعتداء الروم:**

بلغ النبي ﷺ أن هرقل ــ ملك الروم ــ قد حشد جموعاً كثيرة وأنها قد وصلت مقدماتهم إلى أرض البلقاء[3]، فندب ﷺ المسلمين لصدّ هذا العدوان الذي يهدد أمن الدولة الإسلامية[4].

وحينئذ بدأ ﷺ في الاستعداد لغزو الروم في مكان تجمعهم.

المطلب الثاني

تاريخ الغزوة

خرج النبي ﷺ إلى تبوك لخمس خَلَوْن من شهر رجب سنة تسع من الهجرة، وفي ذلك يقول ابن سعد: (خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك يوم الخميس... في رجب سنة تسع من مهاجره)[5].

= الثالث: عن قهر وغلبة.

انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٤/١٩٩؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/١١٥؛ تفسير ابن كثير ٢/٣٤٧.

(١) البداية والنهاية ٥/٢، وانظر تفسير ابن كثير ٢/٣٤٦، ٣٤٧.

(٢) سورة التوبة: آية ١٢٣.

(٣) البلقاء: هي كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، قصبتها عَمَّان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة. انظر معجم البلدان ١/٤٨٩.

(٤) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٦٥؛ إمتاع الأسماع ١/٤٤٥؛ والمواهب اللدنية ١/٤٤٥.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٦٥، ١٦٧؛ وانظر بهجة المحافل وبغية الأماثل =

المبحث الثاني

استعداد النبي ﷺ لغزو الروم

لمّا علم النبي ﷺ أن الروم قد جمعوا جيشاً عظيماً وتحشّدوا على حدود البلقاء من بلاد الشام بدأ في أخذ الاستعدادات لمواجهة هذا العدو الذي أصبح يهدد المسلمين.

ولما كان كل جيش يقوم على عنصرين أساسيين هما الرجال والسلاح[1]، فإن الرسول ﷺ اهتم بهذين الأمرين، فاستنفر المهاجرين والأنصار وبعث أحد عشر رجلاً إلى مختلف القبائل يستنفرهم للخروج معه[2].

وقد نفر المؤمنون الصادقون استجابة لنداء رسول الله ﷺ، وتجمّع حوالي ثلاثين ألف رجل[3]، معهم عشرة آلاف من الخيل واثنا عشر ألف بعير[4].

ولما كان هذا الجيش الكبير محتاجاً إلى تجهيز يتناسب مع ظروف المعركة التي سيخوضها مع عدوه لذا فقد ندب الرسول ﷺ أهل الغنى من

= ٢/٣٠: ليحيى بن أبي بكر العامري، المطبعة الجمالية بحارة الروم بمصر سنة (١٣٣١هـ).

(١) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ــ ص ٦٣٧، ٦٤١.

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٦٥؛ السيرة الحلبية ٣/٩٩؛ غزوة تبوك ــ ص ٥٨: لمحمد أحمد باشميل، ط ١، سنة (١٣٩٧هـ)، دار الفكر.

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٦٦؛ المواهب اللدنية ١/١٧٤؛ السيرة الحلبية ٣/١٠٢.

(٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٦٦.

الصحابة إلى الإنفاق في سبيل الله فاستجابوا لهذا النداء الكريم، فقد ثبت أن أبا بكر رضي الله عنه أنفق ماله كله، وتصدق عمر بنصف ماله.

عن زيد بن أسلم عن أبيه ــ رضي الله عنه ــ قال: سمعت عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ يقول: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك»؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك»؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبداً)[1].

قال ابن عبد البر ــ رحمه الله ــ: (وأنفق عثمانُ ــ رضي الله عنه ــ نفقة جهّز بها جماعة من المعسرين)[2].

فقد ثبت في صحيح البخاري ــ رحمه الله ــ أن عثمان ــ رضي الله عنه ــ حين حوصر أشرف عليهم، وقال: أنشدكم[3] الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ: (ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر رومة[4] فله الجنة»، فحفرتها... ألستم تعلمون أنه قال: «من جهز جيش العسرة[5] فله

---

(١) الحديث: أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب الصدّيق ينفق كل ماله، ح (٣٦٧٦)، ثم قال: هذا حديث حسن صحيح، سنن الترمذي ٩/٢٢٧.
وأخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب: الرجل يخرج من ماله، ح (١٦٧٨)، سنن أبي داود ٢/٣١٣، ٣١٤. وانظر: مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ٢/٢٥٥.

(٢) الدرر في اختصار المغازي والسِّيَر ــ ص ٢٣٨.

(٣) النَّشْد والمناشدة والنِّشْدان معناه: السؤال، ومعنى أنشدكم الله: أي أسألكم، وأقسم عليكم بالله. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٥٣؛ لسان العرب ٣/٦٥٣.

(٤) بِئْر رُوْمَة: هي بئر في عقيق المدينة، ولا تزال إلى الآن، وهي في آخر الحَرّة الغربية بالقرب من مجمع الأسيال. وقد اشتراها عثمان رضي الله عنه بخمسة وثلاثين ألف درهم، وتصدق بها على المسلمين. انظر معجم البلدان ١/٢٩٩؛ معجم معالم السيرة النبوية ــ ص ٢٨١.

(٥) سمي جيش تبوك بذلك لأنه ندب الناس إلى الغزو في شدة القيظ وكان وقت إيناع =

الجنة»؟ قال: فصدقوه بما قال...) الحديث[1].

وحين جاء عثمان ـ رضي الله عنه ـ بنفقته لتجهيز جيش تبوك، أثنى عليه النبي ﷺ ورفع من قدره.

فعن عبد الرحمن بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهّز النبي ﷺ جيش العسرة، فقال: فصبّها في حجر النبي ﷺ يقلّبها بيده، ويقول: «ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم... يرددها مراراً»[2].

= الثمر وطيب الظلال، فعسر ذلك عليهم. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٢٣٥.

(١) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، ح (٢٧٧٨)، فتح الباري ٥/٤٠٧.
وأخرجه في كتاب المناقب، باب مناقب عثمان رضي الله عنه والحديث هو ترجمة الباب، فتح الباري ٧/٥٢.
وأخرجه النسائي في كتاب الأحباس، باب وقف المساجد، سنن النسائي ٦/١٣٣ ـ ١٣٥.
وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب، مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ح (٣٧٠٠) سنن الترمذي ٩/٢٩٠.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٧٠، ٧٤.
وأخرجه البيهقي في كتاب الوقف، باب اتخاذ المسجد والسقايات وغيرها، السنن الكبرى ٦/١٦٧.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٥٣، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩/٨٥، ثم قال: رواه الطبراني في الأوسط.
وأخرجه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة، باب فضائل أمير المؤمنين ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح. المستدرك على الصحيحين ٣/١٠٢.
وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب: مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ح (٣٧٠٢)، سنن الترمذي ٩/٢٩١، ثم قال الترمذي رحمه الله: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

المبحث الثالث

المتخلفون عــن الغزوة

لمّا أكمل النبـي ﷺ الاستعدادات جميعها لهذه الغزوة وبدأ في التحرك تخلف عنه أناس في الخروج.

وقد ذكر ابن كثير: أن هؤلاء المتخلّفين كانـوا على أربعة أقسـام، فقال ــرحمه الله ــ (قلت: كان المتخلفون عن غزوة تبوك أربعة أقسام:

* مـأمورون مـأجورون: كعلي بن أبـي طـالب، ومحمد بن مسلمـة، وابن أم مكتوم.
* ومعذورون: وهم الضعفاء والمرضى والمقلّون ــ وهم البكّاؤون.
* وعصاة مذنبون: وهم الثلاثة: وأبو لبابة وأصحابه المذكورون.
* وآخرون ملومون مذمومون: وهم المنافقون)[1].

وسأتكلم عن هذه الأقسام بالتفصيل في المطالب الآتية:

المطلب الأول

المأمورون بالتخلف

وهم ثلاثة نفر:

الأول: محمد بن مسلمة، وقـد أمره النبـي ﷺ بـالتخلف عنه، ليكـون أميراً على المدينة[2]، مدة غيابه ﷺ عنها.

---

(١) البداية والنهاية ٥/٢٧.

(٢) هذا هو المشهور، ولكن ابن عبد البر ــ رحمه الله ــ يرى أن علي بن أبـي طالب هو الذي كان أميراً على المدينة عندما خرج النبـي ﷺ إلى غـزوة تبوك، فقـال رحمه الله: وخـرج رسـول الله ﷺ وضرب عسكـره على بـاب المدينـة واستعمل عليهـا محمد بن مسلمـة، وقيل: سباع بن عرفطة، وقيل: بل خلف عـلي بن أبـي طالب وهـو الأثبت. الدرر في اختصار المغازي والسِّيَر ــ ص ٢٣٩.

الثاني: ابن أم مكتوم.

الثالث: علي بن أبـي طالب.

عن سعـد بن أبـي وقّـاص رضي الله عنـه قـال: (خلف رسـولَ الله ﷺ عليٌّ بن أبـي طـالب رضي الله عنه، في غـزوة تبوك، فقـال: يـا رسـول الله، تخلفني في النساء والصبيان؟ قال: «أما تـرضى أن تكون مني بمنـزلة هـارون من موسى؟ غير أنه لا نبـي بعدي»)[1].

المطلب الثاني

المعـــذورون

وهم الـذين وُجد عنـدهم من الأعذار مـا يمنعهم من مشاركـة إخـوانهم

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب المغازي، بـاب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، ح (٤٤١٦)، فتح الباري ٨/١١٢.
وأخـرجه مختصـراً في كتاب: فضـائل الصحـابة، بـاب منـاقب عـلي بن أبـي طـالب القرشي، الهاشمي، أبـي الحسن رضي الله عنه، ح (٣٧٠٦)، فتح الباري ٧/٧١.
وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، بـاب من فضائل علي بن أبـي طالب رضي الله عنه، ح (٣١)، صحيح مسلم ٤/١٨٧.
وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب، بـاب من أول المسلمين عـليّ، ح (٣٧٣١)، سنن الترمذي ٩/٣١٠.
وأخـرجه الحـاكم في كتاب معـرفة الصحـابـة، بـــاب فضـائـل عـلي رضي الله عنـه، المستدرك على الصحيحين ٣/١٠٨، ١٠٩.
وأخـرجه البيهقي في كتـاب السِّـيَر، بـاب: الإمـام يغـزى من أهـل دار من المسلمين بعضهم ويخلف في دارهم من يمنع دارهم، السنن الكبرى ٩/٤٠.
وأخـــرجـه ابن حبـان في كتـاب المنـاقب، بـــاب في فضــل عـلي رضي الله عنــه، ح (٢٢٠١)، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ـــ ص ٥٤٣.
وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، بـاب فضائل أصحاب رسـول الله ﷺ فضل عـلي بن أبـي طالب، ح (١٢١)، سنن ابن ماجه ١/٤٥.
وأخـرجـه الإمـام أحمـد في مسنـــده ١/١٧٠، ١٧٧، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ٣/٣٢، ٦/٣٦٩، ٤٣٨.

المجاهدين ونزل القرآن مبيِّناً عذرهم في التخلف، فقـال تعالى: ﴿ليس على الضعفـاء ولا على المـرضى ولا على الـذين لا يجـدون مـا يُنفقـون حـرج إذا نصحـوا لله ورسولـه ما على المحسنين من سبيـل والله غفور رحيم * ولا على الذين إذا ما أَتَوْكَ لتحملهم قلتَ لا أجد ما أحملكم عليه تـولَّوْا وأعينُهُم تفيض من الدمع حَزَناً ألّا يجدوا ما ينفقون﴾[1].

فهذه الآية الكريمة أصل في سقوط التكليف عن العاجز، وقـد بيّنت أنه لا حـرج على المعـذورين وهم الـذين صـدقـوا في عـذرهم وكشفـوا عن حالهم[2].

وقد بيّن النبـي ﷺ عِظَمَ أجر هذا القسم:

عن أنس بن مـالك رضي الله عنـه: أن رسـول الله ﷺ رجـع من غـزوة تبوك، فدنا من المدينة فقال: «إن بالمدينـة أقوامـاً ما سـرتم مسيراً ولا قـطعتم واديـاً إلا كانـوا معكم»، قالـوا: يا رسـول الله، وهم بـالمـدينـة؟ قـال: «وهـم بالمدينة، حبسهم العذر»[3].

المطلب الثالث

العصـــاة المــذنبون

ومن هؤلاء ثلاثة نفر وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أميـة، ومرارة بن

---

(١) سورة التوبة: الآيتان ٩١، ٩٢.

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي ٢/٩٨٢؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/٢٢٦.

(٣) الحـديث أخرجـه البخاري في كتـاب المغازي، بـاب ٨١، ح (٤٤٢٣)، فتـح الباري ٨/١٢٦.
وأخـرجه مسلم في كتـاب الإمارة، بـــاب ثواب من حبسـه عن الغزو مـرض أو عـذر آخر، ح (١٩١١)، صحيـح مسلم ٣/١٥١٨.
وأخـرجـه أبـو داود في كـتـاب الجهـاد، بـــاب في الـرخصـة في القعـود من العـذر، ح (٢٥٠٨)، سنن أبـي داود ٣/٢٥.
وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، بـاب من حبسه العذر عن الجهاد، ح (٢٧٦٤)، سنن ابن ماجه ٢/٩٢٣.

الربيع، وقد نزل في شأن هؤلاء قوله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرضُ بما رَحُبَتْ وضاقتْ عليهم أنفسُهُمْ وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾[1].

وقد صوّر القرآن الكريم حالة هؤلاء النفر، وما هم فيه بسبب تخلفهم عن رسول الله ﷺ فأخبر الله سبحانه وتعالى أن الأرض على سعتها ضاقت عليهم وهو مثل للحيرة كأنهم لا يجدون فيها مكاناً يقرون فيه بسبب القلق والجزع الذي يملأ نفوسهم كما ضاقت عليهم قلوبهم فأصبح لا يسعها أنس ولا سرور لأنها خرجت من فرط الوحشة والغم[2].

وقد تحدث أحد أولئك النفر الثلاثة، وهو كعب بن مالك عن خبر تخلفه وصاحبيه عن رسول الله ﷺ.

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه، قال: سمعت أبي كعب بن مالك وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم: (أنه لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط غير غزوتين: غزوة العسرة وغزوة بدر، قال: فأجمعتُ صدقَ رسول الله ﷺ ضحى وكان قلّما يقدم من سفر سافره إلا ضحى، وكان يبدأ بالمسجد فيركع ركعتين. ونهى النبي ﷺ عن كلامي وكلام صاحبيَّ، ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين، غيرنا، فاجتنب الناس كلامنا، فلبثت كذلك حتى طال عليّ الأمر، وما من شيء أهم إليّ من أن أموت فلا يصلي عليّ النبي ﷺ أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة، فلا يكلمني أحد منهم ولا يصلي عليّ، فأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الآخر من الليل، ورسول الله ﷺ عند أم سلمة، وكانت أم سلمة محسنة في شأني، معنية في أمري، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) سورة التوبة: آية ١١٨.

(٢) انظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٢/٢١٨.

«يـا أم سلمة، تيب على كعب»، قـالت: أفلا أرسـل إليه فـأبشره؟ قـال: «إذاً يَحْـطِمَكم[1] النـاس فيمنعـونكم الـنـوم سـائسر الليـلة»، حتـى إذا صلى رسول الله ﷺ صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا، وكـان إذا استبشر استنار وجهه حتى كأنه قطعة من القمر، وكنا أيها الثلاثة الذين خُلّفوا عن الأمر الذي قُبِلَ من هؤلاء الـذين اعتـذروا حين أنـزل الله لنـا التـوبـة، فلمـا ذُكـر الـذين كـذبـوا رسول الله ﷺ من المتخلفين فاعتذروا بـالبـاطل ذُكـروا بشرٍّ مـا ذُكر بـه أحد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتُـم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمنَ لكم قد نبّأنا اللَّهُ من أخباركم وسيرى الله عملَكم ورسولُه﴾[2]. . .)[3].

---

(١) يَحطمكم الناس: أي يدوسونكم ويزدحمون عليكم. انـظر النهايـة في غريب الحـديث والأثر ١/٤٠٣.

(٢) سورة التوبة: آية ٩٤.

(٣) الحديث أخرجه البخاري بهـذا اللفظ في كتاب التفسـير، بـاب ﴿وعـلى الثلاثـة الذين خُلّفـوا حتى إذا ضـاقت عليهم الأرض بمـا رَحُبت وضـاقت عليهم أنفسُهم وظنـوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التـواب الرحيم﴾ الآيـة ١١٨ من سورة التوبة، ح (٤٦٧٧)، ٨/٣٤٢.
وأخرجه في كتاب الوصايا، بـاب إذا تصدق أو وقف بعض رقيقه أو دوابه فهو جائـز، ح (٢٧٥٧)، فتـح الباري ٥/٣٨٦.
وأخرجه في كتاب الجهاد، بـاب من أراد غزوة فـورّى بغيرهـا ومن أحبَّ الخروج يـوم الخميس، ح (٢٩٤٧ ـ ٢٩٥٠)، فتـح الباري ٦/١١٢، ١١٣.
وأخرجه في باب الصلاة، إذا قدم من سفر، ح (٣٠٨٨)، فتـح الباري ٦/١٩٣.
وأخـرجـه في كتـاب المنـاقب، بـــاب صفـة النبـي ﷺ، ح (٣٥٥٦)، فتـح البــاري ٦/٥٣٦.
وأخـرجه في كتـاب مناقب الأنصـار، بـاب وفـود الأنصـار إلى النبـي ﷺ بمكـة وبيعـة العقبة، ح (٣٨٨٩)، فتـح الباري ٧/٢١٩.
وأخـرجـه في كتـاب المغـازي، بـاب قصـة غـزوة بـدر، ح (٣٩٥١)، فتـح البـاري ٧/٢٨٤، وفي باب حديث كعب بن مالك، ح (٤٤١٨)، فتـح الباري ٨/١١٣.
وأخرجه في كتـاب التفسير، بـاب ﴿سَيَحْـلِفون بـالله لكم إذا انقلبتُم إليهم لتُعرضـوا =

المطلب الرابع

المقصِّرون المذنبون

هم قوم ضعاف الإيمان والعزيمة، وهذا القسم لم يكن لديهم قوة نفسية يتحمّلون بها شدائد الجهاد، وكان فيهم بالإضافة إلى ذلك جزع

= عنهم فاعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنمُ جزاءً بما كانوا يكسبون﴾ الآية ٩٥ من سورة التوبة، ح (٤٦٧٣)، فتح الباري ٨/٣٤٠.

وأخرجه في باب ﴿لقد تاب اللّهُ على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوبُ فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم﴾ الآية ١١٧ من سورة التوبة، ح (٤٦٧٦)، فتح الباري ٨/٣٤١.

وأخرجه في باب: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ الآية ١١٩ من سورة التوبة، ح (٤٦٧٨)، فتح الباري ٨/٣٤٣.

وأخرجه في كتاب الاستئذان، باب من لم يسلم على من اقترف ذنباً ومن لم يرد سلامه حتى تتبين توبته وإلى متى تتبين توبة العاصي، ح (٦٢٥٥)، فتح الباري ١١/٤٠.

وأخرجه في كتاب الأَيمان والنذور، باب إذا أهدى ماله على وجه النذر والتوبة، ح (٦٦٩٠)، فتح الباري ١١/٥٧٢.

وأخرجه في كتاب الأحكام، باب هل للإمام أن يمنع المجرمين وأهل المعصية من الكلام معه والزيارة ونحوه، ح (٧٢٢٥)، فتح الباري ١٣/٢١٦.

وأخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك، ح (٢٧٦٩)، صحيح مسلم ٤/٢١٢٠ ـ ٢١٢٩.

وأخرجه أبو داود في كتاب السنّة، باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم، ح (٤٦٠٠)، سنن أبي داود ٥/٧.

وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب تفسير سورة التوبة، ح (٣١٠١)، سنن الترمذي٨/٢٥٤ ـ ٢٦٠.

وأخرجه النسائي في كتاب المساجد، باب الرخصة في الجلوس فيه والخروج منه بغير صلاة، سنن النسائي ٢/٥٣.

وأخرجه في كتاب الطلاق، باب: الحقي بأهلك، سنن النسائي ٦/١٥٢.

وأخرجه أيضاً في كتاب السِّيَر (السنن الكبرى، مخطوط، انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (١١١٥٩)، ٨/٣٢٣).

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٤٥٦ ـ ٤٥٩، ٦/٣٨٧.

وخوف، لهذه الأسباب كلها تخلفوا عن رسول الله ﷺ[1].

وهذا القسم ذو أصناف متعددة:

فمنهم من اعتذر عن الخروج بأعذار واهية، وقد عاتبهم الله ووبّخهم أشد التوبيخ فقال تعالى: ﴿فَرِحَ المخلَّفون بمَقْعَدهم خلافَ رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرّ قل نارُ جهنّمَ أشدُّ حراً لو كانوا يفقهون﴾[2].

ذكر الطبري رحمه الله أن النبي ﷺ حين استنفر الناس إلى غزوة تبوك وكانت وقتَ حرٍّ شديد فقال المنافقون بعضهم لبعض: ﴿لا تنفروا في الحرّ﴾ فقال الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿قل﴾ لهم يا محمد: ﴿نار جهنم﴾ التي أعدَّها لمن خالف أمره وعصى رسوله ﷺ ﴿أشد حراً﴾ من هذا الحر الذي تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه.

ومنهم من اعتذر بالخوف من فتنة النساء، ومن هؤلاء الجدّ بن قيس، قال الله تعالى: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنّي ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنم لمحيطة بالكافرين﴾[3].

قال أبو جعفر الطبري: (وذُكر أن هذه الآية نزلت في الجدّ بن قيس)[4].

(١) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ـ ص ٦٤٣.
(٢) سورة التوبة: آية ٨١.
(٣) سورة التوبة: آية ٤٩.
(٤) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٤/٢٨٦ ـ ٢٩٩.

المبحث الرابع
تحرك جيش المسلمين إلى تبوك

تجمَّع جيش المسلمين عند ثنية الوداع، فوزّع النبي ﷺ الرايات والألوية، ثم تحرّك الجيش إلى تبوك بقيادة النبي ﷺ.

وقد وجد هذا الجيش في أثناء سيره صعوباتٍ جمة، كادت تقضي عليه، لولا عناية الله ولطفه.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: (حدِّثنا عن شأن العُسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرثه فيشربه، ثم يجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله إن الله قد عوّدك في الدعاء خيراً، فادع الله، قال: «أتحب ذلك»؟ قال: نعم، فرفع يديه فلم يردهما حتى حالت السماء فأظلت ثم سكبت، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر)[1].

---

(١) الحديث أخرجه ابن حبان بهذا اللفظ في كتاب الجهاد، باب غزوة تبوك، ح (١٧٠٧)، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ـ ص ٤١٨.
وأخرجه البزار والطبراني في الأوسط قال الهيثمي بعد عزوه لهما: ورجال البزار ثقات. انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٩٤ ـ ١٩٥.
وأخرجه البيهقي في جماع أبواب مغازي رسول الله ﷺ في باب سبب تسمية غزوة تبوك بالعسرة. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٥/٢٣١.
وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٨٦ وعزاه إلى ابن جرير وابن خزيمة وابن مردويه وأبي نعيم وصححه.

ثم إن الظَّهر كان في هذه الغزوة قليلاً، روى الإمام أحمد في تفسير قوله تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبيِّ والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾[1]: قال: (خرجوا في غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير واحد...)[2].

ومع قلة الظَّهر فقد كان ضعيفاً. عن شريح بن عبيد أن فضالة بن عبيد الأنصاري كان يقول: (غزونا مع النبي ﷺ غزوة تبوك فجهد بالظَّهر جهداً شديداً، فشكوا إلى النبي ﷺ ما بظهرهم من الجهد، فتحيّن بهم مضيقاً، فسار النبي ﷺ فيه، فقال: «مرّوا باسم الله»، فمرّ الناس عليه بظهرهم، فجعل ينفخ بظهرهم: «اللهم احمل عليها في سبيلك، إنك تحمل على القوي والضعيف وعلى الرطب واليابس في البر والبحر»، فما بلغنا المدينة حتى جعلت تنازعنا أزمتها)[3].

وفي أثناء سير الجيش، بشر النبي ﷺ أصحابه بغنيمة فارس والروم، وأن أهلها سيكونون قوة لها شأنها في الإسلام.

---

(١) الآية ١١٧ من سورة التوبة.

(٢) هذا الأثر أخرجه البيهقي في جماع أبواب مغازي رسول الله ﷺ في باب سبب تسمية غزوة تبوك بالعسرة، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٥/٢٢٧.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/٢٠، والفتح الرباني ٢١/١٩٤.
وأخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، ح (١٧٠٦)، موارد الظمآن في زوائد ابن حبان ــ ص ٤١٨.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٩٣، ثم قال: رواه الطبراني والبزار وفيه يحيى بن عبد الله البابلتي، قال الحافظ ابن حجر في ترجمته: يحيى بن عبد الله بن الضحاك البابلتي ــ بموحدتين ولام مضمومة ومثناة ثقيلة ــ أبو سعيد الحراني ابن امرأة الأوزاعي ضعيف، من التاسعة، مات سنة ثمان عشرة ومائتين، وهو ابن سبعين (خت سي). انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٥١.
وذكر الذهبي أن فيه ليناً. انظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٣/٢٢٩.
لكن قال الشيخ أحمد البنا رحمه الله: (يحيى بن عبد الله ليس في سند الإمام أحمد، وسند الإمام جيد، وليس في رجاله علة). الفتح الرباني ٢١/١٩٥.

عن أبي همام الشعباني قال: (حدثني رجل من خثعم قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فوقف ذات ليلة واجتمع عليه أصحابه فقال: «إن الله أعطاني الليلة الكنزين: كنز فارس والروم، وأمدّني بالملوك ملوك حمير الأحمرين، ولا ملك إلا لله، يأتون يأخذون من مال الله ويقاتلون في سبيل الله. . .» قالها ثلاثاً)[1].

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٢٧٢، والفتح الرباني ٢١/١٩٤، ثم قال البنا رحمه الله: (ضعيف بهذا الإسناد). وسبب الضعف: هو أن في رجال هذا السَّند مجهول وهو أبو همام الشعباني، قال ابن حجر في ترجمته: أبو همام الشعباني عن رجل من خثعم له صحبة وعنه يحيى بن أبي كثير مجهول قاله الحسيني. قلت ذكره الحاكم أبو أحمد تبعاً للبخاري فيمن لا يُعرف اسمه، ولم يُذكر فيه جرحاً. انظر: تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأربعة ــ ص ٥٢٥: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط ١، سنة (١٣٧٤هـ) بالهند.

المبحث الخامس

وصول الجيش إلى تبوك

لمّا وصل النبي ﷺ إلى تبوك عانى الجيش من شدة العطش. وقد أكرم الله نبيه ﷺ بمعجزة أخرى، وذلك بأن فجّر له العين التي كانت بتبوك ماء غزيراً، حتى ارتوى الناس، وأخبر ﷺ أن تلك المنطقة ستكون بعد هذا الشُّح رياضاً وبساتين غناء.

فعن أبي الزبير المكي، أن أبا الطفيل عامر بن واثلة أخبره أن معاذ بن جبل أخبره، قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فصلى الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً، حتى إذا كان يوماً أخّر الصلاة، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً، ثم دخل ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعاً، ثم قال: «إنكم ستأتون غداً ـ إن شاء الله ـ عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي»،فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان والعين مثل الشِّراك[1] تبض[2] بشيء من ماء، قال: فسألهما رسول الله ﷺ: «هل مسستُما من مائها شيئاً»؟ قالا: نعم فسبّهما النبي ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول، قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً حتى اجتمع في شيء، قال: وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه، ثم

---

(١) الشِّراك: بكسر الشين: هو أحد سيور النعل التي تكون على وجهها. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٤٦٩.

(٢) يقال: بَضَّ الماء يبضّ بضيضاً: إذا قطَّر وسال. والمقصود بهذا التشبيه: أن هذه العين كان يخرج منها ماء قليل. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/١٣٢؛ لسان العرب ١/٢٢٢.

أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر أو قال غزير، شكَّ أبو علي أيهما قال حتى استسقى الناس.

ثم قال: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياةٌ أن ترى ما ها هنا قد مُلِىء جِناناً»[1].

وقد كانت النفقة في هذه الغزوة قليلة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أو عن أبي سعيد (شك الأعمش)، قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، قالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا[2] فأكلنا وادّهنّا، فقال رسول الله ﷺ: «افعلوا»، قال: فجاء عمر فقال: يا رسول الله، إن فعلت قلّ الظَّهر[3]، ولكن ادعهم بفضل

---

(1) الحديث: أخرجه مسلم بهذا اللفظ، في كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، ح (٧٠٦)، صحيح مسلم ٤/١٧٨٤.
وأخرج بعضه في كتاب الصلاة، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر، ح (٥١ـ ٥٣)، صحيح مسلم ١/٤٩٠.
وأخرج بعضه أيضاً أبو داود في كتاب الصلاة، باب الجمع بين الصلاتين، ح (١٢٠٦)، سنن أبي داود ٢/١٠.
وأخرجه النسائي في كتاب المواقيت، باب الوقت الذي يَجمع فيه المسافر بين الظهر والعصر، سنن النسائي ١/٢٨٥.
وأخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الجمع بين الصلاتين في السفر، ح (١٠٧٠)، سنن ابن ماجه ١/٣٤٠.
وأخرجه الترمذي في أبواب الصلاة، باب ما جاء في الجمع بين الصلاتين، ح (٥٥٣)، سنن الترمذي ٢/٢٩٦.
وأخرجه الطحاوي في باب الجمع بين الصلاتين كيف هو؟، شرح معاني الآثار ١/١٦٠.

(2) نواضح: جمع ناضح، وهو البعير أو الثور أو الحمار، الذي يُستقى عليه الماء، والأنثى من ذلك يقال لها: ناضحة وساقية، والمراد بالنواضح هنا الإبل. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٦٩؛ ولسان العرب ٣/٦٥٥.

(3) المراد بالظهر هنا: الدواب، وسميت ظهراً لكونها يُركب على ظهرها أو لكونها يُستظهر بها ويُستعان على السفر. صحيح مسلم ١/٥٦.

أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال: فدعا بنطع[1] فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم، قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، قال: ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، قال: فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ثم قال: «خذوا في أوعيتكم»، قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملؤوه، قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يَلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيُحجب عن الجنة»[2].

وفي أثناء مرور عسكر المسلمين على ديار ثمود أمرهم النبي ﷺ أن لا يشربوا من مائها وأن يدخلوها وهم باكون.

عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ: أن رسول الله ﷺ لما نزل الحِجْر[3] في غزوة تبوك أمرهم ألا يشربوا من بئرها، ولا يستقوا منها، فقالوا: قد عجنّا منها واستقينا منها، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء[4].

---

(١) النِّطْع: هو بساط متخذ من أديم، وكانت الأنطاع تُبسط بين يدي الملوك والأمراء حين يريدون قتل أحد صبراً ليصان المجلس من الدم. انظر القاموس المحيط ٣/٩٢؛ صحيح مسلم ١/٥٦.

(٢) الحديث أخرجه مسلم واللفظ له في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، ح (٤٥)، صحيح مسلم ١/٥٦، ٥٧.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/١١، ٤١٨.

(٣) الحِجْر بكسر الحاء وتسكين الجيم اسم ديار ثمود، وتقع بوادي القرى بين المدينة والشام، وهو من وادي القرى على مسافة يوم. انظر معجم البلدان ٢/٢٢١.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وإلى ثمودَ أخاهم صالحاً﴾ وقوله: ﴿كذب أصحاب الحِجْر...﴾، ح (٣٣٧٨)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/٣٧٨.
وأخرجه مسلم بنحو هذا اللفظ، في كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، ح (٢٩٨٠)، صحيح مسلم ٤/٢٢٨١.

وقد اتخذ الرسول ﷺ في هذه الغزوة حرساً على الجيش حتى لا يُفاجيء أهلَ العسكر أحدٌ على غِرّة.

وفي ذلك يقول ابن سعد رحمه الله: (وكان رسول الله ﷺ استعمل على حرسه بتبوك عبّاد بن بشر فكان يطوف في أصحابه على العسكر)[1].

وخطب ﷺ في تبوك خطبة طويلة عظيمة تشبه في مضمونها خطبة حجة الوداع[2].

روى البيهقي بسنده عن عقبة بن عامر الجُهَني ـ رضي الله عنه ـ قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فاسترقد رسول الله ﷺ فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح، قال: ألم أقل لك يا بلال اكلأ[3] لنا الفجر؟ فقال: يا رسول الله، ذهب بي من النوم مثل الذي ذهب بك... قال: فانتقل رسول الله ﷺ من منزله غير بعيد، ثم صلى وسار بقية يومه وليلته... فأصبح بتبوك، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أيها الناس، أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير المِلَل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قلّ خير مما كثر وألهى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دَبُراً[3]، ومن الناس

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٦٦؛ وانظر إمتاع الأسماع ١/٤٧٠.

(٢) اكلأ: الكلاءة الحفظ والحِرَاسة، تقول: كلأته أكلؤه كِلاءة فأنا كالىء وهو مكلوء. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/١٩٤؛ ولسان العرب ٣/٢٨١.

(٣) الدُّبُرَ: هو آخر وقت الشيء، والمعنى المراد هنا أن فئة من الناس لا تأتي الجمعة إلا في آخر وقتها. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٩٧؛ ولسان العرب ١/٩٤١.

من لا يذكر الله إلا هَجْراً[1]، من أعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله ــ عز وجل ــ وخير ما وقر في القلوب اليقين، والارتياب من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول[2] من حثاء جهنم، والشِّعر من إبليس، والخمر جماع الإثم، والنساء حبائل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المآكل أكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، والأمر إلى الآخرة، وملاك العمل خواتمه، وشر الرؤيا رؤيا الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتألى[3] على الله يكذبه ومن يستغفره يغفر له، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يكظم يأجره الله، ومن يصبر على الرزية[4] يعوضه الله، ومن يبتغ السمعة يسمّع الله به، ومن يصبر يضعف الله له، ومن يعص الله يعذبه الله، اللهم اغفر لي ولأمتي، اللهم اغفر لي ولأمتي، اللهم اغفر لي ولأمتي» قالها ثلاثاً. . . ثم قال: «أستغفر الله لي ولكم»)[5].

---

(١) هَجْرا: الهجر هنا هو ترك الذكر والغفلة عنه. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٢٤٥؛ ولسان العرب ٣/٧٧١.

(٢) الغلول: هو الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة وكل من خان في شيء خفية فقد غل. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٣٨٠؛ ولسان العرب ٢/١٠٠٨.

(٣) يتألى: التألي هو أن يحكم عليه أو يحلف كمن يقول: والله ليدخلن الله فلاناً النار أو لينجحن الله سعي فلان وهو مشتق من الأليَّة وهي اليمين. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٦٢؛ ولسان العرب ١/٩٠.

(٤) الرُّزِية: المصيبة وتُجمع على رزايا والأصل فيها الهمز يقال: رزأته ترزأه إذا أصبتَه بمصيبة وقد تُخفّف وتقول رزيته أرزاه. انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/٢٤٢.

(٥) الحديث ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٥/١٣، ١٤، ثم قال: هذا حديث غريب =

ولما بلغ الروم عدد الجيش الذي خرج إلى تبوك، أرهبهم ذلك ففرّوا إلى حدود الشام. وفي هذه الحالة استشار الرسول ﷺ الصحابة في الدخول إلى بلاد الشام، ولكن هذه المشورة انتهت بتأجيل هذا الأمر حتى يأذن الله بذلك[1].

قال الواقدي رحمه الله: (وشاور رسول الله ﷺ في التقدم، فقال عمر بن الخطاب: إن كنت أُمرت بالمسير فسر، قال رسول الله ﷺ: «لو أُمرت به ما استشرتكم فيه».

قال: يا رسول الله فإن للروم جموعاً كثيرةً، وليس بها أحد من أهل الإسلام وقد دنوتَ منهم حيث ترى، وقد أفزعهم دنوّك، فلو رجعتَ هذه السنة حتى ترى أو يحدث اللّهُ عز وجل لك في ذلك أمرا)[2].

= وفيه نكارة وفي إسناده ضعف والله أعلم بالصواب.

وأخرجه البيهقي في جماع أبواب مغازي رسول الله، باب ماروي في خطبته ﷺ بتبوك. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٥/٢٤١، ٢٤٢.

وقد ذكره السيوطي في الجامع الصغير ثم قال: رواه البيهقي في الدلائل وابن عساكر عن عقبة بن عامر الجهني وأبو نصر السِّجْزي في الإبانة عن أبي الدرداء. وقد رمز السيوطي لهذا الحديث بـ (ح)، أي أن الحديث حسن.

وقال المناوي: قال بعض شراحه: حسن غريب. انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢/١٧٥ ـ ١٧٩: للعلامة عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩١هـ)، ط دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت.

(١) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ـ ص ٦٥٩، ٦٦٠.

(٢) مغازي الواقدي ٣/١٠١٩.

المبحث السادس
مصالحة النبـي ﷺ أهل منطقة تبوك

لمّا وصل النبـي ﷺ إلى منطقة تبوك صالـح أهلها.

المطلب الأول
مصالحته ﷺ ملك أيْلة

عقد ﷺ مـع صاحب أيلة[1] صلحـاً، بموجبـه يذعن أهـل هذه القـرية للمسلمين،ويدفعون إليهم جزية مقدارها (٣٠٠) ثـلاثمائـة دينار، وفي مقـابل ذلك يلتزم المسلمون بتأمين هؤلاء على حياتهم[2].

وهذا نص الوثيقة التي كتبت بين الطرفين:

(بسم الله الـرحمن الـرحيم. هـذه أمنـة الله ومحمـــد النبـي رسـول الله ليحنـة بن رؤبة وأهـل أيلة سفنهم وسيـاراتهم في البـر والبحـر، لهم ذمـة الله تعـالى وذمة محمـد النبـي ومن كان معهم من أهـل الشام وأهـل اليمن وأهـل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وأنه طيب لمن أخـذه من الناس وأنه لا يحل أن يُمنعوا ماءً يَرِدُونه ولا طريقاً يريدونه من بـرّ أو بحر)[3].

---

(١) أيلة: مدينة على البحر الأحمر وهي آخر الحجـاز وأول الشام وبينهـا وبين بيت المقـدس ست مراحل، سُمِّيت بـأيلة بنت مدين، قيـل: إنها القريـة التي كانت حـاضرة البحـر المذكورة في قوله تعالى: ﴿واسألهم عن القريةِ التي كـانت حاضـرة البحر﴾ الآيـة ١٦٣ من سورة الأعراف. انـظر معجم البلدان ١/ ٢٩٢؛ الروض المعطار في خبر الأقطار ـ ص ٧٠: لمحمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، سنة (١٩٨٤م).

(٢) انـظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ١٨٠؛ إمتاع الأسماع ١/ ٤٦٨.

(٣) السِّيـرة النبـويـة لابن هشـام ٤/ ١٨٠؛ البـدايـة والنهـايـة ٥/ ١٦؛ المـواهب اللدنيـة ١/ ١٧٤.

وهذا العهد الذي أعطيه صاحب أيلة عهد يعم معه أهل الشام واليمن والبحر والمعية هنا هي اشتراكهم معه في الملة والاتباع الديني[1].

وقد أهدى صاحب أَيْلة إلى النبي ﷺ بغلةً وكساه برداً.

فعن أبي حميد الساعدي قال: غزونا مع النبي ﷺ تبوك وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلةً بيضاء وكساه برداً وكتب إليه ببحرهم[2][3].

المطلب الثاني

مصالحة النبي أهل جرباء وأذرح

قال ابن سعد ــ رحمه الله ــ: (وكتب رسول الله لأهل جرباء[4] وأذرح[5]: هذا كتاب من محمد النبي لأهل جرباء وأذرح، أنهم آمنون بأمان الله

---

(١) انظر خاتم النبيين ٢ /١٠٨٤ للشيخ محمد أبو زهرة، ط دار الفكر العربي.

(٢) ببحرهم: أي ببلدهم، أو أنه على تقدير محذوف: أي بأهل بحرهم، لأنهم كانوا سكاناً بساحل البحر. انظر: فتح الباري ٣/٣٤٦.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب خرص الثمر، ح (١٤٨١)، فتح الباري ٣/٣٤٣.
وأخرجه في كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، وهو أول حديث في الباب، فتح الباري ٥/ ٢٣٠.
وأخرجه في كتاب الجزية والموادعة، باب إذا وادع الإمام ملك القرية هل يكون ذلك لبقيتهم؟ ح (٣١٦١)، فتح الباري ٦/ ٢٦٦.
وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، ح (١٣٩٢)، صحيح مسلم ٤/ ١٧٨٥.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٤٢٥.

(٤) جَرْبَاء: موضع من أعمال عَمَّان بالبلقاء من أرض الشام، قرب جبال السراة من الحجاز، بينها وبين أذرح ميل واحد، وبينهما وقع التحكيم بين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري ــ رضي الله عنهما ــ انظر معجم البلدان ٢ /١١٨.

(٥) أَذْرُح: بفتح الهمزة وسكون الذال وضم الراء والحاء اسم بلد في أطراف الشام، من أعمال الشراة، بينها وبين جرباء ميل واحد. انظر: معجم البلدان ١ /١٢٩.

ومحمد، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافيةً طيبةً، والله كفيل عليهم)[1].

وفي رواية ابن إسحاق: (وأن الله عليهم كفيل بالنصح والإحسان إلى المسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين)[2].

المطلب الثالث

مصالحة أكيدر دومة الجندل

صالح النبي ﷺ في تبوك أكيدر دومة الجندل على ألفي بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح[3].

وفي ذلك يقول ابن إسحاق: (ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى (أكيدر) دومة الجندل، وهو أكيدر بن عبد الملك، رجل من كندة كان ملكاً عليها وكان نصرانياً فقال رسول الله ﷺ لخالد: «إنك ستجده يصيد البقر». فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، وفي ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له، ومعه امرأته فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، قالت: فمن يترك هذا؟ قال: لا أحد، فنزل فأمر بفرسه فأسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له، يقال له (حسان)، فركب وخرجوا معه فلما خرجوا، تلقتهم خيل رسول الله ﷺ فأخذته وقتلوا أخاه، وقد كان عليه قباء من ديباج مخوَّص بالذهب فاستلبه خالد، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه)[4].

وحين رأى المسلمون هذا القباء تعجبوا منه، ولكن النبي ﷺ استرعى انتباههم إلى أنه ينبغي لهم أن يشمروا إلى نعيم الآخرة الذي لا يزول.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٩٠.

(٢) البداية والنهاية ٥/ ١٧.

(٣) انظر مغازي الواقدي ٣/ ١٠٢٧؛ وعيون الأثر في فنون المغازي والسير ٢/ ٢٢١.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ١٨١؛ البداية والنهاية ٥/ ١٧. وانظر الكامل لابن الأثير ٢/ ٢٨١.

يحدثنا أنس بن مالك عن ذلك فيقول: أُهدي للنبي ﷺ جبة سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها، فقال: «والذي نفس محمد بيده، لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا»[1].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشرك، ح (٢٦١٥)، فتح الباري ٥/٢٣٠.
وأخرجه في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح (٣٢٤٨)، فتح الباري ٦/٣١٩.
وأخرجه بنحو هذا اللفظ في كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ، رضي الله عنه، ح (٣٨٠٢)، فتح الباري ٧/١٢٢.
وأخرجه في كتاب اللباس، باب مسّ الحرير من غير لبس، ح (٥٨٣٦)، فتح الباري ١١/٢٩١.
وأخرجه في كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ؟ ح (٦٦٤٠)، فتح الباري ١١/٥٢٥.
وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه، ح (٢٤٦٩)، صحيح مسلم ٤/١٩١٦.
وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب في فضائل أصحاب النبي ﷺ (فضل سعد بن معاذ)، ح (١٥٧)، سنن ابن ماجه ١/٥٥.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده بنحو هذا اللفظ، المسند ٣/١١١، ١٢٢، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢٣٨، ٢٥١، ٢٧٧.
وأخرجه من طريق آخر عن البراء. المسند ٤/٣٧٩، ٣٠١، ٣٠٢.

المبحث السابع
عودة المسلمين من تبوك

أقام المسلمون في تبوك مدة عشرين يوماً، عن جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنه ــ أن النبي ﷺ أقام بتبوك عشرين يوماً يقصر الصلاة[1].

وقد مكث المسلمون تلك الفترة ينتظرون عودة الروم، فلما يئسوا من ذلك رجعوا إلى المدينة، بعد أن أمّنوا الحدود الشمالية لجزيرة العرب، وذلك بعقد المعاهدات ومصالحة أهل تلك البلاد، وفي أثناء عودته ﷺ من تبوك توفي أحد الصحابة وهو عبد الله ذو البجادين المزني، فتولى دفنه بنفسه، وفي ذلك يقول ابن إسحاق: (وحدثني إبراهيم بن الحارث التيمي، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث قال: قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار، من ناحية العسكر، قال: فاتبعتها أنظر إليها فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرته، وأبو بكر وعمر يدليانه إليه، وهو يقول: «أدنيا إليّ أخاكما»، فدلياه إليه، فلما هيأه لشقه قال: «اللهم إني أمسيت راضياً عنه فارضَ عنه». قال: يقول عبد الله بن

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٢٩٥، والفتح الرباني ٥/١١١، قال البنا: وقد صححه النووي وابن حزم.
وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب إذا قام بأرض العدو يقصر، ح (١٢٣٥)، سنن أبي داود ٢/٢٧، قال أبو داود: غير معمر لايسنده. وقد سكت عنه المنذري وهو حديث حسن، انظر مختصر سنن أبي داود ٢/٦٣.
وأخرجه ابن حبان في كتاب الصلاة، باب: مدة القصر، ح (٥٤٦)، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ــ ص ١٤٥.

مسعود: يا ليتني كنت صاحب هذه الحفرة)[1].

وفي طريق العودة إلى المدينة، قامت عناصر التخريب من المنافقين الذين انضموا إلى الجيش الإسلامي بقصد الكيد لرسول الله ﷺ والمؤمنين بمحاولة فاشلة وهي طرح النبي ﷺ من عقبة في الطريق.

عن أبي الطفيل ــ رضي الله عنه ــ قال: لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أمر منادياً فنادى في الناس أن رسول الله ﷺ آخذ العقبة، فلا يأخذها أحد، فبينا رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوق به عمار، إذ أقبل رهط[2] متلثمون على الرواحل، حتى غشوا عماراً وهو يسوق برسول الله ﷺ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة: «قدِ[3]قدِ» حتى هبط رسول الله ﷺ فلما هبط نزل ورجع عمار فقال: يا عمار، هل عرفت القوم؟ قال: قد عرفت عامة الرواحل والقوم متلثمون، قال: هل تدري ما أرادوا؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أرادوا أن ينفروا[4] برسول الله ﷺ ويطرحوه، قال: فسارَّ عمار ــ رضي الله عنه ــ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: نشدتك بالله، ما كان أصحاب العقبة؟ قال: أربعة عشر، فقال: إنْ كنتَ فيهم فقد كانوا خمسةَ عشر فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة، قالوا: والله ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ وما علمنا ما أراد القوم، فقال عمار: أشهد أن الاثني عشر

---

(١) البداية والنهاية ١٨/٥؛ والخصائص الكبرى ١١/٢: للشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق الدكتور محمد خليل هراس، نشر دار الكتب الحديثة.

(٢) الرَّهْط من الرجال ما بين الثلاثة والعشرة وقيل: إلى الأربعين، ولا يكون فيهم امرأة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٨٣/٢؛ ولسان العرب ١٢٤٠/١.

(٣) قدِ وقطِ: بمعنى واحد، ومعنى قدِ: أي حسبك، وتكرارها للتأكيد. انظر لسان العرب ٣٠/٣.

(٤) أن ينفروا برسول الله: أي يجعلوا إبله نافرة حتى تتفرق. انظر: لسان العرب ٦٨٧/٣. وهذا خلاف ما يقتضيه مقام النبوة من الأدب والتوقير.

الباقين منهم حرب لله ورسوله في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد. . . الحديث)[1].

وكان المنافقون عندما أخذ النبي ﷺ في التجهز إلى تبوك، قد بَنَوْا مسجداً قَصَدُوا به التفريق بين المؤمنين وإيقاع الفتنة بينهم، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يصلي فيه، فوعدهم بتحقيق مطلبهم عند عودته من تبوك[2].

وفي أثناء الطريق، وعندما كان ﷺ على مقربة من المدينة، نزل عليه الوحي بالنهي عن الصلاة في هذا المسجد[3]: ﴿لا تَقُمْ فيه أبداً لَمَسْجِدٌ أُسِّس على التقوى من أوّل يومٍ أحقُّ أن تقومَ فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾[4].

ورد في تفسير الطبري عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ في قوله تعالى: ﴿والذين اتّخذوا مسجداً ضراراً. . .﴾: هم أناس من الأنصار ابتنوا مسجداً فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدكم واستعدّوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند من الروم، فأخرج محمداً

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٣٩١، ٤٥٣، والفتح الرباني ٢١/٤٤١.
وأخرجه البيهقي بنحو هذا اللفظ بسند معلّق عن ابن إسحاق في كتاب السِّيَر، باب من ليس للإمام أن يغزو به بحال، السنن الكبرى ٩/٣٢.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٩٥، ثم قال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.
وقال ابن كثير رحمه الله بعد سياق هذا الحديث: ويشهد لهذه القصة بالصحة ما رواه مسلم. . . تفسير ابن كثير ٢/٣٧٣.
ثم ساق رحمه الله الحديث بتمامه، ح (١١): صحيح مسلم ٤/٢١٤٤.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢/٢٨٨؛ والبداية والنهاية ٥/٢١، ٢٢.

(٣) انظر لباب النقول في أسباب النزول ــ ص ١٢٤، ١٢٥، تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الثانية مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(٤) سورة التوبة: آية ١٠٨.

وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم، أتوا النبي ﷺ فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنحب أن تصلي فيه، وتدعو لنا بالبركة، فأنزل الله فيه: ﴿لا تَقُمْ فيه أبداً لمسجدٌ أُسِّس على التقوى من أول يوم أحقُّ أن تقومَ فيه﴾... إلى قوله: ﴿واللَّهُ لا يهدي القوم الظالمين﴾[1].

وحين قدم المسلمون من تبوك، تلقاهم الصبيان بالبشر والترحاب، روى البخاري رحمه الله بسنده عن السائب قال: (أذكر أني خرجت مع الصبيان نتلقّى النبي ﷺ إلى ثنية الوداع، مقدمه من غزوة تبوك)[2].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١/٢٤، والتفسير الكبير للفخر الرازي ١٦/١٩٣، ١٩٤، ط ٢، الناشر دار الكتب العلمية طهران.

(٢) هذا الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ، في كتاب الجهاد، باب استقبال الغزاة، ح (٣٢٤٨)، فتح الباري ٦/١٩١.
وأخرجه في كتاب المغازي بهذا اللفظ، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، ح (٤٤٢٧)، وفتح الباري ٨/١٢٦.
وأخرجه الترمذي في كتاب الجهاد، باب ما جاء في تلقي الغائب إذا قدم، ح (١٧١٨)، سنن الترمذي ٨/٢١٤، ٢١٥.
وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في التلقي، ح (٢٧٧٩)، سنن أبي داود ٣/٢١٩.

المبحث الثامن

نتائج غزوة تبوك

كان من نتائج غزوة تبوك، ما يأتي:

أولاً: إرهاب الرومان وإلقاء الرعب في نفوسهم حتى لا يفكّروا في القيام بأيّ نشاط حربي من شأنه الكيد للإسلام وأهله.

ثانياً: تصفية جميع جيوب المعارضة المعادية للإسلام في شمال الجزيرة العربية عسكرياً، فلم يرجع النبي ﷺ إلى المدينة إلا وأهل تلك الجهات خاضعون للإدارة الإسلامية، إما بالدخول في الإسلام عن طواعية، وإما بالاعتراف بسلطان الدولة الإسلامية وذلك بمصالحة المسلمين وأداء الجزية إليهم، كما فعله الرسول ﷺ مع ملك أيلة وأذرح وجرباء ودومة الجندل[1].

وقد كان عقد تلك المعاهدات بمثابة نقاط ارتكاز سَهَّلت مهمة الفتح الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين، فمن هذه النقاط انطلقت قوات المسلمين لفتح بلاد الشام.

ثالثاً: رفع معنويات المسلمين تجاه الروم وحلفائهم من نصارى العرب في شبه الجزيرة العربية كلها، وبعد هذه الغزوة أصبح المسلمون يعتقدون أن في إمكانهم محاربة الروم والقضاء على جيوشهم في بلادهم نفسها[2]، بخلاف ما كان عليه الأمر قبل بعثة الرسول ﷺ حيث لم يكن العرب يتصوّرون أنّ بإمكانهم صدّ أي اعتداء من الروم، في عقر دارهم.

---

(١) انظر غزوة تبوك لمحمد باشميل ـ ص ٢٥٩.

(٢) انظر الرسول القائد ـ ص ٤١٨.

رابعاً: أن غزوة تبوك حققت مكسباً إعلامياً كبيراً للدعوة الإسلامية، حيث كانت مبادىء الإسلام وأهدافه وتشريعاته، هي موضوع الحديث بين الناس.

وعلم أولئك العرب أنّ المستقبل للإسلام وأهله، وعند ذلك كفوا عن مناصرة الرومان ضد المسلمين، كما ظهر ذلك واضحاً في معركة اليرموك حيث تقابل على أرض المعركة المسلمون والرومان دون سواهما.

خامساً: أن النبي ﷺ ألقى روح العزة في نفوس القبائل العربية التي تتاخم بلاد الشام حتى لا يكونوا تبعاً للرومان في حربهم المسلمين، وليستهينوا أيضاً بالروم، ويبذلوا جهدهم في القضاء على نفوذهم[1].

---

(١) انظر: خاتم النبيين ٢/١٠٨٢.



الفصل الثامن

أبرز الصفات القيادية

للنبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الأول

ثبات النفس

يُعَدّ «ثبات النفس»: من الصفات القيادية التي تميَّز بها الرسول ﷺ في مواقف الهزيمة والنصر على حدٍ سواء.

فقد سيطر على نفسه يوم أُحُد وحنين، حتى تحقق له النصر على أعدائه.

وأما ثبات نفسه ﷺ في حالة النصر فهو موقف رائع، لأنه من الصعب على المرء أن يسيطر على نفسه ويملك زمامها في هذا الظرف.

ومثال ذلك ما حدث له ﷺ عندما فتح مكة ودخلها منتصراً حيث قابل هذه النعمة بنعمة من جنسها، فدخل مكة شرّفها الله متواضعاً متذلّلاً لله سبحانه وتعالى.

وتواضع الرسول ﷺ في هذا الموقف، يخالف ما فعله «بنو إسرائيل» حين أُمروا بالسجود شكراً لله، عند دخولهم بيت المقدس.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قيل لبني إسرائيل: ﴿ادخلوا البابَ سُجّداً وقولوا حِطَّة[1]﴾[2]، فدخلوا على أستاههم فبدلوا وقالوا: بدل حِطّة: حَبَّةٌ في شعرة»[3].

---

(١) حِطّة: كلمة أُمِرَ بها بنو إسرائيل، ومعناها: حُطُّ عنا ذنوبنا، وقيل: معناها: قولوا صواباً. انظر المفردات في غريب القرآن ــ ص ١١٢.

(٢) سورة البقرة آية ٥٨.

(٣) الحديث أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب التفسير، باب ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه =

وأنى يكون بنو إسرائيل، الذين تطغيهم النعمة من محمد الكريم ﷺ الذي تدفعه نعمة النصر إلى هذا التواضع الذي زاده عزاً بين العالمين[1].

إن تلك المواقف النبوية في الثبات النفسي ستبقى غُرّة في جبين التاريخ، إذا قيست بمواقف القادة الآخرين، ذلك أن حالتي النصر والهزيمة تجعلان النفس الإنسانية في موقف غير طبيعي.

أما في حالة النصر، فإن النفس يصيبها الغرور والطيش حتى يفقدها ذلك أخذ الحيطة والحذر والتمسك بالأخلاق النبيلة، فينشأ عن ذلك كثير من المفاسد والشرور التي تهلك الحرث والنسل.

وأما في حالة الهزيمة، فإن النفس تصاب بالانهيار العصبي فتضعف أمام المواقف العصيبة، وهذا له أثر على المرؤوسين[2].

= القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً﴾، ح (٤٤٧٩)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨/١٦٤.

وأخرجه مسلم في كتاب التفسير، ح (٣٠١٥)، صحيح مسلم ٤/٢٣١٢.

وأخرجه الترمذي بنحو هذا اللفظ في أبواب التفسير، تفسير سورة البقرة، ح (٢٩٥٩)، سنن الترمذي ٨/١٥٤، ١٥٥.

(١) انظر خاتم النبيين ٢/١٠٠٥.

(٢) انظر الرسول القائد ــ ص ٣٥٦، ٤٣٨، ٤٣٩؛ وومضات من نور المصطفى ــ ص ٧٠؛ اقتباس النظام العسكري ــ ص ١٣٠، ١٣١؛ العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ــ ص ٥٧٤؛ المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ــ ص ١٩٧، ٢٧٥؛ فقه السيرة ــ ص ٢٩٤: للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ط دار الفكر ــ بيروت، سنة (١٣٩٣هـ)، وفتح مكة ــ ص ٢٧٤، ٢٧٥: لمحمد أحمد باشميل؛ والعسكرية الإسلامية وقادتها العظام ــ ص ١٠٠: للرائد الركن بهاء الدين محمد أسعد والرائد جمال يوسف الخلفات، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠١هـ)، الناشر مكتبة المنار ــ الأردن الزرقاء.

المبحث الثاني

بُعْد النظر

من الصفات القيادية التي تَمَيَّز بها النبي ﷺ بُعْد النظر، وتعني هذه الصفة تفكير القائد في كل الاحتمالات القريبة والبعيدة ووضع أسوأ الاحتمالات في الحسبان، وإعداد الخطط لكل موقف محتمل، حتى يمكن تطبيقها عند الحاجة إليها، دون تردّد أو ارتباك.

وسوف أذكر في هذا المقام مثالاً واحداً يدل على تحلي الرسول ﷺ بهذه الصفة. . . ومن ذلك:

إصراره على قبول شروط هدنة الحديبية فقد عرف بثاقب فكره أن قبول هذا الشرط يُعَدّ نصراً للمسلمين، إذ إنه سيؤمّن لهم الاستقرار الذي يكون سبباً في تزايد جيش المسلمين، وقد تحقق ذلك فيما بعد، ففي خلال سنتين فقط بلغ مجموع الزيادة في جيش المسلمين حوالي (٨٦٠٠) رجلاً، ولا شك في أن هذه قوة كبرى إذا قورنت بما قبلها[١].

وفي شأن هذا المكسب العظيم، يقول الزهري: (فما فُتِحَ في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يُكلَّم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر)[٢].

---

(١) انظر الرسول القائد ــ ص ٢٨٢، ٢٨٧، ٤٤٠.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣/٣٧٢.

المبحث الثالث

قوة الإرادة وثباتها

مرّت بالنبي ﷺ منذ بعثته حتى التحاقه بالرفيق الأعلى أحداث عظيمة، وقد تجلى فيها ﷺ بقوة الإرادة، وثباتها، وسأذكر في هذا المقام مثالين على ذلك:

*** الأول: موقفه من قريش حين أغرته بمتع الحياة:**

عرضت قريش على النبي ﷺ أموراً كثيرةً بشرط أن يكفّ عنهم، ويترك ما يدعوهم إليه.

ولكن الإرادة التي كان يتصف بها النبي ﷺ جعلت محاولات قريش التي عرضها عتبة بن ربيعة، تبوء بالفشل... قال عتبة: (يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السِّطة[1] في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيتَ قومك بأمر عظيم، فرّقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها.

فقال رسول الله ﷺ: «قل يا أبا الوليد أسمع»، فقال عتبة بن ربيعة: يا ابن أخي، إن كنتَ إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنتَ إنما تريد به شرفاً سوَّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به مُلكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا

---

(١) السِّطة: أي في الوسط حسباً ونسباً. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٣٦٦.

الذي يأتيك رَئياً[1] تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه.

فقال رسول الله ﷺ: «أوَقد فرغت يا أبا الوليد». قال: نعم.

فجاء القول الفصل ممن يتصف بالإرادة القوية الثابتة قائلاً لهم: «ما بي ما تقولون، ما جئتُ بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرفَ فيكم ولا المُلْك عليكم، ولكنّ الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلّغتكم رسالاتِ ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تَردّوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»... ثم تلا رسول الله ﷺ صدر سورة فُصِّلت: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * حم * تنزيلٌ من الرحمن الرحيم * كتاب فُصِّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون * وقالوا قلوبنا في أكِنّة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وَقْرٌ ومن بيننا وبينك حجابٌ فاعمَلْ إننا عاملون﴾[2].

فرجع عتبة إلى قريش قائلاً لهم: أطيعوني، واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه)[3].

* الثاني: ما حصل للرسول ﷺ من التهديد بالقتل:

حين ضاقت قريش ذرعاً به، فقد اجتمع كفار قريش وتشاوروا فيما بينهم في الأمر الذي يتخلّصون به من الرسالة وصاحبها ﷺ فقال قائل منهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً، ثم تربّصوا به ما أصاب أشباهه من

---

(١) الرَّئي: الجني يراه الإنسان، قال اللحياني في هذا المعنى: له رَئيّ من الجن ورِئِيّ: إذا كان يحبه ويؤالفه. وقال ابن الأنباري: به رَئيّ من الجن، بوزن (رَعِيّ)، وهو الذي يعتاد الإنسان من الجن انظر لسان العرب ١/١٠٩٥.

(٢) سورة فُصِّلت الآيات ١ ـ ٥.

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/٣١٣، ٣١٤، ٣١٦.

الشعراء من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم، فقال الشيخ النجدي: ما هذا لكم برأي، فقال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وأُلْفَتَنَا كما كانت.

قال الشيخ النجدي: لا والله، ما هذا لكم برأي، ألم تروا حُسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به.

فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه لرأياً ما وقعتم عليه، قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟.

قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة شاباً فتىً، نسيباً وسيطاً[1]، فينا، ثم نعطي كل فتىً منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه بين القبائل جميعاً فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعَقْل[2] فعقلناه.

فقال الشيخ النجدي: هذا الرأي لا أرى غيره، فلما كان عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام، فيَثِبون عليه. فلما علم الرسول ﷺ بذلك، أمر علياً أن ينام تلك الليلة في فراشه فاجتمع هؤلاء النفر وفيهم أبو جهل بن هشام، فذكر لقومه ما وعدهم به رسول الله ﷺ من السيادة في الدنيا، والفوز في الآخرة إن أسلموا، وما ينتظرهم من العذاب إن كذبوا، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: «نعم، أنا أقول ذلك وأنت منهم»[3].

---

(١) وَسِيطاً يقال فلان وَسِيطٌ في قومه إذا كان أوسطهم نسباً وأرفعهم مجداً. انظر لسان العرب ٣/٩٢٤.

(٢) العَقْل: هو الدية، يقال: عقل القتيل يعقله عقلاً أي وداه، وعقل عنه إذ لزمته دية فأعطاها عنه. انظر لسان العرب ٢/٨٤٥

(٣) انظر السِّيرة النبوية لابن هشام ٢/٩٣ ـ ٩٥؛ والبداية والنهاية ٣/٦٣، ٦٤.

ومن خلال هذين الموقفين المختلفَيْن اللَّذَيْن تعرّض لهما النبي ﷺ يظهر مقدار تحلِّيه ﷺ بهذه الخصلة الحميدة، إذ لم تُثْنِهِ الإغراءات والوعود الخلّابة التي وُعد بها إن هو كفّ عن الدعوة إلى دين الله عز وجل، وتبليغه للناس، بل زادته إصراراً على المضي في تحقيق هذا الهدف.

كما أن التهديد بالفتك وتنفيذ الخطة لاغتياله لم يُضعف عزيمته، وذلك بسبب ما أعطاه الله من إرادة قوية ثابتة، لا تستطيع قوى البشر التأثير عليها.

المبحث الرابع
الشجاعة

من الصفات القيادية التي كان يتحلى بها الرسول ﷺ: الشجاعة، وهي تتولد عن قوة الإرادة، ولقد كان للنبي ﷺ أوفر النصيب من هذه الخصلة حيث كانت بارزة للعيان في أعماله العسكرية وغيرها على حد سواء، وقد دل على وجود هذه الصفة في الرسول ﷺ الحديث والأثر.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسنَ الناس وأشجعَ الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة، فخرجوا نحو الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ وقد استبرأ الخبر، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ[1]، وفي عنقه السيف وهو يقول: «لم تراعوا، لم تراعوا»، ثم قال: «وجدنا بحراً» أو قال: «إنه لبحر»[2].

---

(١) عُرْيٍ: يقال: عَرِيَ الفرس يعرى عُرْياً فهو عُرْيٍ، وهو الذي لا سرج عليه. انظر الإفصاح في فقه اللغة ٢/٦٩٩، تأليف حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي، الطبعة الثانية، سنة (١٣٨٧هـ)، نشر دار الفكر العربي.

(٢) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ، في كتاب الجهاد، باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق، ح (٢٩٠٨)، فتح الباري ٦/٩٥.
وأخرجه في باب الشجاعة في الحرب والجبن، ح (٢٨٢٠)، فتح الباري ٦/٣٥.
وأخرجه في باب الفرس القطوف، ح (٢٨٦٧)، فتح الباري ٦/٧٠.
وأخرجه في باب إذا فزعوا بالليل، ح (٣٠٤٠)، فتح الباري ٦/١٦٣.
وأخرجه في كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يُكره من البخل، ح (٦٠٣٣)، فتح الباري ١٠/٤٥٥.
وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ وتقدّمه للحرب، ح (٢٣٠٧)، صحيح مسلم ٤/١٨٠٢. =

فقد دل هذا الحديث على شجاعة النبي ﷺ، وتظهر في شدة عجلته في الخروج إلى العدو قَبل الناس كلِّهم، بحيث كشف الحال عن مصدر الصوت ورجع قبل وصول الناس.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: ما رأيت أحداً أشجع ولا أنجد[1] ولا أجود ولا أضوأ[2] وأوضأ[3] من رسول الله ﷺ[4].

وتتجلى هذه الصفة في رسول الله ﷺ في المواقف الآتية:

الأول: التقاؤه بالمشركين يوم بدر، مع أن النسبة بين قوات المسلمين وقوات المشركين: (١ : ٣)، ولأن إخفاق المسلمين في هذه الغزوة، قد يقضي على مستقبل الدعوة الإسلامية، ويعرّض الدولة الناشئة للزوال، ولكن

= وأخرجه الترمذي في كتاب الجهاد، باب ما جاء في الخروج عند الفزع، ح (١٦٨٥)، سنن الترمذي ٦/١٤.

وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب الخروج والنفير، ح (٢٧٧٢)، سنن ابن ماجة ٢/٩٢٦.

وأخرجه النسائي في كتاب السِّيَر، باب سَبْق الإمام إلى النفير وترك انتظار الناس، وفي كتاب اليوم والليلة، ح (٢٨٩)، (السنن الكبرى، مخطوط، انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ١/١٠٩، ١١٠، ١٤/١١٠).

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/١٤٧، ١٨٥، ٢٧١.

(١) أنجد أفعل تفضيل، مشتق من النجدة، وهي: الشجاعة والشدة، وجمعها: نجدات، كسجدة وسجدات، ويقال: نجد الرجل ـ على وزن فعل ـ: إذا كان ذا نجدة وهي البأس والشدة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/١٨؛ لسان العرب ٣/٥٨٤.

(٢) أَضْوَأ أفعل تفضيل مشتق من الضوء وهو النور، والمعنى ـ والله أعلم ـ أنه أشبه في حسنه النور الذي يضيء وفيه تأكيد لمعنى الصفة الثانية وهي الوضاءة. انظر لسان العرب ٢/٥٥٥.

(٣) أَوْضَأ أفعل تفضيل مشتق من الوضاءة وهي: الحُسن. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/١٩٥.

(٤) هذا الحديث أخرجه الدارمي في المقدمة، باب في حسن النبي ﷺ، سنن الدارمي ١/٣٠.

شجاعته ﷺ جعلته يتخطى هذه المصاعب الجمة.

الثاني: ثباته يوم أحد حين انهزم المسلمون ومطاردته الأعداء في (حمراء الأسد).

ثالثاً: ثباته ﷺ أمام جيوش الأحزاب، وخصوصاً بعد أن نقض اليهود العهد وتأزّم الموقف، حيث أصبحت قواتهم تهدد المسلمين، داخل المدينة وخارجها.

رابعاً: ثباته ﷺ يوم حنين مع بعض الصحابة حين انهزم المسلمون، وقد كان لهذا الموقف الشجاع أثر على الموقف كله، حيث أعقب تلك الهزيمة نصراً مؤزراً، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فحسب، بل طارد فلول الأعداء المنهزمة إلى أوطاس، والطائف، حتى تم له النصر عليهم[1].

---

(١) انظر فتح الباري ٣٢/٨؛ والرسول القائد ـ ص ٤٣٦، ٤٣٧؛ وومضات من نور المصطفى ـ ص ٢١، ٤٢، ٦٩، ٧٠؛ العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ـ ص ٦٠١، ٦٩٦، ٦٩٨؛ المدرسة العسكرية الإسلامية ـ ص ٣١٩، ٣٢٠؛ العسكرية الإسلامية وقادتها العظام ـ ص ٧٨، ٩٩؛ الإسلام والنصر ـ ص ١٤٩، ١٦١؛ المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ـ ص ٢٨١، ٢٨٢.

المبحث الخامس

الماضي الناصع المجيد

لقد كان الرسول ﷺ ذا ماض ناصع مجيد، وقد دل على تحلّيه بهذه الخصلة الأدلة الآتية:

* **أولاً ــ شهادة القرآن الكريم:**

قال الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿وإنك لعلى خُلُق عظيم﴾[1]، فقد شهد سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ أنه على خلق عظيم، فأبهم «الخلق» مما يدل على أنه لا يحده العقل ولا يحصيه العد، وجاء وصفه بالعظمة زيادة في المبالغة.

* **ثانياً ــ شهادة الواقع:**

من الثابت تاريخياً أن النبي ﷺ ينتسب من جهة أبيه إلى بني هاشم، ومن جهة أمه إلى بني زهرة، وهذان البطنان من أشرف العرب نسباً.

قال القاضي عياض رحمه الله في هذا الشأن: (وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فهو مما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، ولا بيان مشكل، ولا خفي منه، فإنه نخبة من بني هاشم، وسلالة قريش وصميمها، وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قِبَل أبيه وأمه، ومن أهل مكة مِنْ أكرم بلاد الله على الله)[2].

وقد وردت أدلة تؤكد هذا الأمر منها:

---

(١) سورة القلم: آية ٤.

(٢) الشِّفَا بتعريف حقوق المصطفى ١/٤٧: للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي، ط الأخيرة، سنة (١٣٦٩هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

أولاً: جواب أبي سفيان عندما سأله هرقل عن نسب النبي ﷺ. فعن الزهري رحمه الله قال: (أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّ[1] فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوهم وهم بإيلياء[2]، فدعاهم وهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً، فقال: ادنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا الرجل، فإن كذّبني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذباً لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب... فقال للترجمان: قل له: سألتُك عن نسبه فذكرتَ أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها...)[3].

---

(١) مادّ على وزن (فاعل) من المد: أي أطالها انظر لسان العرب ٣/٤٥٤.

(٢) إيلياء: بكسر أوله واللام، ثم ألف ممدودة، اسم مدينة بيت المقدس، وقيل معناه: بيت الله، وهي مدينة قديمة تقع غربي المسجد الأقصى، في نشز من الأرض، تحيط بها الجبال. انظر معجم البلدان ١/٢٩٣؛ والروض المعطار في خبر الأقطار ـ ص ٦٨.

(٣) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب بدء الوحي، باب حديث أبي سفيان عند هرقل والكتاب النبوي إلى هرقل، ح (٧)، فتح الباري ١/٣١.
وأخرجه في كتاب الإيمان، باب: طرف من أسئلة هرقل لأبي سفيان، ح (٥١)، فتح الباري ١/١٢٥.
وأخرجه في كتاب الشهادات، باب من أُمر بإنجاز الوعد وفعله الحسن، ح (٢٦٨١)، فتح الباري ٥/٢٨٩.
وأخرجه في كتاب الجهاد، باب قول الله تعالى: ﴿قل هل تربّصون بنا إلا إحدى الحسنيين﴾ والحرب سجال، ح (٢٨٠٤)، فتح الباري ٦/٢٠.
وأخرجه في باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً، ح (٢٩٤١)، فتح الباري ٦/١٠٩.
=

ثانياً: عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من وَلَد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[1].

ثالثاً: عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: إن قريشاً جلسوا يتذاكرون أحسابهم بينهم، فجعلوا مثلك مثل نخلة في كَبْوَةٍ[2] من الأرض، فقال النبي ﷺ: «إن الله خلق الخلق فجعلني

= وفي باب قول النبي ﷺ: «نُصرت بالرعب مسيرة شهر»، ح (٢٩٤١)، فتح الباري ٦/١٢٨.

وأخرجه في كتاب الجزية والموادعة، باب فضل الوفاء بالعهد، ح (٣١٧٣)، فتح الباري ٦/٢٧٦.

وأخرجه في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿قُل يا أهل الكتاب تعالَوْا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله﴾، ح (٤٥٥٣)، فتح الباري ١/٢١٤.

وأخرجه في كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج، ح (٥٩٨٠)، فتح الباري ١٠/٤١٣.

وأخرجه في كتاب الاستئذان، باب كيف يكتب إلى أهل الكتاب؟ ح (٦٢٦٠)، فتح الباري ١١/٤٧.

وأخرجه في كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام وهل يجوز ترجمان واحد؟ ح (٧١٩٦)، فتح الباري ١٣/١٨٥، ١٨٦.

وأخرجه في كتاب التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها...، ح (٧٥٤١)، فتح الباري ١٣/٥١٦.

وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ح (١٧٧٣)، صحيح مسلم ٣/١٣٩٣.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٢٦٢، ٢٦٣.

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضل النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، ح (٢٢٧٦)، صحيح مسلم ٤/١٧٨٢.
وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل النبي ﷺ، ح (٣٦٠٩) و(٣٦١٢)، سنن الترمذي ٩/٢٣٥، ٢٣٦.

(٢) كَبْوَة: قال شَمّر قوله في كبوة، لم نسمع فيها من علمائنا شيئاً ولكن سمعنا الكبا والكُبَة وهو الكناسة والتراب الذي يُكنس من البيت. لسان العرب ٣/٢١٥.

من خيـرهـم، من خير فـرقهم، وخير الفـريقين، ثم تخيّر القبـائل فجعلني من خير قبيلة، ثم تخيّر البيوت فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهـم نفساً وخيرهـم بيتاً»[1].

رابعـاً: أن أمه آمنـة بنت وهب بن عبد منـاف من بني زهرة بن كـلاب، وتُعَدّ يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً.

فعن عطاء عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال: (لما خرج عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوِّجـه، مرّ به على كاهنة من تبالة متهوّدة، قـد قرأت الكتـاب يقال لها فاطمة بنت مرّ الخثعمية، فـرأت نور النبـوة في وجه عبـد الله... ثم خـرج بـه عبـد المـطلب حتى أتى بـه وهب بن عبـد منـاف بن زهـرة، وهــو ــ يومئذ ــ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً، فزوجه ابنته آمنة وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً)[2].

---

(١) الحـديث أخرجـه الترمـذي بهذا اللفظ، في كتـاب المناقب، بـاب ما جـاء في فضل النبـي ﷺ، ح (٣٦١٠)، سنن الترمذي ٩/ ٢٣٥، قال الترمذي: هذا حديث حسن. وأخرجه بنحوه من طريق آخر، ح (٣٦١١)، المرجع السابق ٩/ ٢٣٦.

(٢) المواهب اللدنية بالمنـح المحمدية ١/ ١٩.

المبحث السادس

رجاحة العقل وحسن السياسة

لقد كانت رجاحة العقل وحسن السِّياسة من الصفات التي تميَّز بها الرسول ﷺ حتى بلغ المرتبة القصوى فيها. وفي ذلك يقول القاضي عياض: (وأما وفور عقله وذكاء لبِّه، فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبيرَه أمرَ بواطن الخَلق فضلاً عما أفاضه من العلم وقرّره من الشرع دون تعلّم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه، لم يمتر في رُجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة، وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه. . .)[1].

وأما حسن السِّياسة، فأعظم دليل عليها أنه ساس العرب الذين كانوا أهل عِزّة وإباء، مع طبعهم المتنافر، فاحتمل جفاءهم وأذاهم له وصبر على ذلك بفضل ما يتمتع به من سياسة وحكمة وبُعد نظر، حتى كانت نتيجة ذلك أن انقادوا إلى الإسلام طائعين والتفّوا حول رسول الله ﷺ وقاتلوا في سبيل الله أهليهم وأصحابهم كما هجروا أوطانهم وأحباءهم ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى[2].

---

(١) الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى ١/ ٤٢.

(٢) انظر المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ـ ص ٢٨٠.

المبحث السابع
فقه مبادىء الحرب والأخذ بها

لقد بلغ النبي ﷺ في التحلي بهذه الصفة المرتبةَ القصوى فكان يعرف مبادىء الحرب[1] ويحسن تطبيقها إذا دعته الحاجة إلى ذلك.

وتتلخص هذه المبادىء في المطالب الآتية:

المطلب الأول
تحديد الهدف

من الضروري في كل حركة حربية تحديد الهدف وهو تحطيم إرادة العدو على القتال، وقد طبق الرسول ﷺ هذا المبدأ في صلح الحديبية إذ كان مقصده التأثير على معنويات قريش دون أن يعمد إلى قتالهم، وبقي ﷺ مُصِرّاً على هذا المقصد حتى كتابة صلح الحديبية ورجوعه إلى المدينة.

المطلب الثاني
التعرّض

ومعناه الهجوم على العدو لسحقه، ولهذا المبدأ من وجهة النظر العسكرية منافع عظيمة، فهو يعطي القائد فرصة السيطرة على الموقف وحرية التحرك في الميدان ويمنحه روحاً قتاليةً عاليةً ومعنوياتٍ مرتفعةً وشعوراً

---

(١) مبادىء الحرب: هي الجوهر الذي يُنشىء في القائد السَّجِيَّة الصحيحة في تصرفاته في الحرب وهي العنصر الذي يتكون منه مسلك القائد في أعماله بصورة طبعية وغير متكلّفة، ومبادىء الحرب ثابتة لا تتغير أبداً، وهي الأسس القديمة التي ترتكز عليها الحروب في كل زمان ومكان. انظر الرسول القائد ــ ص ٤٤٨.

بالتغلّب على الخصم، والهدف من التعرض هو كسر شوكة العدو وإضعاف قدرته على المقاومة وتحطيم روحه المعنوية، وقد طبّق الرسول القائد ﷺ هذا المبدأ في عامة غزواته، عدا غزوَتَيْ أُحُد والخندق، فإن المشركين هم الذين حشدوا قواتهم في منطقة المدينة، وتعرضوا للمسلمين.

ومبدأ التعرّض يقوم على ثلاثة أسس:

الأول: الجانب المعنوي، وهو الرغبة في النصر وقوة العزيمة وإمكانية المواجهة.

الثاني: الجانب المادي، وهو استخدام كل ما يمكن إعداده من سلاح وقوة بشرية.

الثالث: الجانب العقلي، وهو القدرة على التنفيذ[1].

ولا يكون التعرض ذا جدوى، إلا إذا استُكملت هذه الأسس جميعاً.

المطلب الثالث
المباغتة

وهي الظهور أمام العدو في وقت لا يقدّره، وبصورة لا يتوقّعها، وبأسلوب يجهله[2]، وهي أقوى العوامل وأبعدها أثراً في الحرب، إذ إن تأثيرها النفسي عظيم جداً، ويتبين ذلك مما تحدثه من شلل غير متوقّع في تفكير قائد جيش العدو، فينعكس هذا السلوك على نفسيات الجنود حتى يُصابوا بالهزيمة[3]. وتتخذ المباغتة صوراً ثلاثاً يمكن تلخيصها في الفروع الآتية:

---

(١) انظر الرسول القائد ــ ص ٤٥٠؛ المدرسة العسكرية الإسلامية ــ ص ٦١٤، ٦١٥؛ والمدرسة العسكرية الإسلامية وقادتها العظام ــ ص ٩٦.

(٢) انظر المدرسة العسكرية الإسلامية ــ ص ٦١١.

(٣) انظر الرسول القائد ــ ص ٤٥١.

● **الفرع الأول: تكون بالمكان:**

لقد كان النبي ﷺ يلجأ إلى تطبيق هذه الصورة في معظم غزواته.

أخرج البخاري بسند متصل عن الزهري قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك قال: سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يقول: (كان رسول الله ﷺ قلَّما يريد غزوة يغزوها إلا ورّى بغيرها)[1].

ومن الأمثلة على المباغتة بالمكان مباغتة النبي ﷺ بني لحيان في ديارهم حتى تمنّعوا في رؤوس الجبال.

روى الحافظ البيهقي بسند متصل أنه لما أُصيب خبيب وأصحابه خرج رسول الله ﷺ طلباً بدمائهم ليصيب من بني لحيان غرة، فسلك طريق الشام، وورّى على الناس أنه لا يريد بني لحيان... من هذيل فوجدهم قد حذروا فتمنّعوا في رؤوس الجبال[2].

● **الفرع الثاني: تكون بالزمان:**

وذلك بمباغتة العدو في زمن لم يكن يتوقّعه، كما فعل ﷺ مع بني قريظة حال عودته من غزوة الأحزاب.

عن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله ﷺ لما رجع يوم الخندق ووضع السلاح، واغتسل، فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار، فقال: وضعت السلاح؟ فوالله ما وضعته، فقال رسول الله ﷺ: «فأين؟» قال: ها هنا، وأومأ إلى بني قريظة، قالت: فخرج إليهم رسول الله ﷺ)[3].

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه في ص ٢٨٨.

(٢) الحديث أخرجه البيهقي في جماع أبواب مغازي رسول الله ﷺ، باب غزوة بني لحيان، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٣/٣٦٤.
وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٤/٨١.

(٣) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ، في كتاب الجهاد، باب الغسل بعد الحرب والغبار، ح (٢٨١٣)، فتح الباري ٦/٣٠.

● **الفرع الثالث: تكون بالأسلوب:**

وهي أن يتخذ القائد في الهجوم على العدو أسلوباً لا يتوقعه، ومثال ذلك: استخدامه ﷺ المنجنيق في حصار الطائف حيث لم يكن هذا السلاح مستخدَماً عند العرب من قبل[1].

المطلب الرابع
حشد القوة

ويعني حشد أعظم قوة أدبية وبدنية ومادية لمواجهة العدو واستخدامها في الزمان والمكان المناسبين.

وقد طبق النبي ﷺ هذا المبدأ في جميع غزواته وظهر بصورة واضحة في غزوة تبوك، حيث حشد ﷺ لغزو الروم أعظم قوة بشرية لم يَسبق لها مثيل في تاريخ الجيش الإسلامي[2].

المطلب الخامس
الاقتصاد بالمجهود

وهو استخدام أقل القوات للأمن، أو تحويل انتباه العدو إلى محل آخر، أو صدّ قوة معادية أكثر منها، مع بلوغ الغاية المتوخّاة.

= وأخرجه في كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة، ومحاصرته إياهم، ح (٤١١٧)، فتح الباري ٤٠٧/٧.

وأخرجه مسلم في كتاب الجهادوالسِّير، باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم، ح (١٧٦٩)، صحيح مسلم ١٣٨٩/٣.

وأخرجه الحاكم في كتاب المغازي، باب: نزول جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي ليزلزل بني‌قريظة. المستدرك على الصحيحين ٣٤/٣.

(١) سيأتي الكلام ــ إن شاء الله ــ عن هذا الموضوع بالتفصيل في ص ٤٠٤، ٤٠٥ وما بعدهما.

(٢) سبق بيان هذا الأمر في ص ٢٨١.

وهذا التصرف يدلّ على الاستخدام المتوازن للقوي والتصرف الحكيم بجميع الطاقات من أجل حشد القوة المؤثّرة في العدو في الزمان والمكان الحاسمين.

وقد أخذ الرسول ﷺ بهذا المبدأ في غزوة أحد، حيث عيّن على جبل أحد جماعة من الرماة وكلّفهم بحماية ظهور المسلمين من الخلف(١).

وتطبيق هذا المبدأ يعود بالنفع على الجيش من جانبين:

الأول: أن هذه القوة تحقق مصلحة عامة للجيش، حيث يمكنها أن تؤدّي عملاً لا يستطيعه الجيش كله.

الثاني: أنها تشغل بعض قوات العدو عن المعركة الرئيسة وهذا بلا شك يؤدي إلى ضعف قوة العدوّ أمام جيش المسلمين(٢).

المطلب السادس

الأمــــن

وهو بذل الأسباب التي تؤدي إلى سلامة القوات المحاربة ومواصلاتها لوقايتها من المباغتة، ومنع العدو من الحصول على المعلومات التي تجعله يجابه خصمه بالأسوب المناسب.

وقد أخذ الرسول ﷺ بهذا المبدأ في غزوة أحد، فحين علم ﷺ بنبأ تحرك قريش إلى المدينة أمر بأن يكتم هذا الخبر كما أمر بوضع حراسة شديدة على المدينة خلال فترة الاستعداد للجهاز، وأرسل أيضاً دورية مهمتها استطلاع أخبار العدو ومن ثم إمداده بالمعلومات الضرورية(٣).

---

(١) انظر هذا الموضوع بتوسع في ص ١٥٢، ١٥٣.

(٢) انظر: الرسول القائد ــ ص ٤٥٤؛ المدرسة العسكرية الإسلامية ــ ص ٦٠٨.

(٣) انظر: أنساب الأشراف ١/٣١٤: للشيخ أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري، تحقيق الدكتور محمد حميد الله، ط دار المعارف بمصر؛ والرسول القائد ــ ص ٤٥٥؛ والمدرسة العسكرية الإسلامية ــ ص ٦١٨، ٦١٩؛ والعسكرية الإسلامية وقادتها العظام ــ ص ٩٨.

المطلب السابع

المـرونـة

وتعني قوة الحركة والعمل السريع، وهذا الأمر لا يتحقق للقائد إلا إذا كان مرن الفكر عند وضع الخطط الحربية، بحيث يستطيع تعديل حركة قواته بسرعة إذا اضطرته الظروف في المستقبل إلى هذا التعديل.

وقد أخذ الرسول ﷺ بهذا المبدأ في بعض غزواته، ومن ذلك ما كان في غزوة بني المصطلق، حيث سلك ﷺ طريقة حكيمة في القضاء على آثار الفتنة التي أجّج نارها رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ ابن سَلول، حين استغل خلافاً حدث بين جهجاه بن مسعود الغفاري وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف من الخزرج، على الماء عندما اقتتلا واستغاث كل واحد منهما بقومه، فحرّض عبد الله بن أبي من حضر من المنافقين ضد الرسول ﷺ والمؤمنين، بقوله: (قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجَلاَبِيب[1] قريش هذه، إلا كما قال الأول: سَمِّنْ كلبك يأكُلْك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذلّ).

وقد قضى النبي ﷺ على آثار هذه الفتنة الخطيرة في مهدها بما أُوتي من مرونة في التفكير والتنفيذ، حيث أمر الجيش بالرحيل فور علمه بما قال زعيم المنافقين، وواصل السَّير بهم مدة تقرب من ثلاثين ساعةً مما كان سبباً في إشغالهم عن الحديث في هذه الفتنة[2].

---

(١) جَلابيب قريش: لقب كان المشركون يعنون به أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة. انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٣٣٤.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٣٣٤، ٣٣٧؛ ومغازي الواقدي ٢/٤١٥، ٤١٧؛ تاريخ الطبري ٢/٦٠٥، ٦٠٧؛ البداية والنهاية ٤/١٥٧، ١٥٨؛ الرسول القائد ـ ص ٤٥٦.

المطلب الثامن

التــعــاون

ويُقصد به تـوحيد كـلّ الجهود والأسلحـة والقطاعـات العسكريـة لبلوغ الغرض المنشود، وهو تحطيم قوة العدو في الميدان وتحقيق النصر عليه.

وقد أخذ الـرسول ﷺ بهـذا المبدأ في غـزواته كلهـا، ومن الأمثلة على ذلك، تعاون الرماة مـع أصحاب السيوف والـرماح في غـزوة بدر حيث نضـح الرماة المشركين بالنبال، وأوقعوا فيهم خسـائر فـادحة، وقـد سهَّل ذلـك مهمة هجوم أصحاب السيوف والرماح للقضاء على مقاومة قريش.

وإذا كان التعاون العملي ضرورة في الميدان الحربـي، فإن إبداء الرأي لا يقـل أهمية في هـذا المقام، ولهـذا فقد كـان الرسـول ﷺ يسعى دائماً إلى الوقوف على رأي أصحابه كما كانوا أيضاً لا يحجبون عنه رأياً بل يقـدمون لـه النصـح والمشورة متى دعت الحاجة إلى ذلك[1].

المطلب التاسـع

رفـع المعنويات والمحافظة عليها

يُعـرِّف العسكريـون المعنويـات بـأنهـا: (الصفـات الحسنـة التي تميِّـز الجيش المـدرَّب عن العصابـات الفوضـوية، فبهـذه الصفات تـظهـر الـطاعـة القائمة على الحب والوفاء، وتبرز الشجاعة والصبر على تحمّل المشاقّ، كمـا تبرز كل المزايا التي تجعل الجنديّ باسلاً مطيعاً. ومما يديم المعنويات أمران أساسيان:

الأول: وجود أهداف يؤمن بها الجنود خاصة، والشَّعْب عامة، وقد كان هدف المسلمين الأساسي من جهادهم هو إعلاء كلمة الله.

---

(١) انـظر المدرسة العسكرية الإسلامية ـ ص ٦٢٠، ٦٢١؛ الرسول القائد ـ ص ٤٥٧.
وانـظـر أمثلةً من استشارتـه ﷺ الصحابـة وقبـول مشـورتهم في الميـدان العسكـري في ص ٣٧٠ وما بعدها.

الثاني: تحلّي القائد بصفات القيادة الناجحة، وقد طبق النبي ﷺ هذا المبدأ فظهرت معنويات جنوده، كما دامت بسبب تحلّيه بالصفات القيادية وبعثه الثقة في نفوس أصحابه)[1].

المطلب العاشر
الترتيبات الإدارية

ويقصد بها الأمور الضرورية للجيش وهي الأرزاق والماء ووسائل النقل والسلاح. ومن الجدير بالذكر، أن نجاح خطة العمليات الحربية مرهون بتوافر هذه الأمور للجيش.

وتحتل الأمور الإدارية في شؤون الجهاد مكانة كبرى، وقد حرص النبي ﷺ على توافر الشؤون الإدارية في جميع غزواته. ومن الأمثلة على ذلك فتح مكة.

فقد كانت الأرزاق متوافرة لدى الجيش في ذلك الوقت بكميات كبيرة، فلم يشكُ منهم أحد نقصاً فيها، سواء كان قبل الفتح أم بعده، كما كانت وسائل النقل متوافرة بصورة جيدة، حيث كان لدى الجيش عدد كبير من الإبل والخيل.

أما السلاح فكان متوافراً لدى الجيش بمقدار كبير، والدليل على ذلك ما جاء في وصف الكتيبة الخضراء التي كان فيها النبي ﷺ حيث كان أفرادها لا يرى منهم إلا الحدق من كثرة الحديد[2].

---

(١) انظر الرسول القائد ــ ص ٤٥٨.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٣؛ الرسول القائد ــ ص ٤٥٩.

المبحث الثامن
المقدرة على اتخاذ القرار الصحيح والسريع

يُعَدّ اتخاذ القرار الصحيح والسريع من الصفات الأساسية للقائد العسكري كما ينص على ذلك كتاب «النظامات السفرية»، وذلك لسببين:

الأول: أن القائد المتردِّد لا يتوقف ضرره عند حد الفشل في مواجهة المواقف الحاسمة، بإصدار القرار الصحيح في الوقت المناسب، بل يمتدّ إلى مرؤوسيه، فيشيع في نفوسهم التردّد وعدم الحسم وفقدان الثقة.

الثاني: أن الأعداء يتربّصون بمن يريدون البطش به، فلا يُمهلونه حتى يعد العدة لصدّهم.

وقد بلغ النبي ﷺ في التحلي بهذه الصفة المرتبة العليا فاستطاع أن يبطل مخططات أعدائه الذين سخّروا إمكاناتهم لمحاربته. ويتجلى ظهور هذه الصفة في رسول الله ﷺ من مواقفه الخالدة التي سطرها التاريخ بمداد من ذهب.

ويستند إصدار القرار الصحيح والسريع على عاملين رئيسين:

الأول: القابلية العقلية للقائد حتى يستطيع سلوك الطرق المناسبة لبلوغ مقصوده.

الثاني: المقدرة على جمع المعلومات وتحليلها.

وقد توافر هذان الأمران في الرسول ﷺ فقد بشّر وأنذر وناقش عقليات كبيرة ووحد أمة متنافرة وهذا كله لا يتحقق إلا لذي عقل راجح، ومنطق سليم.

وفي جمع المعلومات وتحليلها كانت عند الرسول ﷺ مقدرة عجيبة.

ومن الأمثلة على ذلك، ما حدث منه في غزوة بدر في سبيل الحصول على أدق المعلومات وأشملها عن جيش أهل مكة[1].

ومن الجدير بالذكر أن الصِّحة والسُّرعة في اتخاذ القرار ركيزتان متلازمتان، فإذا وُجدت إحداهما دون الأخرى فَقَد القرار أهميته، وكان سلاحاً ضاراً للقائد والجند على حد سواء.

فإذا كان القرار خاطئاً، فإنه يصبح من عوامل هزيمة القائد أمام خصمه حتى ولو كان سريعاً. وإذا كان القرار صحيحاً ولكنّه تأخرّ عن الوقت الذي ينبغي تنفيذه فيه، فإنه يفقد أهميته ويترك آثاراً سلبية على القيادة والجيش[2].

---

(١) انظر الرسول القائد ـ ص ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٣٦؛ المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ـ ص ٣٠٣، ٣٠٥؛ والعسكرية الإسلامية وقادتها العظام ـ ص ٩٩؛ غزوة بدر ـ ص ١٤٥، ١٤٧: لمحمد باشميل.

(٢) انظر قادة فتح العراق والجزيرة ـ ص ١٩٤: للواء الركن محمود شيت خطاب، ط دار الفكر بيروت، ط ٢، سنة (١٣٩٣هـ).

المبحث التاسع
المحبة المتبادلة بين القائد وجنده

يُعَدّ تبادل المحبة بين القائد وجنده صفة أساسية ينبغي أن تتوافر في الجند والقائد على حد سواء.

وقد كان الرسول ﷺ يتمتع بهذه الصفة في أرقى مراتبها، وسوف أقتصر على ذكر بعض الأمثلة في الميدان العسكري.

المطلب الأول
محبة الرسول ﷺ لأصحابه

من الأمثلة التي تدل على تحلي الرسول ﷺ بهذه الصفة، حزنه ﷺ على عمه حمزة بن عبد المطلب حين مُثِّل[1] به في يوم أحد.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة بن عبد المطلب حين استشهد فنظر إلى منظر لم ينظر إلى منظر أوجعَ للقلب منه أو أوجعَ لقلبه منه، ونظر إليه وقد مُثِّل به فقال: «رحمة الله عليك إن كنتَ ما علمت لَوَصُولاً للرحم فعولاً للخيرات، والله لولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أتركك حتى يحشرك الله من بطون السباع ـ أو كلمة نحوها ـ أما والله على ذلك لأمثلن بسبعين كميتتك»، فنزل جبريلْ عليه السلام على محمد ﷺ بهذه السورة، وقرأ: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم

---

(١) يقال مَثَلْتُ بالقتيل إذا جدعت أنفه أو مذاكيره أو شيئاً من أطرافه فأما مثّل ـ بالتشديد ـ فهو للمبالغة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٢٩٤؛ ولسان العرب ٣/٤٣٨.

به . . . ﴾[1] إلى آخر الآية، فكفّر رسول الله ﷺ وأمسك عن ذلك)[2].

---

(١) الآية ٢٦ من سورة النحل.

(٢) الحديث أخرجه البزار والطبراني، كما في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١١٩، ثم قال الهيثمي: وفيه صالح بن بشر المُرّي، وهو ضعيف.

وأورده الهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزار ٢/٣٢٦، ٣٢٧، قال البزار: لا نعلمه يروى عنْ أبي هريرة إلا من هذا الوجه، تفرد به عن سليمان صالح، وقد تقدم ذكرنا لصالح (يعني تقدم ضعفه)، ولا نعلم رواه عن النبي ﷺ إلا أبو هريرة.

وقد ترجم ابن حجر ـ رحمه الله ـ لصالح وأورد أقوال علماء الجرح والتعديل فيه: (صالح بن بشر بن وادع بن أبي الأقعس البصري، القاصّ المعروف بـ «المري»، روى عن الحسن وابن سيرين وقتادة وهشام بن حسان وسعيد الجريري وغيرهم. وروى عنه سيار بن حاتم وأبو إبراهيم الترجماني وأبو النضر ويونس بن محمد وغيرهم، وقد ضعفه جماعة من المحدّثين منهم ابن معين وابن المديني وعمرو بن علي والنسائي والدارقطني).

ويرى النسائي وابن حبان أن حديثه يستحق الترك لأجل ما غلب عليه من التوهم حيث كان يروي الشيء الذي يسمعه من ثابت والحسن فيجعله عن أنس.

قال عنه الجوزجاني: كان قاصاً واهي الحديث.

وقال البخاري: منكر الحديث.

وذكر البخاري أنه مات سنة ست وسبعين ومائة بينما يذهب خليفة بن خياط إلى أنه مات سنة اثنين وسبعين ومائة. انظر تهذيب التهذيب ٤/٣٨٢، ٣٨٣.

وأخرجه الحاكم في كتاب «معرفة الصحابة»، باب مناقب حمزة بن عبد المطلب، المستدرك على الصحيحين ٣/١٩٧.

وأخرجه البيهقي في جماع أبواب مغازي رسول الله ﷺ، باب ما جرى بعد انقضاء الحرب، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٣/٢٨٨.

وعزاه السيوطي ـ رحمه الله ـ إلى ابن المنذر وابن مردويه. انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤/١٣٥ للسيوطي، مؤسسة الرسالة.

وبهذا يتبين أن الحديث بهذا الإسناد ضعيف لضعف أحد رجاله والله أعلم.

المطلب الثاني
محبة الصحابة للنبـي ﷺ

كـان الصحابـة يحبون الـرسـول ﷺ أكثـر من حبهم لأنفسهم وأولادهم وعشيرتهم لأن حبه ﷺ دين.

عن أنس رضي الله عنـه قـال: قـال النبـي ﷺ: «لا يؤمن أحـدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين»[1]. وسوف أذكـر فيما يتعلق بالجانب العسكري أمثلة تبيّن مدى آثار هذا الحب الذي جعل أولئك الصحابة يفدون الرسول ﷺ بأنفسهم.

فقـد ترّس طلحـة بن عُبيـد الله بيـده عن رســول الله ﷺ حتى صـارت شلاء[2].

ولم يقتصـر الأمر على الـرجال وحـدهم بـل شـاركتهم النسـاء في هـذا العمل العظيم، فقد دافعت أم عمارة ــ رضي الله عنها ــ عن الرسول ﷺ يوم أحد دفاعاً مجيداً.

فقـد روى ابن هشام في هـذا المعنى (... أن أم سعـد بنت سعـد بن الـربيـع كانت تقـول: دخلتُ على أم عمارة فقلت لهـا: يـا خـالـة، أخبـريني خبرك، فقالت: خرجت أول النهار وأنا أنظر مـا يصنـع الناس ومعي سقـاء فيه

---

(١) الحـديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الإيمـان، بـاب حبّ الـرسول ﷺ من الإيمان، ح (١٥)، فتـح الباري ١/٥٨.
وأخـرجه مسلم في كتـاب الإيمان، بــاب وجوب محبـة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والـولد والـوالد والنـاس أجمعين وإطـلاق عدم الإيمـان عـلى من لم يحبـه هـذه المحبـة، ح (٧٠)، صحيـح مسلم ١/٦٧.
وأخرجه الدارمي في كتاب الـرقائق، بــاب لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيـه ما يحب لنفسه، سنن الدارمي ٢/٣٠٧.

(٢) انـظر دليل بلاء طلحة بن عبيد الله في ص ١٥٩، ١٦٠.

ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة[1] والريح[2] للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ أباشر القتال[3] وأذبّ عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خَلُصَتْ الجراح إليّ فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمئة ـ أقمأه[4] الله ـ لما ولّى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلّوني على محمد لا نجوتُ إنْ نجا، فاعترضتُ له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممّن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة. . .)[5].

وبهذا الحب المتبادل بين الرسول القائد ﷺ وبين جنده الكرام ارتفعت راية الجهاد وقامت دولة الإسلام وانطلقت جيوش المسلمين.

المطلب الثالث

حكم خروج المرأة لميدان المعركة

من يسر أحكام الشريعة الإسلامية التخفيف عن غير القادرين على القيام ببعض التكاليف الشرعية، ومن ذلك أنه خفف عن المرأة فلم تُكلَّف بأعباء القتال لضعف بِنْيتها الجسدية، ولأنها قد تكون سبباً في وقوع الفتن للجيش في حالة ظفر العدّو بهم.

---

(١) الدُّولة: الانتقال من حال الشِّدّة إلى حال الرخاء. والدُّولة في الحرب أن تُدال إحدى الطائفتين على الأخرى أي تُنصر عليها. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/١٤١؛ ولسان العرب ١/١٠٣٤، ١٠٣٥.

(٢) الرِّيح: هي النصر والدّولة، يقال: الرِّيح لآل فلان وكان لفلان ريح. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٢٧٢؛ ولسان العرب ١/١٢٤٧.

(٣) خروج المرأة إلى ميدان القتال مجمع على جوازه وله حالتان لذا سوف أخصص المطلب الثالث من هذا المبحث لبيان هذه المسألة مع ذكر بعض الأدلة عليها.

(٤) أقمأه الله بمعنى أذله وأصغره. انظر لسان العرب ٣/١٥٩؛ والقاموس المحيط ١/٢٦.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٩، ٣٠.

ويختلف الحكم في خروج المرأة للقتال بحسب الظروف والملابسات، وقد ذكر الفقهاء رحمهم الله حالتين في خروج المرأة:

* **الحالة الأولى: الجائزة،** ولها صورتان:

الصورة الأولى: خروج أمير الجيش بامرأته لحاجته إليها، ولا يرخَّص لأحد غيره لئلا يؤدي خروج النساء إلى حصول الفتنة بهن وانتهاك أعراضهن(١).

والدليل على جواز هذه الصورة ما روته عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (كان النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه، فأيَّتُهن يخرج سهمها خرج بها النبي ﷺ فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجتُ مع النبي ﷺ قبل أن ينزل الحجاب)(٢).

الصورة الثانية: خروج المرأة الطاعنة في السنّ لخدمة الجيش، كالسقي وتجهيز الطعام ومداواة الجرحى، ونحو ذلك(٣).

---

(١) انظر: المغني ٩/٢١٥؛ مطالب أولي النهى ٢/٥٣٢.

(٢) الحديث أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الجهاد، باب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه، ح (٢٨٧٩)، فتح الباري ٦/٧٧.
وأخرجه في كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهنّ بعضاً، ح (٢٦٦١)، فتح الباري ٥/٢٦٩، ٢٧٠.
وأخرجه في كتاب المغازي، بساب حديث الإفك، ح (١٤٤١)، فتح الباري ٧/٤٣١.
وأخرجه في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم﴾ الآية ١٦ من سورة النور، ح (٤٧٥٠)، فتح الباري ٨/٤٥٢.
وأخرجه الدارمي في كتاب الجهاد، باب في خروج النبي ﷺ مع بعض نسائه في الغزو، سنن الدارمي ٢/٢١١.

(٣) انظر شرح السير الكبير ١/١٨٥؛ البحر الرائق ٥/٧٧؛ تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ٣/٢٤٤؛ اللباب في شرح الكتاب ٤/١١٨؛ شرح فتح القدير ٤/٢٨٩؛ =

والدليل على هذه الصورة، ما روته الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ قالت: (كنا مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة)[1].

فقد دل هذا الحديث، على أن النبي ﷺ أذن للنساء الطاعنات في السن بالخروج في الغزو لخدمة الجيش.

*** الحالة الثانية: المكروهة:**

كره الفقهاء خروج الشواب من النساء إلى ميدان القتال، فيُمنعن من ذلك، لأنه قد يستظهر العدو على الجيش فيستحِلّون منهن ما حرم الله ولأنهن لسنَ من أهل القتال لاستيلاء الخور والجبن عليهن[2].

ومع أن خروج المرأة مجمع على جوازه[3] لخدمة الجيش كالسقي ومداواة المرضى، وهو ما دلّ عليه حديث الرُّبَيِّع بنت معوِّذ ـ رضي الله عنهما ـ المتقدم ذكره آنفاً، إلّا أنه لا يجوز لها أن تقاتل.

والدليل على ذلك ما روته عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها أنها قالت:

= المغني ٩/٢١٥؛ مطالب أولي النهى ٢/٥٣٢؛ شرح منتهى الإرادات ٢/١٠٣؛ وزاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٢١١.

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب مداواة النساء الجرحى في الغزو، ح (٢٨٨٢)، وفي باب رد النساء الجرحى في الغزو، ح (٢٨٨٣)، فتح الباري ٦/٨.
وأخرجه في كتاب الطب، باب هل يداوي الرجل المرأة، والمرأة الرجل؟ ح (٥٦٧٩)، فتح الباري ١٠/١٣٦.
وأخرجه النسائي في كتاب السِّيَر، باب غزوة النساء (السنن الكبرى، مخطوط، انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (١٥٨٣٤)، ١١/٣٠٢، ١٤/١١٠).

(٢) انظر: شرح السير الكبير ١/١٨٤؛ والبحر الرائق ٥/٧٧؛ تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ٣/٢٤٤؛ شرح فتح القدير ٤/٢٨٩؛ المغني ٩/٢١٥.

(٣) انظر صحيح مسلم شرح النووي ١٢/١٨٨.

يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: لا، ولكُنَّ أفضل الجهاد حج مبرور[1].

فقد دل هذا الحديث على أن الجهاد ليس واجباً على المرأة لما فيه من مغايرة المطلوب منها من الستر ومجانبة الرجال[2].

ويجب عليها الجهاد إذا دعت إليه الضرورة وذلك في حالتين:

الأولى: إذا اعتُدي عليها فإنه يجب عليها أن تدافع عن نفسها.

والدليل على ذلك: ما رواه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: (أن أم سُلَيْم اتخذت يوم حنين خنجراً فكان معها فرآها أبو طلحة فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر، فقال رسول الله ﷺ: ما هذا الخنجر؟ قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرتُ به بطنه فجعل رسول الله ﷺ يضحك. قالت: يا رسول الله أقتل مَن بعدنا[3] من الطلقاء انهزموا بك[4]، فقال

---

(١) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، ح (١٥٢٠)، فتح الباري ٣/٣٨١.
وأخرجه في كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء، ح (١٨٦١)، فتح الباري ٤/٧٢.
وأخرجه في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب فضل الجهاد والسِّيَر، ح (٢٧٨٤)، فتح الباري ٦/٤.
وأخرجه في باب جهاد النساء ٢٨٧٥، ٢٨٧٦، فتح الباري ٦/٧٥، ٧٦.
وأخرجه النسائي في كتاب مناسك الحج، باب فضل الحج، سنن النسائي ٥/١١٤.
وأخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك، باب الحج جهاد النساء، ح (٢٩٠١)، ٢/٩٦٨.

(٢) انظر فتح الباري ٦/٧٦.

(٣) من بعدنا: أي من سوانا، وقد اعتقدت أم سليم رضي الله عنها أن هؤلاء الطلقاء الذين أسلموا وفيهم ضعف أنهم منافقون استحقوا القتل بانهزامهم عن رسول الله ﷺ. انظر صحيح مسلم ٣/١٤٤٢.

(٤) انهزموا بك: الباء هنا بمعنى عن، أي انهزموا عنك. وقد ورد هذا الاستعمال في القرآن =

رسول الله ﷺ: «يا أم سُلَيم إن الله قد كفى وأحسن»)[1].

ففي إقرار الرسول ﷺ هذه المرأة على حمل السلاح ومباشرة القتال دليل على أنه يجب على المرأة أن تقاتل في حالة الضرورة إذا حدث ما يشبه هذا الموقف.

الثانية: إذا هاجم العدو ديار المسلمين فإنه يتعيّن على جميع المسلمين دفعه عنهم، وممن يجب عليه ذلك المرأة.

قال الشيخ عبدالله الموصلي رحمه الله: (وإذا هجم العدو وجب على جميع الناس الدفع... تخرج المرأة بغير إذن الزوج لأنه يصير فرض عين... وحق الزوج لا يظهر في مقابلة فروض الأعيان كالصلاة والصوم)[2].

= الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿فاسأل به خبيراً﴾ أي: عنه. وقد تكون الباء هنا للسببية أي انهزموا بسببك لنفاقهم. انظر المرجع والصفحة السابقين.

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب غزو النساء مع الرجال، ح (١٨٠٩)، صحيح مسلم ٣/١٤٤٢.

(٢) الاختيار لتعليل المختار ٤/١٨٥؛ واللباب في شرح الكتاب ٤/١١٥.

المبحث العاشر

معرفة النفسيات والاستعدادات

تُعَدّ معرفة الاستعدادات النفسية صفة ضرورية من صفات القائد، لأنه توكل إليه مهمة توجيه جنوده إلى ما يحتاجه منهم عملهم العسكري وتحقيق هذا الهدف يتطلب من القائد وضع الرجل المناسب في العمل المناسب وهذا لا يتم إلا بمعرفة النفسيات والاستعدادات.

وقد كان للرسول ﷺ من هذه الصفة أوفر حظ ونصيب، حيث كان يعرف نفسيات أصحابه ويكلّف كلاً منهم بما يتفق مع قدراتهم العقلية والبدنية، وهذا سرّ نجاحهم في كل ما أُسند إليهم من الواجبات.

لقد كان الرسول ﷺ يعرف أنّ من بين أصحابه الشجعان، فكان يسند إليهم الأعمال التي تتطلب الشجاعة والإقدام، كإعطائه السيف لأبي دجانة يوم أحد[1].

وكان يعرف أن من بين أصحابه من يصلح للقيادة، فكان يعطيهم فرصة القيادة، ومن هؤلاء عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وخالد بن الوليد وغيرهم ممن تولَّوْا قيادة الجيوش.

كما كان يعرف أن من بين أصحابه من لا يقوى قلبه على الحرب كحسان بن ثابت، فجعله مع النساء يوم أحد[2]، والخندق[3]، واستفاد من شِعره البليغ في الدفاع عن الله ورسوله.

عن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشاً فإنه

---

(١) انظر نص الحديث الوارد في هذا الشأن في ص ١٥٥.

(٢) انظر دليل ذلك في ص ١٥٠.

(٣) انظر دليل ذلك في ص ١٧٥.

أشدُّ عليها من رشق بالنبل»، فأرسل إلى ابن رواحة، فقال: «اهجهم» فهجاهم فلم يرض، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه، قال حسان: (قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه)[1]، ثم أدلع لسانه[2]، فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فَرْيَ الأديم[3]، فقال رسول الله ﷺ: «لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وإن لي فيهم نسباً حتى يلخص[4] لك نسبي»، فأتاه حسان ثم رجع فقال: يا رسول الله، قد لخص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تُسَلّ الشعرة من العجين، قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحتَ عن الله ورسوله»، وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسان فشفى واشتفى»[5].

وكان ﷺ ــ أيضاً ــ يعرف أن من بينهم صاحب الرأي والمشورة كالحباب بن المنذر، فكان يستفيد من آرائه ومشورته[6].

---

(١) المراد بذنبه هنا: لسانه، فقد شبه حسان رضي الله عنه نفسه حين أدلع لسانه وجعل يحركه بالأسد في انتقامه وبطشه إذا اغتاظ، فإنه حينئذ يضرب بذنبه جنبيه، فشبه نفسه بالأسد ولسانه بذنبه. انظر صحيح مسلم ٤/١٤٣٥.

(٢) يقال: دَلَعَ الرجل لسانه: أي أخرجه من الشفتين، ويقال أيضاً: أدلع لسانه وأدلعه ودلع اللسان بنفسه. انظر لسان العرب ١/١٠٠٣؛ صحيح مسلم ٤/١٩٣٥.

(٣) لأفرينهم بلساني فَرْيَ الأديم: أي لأمزقنّ أعراضهم بشِعري كتمزيق الجلد. انظر صحيح مسلم ٣/١٩٣٦.

(٤) التَّلْخِيصُ: هو التبيين والشرح، يقال: لخصت الشيء: إذا استقصيت في بيانه وشرحه، ويقال أيضاً: لَخِّص لي خبرك: أي بيِّنه لي شيئاً بعد شيء. انظر لسان العرب ٣/٣٥٥.

(٥) الحديث أخرجه مسلم واللفظ له في كتاب الفضائل، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، ح (٢٤٩٠)، صحيح مسلم ٤/١٩٣٥، ١٩٣٦.

(٦) سيأتي ــ إن شاء الله ــ أمثلة على قبوله ﷺ مشورة بعض الصحابة فيما يتعلق بالأمور الحربية وغيرها وذلك في ص ٣٧٢ وما بعدها.

وبهذا يتبين أنه ﷺ استفاد من طاقات أصحابه المادية والمعنوية دون أن يكلّف أحداً منهم بعمل خارج عن قدراته[1].

وعند قسمة غنائم حنين أعطى الرسول ﷺ رجالاً من قريش تألیفاً لهم على الإسلام، ولما يعلمُ من طغيان حبّ المال على قلوبهم لخلّوها من الإيمان، وفي الوقت نفسه حرم الأنصار من هذا العطاء ثقة بإيمانهم[2].

ومن هذه الأمثلة التي مرّ ذكرها يتبين أن معرفة استعدادات الجنود يُعَدّ أمراً ضرورياً للقائد.

---

(١) انظر الرسول القائد ـ ص ٤٤١، ٤٤٢؛ العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ـ ص ٤٠٠، ٦٩٩.

(٢) انظر تفصيل ذلك في ص ٢٧٢ ـ ٢٧٦.

المبحث الحادي عشر
قـــوة الشَّخصـــية

تُعَدّ قوة الشَّخصية من الصفات القيادية البـارزة في النبـي ﷺ وقد أخبـر عن معـالم هـذه الشخصيـة عـروة بن مسعـود الثقفي حين وصف النبـي ﷺ لقريش، وقد ساق البخاري رحمه الله في صحيحه هذا الوصف فقال:

(. . . ثم إن عروة جعل يـرمق أصحاب النبـي ﷺ بعينيـه فقال: فـوالله ما تنخّـم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم فدلـك بها وجهـه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضـوئه، وإذا تكلّـم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدُّون النظر إليه تعظيماً له.

فرجـع عروة إلى أصحابه فقال: يا قـوم، واللّهِ لقد وفـدتُ على الملوك ووفـدت على قيصر وكسـرى والنجاشي، والله إنْ[1] رأيت مليكـاً قطّ يعـظّمـه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً، والله إن يتنخّم نخامة إلا وقعت في كف رجل فدلك بها وجهـه وجلده، وإذا أمرهم ابتـدروا أمره، وإذا تـوضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له)[2].

وبتدبر هذه الأوصاف، يُلاحظ أنها تعبـر عن قوة شخصيـة الرسـول ﷺ ولا شك في أن أسباب تلك القوة هـي محبته ﷺ للناس ورغبته الشـديدة في هـدايتهم وإخراجهم من جَـوْر الأديان إلى عـدل الإسـلام، إلى جـانب خُلُقـه العظيم الذي كان يتحلّى به بين الناس.

---

(١) «إن» هنا نافية، والمعنى: ما رأيت.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه في ص١٩٦.

ومن هـذا يتبين أن قوة الشخصية، صفة ضـرورية للقـائد العسكـري، لأنـه قدوة لجنـوده، كما أن لـه عليهم حقَّ التـوجيـه والإرشـاد والأمـر وعليهم واجب السمـع والطاعة بالمعروف، ولا تحصل هذه الأمـور إلا إذا كان القـائد ذا شخصية قويـة، تتصف بالصفـات الحسنة، وتجتنب الصفـات السيئة، إلى جانب مراعاة الحكمة والمصلحة في كل ما يأتي القائد ويذر.

الباب الثالث

الدُّرُوسُ القِيادِيّة المُسْتَفادَة

مِنْ هٰذِهِ الغَزَوات

الفصل الأول : الدروس القيادية العامة.

الفصل الثاني : الدروس القيادية الخاصة بكل غزوة.



الفَصْل الأوَّل

الدُّرُوسُ القِيَادِيَّةِ العَامَّة

المبحث الأول
ضرورة جمع المعلومات المتكاملة عن الأعداء بشتى الوسائل

المطلب الأول
في غزوة بدر

إن معرفة جيش العدوّ والوقوف على أهدافه ومقاصده لها أهمية كبرى من أجل رسم الخطط الحربية المناسبة لمجابهته وصدّ عدوانه.

وفي غزوة بدر قام النبي ﷺ بجمع المعلومات عن قريش، تارة بنفسه وأخرى بغيره.

ويمكن حصر طرق الاستطلاع التي حصل بها النبيّ ﷺ على المعلومات عن هذا العدو في الفروع الآتية:

● الفرع الأول:

بعثُه بسيسة بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء حتى يأتياه بخبر عير أبي سفيان، فعادا وأخبراه بموعد وصول العير.

وقد حصلا ـ رضي الله عنهما ـ على هذا الخبر من خلال سماعهما لكلام الجاريتين اللتين نطقتا بذلك وهما قريبان منهما، وزاد هذا الخبر توثيقاً تصديق مجدي بن عمرو لمن ذكرت هذا الخبر(١).

---

(١) انظر روايتَيْ ابن إسحاق وابن سعد لهذا الخبر في ص ١٢٤، ١٢٥.

● **الفرع الثاني:**

قيامه ﷺ، وبصحبته أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ بتحرِّي المكان الـذي توجـد فيه قـريش. وقد حصـل له مـا أراد عنـدمـا وقف على شيـخ من العرب وسأله عن المكان الذي توجد فيه قريش[1].

● **الفرع الثالث:**

استنطاق الأسيرين اللَّذَيْن قبض عليهما الصحابة.

استفاد الرسول ﷺ من استنطاق هذين الأسيرين ثلاثة أمور مهمة جداً:

* **الأمر الأول: عدد أفراد الجيش:** من الواجب أن يعرف القائد حجم قوات أعدائـه، حتى لا يبقى عنصر من عنـاصر المعـركة مجهـولاً، في ذهنه، فتشل المفاجأة تفكيره فيخسر المعركة.

* **الأمر الثاني: موقـع قريش:** حيث أشار الغلامان إلى موقعهما وبهذه المعلومـات عرف الـرسول ﷺ مـوقـع المـاء فتحكّـم المسلمـون في مصـادره وحرموا قريشاً منه.

* **الأمـر الثالث: قيـادة هذا الجيش ومن معهـا من أشراف مكـة:** تُعَدّ معرفة قيادة أي جيش أمراً ضرورياً لتقدير الموقف العسكري المنـاسب معها. وقـد تبين للرسول ﷺ أن قيـادة هذا الجيش غيـر موحـدة، كمـا أفـادت هـذه المعلومات المسلمين عن شيء آخر حيث عرفوا أسماء الخارجين من أشـراف قريش فأنزلوا كل واحد منهم منزلته اللائقة به[2].

ومن الأمثلة على ذلك أن أبا جهل ـ لعنه الله ـ كان يسوم المسلمين سوء العذاب بمكة ولهذا حرص المسلمون على قتله.

---

(1) انظر رواية ابن إسحاق لهذه القصة في ص ١٢٣، ١٢٤.

(2) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ـ ص ٢٥٧، ٢٥٩؛ والمدرسة العسكرية الإسلامية ـ ص ٤٧٦.

فعن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جدّه قال: (بينا أنا واقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيت أنا أكون بين أضلع[1] منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخْبِرتُ أنه يسبّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيتُه لا يفارق سوادي سوادَه حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك فغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب[2] أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس فقلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال: «أيّكما قتله»؟ قال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: «هل مسحتما سيفيكما»؟ قالا: لا، فنظر في السيفين فقال: «كلاكما قتله، سلبه[3][4] لمعاذ بن عمرو بن الجموح»، وكانا معاذ ابن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح)[5].

---

(١) أضلع: أي بين رجلين أقوى من الرجلين اللذين كنت بينهما وأشد. النهاية في غريب الحديث والأثر ٩٧/٣؛ وانظر لسان العرب ٥٤٣/٢.

(٢) أنشب: أي لم ألبث، والمعنى أنه لم يشتغل بغيره ولا تعلق بشيء سواه. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥٢/٥؛ ولسان العرب ٦٣٣/٣.

(٣) السّلب في اللغة: هو ما يُسْلَب، يقال: سلبه الشيء يسلبه سَلْباً وسَلَباً إذا اختلسه منه وهو ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه من ثياب وسلاح ودابة. انظر: لسان العرب ١٧٧/٢؛ وتاج العروس ٣٠٠/١.
والسَّلَب في الاصطلاح: ما كان القتيل لابساً له من ثياب وعمامة وقلنسوة ومنطقة ودرع ومغفر وبيضة وتاج وأسورة وخُفّ وما كان عليه من حلية وما معه من سلاح ودابة. انظر: المغني لابن قدامة ٢٣٧/٩؛ والمحرر في الفقه ١٧٥/٢؛ والقاموس الفقهي لغة واصطلاحاً ـ ص ١٧٩، تأليف سعدي أبو جيب، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٢هـ)، دار الفكر ـ بيروت.

(٤) اختلف الفقهاء في استحقاق القاتل سَلَب قتيله كما اختلفوا في تخميس السّلب. وسوف أخصص المطلب الثاني والثالث للكلام عن هاتين المسألتين.

(٥) الحديث بهذا اللفظ أخرجه البخاري في كتاب فرض الخُمس، باب: من لم يخمّس =

وكذلك الأمر بالنسبة إلى أمية بن خلف فقد كان بلال بن رباح ـ رضي الله عنه ـ حريصاً على الانتقام منه جزاءً تعذيبه له في مكة، فلما أبصره بلال في المعركة صمم على قتله حتى تحقق له ما أراد.

روى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: (كاتبتُ أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي[1] بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت «الرحمن» قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية فكاتبتُه عبد عمرو.

فلما كان يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس فأبصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار فقال: أمية بن خلف، لا نجوت إنْ نجا أمية، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا، فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه، ثم أَبَوْا حتى يتبعونا وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا قلت له: ابرك، فبرك فألقيت عليه نفسي لأمنعه فتجلّلوه[2] بالسيوف من تحتي حتى قتلوه وأصاب أحدهم رجلي بسيفه)[3].

= الإسلام ومن قتل قتيلاً فله سلبه، ح (٣١٤١)، فتح الباري ٦/٢٤٦.
وأخرجه في كتاب المغازي، باب: قتل أبي جهل، ح (٣٩٦٤)، فتح الباري ٧/٢٩٤.
وأخرجه في كتاب المغازي، في الباب العاشر، ح (٣٩٨٨)، فتح الباري ٧/٣٠٧.
وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسِّير، باب استحقاق القاتل سلب قتيله، ح (١٧٥٢)، صحيح مسلم ٣/١٣٧٢.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/١٩٣.

(١) صاغية الرجل: هم خاصّته والمائلون إليه. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٣٣؛ ولسان العرب ٢/٤٤٥.

(٢) هذه اللفظة وردت بروايتين:
الأولى: بالجيم المعجمة والمعنى غشوه.
الثانية: بالخاء المعجمة ومعناها أدخلوا أسيافهم خلاله حتى وصلوا إليه وطعنوه بها من تحتي. انظر: فتح الباري ٤/٤٨٠.

(٣) هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الوكالة، باب إذا وكل المسلم حربياً في دار =

وقد استفاد الرسول ﷺ من هذه المعلومات أيضاً في معرفة بعض الشخصيات التي خرجت مكرَهة للقتال أمثال بني هاشم وأبي البختري بن هشام. وهذه الشخصيات نهى الرسول ﷺ عن قتلها. فعن علي ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ: «من استطعتم أن تأسروا من بني عبد المطلب فإنهم خرجوا كرهاً»(١).

كما نهى عن قتل عمه العباس بن عبد المطلب لأنه خرج للقتال مستكرهاً بدليل قوله للرسول ﷺ: (إني قد كنت مسلماً قبل ذلك وإنما استكرهوني)(٢).

المطلب الثاني
الخلاف في استحقاق القاتل سلب قتيله

اختلف الفقهاء في استحقاق القاتل سلب قتيله على مذهبين:

الأول: مذهب الجمهور ويَرَوْن أن القاتل يستحق سَلَب قتيله سواء شرط الإمام ذلك أو لم يشترطه(٣).

= الحرب أو في دار الإسلام جاز، ح (٥٣٠١)، فتح الباري ٤/٤٨٠.
وأخرجه في كتاب المغازي، باب: في قتل أبي جهل، ح (٣٩٧١)، فتح الباري ٧/٢٩٨.

(١) الحديث: أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٨٩؛ والمسند، تحقيق شاكر، ح (٦٧٦)، ٢/٧٧، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) الحديث: أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٣٥٣، والمسند، تحقيق أحمد شاكر، ح (٣٣١٠)، ٥/١٠٥، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده ضعيف لجهالة راويه عن عكرمة.
وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/٨٥ ــ ٨٦، وقال بعد عزوه للإمام أحمد: وفيه راوٍ لم يُسَمَّ وبقية رجاله ثقات.

(٣) انظر: فتح الباري ٦/٢٤٧؛ وصحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٥٨، ٥٩؛ وبداية المجتهد ونهاية المقتصد ٢/٣٩٧؛ والفروق ٣/٧: للإمام شهاب الدين الصنهاجي القَرَافي، ط دار المعرفة ــ بيروت؛ وجواهر العقود ومعين القضاة والموقِّعين =

الثاني: مذهب الحنفية[1] والمالكية[2] وأحمد في الرواية الأخرى[3] والأوزاعي[4].

ويرى هؤلاء أن القاتل لا يستحق السلب إلا أن يشترطه الإمام له.

● **الأدلّـة:**

* **أولاً:** استدل الجمهور إلى ما ذهبوا إليه بالحديث الآتي: عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلما التقينا

= والشهود ١/٤٧٧: للشيخ محمد بن أحمد المنهاجي السيوطي، الطبعة الأولى، سنة (١٣٧٤هـ)، مطبعة السنة المحمدية،؛ والمغني لابن قدامة ٩/٣٧٩؛ والمقنع ١/٤٩٥ للشيخ موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الطبعة الثالثة، سنة (١٣٩٣هـ)؛ وإعلام الموقعين عن رب العالمين ١/٣٨٥: لأبي عبد الله بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، حققه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، سنة (١٣٧٤هـ)، المكتبة التجارية الكبرى؛ وفقه الإمام الأوزاعي ٢/٤٤٨؛ ونيل الأوطار ٧/٢٩٩؛ وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/٣٩٠ للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجَكَني الشنقيطي، طبعته الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض سنة (١٤٠٣هـ).

(١) انظر اللباب في شرح الكتاب ٤/١٣٠؛ والاختيار لتعليل المختار ٤/٢٠٩؛ وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ٧/١١٥؛ والهداية شرح بداية المبتدي ٢/١٤٦؛ والبحر الرائق شرح كنز الدقائق ٥/٩٩؛ وأحكام القرآن ٣/٥٣: للإمام أبي بكر أحمد بن علي بن أبي بكر الرازي الجصاص، الناشر دار إحياء الكتاب العربي ــ بيروت، مصورة عن الطبعة الأولى سنة (١٣٣٥هـ).

(٢) انظر المدونة الكبرى ١/٣١؛ وكتاب الكافي ١/٤٧٦؛ ومقدمات ابن رشد ١/٢٧٠؛ ومواهب الجليل بشرح مختصر خليل ٣/٣٦٧: لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب، الناشر: مكتبة النجاح ــ طرابلس المغرب؛ وأحكام القرآن: لابن العربي ٢/٨٢٧؛ وبداية المجتهد ١/٤٢٨؛ ونيل الأوطار ٧/٢٩٩؛ وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/٣٩٠.

(٣) قال الإمام أحمد رحمه الله في الرواية الأخرى: (لا يعجبني أن يأخذ السلب إلا بإذن الإمام)، المغني لابن قدامة ٩/٢٣٨.

(٤) انظر عمدة القاري ١٥/٦٥: للشيخ بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، ط دار إحياء التراث العربي؛ وفقه الإمام الأوزاعي ١/٤٤٨.

كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلاً من المشركين علا رجلاً من المسلمين فاستدبرت حتى أتيتُه من ورائه حتى ضربته بالسيف على حبل عاتقه، فأقبل عليّ فضمّني ضمّة وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فأرسلني، فلحقت عمر بن الخطاب فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله، ثم إن الناس رجعوا وجلس رسول الله ﷺ فقال: «من قتل قتيلاً له عليه بيِّنة فله سَلَبه»، فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، ثم قال: «من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه»، فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، ثم قال الثالثة مثله، فقال رسول الله ﷺ: «ما لك يا أبا قتادة» فاقتصصت عليه قصة فقال رجل: صدق يا رسول الله وسَلَبه عندي فأرضه عني، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا ها الله إذاً[1]: لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله ﷺ يعطيك سلبه، فقال النبي ﷺ: «صدق»، فأعطاه فابتعت مِخْرَفاً[2] في بني سلمة فإنه لأول مالٍ تأثلته[3] في الإسلام)[4].

(١) لاها الله إذاً: الهاء هنا للتنبيه وقد يُقْسَمُ بها فيقال: لا ها الله ما فعلتُ كذا، ولا يكون ذلك إلا مع الله فلم يسمع لاها الرحمن أو غيره من أسماء الله تعالى، ومعنى هذه العبارة: لا والله، هذا ما أقسم به. وذكر المازني ــ رحمه الله ــ أن لاها الله إذاً خطأ والصواب لاها الله ذا. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٧/ ٣٠٠.

(٢) مِخْرَفاً: أي حائط نخل يخرف منه الرطب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٢٤؛ ولسان العرب ١/ ٨١٨.

(٣) تأثّلته: يقال: تأثّل مالاً أي أصّله، وتأثل مالاً أي اكتسبه واتخذه وثمّره. اانظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٢٣؛ ولسان العرب ١/ ٢١.

(٤) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب فرض الخمس، باب من لم يخمس الأسلاب ومن قتل قتيلاً فله سلبه من غير أن يخمس وحكم الإمام فيه، ح (٢١٤٢)، فتح الباري ٦/ ٢٤٧.
وأخرجه في كتاب البيوع، باب بيع السلاح في الفتنة وغيرها وكره عمران بن حصين بيعه في الفتنة، ح (٢١٠٠)، فتح الباري ٤/ ٣٢٢.
وأخرجه في كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿ويومَ حُنَينٍ إذ أعجبتكم كَثْرَتكم =

ـ **وجه الاستدلال**: أن قول النبي ﷺ: «من قتل قتيلاً له عليه بيِّنة فله سلبه» يُعَدّ فتوىً منه ﷺ وإخباراً عن الحكم الشرعي فلا يتوقف على قول أحد[1]، ولأن السلب مأخوذ من الغنيمة بغير اجتهاد الإمام فلا يفتقر إلى شرطه[2].

* **ثانياً**: دليل أصحاب المذهب الثاني: استدل أصحاب المذهب الثاني بحديث عبد الرحمن بن عوف ـ في قصة قتل ابنَيْ عفراء لأبي جهل يوم بدر ـ وفيه: (. . . فابتدراه فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال: «أيكما قتله»؟ قال كل واحد منهما: أنا قتلته، قال: «هل مسحتما سيفيكما»؟ قالا: لا، فنظر في السيفين فقال: «كلاكما قتله، سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح»، وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح)[3].

ـ **وجه الاستدلال**: أن تصريحه ﷺ بأن كلاهما قتله ثم تخصيص أحدهما بسلبه دون الآخر صريح في أن القاتل لا يستحق السلب إلا بقول

= فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته﴾ إلى قوله: ﴿غفور رحيم﴾ الآية ٢٥ من سورة التوبة، ح (٤٣٢١)، فتح الباري ٨/٣٤، ٣٥، ح (٤٣٢٢)، المرجع السابق ٨/٣٦.

وأخرجه في كتاب الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولاية القضاء أو قبل ذلك للخصم، ح (٧١٧٠)، فتح الباري ١٣/١٥٨.

وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب استحقاق القاتل سلب قتيله، ح (٤١)، صحيح مسلم ٣/١٣٧٠.

وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في السلب يُعطى للقاتل، ح (٢٧١٧)، سنن أبي داود ٣/١٥٩.

وأخرجه الإمام مالك في كتاب الجهاد، انظر ما جاء في السلب في النفل، ح (١٨)، الموطأ ٢/٤٥٤.

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/٣٠٦.

(١) انظر فتح الباري ٦/٢٤٧؛ وصحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٥٩.

(٢) انظر المغني لابن قدامة ٩/٢٣٧.

(٣) سبق تخريج هذا الحديث في ص ٣٥٣، ٣٥٤.

الإمام، إذ لو كان استحقاقه بمجرد القتل لما كان لمنع معاذ بن عفراء وجه مع أنه صرَّح بقتل الاثنين له، ولَجَعَله بينهما[1].

القول الراجح في هذه المسألة:

الذي يترجح عندي في هذه المسألة هو أن القاتل لا يستحق سلب قتيله إلا بإعطاء قائد الجيش له وذلك للأسباب الآتية:

* **السبب الأول:** ورود الأدلة الصحيحة على ذلك ومنها حديث أبي قتادة المذكور وكذلك حديث عبد الرحمن بن عوف الذي تقدم ذكره.

* **السبب الثاني:** أن قائد الجيش أدرى بالمصلحة في هذا الأمر فقد تكون المصلحة في إعطاء مقاتلٍ بعينه، كما قد تكون في حرمان مجاهد آخر مما استلبه من عدوه.

* **السبب الثالث:** أن قائد الجيش أدرى بمواضع الفرص التي تتطلب تنفيل القاتل سلب قتيله في ميدان القتال. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

المطلب الثالث
الخلاف في تخميس السلب

اختلف الفقهاء ـ رحمهم الله ـ في تخميس السَّلب على ثلاثة أقوال:

الأول: قول الجمهور وهو أن السَّلب لا يخمَّس بل يدفع جميعه للقاتل[2].

---

(١) انظر فتح الباري ٦/٢٤٨؛ ونيل الأوطار ٧/٣٠٦.

(٢) انظر أحكام القرآن للجصاص ٣/٥٥؛ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/٤؛ والمهذَّب للشيرازي ٢/٢٣٩؛ وفتح الباري ٦/٢٤٧؛ والمدوَّنة الكبرى ٢/٣٠؛ ومقدمات ابن رشد ١/٢٧٠؛ وكتاب الكافي ٢/٤٧٦؛ والمغني لابن قدامة ٩/٢٣٧؛ وزاد المعاد ٣/٤٩٤؛ والمحلى ٧/٥٤٩؛ ونيل الأوطار ٧/٢٩٩؛ وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/٣٩٤.

الثاني: قول مالك والأوزاعي وابن عباس ومكحول وهو أن السَّلب يخمس[1].

الثالث: قول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وإسحاق بن راهويه وهو أن السَّلب يخمس إذا كان كثيراً[2].

● **الأدلّة**:

استدل الجمهور على عدم تخميس السلب بما ثبت في الحديث الصحيح (المتقدم) وهو قوله ﷺ: «... من قتل قتيلاً له عليه بيّنة فله سلبه...»[3].

ـ **ووجه الاستدلال به**: أن هذا الحديث خصص العموم الوارد في قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأنّ لله خُمُسَه﴾[4].

وبناء على ذلك فإنّ السلب يدفع جميعه للقاتل من غير تخميس[5].

ـ **دليل القول الثاني**: استدل أصحاب هذا القول وهم القائلون بأن السلب يخمّس بعموم قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خُمُسَه...﴾[6] الآية.

---

(١) انظر المغني لابن قدامة ٩/٢٣٧؛ وعمدة القاري ١٥/٦٥؛ وزاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٤٩٣؛ ونيل الأوطار ٧/٢٩٩؛ وفقه الإمام الأوزاعي ٢/٤٥٠؛ وموسوعة فقه عمر بن الخطاب ـ ص ١٧٥: للدكتور محمد رواس قلعه جي، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠١هـ)، ط دار النفائس ـ بيروت؛ وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/٣٩٤.

(٢) انظر فتح الباري ٦/٢٤٧؛ وصحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٥٩؛ والمجموع شرح المهذب ١٨/١١٤؛ والمغني لابن قدامة ٩/٢٣٧؛ وزاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٤٩٤؛ وعمدة القاري ١٥/٦٥؛ وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/٣٩٤.

(٣) سبق ذكر نص هذا الحديث وتخريجه في ص ٣٥٧.

(٤) سورة الأنفال: آية ٤١.

(٥) انظر: نيل الأوطار ٧/٢٩٩.

(٦) سورة الأنفال: آية ٤١.

فقد دلت هذه الآية الكريمة على أن كل ما غنمه المسلمون من مال الكفار وقت الحرب على جهة الغلبة والقهر يجب أن يخمّس ومن ذلك سلب القتيل[1].

ـ **دليل القول الثالث**: استدل القائلون بأن السلب يخمّس إذا كان كثيراً بقصة مبارزة البراء بن مالك لمرزُبان[2] الزأره[3]، فقد روى عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال: بارز البراء بن مالك أخو أنس مرزبان الزأره فقتله وأخذ سلبه فبلغ سلبه ثلاثين ألفاً فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فقال لأبي طلحة: (إنا كنا لا نخمس السلب وإن سلب البراء قد بلغ مالاً ولا أراني إلا خامسه)[4].

الراجح من هذه الأقوال:

الذي يترجح عندي والله أعلم بالصواب من هذه الأقوال أن سلب القتيل لا يخمس وذلك لسببين:

الأول: أن رسول الله ﷺ لم يخمّس سلب القتيل وكذلك أبو بكر وصدراً من خلافة عمر رضي الله عنه واتباع ذلك أولى.

قال الجوزجاني: لا أظنه يجوز لأحدٍ في شيء سبق فيه من الرسول ﷺ شيء إلا اتباعه ولا حجة في قول أحد مع قول رسول الله ﷺ[5].

---

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير ٣/٣٥٨؛ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/١، ٢؛ وأحكام القرآن للجصاص ٣/٥٣.

(٢) المرزُبان بضم الزاي هو أحد مرازبة الفرس وهو الفارس الشّجاع المقدّم على القوم دون المَلِك. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٣١٨.

(٣) الزأره: قرية كبيرة بالبحرين وهجر. انظر معجم البلدان ٣/١٢٦.

(٤) هذا الأثر أخرجه الإمام عبد الرزاق بهذا اللفظ في كتاب الجهاد، باب المبارزة، مصنف عبد الرزاق ٥/٢٣٣.
وأخرجه البيهقي في كتاب قسم الفيء والغنيمة، باب ما جاء في تخميس السلب، السنن الكبرى ٦/٣١٠، ٣١١.

(٥) انظر المغني لابن قدامة ٩/٢٣٧.

الثاني: أن في إعطاء القاتل جميع سلب قتيله مصلحة ظاهرة وهي الحضُّ على قتال الأعداء وكسر شوكتهم وهذا يتفق مع نصوص الكتاب والسنة الواردة في هذا الشأن.

أما تخميس عمر سلب البراء فهو اجتهاد منه ــ رضي الله عنه ــ بناءً على مصلحة معينة رآها.

المطلب الرابع
في غــزوة أُحُــد

حرص الرسول ﷺ على استطلاع أخبار قريش، منذ أن كانت في مكة حيث كان يستعين بعمه العباس بن عبد المطلب، قال ابن عبد البر ــ رحمه الله ــ (وكان ــ رضي الله عنه ــ يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ وكان المسلمون يتقوَّوْن به بمكة، وكان يحب أن يقدم على رسول الله فكتب إليه رسول الله ﷺ أن مقامك بمكة خير)[1].

وحين عزمت قريش على حرب النبي ﷺ وأتمت تجهيزات جيشها وأخذت في التحرك صوب المدينة أرسل العباس إلى النبي ﷺ رسالة قال فيها: (إن قريشاً قد أجمعت المسير إليك فما كنتَ صانعاً إذا حلّوا بك فاصنعه، وقد توجّهوا إليك وهم ثلاثة آلاف وقادوا مائتي فرس وفيهم سبعمائة دارع وثلاثة آلاف بعير وأوعبوا[2] من السلاح)[3].

وهذه الرسالة تحتوي على أمرين مهمين:

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/٨١٢.

(٢) يقال: أوعب الشيء وعبا وأوعبه واستوعبه إذا أخذه أجمع، ومعنى أوعبوا: خرجوا بجميع ما عندهم من السلاح. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٢٠٦؛ ولسان العرب ٣/٩٥٠.

(٣) مغازي الواقدي ١/٢٠٤.

الأول: خبر تحرك قريش من مكة، وهذا أفاد النبي ﷺ في الاستعداد لهذا الجيش قبل وصوله.

الثاني: عدد قوات هؤلاء الأعداء، وهذا أفاده في مجابهة ذلك الجيش بالقوة المناسبة.

ولم يقتصر الرسول ﷺ عند هذا الحد، بل حرص على أن تكون معلوماته عن هذا العدو متجددة مع تلاحق الزمن، وهو بهذا يرشد القادة من بعده إلى أهمية تجديد المعلومات عن أعدائهم فكلما كانت المعلومات تتصف بالطرافة والجِدَّة كانت ذا نفع أكثر.

فحين وصل جيش المشركين إلى مكان، يقال له العِرْض[1]، أرسل الرسول ﷺ الحباب بن المنذر فدخل بين جيش مكة وحزر عَدَدَهُ وعُدَدَه ورجع وأخبر النبي ﷺ.

ولما بلغ الجيش ذا الحليفة أرسل الرسول ﷺ عينين له وهما ابنا فضالة، فاعترضا لقريش بالعقيق فسارا معهم حتى نزلوا بالوِطاء ثم رجعا إلى المدينة وأخبرا الرسول ﷺ بذلك[2].

وبعد انتهاء المعركة ورجوع قريش إلى مكة بلغ الرسول ﷺ مقالة عن أبي سفيان يلوم فيها جنده لكونهم لم يشفوا غليلهم من محمد وجنده. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما انصرف أبو سفيان والمشركون من أحد وبلغوا الرَّوحاء[3]، قال أبو سفيان: لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتم شر ما صنعتم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ[4].

---

(١) العِرْض: هو الجُرْف، وقد سبق التعريف به في ص ١٧٢.
(٢) انظر مغازي الواقدي ١/٢٠٦، ٢٠٨.
(٣) الروحاء: قرية صغيرة على بعد (٧٣ كيلًا) من المدينة على طريق مكة ويوجد بها الآن مَفْهيان. انظر معجم البلدان ٣/٧٦؛ ومعجم معالم الحجاز ٤/٨٤.
(٤) الحديث أخرجه الطبراني، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٢١.
قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجوَّاز.

وذكر موسى بن عقبة رواية أخرى فقال: وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله ﷺ فسأله عن أبي سفيان وأصحابه فقال: نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ويقول بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئاً أصبتم شوكة القوم وحدَّهم ثم تركتموهم ولم تبتروهم، فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم[1].

وتفيد كلتا الروايتين استطلاع الرسول ﷺ خبر أعدائه حتى بعد انتهاء المعركة وذلك لكي يطمئن على عدم مباغتتهم له.

المطلب الخامس
في غزوة الخندق

كان النبي ﷺ على حذر تام من أعدائه لذا فقد كان يتتبع أخبارهم ويرصد تحركاتهم. فقد عرف ﷺ أخبار الأحزاب منذ تحركهم من مكة حيث جاء وفد من خزاعة إلى النبي ﷺ ووافَوْه بهذا الخبر[2]. فاستفاد منه في الاستعداد ورسم الخطط لهذا الجيش، قبل وصوله.

ولم يقف ﷺ عند هذا الحد بل أرسل طليعة مكونة من رجلين مهمتهما استكشاف خبر الأحزاب.

عن عبدالعزيز بن أبي بكر بن مالك بن وهب الخزاعي عن أبيه عن جده: (أن رسول الله ﷺ بعث سليطاً وسفيان بن عوف الأسلمي طليعة يوم الأحزاب فخرجا حتى إذا كانا بالبيداء[3] التفت عليهم خيل لأبي سفيان فقاتلا

= قال الذهبي في ترجمته: محمد بن منصور الخزاعي المكي الجوّاز عن ابن عيينة والوليد بن مسلم وعنه النسائي (ثم بواسطة زكريا السجزي عنه) وابن خزيمة وابن صاعدة، توفي سنة (٢٥٢هـ). الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٣/٩٩.

(١) البداية والنهاية ٤/٤٨.

(٢) انظر: قصة مجيء هذا الوفد إلى الرسول في ص ١٧٢.

(٣) البَيْداء: اسم لأرض ملساء في شرف بين مكة والمدينة وتقع ذو الحليفة في طرف البَيْداء مما يلي المدينة انظر معجم البلدان ١/٥٢٣؛ ومعجم معالم الحجاز ١/٢٦٥.

حتى قتلا فأُتِي بهما رسول الله ﷺ فدُفنا في قبر واحد فهما الشهيدان القرينان)[1].

كما جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأخبره أن بني قريظة نقضوا العهد وانضموا إلى الأحزاب فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ فقال: «من نبعث يعلم لنا علمهم»؟ فقال عمر رضي الله عنه: الزبير بن العوام.

وعندئذ بعث النبي ﷺ الزبير إلى بني قريظة ليأتيه بخبرهم، فذهب فنظر ثم رجع وأخبره بنقض بني قريظة للعهد[2].

ثم بعث ﷺ وفداً إلى بني قريظة ليتحقق مما بلغه عن هؤلاء الأعداء، فذهب الوفد فرأَوْهم قد نقضوا العهد ثم رجعوا وأخبروا النبي ﷺ بذلك[3].

وبعث ﷺ أيضاً خوّات بن جبير ليأتيه بخبر بني قريظة، قال خوات بن جبير: (دعاني رسول الله ﷺ ونحن محاصِرو الخندق فقال: «انطلق إلى بني قريظة فانظر هل ترى لهم غرة أو خللاً مع موضع فتخبرني»، قال: فخرجت من عنده عند غروب الشمس... فلما دنوت من القوم قلت أكمُنُ لهم، فكمنت ورمقت الحصون ساعة، ثم قال (بعد أن ذكر قصته مع اليهودي الذي حمله وهو نائم وقَتْلَه إياه): وآتي رسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه وهم يتحدثون فلما رآني قال: «أفلح وجهك» قلت: ووجهك يا رسول الله، قال: «أخبرني خبرك» فأخبرته)[4].

وعندما علم النبي ﷺ بتفرق الأحزاب بعث حذيفة بن اليمان ليأتيه

---

(١) الحديث رواه البزار، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/٣٥؛ وكشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة ٢/٣٣٢، قال الهيثمي رحمه الله بعد عزوه للبزار وفيه جماعة لم أعرفهم.
فالحديث بهذا السند ضعيف لجهالة بعض رجال السند والله أعلم.

(٢) انظر دليل بعثه ﷺ الزبير بن العوام في ص ١٧٦.

(٣) انظر قصة ذهاب هذا الوفد في ص ١٧٧.

(٤) انظر مغازي الواقدي ٢/٤٦٠، ٤٦١.

بخبرهم فذهب ثم رجع وأخبره أن الناس تفرقوا عن أبي سفيان ولم يبق إلا في عصبة قليلة توقد النار[1].

المطلب السادس

في صلح الحديبية

عندما وصل النبي ﷺ إلى ذي الحُلَيفة أرسل عيناً له من خزاعة يدعى بشر بن سفيان الخزاعي، ليستطلع له خبر قريش ويتبيّن موقفهم منه حتى يتخذ الموقف المناسب معهم.

فلما وصل النبي ﷺ إلى عُسْفان عاد الخزاعي وأخبر النبي ﷺ عن عزم قريش على صده عن دخول البيت الحرام[2].

وقد استدل ابن القيم رحمه الله بهذه الواقعة على أن أمير الجيش ينبغي له أن يبثّ العيون أمامه نحو العدو[3].

ومما يجدر التنبيه عليه في هذا المقام أنه ورد في شأن بعث النبي ﷺ بشر بن سفيان في غزوة الحديبية روايتان:

الأولى: رواية الإمام أحمد في مسنده وتفيد أن الرسول ﷺ بعث بشر بن سفيان الخزاعي ولما وصل إلى عسفان جاءه وأخبره الخبر[4].

الثانية: رواية الإمام البخاري عن المِسْور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: (خرج النبي ﷺ عام الحديبية فلما أتى ذا الحُلَيْفة قلَّد الهدي وأشعره

---

(١) سبق ذكر دليل بعثه ﷺ حذيفة بن اليمان لهذا الغرض في ص ١٨٧، ١٨٨.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٣٥٦؛ وتاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ٢/١٦؛ والرسول القائد ـ ص ٢٧٣.

(٣) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٣٠١.

(٤) انظر رواية الإمام أحمد في ص ٢٠١.

وأحرم منها بعمرة وبعث عيناً له من خزاعة وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطاط[1] أتاه عينه)[2].

ويبدو من أول نظرة وجود أحد هذين الاحتمالين:

الأول: أنه بعث بشر بن سفيان والتقى به مرة في عسفان والأخرى بغدير الأشطاط.

الثاني: أن النبي ﷺ بعث له عينين من خزاعة أحدهما بشر بن سفيان ورجل آخر.

والحق أن المبعوث إلى قريش هو بشر نفسه، في كلتا الروايتين، وأن المكان الذي التقى بالرسول ﷺ فيه هو مكان واحد.

وبيان ذلك أنه من قال (غدير الأشطاط) أراد الموضع الذي نزل فيه الرسول ﷺ، ومن قال (عُسْفَان) أراد الجهة واكتفى بهذه التسمية لشهرتها دون الأخرى[3].

ومما يؤيد هذا القول ما رواه ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير في مُرْسَله: (حتى نزل رسول الله ﷺ غديراً بعسفان يقال له «غدير الأشطاط» فلقيه عينُه بغدير الأشطاط)[4].

المطلب السابع
في فتح مكة

تمكّن الرسول ﷺ قبل فتح مكة من الحصول على جميع المعلومات

---

(١) غدير الأشْطَاط (على وزن أفْعَال): موضع تلقاء الحديبية على يمين الخارج إلى مكة بمقدار ميلين وهو قريب من عُسْفَان. انظر معجم ما استعجم ١٥٣/١؛ ومعجم معالم الحجاز ٩٨/١.

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري، وقد سبق تخريجه ص ٢٠٣.

(٣) انظر مرويات غزوة الحديبية ــ ص ٨٠: للشيخ حافظ بن محمد حكمي، مطبوع على الآلة الكاتبة.

(٤) تاريخ ابن أبي شيبة (لوحة: ٦٠) مخطوط بالجامعة الإسلامية تحت رقم (٦٦٥).

المتعلقة بقريش. فقد علم خبر نقضها للعهد ومناصرة حلفائها بني بكر على حرب خزاعة حلفائه ﷺ بواسطة عمرو بن سالم الخزاعي[1] وكذلك عرف من وفد خزاعة تفصيلاتٍ أكثر عن هذا الأمر[2].

وبعد أن تحقّق له ﷺ هذا الأمر جلياً، وضع الخطة التي تتلاءم مع هذا العدو حتى يتم القضاء عليه.

ونظراً لأهمية المعلومات في الجانب العسكري فقد حرص ﷺ على حرمان عدّوه من الحصول عليها حيث لم تشعر قريش إلا وجيش النبي ﷺ على مقربة من ضواحي مكة[3].

وإنما حرص الرسول ﷺ على جمع المعلومات عن عدوه وحرمانه من المعلومات عن تحركات جيش المؤمنين وأهدافهم وذلك لكي يقتدي به القادة من بعده حتى يتحقق للأمة الإسلامية النصر على أعدائها وتسلم من كيدهم.

وبناء على ذلك يمكن أن يقال إن جمع المعلومات سلاح ذو حدّين وقد استفاد الرسول ﷺ من حَدِّه النافع لصالح المسلمين وأبطل مفعول الحد الآخر باتباعه السرية واتخاذها أساساً لتحركاته واستعداداته ليحرم عدوه من الحصول على المعلومات التي تفيده في الاستعداد لمجابهة هذا الجيش بالقوة المناسبة.

المطلب الثامن
في غزوة حنين

لمّا بلغ النبيَّ ﷺ عزمُ هوازن على حربه بعد أن تم له فتح مكة ــ شرفها الله ــ أرسل عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي حتى يوافيه بخبر هوازن،

---

(١) انظر هذا الموضوع بالتفصيل في ص ٢١٦، ٢١٧.
(٢) انظر مغازي الواقدي ٢/٧٩١، ٧٩٢؛ وتاريخ الطبري ٣/٤٥.
(٣) سيأتي تفصيل لهذا الموضوع في ص ٣٩٥، ٣٩٦.

فذهب ــ رضي الله عنه ــ ومكث بينهم يوماً أو يومين ثم عاد وأخبر النبي ﷺ بما رأى[1].

ولقد ذهب عبد الله إلى حيث أمره الرسول ﷺ وعاد على وجه السرعة بخبر هؤلاء الأعداء، إلا أنه قصَّر ــ رضي الله عنه ــ في أداء هذا الواجب حيث لم يختلط بهوازن اختلاطاً كاملاً بحيث يسمع ويرى ما يُدَبّر ضد المسلمين هناك، وكان من أهم ما يجب أن يُعنى به معرفة مواقع المشركين التي احتلوها.

وقد فوجىء المسلمون باختفاء تلك الكمائن التي نصبها الأعداء في منحنيات الوادي حتى استطاعوا أن يمطروا المسلمين بوابل من سهامهم فانهزموا في الجولة الأولى.

فكان الجهل بهذه الكمائن أحد الأسباب الرئيسة وراء هزيمة المسلمين في أول المعركة وما حدث نتيجة لهذا الخطأ لا يقدح في العصمة الثابتة للرسول ﷺ لأن هذا الأمر ليس وحياً من الله سبحانه وتعالى وإنما هو من باب الاجتهاد في الأمور الدنيوية، وقد بذل النبي ﷺ جهده في سبيل الحصول على أدق المعلومات وأوفاها لكي يضع على ضوئها الخطة العسكرية المناسبة لمجابهة هذا العدو.

وقد ثبت في الفن الحربي أن معلومات الاستخبارات يجب أن تعتمد على ثلاثة عناصر هي: (السرعة ــ الدقة ــ السداد) لكي تظهر الفائدة من المعلومات بصورة متكاملة. ولقد توافر في المعلومات التي عاد بها عبد الله الأسلمي ــ رضي الله عنه ــ عنصر واحد وهو السرعة، ولكنه أهمل العنصرين الآخرين وهما: الدقة والسداد، ويمكن أن يستفاد مما حدث للمسلمين يوم حنين أمر مهم وهو أن تكامل عناصر المعلومات عن الأعداء يُعَدّ أمراً ضرورياً فإذا فُقد عنصر واحد أصبحت هذه المعلومات قليلة الجدوى[2].

---

(١) انظر فيما سبق مبحث تحرك النبي ﷺ إلى حنين ــ ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٢) انظر الرسول القائد ــ ص ٣٨٣؛ والفن الحربي في صدار الإسلام ــ ص ٢١٤؛ =

المبحث الثاني
مشروعية استشارة أهل الرأي والخبرة من الجنود وقبول مشورتهم فيما يحقق المصلحة العامة

المطلب الأول
في غـــزوة بـــدر

الشورى من عزائم الأمور ومبدأ مهم من مبادىء الدين الإسلامي. قال الله سبحانه وتعالى آمراً عباده المؤمنين بالشورى: ﴿فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لهم ولو كنتَ فظاً غليظَ القلبِ لانفضُّوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفِرْ لهم وشاوِرْهم في الأمر فإذا عزمتَ فتوكّل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾[1]. ولذلك كان الرسول ﷺ يشاور في الأمر إذا حدث[2].

وقد سئل علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ عن معنى العزم في هذه الآية الكريمة فقال: مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم[2].

وإذا كان الرسول ﷺ مأموراً بالشورى مع أنه أكمل الناس عقلاً وأرجحهم رأياً فذلك لأنه لا يبعد أن يخطر ببال إنسان من وجوه المصالح ما لا يخطر بباله ﷺ، لا سيما فيما يفعل من أمور الدنيا، فإنه قال ﷺ: «أنتم

= وغزوة حنين ــ ص ٧٧، ١٣٦، ٣٦٢: للشيخ محمد أحمد باشميل؛ وفقه السيرة ــ ص ٤٣١: للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي؛ ومجلة الجندي المسلم عدد (١٢) السنة الثالثة ــ ص ٩.

(١) سورة آل عمران: آية ١٥٩.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٤٢٠.

أعلم بأمور دنياكم»[1]. فغيره من باب أولى بالمشاورة[2].

ومما ينبغي أن يُعلم في هذا المقام أن النبي ﷺ لم يقل ذلك إخباراً عن وحي، وهو أيضاً لم يكن يعاني ذلك ولا من بلد يعانيه أهله، لأن بلده ﷺ مكة لم يكن دار نخل، وإنما كان النخل فيما سواها من المدينة التي صار إليها، وكان مع أهلها من معاناة النخل والعمل بما يصلحها ما ليس مثله مع أهل مكة.

وبهذا يتبين أن هذا أمر معقول ظاهر يتساوى فيه الناس في القول ثم يختلف ذوو العلم به عمن سواهم من غير أهل العلم[3].

قال سيد قطب ــ رحمه الله ــ مبيناً أهمية الشورى: (ولو كان وجود القيادة الراشدة يمنع الشورى ويحل للقيادة أن تستقل بالأمر. . . لكان وجود محمد ﷺ ومعه الوحي من الله سبحانه وتعالى كافياً لحرمان الجماعة يومها من حق الشورى، ولكن وجود محمد ﷺ ومعه الوحي الإلهي لم يلغِ هذا

---

(١) الحديث أخرجه مسلم بهذا اللفظ في كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذَكر ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي، ح (٢٣٦٣)، صحيح مسلم ٤/١٨٣٦.
وأخرجه ابن ماجه في كتاب الرهون، باب تلقيح النخل، ح (٢٤٧٠، ٢٤٧١)، سنن ابن ماجة ٢/٨٢٥.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/١٥٢.
ولهذا الحديث سبب وهو أن النبي ﷺ مرَّ بقوم يلقّحون النخل، فقال: لو لم تفعلوا لصلح، فتركوه، قال: فخرج شِيْصَاً، فمر بهم فقال: ما لقحتم؟ قالوا: قلتَ كذا وكذا قال: «أنتم أعلم. . .» فذكره. انظر البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ٢/١٧٢.

(٢) انظر التفسير الكبير ٩/٦٦: للفخر الرازي، الناشر دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية.

(٣) انظر مشكل الآثار ١/٢٩٤: للإمام أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الحنفي، المعروف بالطحاوي، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدرآباد ــ الدكن، سنة (١٣٣٣هـ).

الحق، لأن الله سبحانه وتعالى يعلم أنه لا بد من مزاولته في أخطر الشؤون ومهما تكن النتائج ومن هنا جاء هذا الأمر الإلهي في هذا السوقت بالذات)[1].

وقد طبق النبي ﷺ مبدأ الشورى في غزوة بدر، فاستشار أهل الرأي والخبرة أربع مرات:

الأولى: شاورهم في الخروج للعير ابتداء حين علم بقدومها[2].

الثانية: شاورهم عندما علم بخروج قريش لتدافع عن عيرها[3].

الثالثة: شاورهم في المنزل المناسب في بدر[4].

الرابعة: شاورهم في أسرى الأعداء[5].

المطلب الثاني
في غزوة أحد

عندما وصل جيش مكة إلى مشارف المدينة جمع الرسول ﷺ الصحابة واستشارهم في كيفية لقاء هذا العدو الذي أصبح يهدّد أمن المدينة ومن فيها[6].

فكان رأيه ﷺ البقاء في المدينة، وفي ذلك يقول ابن إسحاق: قال رسول الله ﷺ: «إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها...»[7]. وزاد عبد الرزاق

(١) في ظلال القرآن ١/٥٠٢.

(٢) انظر ص ١١١.

(٣) انظر ص ١١١، ١١٢.

(٤) انظر ص ١١٣.

(٥) انظر ص ١٤١ ــ ١٤٣.

(٦) انظر الدليل على استشارته ﷺ الصحابة يوم أحد ــ ص ١٤٩.

(٧) السيرة النبوية لابن هشام ٣/٧.

في روايته أنه قال لهم: «فاجلسوا في ضيعتكم[1] وقاتلوا من ورائها» وكانت المدينة قد شبكت بالبنيان فهي كالحصن[2].

أما أكثر الصحابة فكان رأيهم قتال الأعداء خارج المدينة.

قال ابن كثير: (وأبى كثير من الناس إلا الخروج إلى العدو ولم يتناهوا إلى قول رسول الله ﷺ ورأيه، ولو رضُوا بالذي أمرهم كان ذلك ولكن غلب القضاء والقدر، وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدراً، قد علموا الذي سبق لأهل بدر من الفضيلة)[3].

وعندما رأى أن الغالبية من الصحابة تريد الخروج صمم عليه وأعلن ذلك بقوله: «... إنه ليس لنبي إذا لبس لأْمَته أن يضعها حتى يقاتل»[4].

وقد استدل ابن القيم بهذا الحديث على أن من تأهب للخروج ولبس عدة الجهاد فليس له أن يرجع حتى يقاتل عدوه[5].

وحين شاور الرسول ﷺ الصحابة في الخروج إنما قصد عدم إلزامهم بأمر لا تقبله نفوسهم ولا يتفق مع رغباتهم[6]. وأراد بعد ذلك تعليم القادة من بعده: أن قناعة الجند بأمر من أمور الحرب أمر مهم لأن الجندي الذي يخرج إلى ميدان الجهاد عن جبر وإكراه لا يوجد عنده من الحماس ما يوجد عند من يخرج عن رغبة صادقة واقتناع تام.

وقد كان ﷺ يأخذ ـ فيما يتعلق بنتائج المشاورة ـ برأي الأكثرين إذا ظهر صوابه، وقد قرر ذلك بقوله وفعله:

---

(١) الضَّيعة: هي ما يكون منه معاش الرجل كالتجارة والزراعة والصناعة وغيرها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١٠٨؛ ولسان العرب ٢/٥٥٩.

(٢) مصنف عبدالرزاق ٥/٣٦٣.

(٣) البداية والنهاية ٤/١٢.

(٤) هذا جزء من حديث سبق تخريجه في ص ١٤٩.

(٥) انظر نظر زاد المعاد ٣/٢١١.

(٦) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ـ ص ٤٠٧.

أما تقريره بقوله فهو صريح فيما رواه عبد الرحمن بن غنم ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما»(١).

وأما تقريره بفعله فيوضحه أخذه ﷺ برأي أكثر الصحابة يوم أحد في الخروج للقتال.

وحيث إن كل واحد من الرأيين له وجهة، فإنه يحسن في هذا المقام عرض وجهة نظر كلٍّ منهما:

أولاً: وجهة نظر من يرى البقاء في المدينة وهو أفضل الرأيين، وهذا الرأي مبنيّ على التخطيط الحربي الآتي:

١ ـ أن جيش مكة لم يكن موحَّد العناصر وبذلك يستحيل على هذا الجيش البقاء زمناً طويلاً إذ لا بد من ظهور الخلاف بينهم إنْ عاجلاً أو آجلاً.

٢ ـ أن مهاجمة المدن المُصمِّمة على الدفاع عن كيانها أمر بعيد المنال وخصوصاً إذا تشابه السلاح عند كلا الجيشين، وقد كان يوم أحد متشابهاً.

٣ ـ أن المدافعين إذا كانوا بين أهليهم فإنهم يستبسلون في الدفاع عن أبنائهم والذود عن أعراضهم.

٤ ـ تضاعف القواتِ المقاتلة (المُدافِعة) إذ ينضم إلى الجيش عناصر أخرى كالنساء والأبناء بينما يتعذر مشاركة هؤلاء إذا كان القتال خارج المدينة.

٥ ـ تمكن المدافعين من استخدام أسلحة تفقد فاعليتها في الميدان كالأحجار وغيرها، وهذا له أثر فعال في صفوف الأعداء لأن المدافعين مُحصَّنون غالباً، بينما يكون العدو مكشوفاً لهم قريب المنال.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/٢٢٧، قال الهيثمي رحمه الله (بعد عزوه للإمام أحمد): ورجاله ثقات إلا ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩/٥٣.

٦ ـ تعدد جبهات القتال، وهذا له أثر في إضعاف الروح المعنوية عند المهاجمين.

ثانياً: أما الرأي الثاني وهو رأي الأكثرين من الصحابة فإنه مبني على الأمور الآتية:

١ ـ أن الأنصار قد تعاهدوا في بيعة العقبة على نصرة الرسول ﷺ فكان أغلبهم يرى أن المكث داخل المدينة تقاعس عن الوفاء بهذا العهد.

٢ ـ أن الأقلّية من المهاجرين كانت ترى أنها أحق من الأنصار في الدفاع عن المدينة ومهاجمة قريش وصدها عن زروع الأنصار.

٣ ـ أن الذين فاتتهم غزوة بدر كانوا يتحرقون من أجل ملاقاة الأعداء طمعاً في حصول الشهادة في سبيل الله.

٤ ـ أن الأكثرين كانوا يرون أن في محاصرة قريش للمدينة ظفراً يجب ألا تحلم به، كما توقعوا أن وقت الحصار سيطول أمده فيصبح المسلمون مهددين بقطع المؤن عنهم[1].

المطلب الثالث

في غزوة الأحزاب

عندما علم النبي ﷺ بنبأ تحرك الأحزاب أصبح المسلمون في خطر كبير، لأنه سيقدم عليهم بعد أيام قلائل جيش يفوقهم في العدد والعدة، وإذا وصل فلا قِبَل لهم بصده. لذا جمع النبي ﷺ صحابته واستشارهم في حلٍّ هذه المعضلة التي حلت بالمجتمع الإسلامي. فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق، فأعجبه ذلك وبدأ في تطبيق هذه الفكرة، فخط موضعه ﷺ بيده الشريفة[2].

---

(١) انظر غزوة أحد ـ ص ٥١، ٥٢، تأليف أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، الطبعة الأولى، المكتبة الإسلامية التجارية، سنة (١٩٥٩م).

(٢) انظر تفصيل هذا الأمر في ص ١٧٢.

فكان هذا الخندق يمتد من الطرف الغربي لجبل سلع حتى طرف حرة الوَبَرَة[1] المطبقة على المدينة من الناحية الغربية بحيث يمتد هذا الخندق على شكل قوس في الطرف الشرقي لحرة الوبرة، ثم يمتد على خط (شبه مستقيم) أمام الحرة المطبقة على المدينة من الناحية الشرقية، فيفصل تماماً بين معسكر الأحزاب الواقع في الناحية الشمالية حول أحد ومجمع الأسيال[2] ومعسكر المسلمين الواقع أمام جبل سلع عند مداخل المدينة الشمالية الواقعة ما بين الحرتين.

كما تضمنت المشورة أيضاً حفر خنادق جزئية يرتبط بعضها ببعض، تمتد من طرف الخندق الرئيسي عند الطرف الغربي لجبل سلع، وتتجه جنوباً عند مجمع وادي بطحان[3] بحيث تجيء هذه الخنادق المترابطة خلف المسجد النبوي من الناحية الغربية[4].

وقد ظهرت حنكته ﷺ وبعد نظره في اختيار هذه الخطة الحكيمة إذ كان الخندق حاجزاً بين المسلمين وقوات الأحزاب المرابطة خلفه.

ذكر الأنصاري رحمه الله أنه إذا كان الجيش ضعيفاً والعدو قوياً (وهو ما حدث في هذه الغزوة) فإنه يجب الأخذ في أمره بالمكيدة ما أمكن

---

(١) حرة الوبرة ـ بثلاث فتحات ـ موضع على ثلاثة أميال من المدينة وتعرف اليوم بحرة الجبور (بطن من حرب وهي بين قباء والعقيق وتشرف على قصر عروة بن الزبير من الشرق وهي جزء من حرة المدينة الغربية إحدى اللابتين). انظر معجم البلدان ٢/٢٥٠؛ ومعجم معالم الحجاز ٢/٢٨٨.

(٢) مجمع الأسيال: موقع قرب مسجد القبلتين بأسفل المدينة حيث تجتمع سيول أودية العقيق وبطحان وقناة. وقد صار اليوم من أحياء المدينة الغربية. انظر معجم معالم الحجاز ٨/٢٩؛ ومعجم معالم السيرة النبوية ـ ص ٢٨٠.

(٣) هو أحد أودية المدينة المشهورة يأتيها من جهة الحرة الشرقية فيمرّ من العوالي قرب المسجد النبوي حتى يتصل بالعقيق شمال الجماوات. انظر معجم البلدان ١/٤٤٦؛ ومعجم معالم الحجاز ١/٢٣٣.

(٤) انظر غزوة الأحزاب ـ ص ١٤٩، ١٥٠: للشيخ محمد أحمد باشميل.

ولا يسوّغ التعرض له في هذه الحالة ابتداءً، لأنه متى تعرض له كان كمن أثار الحيـة من وكرهـا، ويجب على قائـد الجيش في هذه الحـالة أن لا يسـأم من مطاولة عـدوه فإن في مـدة الانتظار انتهـاز الفرص، ولا يـطلب الظفـر باللقـاء مـا وجد إلى الـظفر بـالحيلة سبيلاً، فـإن الخروج إلى العـدو يقتضي التغريـر بـالنفس واستهلاك الأمـوال وركـوب الأخـطار وتحمـل المشـاق، وفي الأخـذ بالمكائد غنى عن ذلك كله[1].

وما ذكره الأنصاري رحمه الله مستنبط من أمـر النبـي ﷺ بحفر الخنـدق ليكـون خط دفـاع بين جيش المؤمنين الـذي يبلـغ تعـداده ألف رجـل[2] مـع ضيق العيش وقلة الإمكانيات وجيش الأحزاب الذي يبلـغ تعـداده عشرة آلاف رجل وهو مزوّد بالمؤن، حيث قدر الرسول ﷺ أن التحام هـذه القوة الضعيفـة مـع ذلـك العدو القـويّ يعرض دولـة الإسلام في ذلـك الوقت للخـطر الـذي لا يعلم مداه إلا الله سبحانه وتعالى فكـان من المصلحة العـامة حينئـذ التفكير في مكيـدة تجعل المسلمين في مـأمن من كيـد أعـدائهم فتحقق ذلـك بحفـر الخندق.

المطلب الرابـع
في صلـح الحديبية

طبق النبـي ﷺ في صلـح الحديبية مبدأ الشورى في أربعة أمور:

* **الأول ـ مشاورة الصحابة في شأن الأعداء:**

لما بلـغ النبـيَّ ﷺ خبرُ استعداد قريش لصده عن دخول البيت الحـرام

---

(١) انـظر تفريـج الكروب في تدبير الحروب ـ ص ٤٩، ٥٠.

(٢) المشهور عند عامة أهل المغازي والسِّيَر أن عدد جيش المؤمنين في هذه الغـزوة هو ثـلاثة آلاف مقاتل، ولكن الـذي ثبت في الحديث الصحيـح أن عـددهم ألف رجل لا غـير. انـظر فتـح الباري ٧/٣٩٦، ٣٩٩.

استشـار الصحـابـة في المـوقف المنـاسب الـذي ينبغي أن يُتخـذ مـع هؤلاء الأعـداء. فعرض ﷺ على الصحـابة رضي الله عنهم المشـورة في هذا الأمـر على رأيين يحملان العزم والتصميم:

الأول: الميل إلى عيال وذراري الأحابيش الذين خرجوا لمعاونة قـريش على مقاتلة المسلمين وصدهم عن البيت.

الثاني: قصد البيت الحرام فمن صدّه عنـه قاتله حتى يتمكن من تحقيق هدفه[1].

ولمـا عرض ﷺ المشـورة في هذا الأمـر على الصحابـة تقدم أبـو بكـر الصديق برأيه الذي تدعمه الحجة الواضحة حيث أشار عليـه ﷺ بترك قتـالهم والاستمـرار على ما خـرج له من أداء العمـرة حتى يكـون بـدء القتـال منهم. فـاستحسن النبـي ﷺ هذا الـرأي وأخـذ بـه وأمـر النـاس أن يمضـوا في هـذا السبيل[2].

*** الثاني ـ قبول مشورة عمر بن الخطاب في بعث عثمان إلى قريش:**

عنـدما أراد رسـول الله ﷺ أن يبعث رجلاً إلى قـريش ليبلغهم الغـرض الذي جاؤوا من أجله دعا عمر بن الخطاب ليبعثه لهذا الأمر، ولكنـه رضي الله عنه اعتذر عن الذهاب إليهم وأشار على النبـي ﷺ بأن يبعث عثمـان بن عفان مكانه.

فعن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: (. . . فدعا عمر ليبعثه إلى مكة فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشـاً على نفسي، وليس بها من بني عـديّ أحد يمنعني وقـد عرفت قـريش عداوتي إيـاهـا وغِلْظتي عليهـا، ولكن

---

(١) انـظر دليل هذه المشاورة في ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) انـظر فتـح الباري ٥/٣٣٤ والفتـح الـرباني ٢١/٩٥؛ ومـلامـح الشورى في الـدعوة الإسلامية ـ ص ١٦٠: للشيـخ عـدنان النحـوي، ط. دار الإصلاح للطبـاعة والنشر والتوزيـع السعودية، الدمام، سنة (١٤٠٠هـ).

أدلك على رجل هو أعزّ مني: عثمان بن عفان. فدعاه فبعثه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظِّماً لحرمته، فخرج عثمان.. حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلّغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به)[1].

فقد عرض عمر رضي الله عنه مشورته في هذا الأمر مُعَزِّزاً بالحجة الواضحة، وهي: ضرورة توافر الحماية لمن يخالط هؤلاء الأعداء وحيث إن هذا الأمر لم يكن متحقِّقاً بالنسبة لعمر رضي الله عنه فقد أشار على النبي ﷺ برجل له قبيلة تحميه من أذى المشركين حتى يبلّغ رسالة رسول الله ﷺ[2]. ولم تكن هذه القضية معروضة للشورى، ولم يكن الرسول ﷺ ملزماً بتنفيذ هذا الرأي، ولكن عمر رضي الله عنه رأى في ذلك الموقف الحاسم هذا الرأي لا ضنّاً بحياته في سبيل الله ولا دفعاً لعثمان أخيه وصاحبه إلى موقف يقع فيه وينجو هو منه، ولكنه رضي الله عنه قدم مشورته في أمر تتحقق به مصلحة الدعوة الإسلامية التي كلّف الله عباده المؤمنين بالقيام بها[3].

*** الثالث ـ قبول مشورة عمر في الاستعداد بالسلاح والعتاد:**

لما نزل الرسول ﷺ بالحديبية أشار عليه عمر رضي الله عنه بأن يكون على أهبة الاستعداد تحسّباً لما يمكن أن يقع من قريش، فقبل مشورته وأرسل من يجمع كل ما في المدينة من سلاح وكراع ويأتيه به[4].

وإنما أخذ النبي ﷺ بهذه المشورة لأن فيها توفيراً لمبدأ الحيطة والحذر من أعدائهم، وذلك بالاستعداد لردّ كيدهم متى سوّلت لهم أنفسهم الاعتداء على المسلمين، وقد كانت تلك مشورة موفّقة.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه في مبحث تحرك النبي ﷺ إلى مكة ـ ص ١٩٦.
(٢) انظر مغازي الواقدي ٢/٦٠٠.
(٣) انظر ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية ـ ص ١٦١.
(٤) انظر فيما سبق ص ١٩٦، ففيها تفصيل لهذا الموضوع.

* **الرابع ــ قبول مشورة أم سلمة في أمر الحلق والنحر:**

عندما فرغ النبي ﷺ من أمر كتابة الصلح بينه وبين سهيل بن عمرو أمر الصحابة بالنحر والحلق. فعن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ــ يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ــ قالا: (... فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بُدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بُدنه ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً)[1].

ففي هذا الحديث عرضت أم سلمة رضي الله عنها رأيها ومشورتها على النبي ﷺ بوضوح ودقة وحكمة ووعي لجو الصحابة رضي الله عنهم إذ كان يخيِّم عليهم الغمّ والكآبة من أمر الصلح، فقبل النبي ﷺ مشورتها في أمر التحلّل من الإحرام، حيث فهمت رضي الله عنها عن الصحابة رضي الله عنهم أنه وقع في أنفسهم أن يكون النبي ﷺ أمرهم بالتحلل أخذاً بالرخصة في حقهم وأنه يستمر على الإحرام أخذاً بالعزيمة، في حق نفسه، فأشارت على النبي ﷺ أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبي ﷺ صوابَ ما أشارت به ففعله، فلما رأى الصحابة ذلك بادروا إلى فعل ما أمرهم به، فلم يبق بعد ذلك غاية تنتظر فكان ذلك رأياً سديداً ومشورة مباركة.

وفي ذلك دليل على استحسان مشاورة المرأة الفاضلة[2]، لأن الفكرة

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الشروط، وهو جزء من حديث سبق تخريجه في ص ١٩٦.

(٢) انظر فتح الباري ٥/٣٤٧؛ وملامح الشورى في الدعوة الإسلامية ــ ص ١٦١.

الصائبة والرأي السّديد ليسا وقفاً على الرجل وحده، بل إن المرأة تشاركه في هذا الجانب. وهذا دليل على تكريم الإسلام للمرأة وحثها على التفكير وإبداء الرأي ما دام ذلك محكوماً بضوابط شرعية.

المطلب الخامس
في فتح مكة

عندما نقضت قريش العهد الذي كان بينها وبين الرسول ﷺ أراد الرسول ﷺ أن يؤدب أولئك الخائنين ولكنه قبل أن يعقد العزم على ذلك استشار اثنين من كبار الصحابة وهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في السير إلى مكة أو عدمه، وقد عرضت هذه المشورة على رأيين مختلفين يحمل كل منهما وجهة الرأي الذي توصل إليها فهم صاحبه.

أما الرأي الأول: فكان صاحبه يرى عدم السَّير إليهم وأن أنسب أسلوب مع هؤلاء هو التأنّي بهم لعل الله أن يهديهم للإسلام، دون الحاجة إلى غزوهم.

وأما الرأي الثاني: فإن صاحبه يرى التصميم على غزو هؤلاء المشركين في عقر دارهم وعلّل رأيه بأن أولئك القوم هم رأس الكفر ولا سبيل إلى القضاء عليه إلا بقطع رأسه واستئصال شأفته، وعلّل ذلك أيضاً بأنه لا سبيل إلى إخضاع العرب لدعوة الإسلام إلا بإسقاط الوجود الوثني في مكة. وعند ذلك قال ﷺ: «إن الأمر أمر عمر»، فأخذ كل الاستعدادات اللازمة لذلك[1].

المطلب السادس
في غزوة حنين

أخذ النبي ﷺ بمبدأ المشورة في غزوة حنين وذلك في أمرين مهمين:

---

(١) انظر السِّيرة الحلبية ٢/٨٦؛ وفتح مكة ـ ص ١١٤: للشيخ محمد أحمد باشميل؛ وانظر فيما سبق مشاورة الرسول ﷺ كبار الصحابة في ص ٢٢١.

* **الفرع الأول**: المشاورة في شأن استمرار الحصار لأهل الطائف أو فكه عنهم:

لما مضى على حصار النبي ﷺ للطائف خمسة عشر يوماً ولم يستسلم أهله استشار الرسول ﷺ أحد جنده وهو نوفل بن معاوية الدِّيلي في شأن الحصار لأهل الطائف، وهل من المصلحة استمراره أو فكّه عنهم حتى يأتي اليوم الذي يذعن هؤلاء الأعداء للحق؟.

وأخيراً: رأى ﷺ أن من المصلحة أن يترك ثقيفاً وشأنهم حتى يأتوا مسلمين عن طواعية واختيار[1].

وقد استدل الإمام ابن القيم رحمه الله بهذه الحادثة على أن الإمام إذا حاصر حصناً ولم يُفتح عليه ورأى مصلحة المسلمين في الرحيل عنه لم يلزمه مصابرته وإنما تلزم المصابرة إذا كان فيها مصلحة راجحة على مفسدتها[2].

* **الفرع الثاني**: قبول مشورة الحباب بن المنذر بالتحول إلى مكان أكثر استراتيجية وأمناً:

لما أراد النبي ﷺ حصار أهل الطائف نزل بالجيش في مكان مكشوف قريب من الحصن، وما كاد الجند يضعون رحالهم حتى أمطرهم الأعداء بوابل من السهام فأصيب من جراء ذلك ناس كثيرون. وحينئذ عرض الحباب بن المنذر على الرسول ﷺ فكرة التحول من هذا الموقع إلى مكان ذي استراتيجية أمن فقبل ﷺ هذه المشورة وكلّف الحباب لكونه من ذوي الخبرات الحربية الواسعة في هذا المجال بالبحث عن موقع ملائم لنزول الجند، فذهب رضي الله عنه ثم حدد المكان المناسب وعاد فأخبر النبيّ ﷺ

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/٨٤؛ والبداية والنهاية ٤/٣٥٠؛ والكامل لابن الأثير ٢/٢٦٧؛ وغزوة حنين ــ ص ٢٢٨: للشيخ محمد أحمد باشميل؛ والرسول القائد ــ ص ٤٦٣.

(٢) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٥٠٤.

بذلك، فأمر النبي ﷺ جيشه بالتحول إلى المكان الجديد.

يحدثنا ـ في هذا الشأن ـ شاهد عيان وهو: عمرو بن أمية الضمري، رضي الله عنه فيقول: (لقد طلع علينا من نبلهم ساعة نزلنا شيء اللَّهُ به عليم كأنه رجل من جراد وترسنا لهم حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة، ودعا رسول الله ﷺ الحباب فقال: انظر مكاناً مرتفعاً مستأخراً عن القوم، فخرج الحباب حتى انتهى إلى موضع مسجد الطائف[1] خارج من القرية، فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره، فأمر النبي ﷺ أن يتحولوا)[2].

وقد كانت تلك مشورة مباركة حيث تحقق للجيش الإسلامي الأمن من سهام العدو التي كادت أن تقضي عليهم لو استمروا في مكانهم الأول.

المطلب السابع
في غزوة تبوك

عندما خرج النبي ﷺ إلى تبوك حدثت بعض الأمور التي تحتاج إلى مشاورة فطرح ﷺ كعادته المسائل التي تحتاج إلى مداولة على كبار أركان حربه للتوصّل إلى رأي سديد تتحقق من ورائه المصلحة العامة للجيش. وقد كانت المشاورة في ثلاث مسائل:

الأولى: قبول مشورة أبي بكر الصديق في الدعاء حين تعرض الجيش لعطش شديد.

يُعَدّ الماء عنصراً ضرورياً للجيش، متى فقده فإنه يفقد الحياة[3]. وفي

---

(١) مسجد الطائف: هو المسجد المعروف الآن باسم مسجد ابن عباس الصحابي الجليل حيث دفن رضي الله عنه في هذا الموضع، وقد كان النبي ﷺ فيه وقت حصاره للطائف. انظر معجم معالم الحجاز ١٤٨/٨.

(٢) مغازي الواقدي ٤١٦/١؛ وانظر: السيرة النبوية لابن هشام ١٢٧/٤؛ وتاريخ الطبري ٨٣/٣؛ البداية والنهاية ٣٤٧/٤؛ عيون الأثر في فنون المغازي والسِّيَر ٢٠١/٢.

(٣) انظر عن أهمية الماء للجيش ـ ص١١٨ ـ ١٢٠.

غزوة تبوك تعرض الجيش لعطش شديد كاد العسكر يهلكون. وفي هذه الحالة قبل النبي ﷺ مشورة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في دعاء الله واستسقائه[1].

فقد دلت هذه الحادثة على قبول الرسول القائد ﷺ مشورة أبي بكر الصديق في أمر يحقق المصلحة العامة وهو: نزول الماء الذي تحصل به حياة الجند ورواحلهم التي تُعَدّ المصدر الوحيد لوسائل النقل في ذلك العصر.

الثانية: قبول مشورة عمر بن الخطاب في ترك نحر الإبل حين أصابت الجيش مجاعة.

أصابت جيش العسرة مجاعة أثناء سيرهم إلى تبوك فاستأذنوا النبي ﷺ في نحر إبلهم حتى يسدّوا جوعتهم، فلما أذن لهم النبي ﷺ في ذلك جاءه عمر رضي الله عنه فأبدى مشورته في هذه المسألة وهي أن الجند إن فعلوا ذلك نفذت رواحلهم وهم أحوج ما يكون إليها في هذا الطريق الطويل، ثم ذكر رضي الله عنه حلاً لهذه المعضلة وهو: جمع أزواد القوم ثم الدعاء لهم بالبركة فيها، فعمل ﷺ بهذه المشورة، حتى صدر القوم عن بقية من هذا الطعام، بعد أن ملؤوا أوعيتهم منه وأكلوا حتى شبعوا[2].

الثالثة: قبول مشورة عمر رضي الله عنه في ترك اجتياز حدود الشام، والعودة إلى المدينة.

عندما وصل النبي ﷺ إلى منطقة تبوك وجد أن الروم فرّوا خوفاً من جيش المسلمين، فاستشار أصحابه في اجتياز حدود الشام فأشار عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن يرجع بالجيش إلى المدينة وعلّل رأيه بقوله: إن للروم جموعاً كثيرة، وليس بها أحد من أهل الإسلام. ولقد كانت مشورة

---

(١) انظر الدليل على تلك المشورة في ص ٢٩١.

(٢) سبق ذكر الدليل على جمع أزواد القوم في ص ٢٩٥، ٢٩٦.

مباركة فإن القتال داخل بلاد الرومان يُعَدّ أمراً عسيراً، إذ إنه يتطلّب تكتيكاً خاصاً، لأن الحرب في الصحراء تختلف في طبيعتها عن الحرب في المدن بالإضافة إلى أن عدد الرومان في الشام يقرب من مائتين وخمسين ألفاً، ولا شك في أن تجمع هذا العدد الكبير مع تحصّنه داخل المدن يعرّض جيش المسلمين للخطر[1].

(1) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ـ ص ٦٥٩، ٦٦٠؛ وغزوة تبوك ـ ص ١٧٦، ١٧٧: للشيخ محمد أحمد باشميل. وانظر فيما سبق ص ٢٩٩.

المبحث الثالث
ضرورة تطبيق مبدأ الكتمان

المطلب الأول
في غــزوة بــدر

كتمـان الأسرار خُلُق فـاضل يـدعـو إليـه الـدين الحنيف، لمـا فيـه من المصالـح الجمة، سواء أكان للأفراد أم للجماعات أم للدول.

وقد دل على مشروعية الكتمان: الكتاب العزيز والسنّة المطهرة:

* أمــا الكتـاب: ففي قــولـه تعــالى: ﴿وإذا جاءهم أمــرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردُّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمـر منهم لعلمه الـذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتّبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾[1].

فهذه الآية الكريمة ترشد إلى وجوب إخبار أولي الأمـر عن كل أمـر يؤثر في المعنويات تأثيراً سيئاً ليروا فيه رأيهم، ويضعوا حداً لانتشاره وإشاعته[2].

وذلك: أن خوض العامة في سياسة الحـرب أمر معتـاد، وهو ضـار جداً إذا شغلوا بـه عن عملهم، ويكـون ضـرره أشـد إذا وقفـوا على أسـرار ذلـك وأذاعـوا به وهم مـع ذلـك لا يستطيعـون كتمان مـا يعلمون ولا يعـرفون ضـررَ ما يقولون، وأضرّه علم جواسيس أعدائهم بأسرار أمتهم.

ويـدخل في ذلـك الشؤون العامـة التي تختص بالخـاصة دون العـامة، ولو أن هؤلاء أرجعوا ذلك الأمر العام ـ الذي خـاضوا فيـه ـ إلى الرسـول ﷺ

(١) سورة النساء: آية ٨٣.

(٢) انـظر دروس في الكتمان من الرسول القائد ﷺ ـ ص ٧، دار الإرشاد للطباعـة والنشر والتوزيـع ـ بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٣٨٨هـ).

في حياته وإلى أولي الأمر من بعده ــ وهم أهل الحَلّ والعقد الذين تثق بهم الأمة في سياستها وإدارة أمورها ــ لبيّنوا لهم ما يصح إذاعته من الأخبار وما لا يصح.

فإذا كان مثل هذه الأمور لا يستنبطها إلا بعض أولي الأمر، فكيف يصح أن يكون هذا أمراً مألوفاً بين العامة يذيعون به؟[1].

* ومن السنّة: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان فإن كلَّ ذي نعمة محسود»[2].

فهذا الحديث يرشد إلى التحلي بصفة الكتمان، فإنه سبب في حصول المصالح ودفع المضار عن الفرد والجماعة. ويتأكد التحلي بهذه الصفة في شؤون الأمة الخاصة ومنها الأمور العسكرية مما يجب كتمانه عن الأعداء والأصدقاء على حدٍّ سواء.

وقد وردت أقوال مأثورة عن بعض الصحابة والعلماء والحكماء تبين منافع الكتمان ومضار ضده.

---

(١) انظر تفسير القرآن الكريم الشهير بـ «تفسير المنار» ٢٩٨/٥: للشيخ محمد رشيد رضا، ط ٢، دار المعرفة للطباعة والنشر ــ بيروت.

(٢) أخرجه الطبراني في الثلاثة. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٩٥/٨، قال الهيثمي بعد عزوه للطبراني: وفيه سعيد بن سلام العطار... وبقية رجاله ثقات، إلا أن خالد بن معدان: لم يسمع من معاذ. قال الذهبي في ترجمة سعيد بن سلام: سعيد بن سلام العطار من جيل عبد الرزاق، روى عن ثور بن يزيد وغيره، وعنه أبو مسلم الكجي والكديمي.. كذبه ابن نُمير، وقال البخاري: يُذكر بوضع الحديث، وقال النسائي وغيره: بصري ضعيف، وقال أحمد بن حنبل: كذاب. ومن منكراته عن ثور... ثم ساق هذا الحديث بنصه. قال أحمد بن عبد الله العجلي: سعيد بن سلام بصري لا بأس به. انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال ١٤١/٢.
فالحديث بهذا السند ضعيف لوجود الجرح في أحد رواته ووجود الانقطاع بين خالد بن معدان ومعاذ بن جبل.

ومن ذلك:

(أ) ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (سِرُّك أسيرُك فإن تكلّمت به كنتَ أسيره).

(ب) وقال الماوردي رحمه الله: (اعلم أن كتمان الأسرار من أقوى أسباب النجاح وأدوم لأحوال الصلاح).

(ج) كما قال أنوشروان: (مَن حصَّن سِرَّه فله بتحصينه خصلتان: الظفر بحاجته والسَّلامة من السَّطوات)[1].

وقد تحلى الرسول ﷺ بصفة الكتمان في عامة غزواته.

فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ قلَّما يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها...)[2].

فقد دل هذا الحديث: على أنه كان من عادة الرسول ﷺ التورية في الغزو، وهي إظهار شيء وإرادة غيره[3]. وهي من الكتمان.

وفي غزوة بدر ثبت أن الرسول ﷺ قد تحلى بصفة الكتمان ويتجلى ذلك في الفروع الآتية:

● **الفرع الأول**: سؤاله ﷺ الشيخ الذي لقيه في بدر عن محمدٍ وجيشه وعن قريشٍ وجيشها[4].

وإنما سأل الرسول ﷺ عن نفسه وأصحابه لكي يوهم الشَّيخ بأنه لا علم له بجيش المسلمين مبالغة في الكتمان حتى يأمن منه ويعطيه المعلومات الضرورية التي تفيده عن تحركات جيش العدو وقد تحقق له ما أراد.

---

(١) انظر أدب الدين والدنيا للماوردي ـ ص ٢٩٥.

(٢) الحديث سبق تخريجه في ص ٢٨٨، ٣٢٨. وانظر ص ٥٠٨.

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١٣/٦.

(٤) انظر قصة ركوبه ﷺ وبصحبته أبي بكر وسؤاله الشيخ الذي لقياه عن قريش في ص ١٢٣، ١٢٤.

● الفرع الثاني: تورية الرسول ﷺ في إجابته على سؤال الشيخ (ممن أنتما؟ بقوله ﷺ: «نحن من ماء». وهو جواب يقتضيه المقام، فقد أراد به الرسول ﷺ كتمان أخبار جيش المسلمين.

وفي انصرافه ﷺ فور استجوابه كتمانٌ ـ أيضاً ـ وهو دليل على ما يتمتع به رسول الله ﷺ من الحكمة، فلو أنه أجاب هذا الشيخ ثم وقف عنده لكان هذا سبباً في طلب الشَّيخ بيان المقصود من قوله ﷺ: «من ماء».

● الفرع الثالث: أمْره ﷺ بقطع الأجراس من الإبل يوم بدر.

فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ أمر بالأجراس أن تُقطع من أعناق الإبل يوم بدر[1].

فقد أمر ﷺ بقطع الأجراس لإخفاء حركة الجيش حتى لا يسمعه الأعداء.

وقد استمر المنع وذلك تذكير بالحكمة من مشروعية ذلك ابتداء، كما استمر الأمر بالرمل والاضطباع في طواف القدوم لمن حج أو اعتمر[2].

ولئن زال عهد استعمال الجمل في وسائل النقل، فإن الحكمة من هذا المنع باقية إلى قيام الساعة وهي: إخفاء أصوات الجيش عن الأعداء.

وإذا كان الكتمان في ذلك العصر واجباً فإنه يتأكد وجوبه في هذا الزمان الذي كثرت فيه آلات التجسّس لمعرفة أدق المعلومات المتعلقة بالشؤون العسكرية.

● الفرع الرابع: كتمانه ﷺ خبر الجهة التي يقصدها عندما أراد الخروج

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/١٥٠، قال ابن كثير في البداية والنهاية ٣/٢٦١: (وهذا على شرط الصحيحين).

(٢) انظر مرويات غزوة بدر ـ ص ١٠٠: للشيخ أحمد محمد العليمي باوزير، نشر مكتبة طيبة ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٠هـ).

إلى بدر، حيث قال ﷺ: «. . . إن لنا طِلْبة فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا. . .»[1].

وقد استدل الإمام النووي بهذا الحديث على استحباب التورية في الحرب وأن لا يبين القائد الجهة التي يقصدها لئلا يشيع هذا الخبر فيحذرهم العدو[2].

المطلب الثاني
في غزوة أحد

تجلى تنفيذ هذا المبدأ في غزوة أحد في الفروع الآتية:

● **الفرع الأول: كتمان خبر تحرك قريش:**

عندما وصلت رسالة العباس إلى النبي ﷺ قرأها عليه أبيّ بن كعب فإذا فيها: (إن قريشاً قد أجمعت المسير إليك. . .)، وقد حرص النبي ﷺ على كتمان هذا الخبر، ويتبين ذلك مما يأتي:

أولاً: أنه حين قرأ أبيّ الرسالة على النبي ﷺ استكتمه ما فيها، فقد قال الواقدي: (قرأه عليه أُبَيُّ بن كعب واستكتم أُبَيّاً ما فيه).

ثانياً: أنه ﷺ حين دخل بيت سعد بن الرَّبيع قال: «أفي البيت أحد»؟ فقال سعد: لا، فتكلَّمْ بحاجتك، فأخبره بكتاب العباس بن عبد المطلب. . فانصرف الرسول واستكتم سعداً الخبر.

ثالثاً: أنه حين خرج الرسول ﷺ من البيت جاءت امرأة سعد فقالت: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ فقال: ما لكِ ولذلك لا أمَّ لك، قالت: قد كنت أسمع عليك وأخبرته الخبر. فاسترجع، ثم خرج يعدو بها حتى أدرك

---

(١) الحديث سبق تخريجه في ص ١٢٤.
(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/٤٥.

الرسول ﷺ بالجِسر[1]، وقد بلحت[2]، فقال: يا رسول الله، إن امرأتي سألتني الخبر عما قلتَ فكتمتها، فقالت: قد سمعت قول رسول الله، فجاءت بالحديث كله، فخشيت يا رسول الله أن يظهر من ذلك شيء فتظن أني أفشيتُ سِرَّك، فقال رسول الله ﷺ: «خلِّ سبيلها»[3].

ومن العبر التي تؤخذ من هذه الحادثة أنه يجب على العسكريين بعامة والقادة بخاصة أن يخفوا الأسرار العسكرية وما يتصل بها وأن يكتموا ذلك كله حتى عن أقرب الناس إليهم وهم الزوجات ومن في حكمهن، وإذا دعت الضرورة إلى نشر شيء من ذلك فينبغي أن يكون لمن يحفظ السرّ حتى لا يلحق الأمة ضرر بسبب ذلك.

ولعل من حِكَم كتمان خبر تحرك قريش في أول الأمر ـ والله أعلم ـ هو خوف الرسول ﷺ من أن يؤثر هذا الخبر على معنويات المسلمين حتى يقابل هذا الأمر بما يناسبه من تخطيط واستعداد.

● **الفرع الثاني: اختيار الوقت والطريق المناسبين:**

اختار الرسول ﷺ وقتاً وطريقاً مناسبين عند التحرك إلى أُحُد. فقد تحرك بعد منتصف الليل، حيث يكون الجو هادئاً والحركة قليلةً، وفي هذا الوقت بالذات يكون الأعداء ـ غالباً ـ في نوم عميق، لأن الإعياء ومشقة السفر قد أخذا منهم مجهوداً كبيراً.

ومن المعلوم أن من كان كذلك فإن نومه يكون ثقيلاً فلا يشعر إلا

---

(١) الجِسْر: موضع بالمدينة كان عنده سوق بني قينقاع ويقع في أعلى بطحان بموضع يعرف باسم زقاق البيض. انظر: وفاء الوفاء ٢/٢٨١.

(٢) البلح: الإعياء، يقال: بلح الرجل: إذا انقطع من الإعياء فلم يستطع أن يتحرك، والمعنى هنا: أن امرأة سعد أعياها التعب. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/١٥١؛ لسان العرب ١/٢٥٣.

(٣) انظر مغازي الواقدي ١/٢٠٤، ٢٠٥.

بالأصوات العالية والحركة الثقيلة، ثم إن في هذا الوقت متّسعاً لكي يمكن تبييتهم[1].

قال الواقدي رحمه الله: (ونام رسول الله ﷺ حتى أدلج، فلما كان في السَّحَر قال: «أين الأدلاء؟»)[2].

ثم إنه ﷺ اختار كذلك الطريق المناسب الذي يسلكه حتى يصل إلى أرض المعركة وذكر صفة ينبغي أن تتوافر في هذا الطريق وهي السرّية، حتى لا يرى الأعداء جيش المسلمين، فقال ﷺ لأصحابه: «مَنْ رجُلٌ يخرج بنا على القوم من طريق لا يمر بنا عليهم»؟ فأبدى أبو خيثمة ـ رضي الله عنه ـ استعداده قائلاً: أنا يا رسول الله، ونَفَذَ به بين بساتين بني حارثة[3].

ولا شك في أن مروره ﷺ بين الأشجار والبساتين يدلنا على حرصه ﷺ على الأخذ بمبدأ الكتمان في أثناء السَّير لأن الطرق العامة تكشف للأعداء عن مقدار قوات المسلمين، وهذا أمر محذور.

فالرسول ﷺ في هذا المقام أخذ بمبدأ الكتمان من حيث الزمان والمكان، وهو يعلّم القادة من بعده أن يسلكوا هذا المنهج، لئلا يتمكن الأعداء من معرفة قواتهم فيضعوا الخطط المناسبة لمجابهتها، وبذلك يذهب تنظيم القادة وإعدادهم لجيوشهم أدراج الرياح.

● **الفرع الثالث: الصَّمت في ميدان المعركة:**

في ساحات القتال يحرص كل خصم على الفتك بخصمه ويسلك في سبيل تحقيق ذلك كل ما في وسعه.

لذا فإن رفع الأصوات ومناداة الشخصيات البارزة أو الإشارة إلى

(١) انظر تفريج الكروب في تدبير الحروب ـ ص ٦٧.

(٢) مغازي الواقدي ١/٢١٦.

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٩؛ تاريخ الطبري ٢/٥٠٤، ٥٠٥؛ البداية والنهاية ٤/١٤.

أماكنهم في ميدان المعركة من الأمور المحظورة التي ينبغي تجنّبها لما يحدثه ذلك من أثر سيىء، ومن الأدلة على ذلك:

ما رواه كعب بن مالك رضي الله عنه قال: (لمّا كان يوم أحد وصرنا إلى الشّعب، كنت أول من عرفته، فقلت: هذا رسول الله ﷺ فأشار إليّ بيده أن اسكُتْ[1].

والحكمة ــ والله أعلم ــ من أمره ﷺ لكعب بالسكوت وإن كان ﷺ معصوماً من الناس هي إرشاد المؤمنين من بعده إلى كتمان الأصوات التي من شأنها إلحاق الضرر بعسكر المسلمين ومن ذلك الإشارة إلى أماكن وجود القادة في ميدان المعركة وذلك أن الأعداء يحرصون على الفتك بالقائد العام لأن في قتله انهزاماً لجنده وتفريقاً لقواته فتكون نهاية المعركة لصالحهم.

وقد اقتدى الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ بالرسول ﷺ في هذا الشأن فكانوا يكرهون رفع الأصوات في ميدان القتال. فعن قيس بن عُباد رضي الله عنه أنه قال: (كان أصحاب النبي ﷺ يكرهون رفع الصوت عند القتال)[2].

المطلب الثالث

في غزوة الخندق

لمّا نقض بنو قريظة عهدهم مع النبي ﷺ جاءه خبر ذلك فبعث وفداً وأمرهم ــ إن كان ما بلغه صحيحاً ــ أن يَلْحنوا[3] له في الخطاب فذهبوا، ثم

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ورجال الأوسط ثقات. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١١٢.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب فيما يؤمر به من الصمت عند اللقاء، سنن أبي داود ٣/١١٣. وقد أورده المنذري في مختصر سنن أبي داود ٤/٧، وسكت عنه وهو: حديث حسن.

(٣) اللّحن: هو الميل عن جهة الاستقامة، يقال: لحن زيد في كلامه: إذا مال عن صحيح المنطق، والمراد به هنا: أن يقولوا قولاً يفهمه ﷺ ويخفى على غيره. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٢٤١؛ لسان العرب ٣/٥٤.

رجعوا فسلَّموا على النبي ﷺ وقالوا: عضل والقارة، فعرف النبي ﷺ مرادهم[1][2].

فقد كانت المصلحة العامة للجيش في هذا الظرف العصيب الذي كان يعيشه المسلمون تقتضي أن يأخذ النبي ﷺ بمبدأ الكتمان خوفاً على معنويات المسلمين من الانهيار وحتى يستكملوا استعداداتهم العسكرية كافة.

فلما أكمل المسلمون ما أرادوه إعداداً وعدداً أخبرهم النبي ﷺ بذلك ليضعهم عند مسؤولياتهم الكاملة دفاعاً عن الإسلام ولو أنه ﷺ سمح لهذا الوفد بإذاعة نبأ نقض بني قريظة للعهد قبل أن يستكمل المسلمون كل متطلبات القتال لانهارت معنويات المسلمين، لأن الخطر أصبح يهددهم من داخل المدينة وخارجها[3].

---

(١) مراد الوفد بهذا اللَّحن: أن بني قريظة نقضوا العهد الذي بينهم وبين محمد ﷺ على ألا يحاربوه أو يعينوا أحداً على حربه. ومعنى «عضل والقارة» أي أن هؤلاء القوم غدروا كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع(*). انظر: تاريخ الطبري ٢/٥٧٢. قال محمد بن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من عضل والقارة.. فقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام فبعث رسول الله ﷺ معهم نفراً ستة وأمر رسول الله ﷺ على القوم مرثد(**) بن أبي مرثد الغنوي، فخرج مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع... غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلاً فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم.
السيرة النبوية لابن هشام ٣/١٦٠، ١٦١؛ والبداية والنهاية ٤/٦٢؛ والسيرة الحلبية ٢/١٦٥، ١٦٦.

(٢) انظر ما ورد في سيرة ابن هشام في شأن ذهاب الوفد إلى بني قريظة في ص ١٧٧.

(٣) انظر: دروس في الكتمان من الرسول القائد ﷺ ـ ص ٢٥، ٢٦.

. . . .

(*) الرجيع: هو ماء لبني لحيان من هذيل بين مكة وعسفان ويبعد طريقه (١٣ كيلاً) من عُسفان ويبعد عن الطريق قرابة (٧ أكيال) في لحف حرة الجابرية، ويعرف اليوم بـ «الوطية». انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ـ ص ٢٦٧؛ معجم معالم الحجاز ٤/٣٥.

(**) ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ أمّر على القوم عاصم بن ثابت وهو أصح والله أعلم. انظر: فتح الباري ٧/٢٧٨، ٣٨٠.

وبتطبيق النبي ﷺ هذا المبدأ في ذلك الظرف نجح ﷺ في المحافظة على الروح المعنوية لدى جنده حتى أكملوا الاستعدادات جميعها، لصدّ الأحزاب عليهم.

المطلب الرابع
في فتح مكة

عندما عزم النبي ﷺ على المسير إلى مكة كانت السرية هي سبيله إلى ذلك، وكانت هي أساس المرحلة الأولى من مراحل فتح مكة ويُراد بها مرحلَة التجمّع والحشد والإعداد وهي أخطر مراحل المعركة فإن العدو عادة إذا أحسَّ بهذه المرحلة وأدرك تفاصيلها تكون السرّية قد انعدمت ومن ثم تصعب مباغتته لأنه بما لديه من معلومات يُعِدّ نفسه ويُجَهِّزُ قواته ولا يكون هناك مجال لوقوع المفاجأة[1].

وقد أخذ النبي ﷺ بمبدأ السرّية المطلقة والكتمان الشّديد حتى عن أقرب الناس إليه وهو أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ أقرب أصحابه إلى نفسه، وزوجته عائشة ــ رضي الله عنها ــ أحب نسائه إليه، فلم يعرف أحد شيئاً عن أهدافه الحقيقية ولا باتجاه حركته ولا بالعدو الذي ينوي قتاله بدليل أن أبا بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ عندما سأل ابنته عائشة ــ رضي الله عنها ــ عن مقصد الرسول ﷺ قالت له: ما سمّى لنا شيئاً وكانت أحياناً تصمت. وكلا الأمرين يدلان على أنها لم تعلم شيئاً عن مقاصده ﷺ[2].

ويُستنبط من هذا التصرف النبوي الحكيم أنه ينبغي للقادة العسكريين أن يخفوا خططهم حتى عن زوجاتهم لأنهن ربما أذعن شيئاً من هذه الأسرار

---

(١) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ــ ص ٥٦٠.

(٢) انظر مبحث استعداد النبي للفتح ــ ص ٢٢٠، ٢٢١؛ وانظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ــ ص ٥٧٨؛ الرسول القائد ــ ص ٣٣٣، ٣٣٤؛ النظرية الإسلامية في الحرب النفسية ــ ص ٧٠.

عن حسن نية فتتناقلها الألسنة حتى تصير سبباً في حدوث كارثة عظيمة.

وقد سلك ﷺ في سبيل استمرار هذا الكتمان ما كان في مقدوره فأرسل سَرِيّة إلى بطن إضم لإسدال السِّتار على مقصده الحقيقي، كما بثَّ عيونه وأرصاده داخل المدينة لتحول دون تسرب المعلومات إلى قريش، كما بثَّ دوريات خارج المدينة وعلى حدودها لحرمان قريش من الحصول على أية معلومات عن مقاصده وحرمان المنافقين الموالين لقريش من إرسال المعلومات والأخبار إليهم.

وحرصاً منه على تنفيذ هذا الأمر أسند مهمة الإشراف عليه إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لما عُرف عنه من شدةٍ وحرصٍ على تنفيذ الأوامر المكلف بها[1].

وبعد أن أخذ بهذه الأسباب البشرية التي في استطاعته توجه إلى الله ـ عز وجل ـ بالدعاء والتضرع قائلاً: «اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يَرَوْنا إلا بغتة ولا يسمعون بنا إلا فجأة»[2].

وبتطبيقه ﷺ لهذا المبدأ نجح في تحقيق هدفه وهو مفاجأة قريش من حيث لا تشعر ويُعَدّ هذا الأمر نجاحاً لا مثيل له في تاريخ الحروب.

وفي ذلك يقول اللواء محمد فرج: (إن نجاح رسول الله ﷺ في تحقيق السرِّية على هذه الصورة الرائعة ومفاجأة قريش وهي في دُورها تَجْهَل حركته هو نجاح لا نظير له في تاريخ الحرب فلم تسجِّل أحداث الحروب ماضيها وحاضرها تحركاً تميز بالسرّية المطلقة والكتمان الشديد كهذا التحرك الذي قاد فيه الرسول ﷺ الجيش الإسلامي في عشرة آلاف ما بين راجل وراكب

---

(١) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ـ ص ٥٦٠، ٥٦١، ٥٧٨؛ والمدرسة العسكرية الإسلامية ـ ص ٤٨٣؛ والرسول القائد ـ ص ٣٣٤؛ ودروس في الكتمان من الرسول القائد ﷺ ـ ص ٣٢؛ وانظر فيما سبق ص ٢٢٤ ـ ٢٢٧.

(٢) البداية والنهاية ٤/٢٨٢.

دون أن يدري العدو بهذا التحرك وإن رسول الله ﷺ بهذا العمل العسكري الفريد الذي قام على حسن التدبير والتفكير والتقدير والتخطيط والتنفيذ يحتل مكان الصدارة بالنسبة للعسكريين في مختلف العصور والأزمان)[1].

ومن تطبيق الرسول ﷺ لمبدأ الكتمان في هذه الغزوات الأربع وتحقق النصر له فيها تتبين أهمية الأخذ بهذا المبدأ وأن النصر بمشيئة الله مرهون بوجوده.

والدليل على ضرورة العناية بأمر الكتمان أن العرب لما أهملوا شأنه في الحرب التي قامت بينهم وبين إسرائيل سنة ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م غلبهم اليهود حيث كانوا يأخذون بهذا المبدأ إلى جانب المعرفة الدقيقة لقوات الجيوش العربية.

يحدثنا عن ذلك عسكري معاصر شارك في تلك الحرب هو اللواء الركن محمود شيت خطاب فيقول: (لقد كان من جملة أسباب انتصار إسرائيل على العرب في حرب حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧م هو أن إسرائيل استطاعت اقتناص الأسرار العسكرية العربية فحاربت العرب على هُدىً وبصيرة. وقد صرَّح المسؤولون العسكريون في إسرائيل بأن من أهم أسباب انتصارهم على العرب أن مخابراتهم استطاعت بوسائلها الحصول على أدق المعلومات العسكرية عن العرب... ولو كان العرب شعوباً وحكوماتٍ وأفراداً وجماعاتٍ عند مسؤولياتهم التاريخية في الكتمان وهم في حرب ضد إسرائيل المعتدية الغاصبة لما استطاعت إسرائيل ومَن وراء إسرائيل أن يجمعوا المعلومات المفصَّلة والدقيقة عن الجيوش العربية وعن أسرارها العسكرية الحيوية)[2].

---

(١) العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ـ ص ٥٧٩.

(٢) انظر دروس في الكتمان من الرسول القائد ﷺ ـ ص ١٣، ١٤.

المبحث الرابع
حماية القائد من متطلبات النصر في المعركة

المطلب الأول
في غزوة بدر

للقيادة العسكرية أهمية كبرى، سواء أكان في سير المعركة أم نتائجها. وقد درجت الجيوش المتحاربة إلى الوصول للقائد، لأن في قتله تحقيقاً للنصر بأقصر طريق وأقل ثمن.

كما أن قتل القائد ـ أيضاً ـ قضاءً على الركن الأساسي الذي يعتمد عليه الجنود ـ بعد الله ـ وينضوون تحت لوائه ومن ثم يكون حلول الهزيمة أمراً لا مفرّ منه.

ولهذا فإنه يُلاحظ أن الدين الإسلامي أولى هذا الأمر عناية تامة في أول لقاء بين الرسول ﷺ والمشركين. فقد اتخذ النبي ﷺ عريشاً لحمايته من كيد الأعداء وليكون ﷺ قدوة لمن بعده في محافظة الجيش الإسلامي على حياة قائده[1].

قال ابن كثير رحمه الله: (وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما حرّض أصحابه. . . صعد إلى العريش ـ أيضاً ـ ومعه أبو بكر ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الأنصار على باب العريش ومعهم السيف خيفة أن تكرّ راجعة من المشركين إلى النبي ﷺ)[2].

---

(١) انظر الرسول القائد ـ ص ١١٥؛ العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ـ ص ٢٦٣؛ غزوة بدر الكبرى ـ ص ٦٦: للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس، ومرويات غزوة بدر ـ ص ١٨٤.

(٢) البداية والنهاية ٣/٢٨٤.

قال ابن حجر رحمه الله عند شرحه لقوله ﷺ: «ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة...»[1]: (وإنما عانى النبي ﷺ ذلك مع قوة توكله للاستنان به في ذلك)[2].

وكون النبي ﷺ اتخذ عريشاً ثبت بأحاديث[3] سبق ذكرها وهي تدل بمجموعها على أهمية المحافظة على حياة القائد المسلم.

المطلب الثاني

في غــزوة الخــندق

تُعَدّ قيادة الجيوش من أعظم المسؤوليات، إذ إن القائد في الجيش بمنزلة الرأس المدبِّر والعقل المفكِّر. لذا فإن من حق القائد أن يتخذ له حرساً لحمايته من كيد الأعداء لأن حياته ليست ملكاً له وإنما هي ملك للأمة التي يجاهد في سبيل إعزازها ونصرتها.

وفي غزوة الأحزاب أمر النبي ﷺ بعض الصحابة أن يقوموا بحراسته فقد كان عبّاد بن بشر مع بعض الأنصار يقومون على حراسة النبي ﷺ كل ليلة[4]، كما ذكر ابن حجر ــ رحمه الله ــ أن النبي ﷺ اتخذ له حرساً في عدد من الغزوات ومن ذلك (غزوة الأحزاب)[5].

وثبت في الصحيحين وغيرهما أنه ﷺ اتخذ له حرساً، فعن عائشة ــ رضي الله عنه ــ قالت: سَهِرَ رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة فقال: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة»، قالت: فبينا نحن كذلك سمعنا

---

(١) سيأتي تخريج هذا الحديث في ص ٤٠٠.
(٢) فتح الباري ٨٢/٦.
(٣) سبق ذكر هذه الأحاديث في ص ١٢٩، ١٣٠.
(٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٦٧/٢.
(٥) انظر فتح الباري ٢١٩/١٣.

خشخشة سلاح فقال: «من هذا»؟ فقال: سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله ﷺ: «ما جاء بك»؟ قال: وقع في نفسي خوفٌ على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام[1].

وعنها ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: كان النبي ﷺ يُحْرس حتى نزلت هذه الآية ﴿واللَّهُ يعصمك من الناس﴾[2]، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القُبَّة فقال لهم: «يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله»[3].

ووجه الجمع بين اتخاذه ﷺ الحرس في هذه الغزوة ونهيه في حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن ذلك أنه ليس في الآية ما ينافي الحراسة، كما أن إعلام الله نصر دينه وإظهاره ما يمنع الأمر بالقتال وإعداد العدة، وعلى هذا فالمراد العصمة من الفتنة والإضلال وإزهاق الروح[4].

وإنما فعل النبي ﷺ ذلك ـ مع كونه معصوماً ـ حتى يَقتدي به قادة الجيوش من بعده.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب في فضل سعد بن أبي وقاص، ح (٢٤١٠)، صحيح مسلم ٤/١٨٧٥.
وأخرجه البخاري بنحو هذا اللفظ في كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، ح (٢٨٨٥)، فتح الباري ٦/٨١.
وأخرجه في كتاب التمنّي، باب قوله ﷺ «ليت كذا وكذا»، ح (٧٢٣١)، فتح الباري ١٣/٢١٩.
وأخرجه الترمذي في كتاب الفضائل، باب مناقب سعد بن أبي وقاص، ح (٣٧٥٧)، سنن الترمذي ٩/٣٢٢.

(٢) سورة المائدة: آية ٦٧.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في أبواب التفسير، باب ومن تفسير سورة المائدة، ح (٣٠٤٩)، سنن الترمذي ٨/٢١٤. وقد تفرّد به الترمذي رحمه الله ثم قال: هذا حديث غريب.

(٤) انظر: فتح الباري ٦/٨٢.

المبحث الخامس
مشروعية الأخذ بالأساليب الجديدة في القتال

المطلب الأول
في غـزوة بـدر

ابتكر الرسول ﷺ في قتاله مع المشركين يوم بدر أسلوباً جديداً في القتال، لم يكن معروفاً من قبل، حيث قاتل بنظام الصفوف[1].

وصفة هذا الأسلوب: أن يكون المقاتلون على هيئة صفوف الصلاة وتقل هذه الصفوف أو تكثر تبعاً لقلة المتقاتلين أو كثرتهم.

وتكون الصفوف الأولى من أصحاب الرماح لصدِّ هجمات الفرسان وتكون الصفوف التي خلفها من أصحاب النبال، لتسديدها على المهاجمين من الأعداء.

ويتميز هذا الأسلوب بالمميزات الآتية:

الأولى: أن في هذا الأسلوب إرهاباً للأعداء، كما أنه يدل على حسن التدبير والنظام.

وقد أثنى الله ــ سبحانه وتعالى ــ عليه في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيانٌ مرصوص﴾[2].

الثانية: أن استخدام هذا الأسلوب يجعل في يد القائد قوةً احتياطيةً يعالج بها المواقف الطارئة، كأن يصدّ هجوماً مضاداً للعدو أو يضرب كميناً غير متوقَّع أو يحمي الأجنحة التي يهدّدها العدو بفرسانه أو مشاته.

---

(١) سبق ذكر أدلة أخذه ﷺ بهذا الأسلوب في ص١٣١.

(٢) سورة الصف: آية ٤.

الثالثة: أنه يؤمّن سيطرة القائد على جميع جنده ويمكّنه من استغلال طاقاتهم للمصلحة العامة.

وإن من الأسباب الرئيسة لانتصار المسلمين يوم بدر ـ بعد مشيئة الله ـ استخدامهم أسلوب الصفوف.

ويُعَدّ تطبيق هذا الأسلوب، لأول مرة في غزوة بدر سبقاً عسكرياً تميّزت به المدرسة العسكرية الإسلامية على غيرها منذ أربعة عشر قرناً من الزمان(١).

المطلب الثاني
في غـزوة الخـندق

لم يكن حفر الخندق من الأمور المعروفة لدى العرب في حروبهم بل كان الأخذ بهذا الأسلوب غريباً عنهم، وبهذا يكون الرسول ﷺ هو أول من استعمل الخندق في الحروب في تاريخ العرب والمسلمين.

ولقد حقق تطبيق هذا الأسلوب الجديد منفعةً كبرى في صدّ اعتداء جموع الأحزاب على المؤمنين في المدينة، حيث كان قادتهم قد رسموا مخطَّطاً عدوانياً للاستيلاء على المدينة، ولكن هذا الخندق كان مفاجأةً مذهلةً حال دون تطبيق خطتهم التي رسموها.

ويقرر العسكريون أن المفاجأة أنواع أهمها المفاجأة الاستراتيجية وهي أن القائد الماهر هو الذي يجتهد في أن يضع خصمه في الموضع الذي يصبح فيه مسلوب الإرادة، مسيَّراً ضد رغباته وإراداته.

---

(١) انظر المدرسة العسكرية ـ ص ٤٤٤؛ الرسول القائد ـ ص ١١١، ١١٦، ١١٧، ١٢٢، ١٢٣، ٤٦٢؛ العبقرية العسكرية ـ ص ٣٠٦؛ الفن الحربي ـ ص ٢٣٨؛ غزوة بدر ـ ص ٦١ لمحمد عبد القادر أبو فارس؛ البشرى بالجهاد وغزوة بدر الكبرى ـ ص ١٢٥؛ مختصر في سياسة الحروب ـ ص ٣٤؛ إمتاع الأسماع للمقريزي ١/٧٩.

وتقوم هذه المفاجأة على عاملين هما: سرّية الخطة وسرعة إنجازها. وفي ضوء هذا المعنى يمكن القول: إن رسول الله ﷺ قد حقق المفاجأة «الاستراتيجية» حيث استجاب إلى الرأي القائل بحفر الخندق، وحين دعا إلى سرعة الحفر.

ولقد أسقطت هذه المفاجأة كل تدبير أعدته القوى المضَادَّة لهم، فقد وجدت الأحزاب نفسها في وضع لا يخطر على بالهم وليس لهم به علم، فأرتج الأمر عليهم وأصبحوا مسلوبي الإرادة، أمام نوع جديد من أساليب الحرب.

هذا فوق التأثير المعنوي الذي فرضته هذه المفاجأة على نفسياتهم ومشاعرهم.

ومن جانب آخر فإن وجود الخندق يتطلّب نوعاً خاصاً من القتال ولا يمكن لجيش كبير العدد ـ كجيش الأحزاب ـ أن يشترك كله في هذا النوع من القتال. لأن القتال في مثل هذا الموقف يتطلب أعداداً محدودة تكون مهمتها اجتياز الخندق، ومن هنا يكون رسول الله ﷺ قد حرم الأحزاب من استخدام جميع قواتها.

ومن ثم تظل هذه القوات في مواقعها دون واجبات قتالية، مما يساعد على تسلل الملل إلى النفوس فتضعف المعنويات وتهبط الرغبة القتالية، ويفقد المقاتل حماسة القتال.

زد على ذلك أن القوات القليلة العدد التي قد تستطيع عبور الخندق تكون مع قلة عددها ومع اهتمامها بأن يتم العبور في سلامة وأمن غير معَدّة للقتال لأنها ستكون هدفاً سهلاً يتيسر صيده بالنبال والرماح والسهام[1].

ولقد أقر بعض فوارس الأحزاب بأن الخندق كان أسلوباً جديداً لم تكن

---

(١) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ـ ص ٤٤٨، ٤٤٩.

تعرفه العرب. وذلك عندما أخذوا يطوفون بالخندق ويقولـون في حنق وغيظ: إن هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها[1].

وبهـذا يمكن القول: إن الأخـذ بهذا الأسلوب الجـديد في القتـال كان سبباً قوياً ــ بعد توفيق الله ــ في انتصار المؤمنين. كما كان ــ أيضاً ــ سبباً في فشل الأحزاب.

وهو ما عناه القرآن الكـريم في قولـه سبحانـه وتعالى: ﴿وردّ الله الـذين كفـروا بغيـظهم لم ينـالـوا خيـراً وكفى الله المؤمنين القتـال وكـان الله قـويـاً عزيزاً﴾[2].

المطلب الثالث

في حصـــار الطـــائف

استعمـل النبـي ﷺ في حصاره للطائف أسلحـةً جديـدةً لم يسبق له أن استعملها من قبل، وهذه الأسلحة هي:

* **أولاً ــ المنجنيق:**

فقد ثبت أن الرسول ﷺ استعمل هذا السلاح عند حصاره لحصن ثقيف بالطائف. فعن مكحول ــ رضي الله عنه ــ: أن النبـي ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف[3].

ويُعَدّ الرسول ﷺ أول من استعمل هـذا السلاح من العـرب. وفي ذلك يقول ابن هشام:

(فـحــدثنـي من أثـق بــه: أن النـبـي ﷺ أول من رمـى في الإســلام بالمنجنيق، رمى به أهل الطائف)[4].

---

(١) انـظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٤٠.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٢٥.

(٣) الحـديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، بـاب في فضل الجهاد، ح (٣١)، مراسيل أبـي داود ــ ص ١٨٣.

(٤) السيـرة النبويـة لابن هشام ٤/ ١٢٨؛ البـداية والنهـاية ٤/ ٣٤٨؛ الرسول القـائـد =

والمنجنيق من أسلحة الحصار الثقيلة، ذات التأثير الفعال على من وُجّهت إليه، فبحجارته تُهَدَّم الحصون والأبراج وبقنابله تُحرق الدور والمعسكرات. وهذا النوع من السلاح يحتاج إلى عدد من الجنود في إدارته واستخدامه عند القتال(١).

* ثانياً ــ الدبابة:

ومن أسلحة الحصار الثقيلة التي استعملها الرسول ﷺ لأول مرة في حصار الطائف: الدبابة.

ويؤيد ذلك ما قاله صاحب كتاب «نفحة الحدائق والخمائل في الابتداع والاختراع للأوائل» من أن أول دبابة صنعت في الإسلام على الطائف حين حاصرها الرسول ﷺ.

والدبابة على شكل بيت صغير تُعمل من الخشب وتُتّخذ للوقاية من سهام الأعداء، عندما يُراد نقض جدار الحصن بحيث إذا دخلها الجنود كان سقفها حرزاً لهم من الرمي(٢).

* ثالثاً ــ الحسك الشائك:

من الأسلحة الجديدة التي استعملها الرسول ﷺ في حصاره لأهل الطائف الحسك الشائك.

= ص ٣٩١، ٤٦٢؛ المجتمع المدني في عهد النبوة ــ ص ٢١١: للدكتور أكرم العمري، ط ١، سنة (١٤٠٤هـ)، مؤسسة الرسالة.

(١) انظر التراتيب الإدارية للكتاني ١/٣٧٤؛ الفن الحربي في صدر الإسلام ــ ص ١٥٦؛ الاستراتيجية العسكرية بين النظرية والتطبيق ــ ص ٣٤٤، ٣٤٥؛ المدرسة العسكرية الإسلامية ــ ص ٤٠٧.

(٢) انظر السيرة الحلبية ٣/١٣٤؛ التراتيب الإدارية ١/٣٧٥؛ الفن الحربي ــ ص ١٦٨؛ الرسول القائد ــ ص ٣٩١، ٤٦٢؛ الاستراتيجية العسكرية الإسلامية بين النظرية والتطبيق ــ ص ٢٤٥؛ للواء محمد فرج، ط الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة، سنة (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)؛ والمدرسة العسكرية الإسلامية ــ ص ٤٠٨.

وهو من وسائل الدفاع الثابتة، ويعمل من خشبتين تسمَّران على هيئة صليب، حتى تتألف منها أربع شعب مدبَّدبة، وإذا رُمي في الأرض بقيت شعبة منه بارزة تتعثر بها أقدام الخيل والمشاة، فتتعطل حركة السير السريعة المطلوبة في ميدان القتال[1].

وقد ذكر أصحاب المغازي والسِّيَر أن الرسول ﷺ استعمل هذا السلاح في حصاره لأهل الطائف، حيث أمر جنده بنثر الحسك الشائك حول حصن ثقيف[2].

ويمكن أن يستفيد القادة خاصة والمسلمون عامة من أخذ النبي ﷺ بهذه الأساليب الجديدة في القتال أمراً مهماً، وهو أن الشريعة الإسلامية تحب لأتباعها أن يجمعوا لأنفسهم أطراف الخير كله والمبادىء المفيدة جميعها، وأنه ينبغي للمسلم أن لا يعطّل عقله الحر وتفكيره الدقيق في سلوكه وعامة شؤون حياته، وأن يستوعب قضايا عصره حتى يمكنه أن يفيد من كل جديد نافع[3].

وقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ أنه قال: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»[4].

ومن الحكمة التي عناها النبي ﷺ الأخذ بالأساليب الجديدة في القتال، إنه يحقق للمسلمين مصلحةً، ويدرأ عنهم شرور أعدائهم.

---

(١) انظر الفن الحربي في صدر الإسلام ــ ص ١٩٥.

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٢١٤؛ إمتاع الأسماع ١/ ٤١٨.

(٣) انظر فقه السيرة ــ ص ٣٢٠: للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ح (٢٦٨٨)، سنن الترمذي ٧/ ٣٢٩، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن الفضل المدني المخزومي يُضعَّف في الحديث من قِبل حفظه.

قال الذهبي في ترجمته: (إبراهيم بن الفضل المخزومي عن سعيد المقبري شيخ مدني =

المبحث السادس

توحيد قيادة الجيش له أثر في كسب المعركة والفوز بها

المطلب الأول

في غــزوة بــدر

إن توحيد قيادة الجيش يُعَدّ ذا أثـر فعّال على سيـر المعركـة التي تباشـر إدارتها وذلك أن الجنود ينضوون تحت لوائها ويصـدرون عن أمرهـا فهي التي تأمر وتنهى وتوجِّه حسبما يوجد في ذلك من المصالـح العامة.

وقد باشـر النبـي ﷺ قيادة جيش المسلمين في معـركة بـدر وفي ذلك يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب:

(كـان الرسـول ﷺ هو القـائد العـام للمسلمين في معركـة بـدر، وكـان المسلمون يعملون يداً واحدة تحت قيادته يوجههم في الوقت الحاسم للمحـل الحاسم للقيام بعمل حاسم. . .)[1].

= ضعيف روى عنـه ابن أبـي فديـك. قال ابن معـين: ضعيف لا يُكتب حديثـه، وقـال مـرة: ليس بشيء، وقال النسـائي متروك). انـظر ميـزان الاعتـدال في نقـد الـرجـال ٥٢/١.

والحـديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، بـاب الحكمة، ح (٤١٦٩)، سنن ابن ماجه ١٣٩٥/٢.

وقد رواه بنحو هذا اللفـظ القضاعي في مسنده والبيهقي في المدخـل. انـظر المقـاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهـرة على الألسنـة ــ ص ١٩٠، ١٩٢: للشيـخ محمـد بن عبـد الـرحمن السخـاوي، بتصحيـح وتعليق عبـد الله محمـد الصـديق، وعبد الوهاب عبد اللطيف، نشر مكتبة الخانجي، بمصر، سنة (١٣٧٥هـ /١٩٥٦م).

(١) الرسول القائد ــ ص ١١٤.

أما المشركون فلم تكن قيادتهم في هذه المعركة موحدة بل كان يسودها الشقاق وكل رجل من سادات قريش كان يظهر بمظهر الزعيم لهذه المعركة وذلك من باب الرياء والفخر.

وكان أبرز قادة هذه المعركة ـ فيما يظهر ـ رجلان هما عتبة بن ربيعة وأبو جهل ـ لعنهما الله ـ وقد كانا إلى العداوة أقرب منهما إلى الإخاء[1].

والدليل على هذا تلك المهاترات التي دارت بينهما والتي تنبىء عن الأحقاد والضغائن التي يكنّها كل واحد منهما للآخر.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما نزل المسلمون وأقبل المشركون نظر رسول الله ﷺ إلى عتبة بن ربيعة وهو على جمل أحمر، فقال: «إن يكنْ عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا».

وهو يقول: يا قوم أطيعوني في هؤلاء القوم، فإنكم إن فعلتم لن يزال ذلك في قلوبكم ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه وقاتل أبيه، فاجعلوا حقها برأسي وارجعوا.

فقال أبو جهل: انتفخ[2] والله سَحْرهُ حين رأى محمداً وأصحابه، إنما محمد وأصحابه أكلة جزور ولو قد التقينا.

فقال عتبة: ستعلم من الجبان المفسد لقومه، أما والله إني لأرى قوماً يضربونكم ضرباً، أما ترون كأن رؤوسهم الأفاعي وكأن وجوههم السيوف. ثم دعا أخاه وابنه فخرج يمشي بينهما ودعا للمبارزة)[3].

---

(١) انظر المرجع السابق ـ ص ١١٥.

(٢) انتفخ والله سَحْرهُ: أي رئته. وهي كلمة تقولها العرب للجبان. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٣٤٦؛ لسان العرب ٢/١٠٧.

(٣) الحديث أخرجه البزار. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/٧٦.
قال الهيثمي بعد عزوه للبزار: رواته ثقات.
وأورده الهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة =

فقد ظهر بينهما الشقاق فعتبة يكره الخروج بينما أبو جهل يصمم عليه.

وفي صحيح البخاري: وردت قصة سعد بن معاذ مع أمية بن خلف واستنفار أبي جهل الناس وعزمه على أمية في الخروج، وهي تدل على أن أمية خرج مكرهاً[1].

كما رجع الأخنس بن شريق ببني زهرة ولم يقاتلوا مع جيش مكة، ثم إن طالب بن أبي طالب خرج مكرهاً على القتال، فرجع إلى مكة مع من رجع[2].

وقد أثرت هذه القيادة التي كان يسودها الشقاق وتتنازعها الأهواء على سَيْر المعركة وعلى نتائجها، فحاقت الهزيمة بجيش قريش.

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وأطيعوا اللَّهَ ورسولَه ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾[3].

فقد نهى الله سبحانه وتعالى عن التنازع، ومن أبرز مظاهره: اختلاف الآراء التي تكون عاقبته الخذلان والفشل.

ولا يحصل هذا إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه[4]. وقد ذكر العز بن عبد السلام رحمه الله: أنه لا يجوز أن يُجمع في الولاية العظمى بين واليَيْن لما يؤدي إليه ذلك من الفساد فيقول:

(إذا شغر الزمان عن من له الولاية العظمى وحضر اثنان يصلحان للولاية: لم يجز الجمع بينهما، لما يؤدي إليه من الفساد باختلاف الآراء،

= ٣١٣/٢. قال البزار: (لا نعلم يرويه بهذا اللفظ إلا ابن عباس ولا له إلا هذا الطريق، ولا أسنده إلا يزيد بن هارون، وحدث به مرة مسنداً وحدث به في الكتب مرسلاً، ويزيد بن حازم لم يسند غير هذا الحديث).

(١) انظر قصة سعد بن معاذ مع أمية بن خلف في فتح الباري ٢٨٢/٧.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٥٨/٢؛ وتاريخ الطبري ٤٣٨/٢، ٤٣٩.

(٣) سورة الأنفال: آية ٤٦.

(٤) انظر في ظلال القرآن ١٥٢٨/٣، ١٥٢٩.

فتتعطل المصالح بسبب ذلك، لأن أحدهما يرى ما لا يرى الآخر، من جلب المصالح ودرء المفاسد)(1).

وجميع ما ذكره العز ـ رحمه الله ـ ينطبق على إمارة الجيش، بل إن هذه أخطر من حيث الحاجة إلى حسم المواقف الطارئة التي تستدعي سرعة البت فيها وإصدار القرارات المناسبة بشأنها، وهذه الأمور لا تتحقق عند تعدد القادة.

المطلب الثاني
في غزوة الخندق

تؤثر القيادة في ميزان أيّ معركة تأثيراً كبيراً من حيث النصر أو الهزيمة، وفي غزوة الأحزاب كان هناك قيادتان مختلفتان: إحداهما موحَّدة، والأخرى بخلاف ذلك.

* **أما الأولى**: فهي قيادة النبي ﷺ لجيش المؤمنين، إذ كان هو القائد العام في هذه الغزوة، فكان هو الذي يرسم الخطط ويراقب تنفيذها.

وقد تمثلت وحدة هذه القيادة في الأمور الآتية:

أولاً: أنه ﷺ هو الذي أمر بحفر الخندق، بعد أن تمت المشاورة في ذلك، فاختار مكاناً مناسباً لذلك وهي السهول الواقعة شمال المدينة إذ كانت هي الجهة الوحيدة المكشوفة أمام الأعداء.

ثانياً: أنه ﷺ قسَّم أعمال حفر الخندق بين الصحابة، كل أربعين ذراعاً لعشرة من الصحابة(2)، ووكّل بكل جانب جماعةً يحفرون فيه.

ثالثاً: أنه ﷺ سيطر على العمل، فلا يستطيع أحد ترك عمله إلا بإذن منه ﷺ.

---

(1) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ٧٠.

(2) انظر الدليل على تقسيمه ﷺ أعمال حفر الخندق على الصحابة في ص ١٧٣.

رابعاً: أنه قسّم ﷺ واجبات احتلال الموضع بنفسه، بحيث تستمر الحراسة على كل شبر من الخندق ليلاً ونهاراً، ثم إنه ﷺ كان يقوم بمهمة الإشراف العام على الجند بتشجيعهم ورفع معنوياتهم.

خامساً: أنه ﷺ استطاع لما يتمتع به من حنكة وبراعة سياسية أن يمسك بزمام الأمور وينقذ المؤمنين من الموقف الحرج الذي حدث لهم عندما وصلت الأحزاب إلى المدينة وأصبح الخطر يهدد المدينة وما حولها.

* **وأما الثانية**: **فهي**: قيادة الأحزاب، وقد كانت قياداتهم متعددة، إذ كان لكل قبيلة قائد، بل إن بعض القبائل كان لها أكثر من قائد[1].

ولم يستطع أولئك القادة تنظيم خطة محكمة للهجوم على المسلمين حيث كانت النعرات الجاهلية هي التي تسيطر عليهم، لا الهدف المشترك، ومثل هذا الجيش لا يمكن أن يُكتب له النجاح[2].

وخلاصة القول في هذا المقام: إن وحدة القيادة في جيش المؤمنين كانت من أسباب انتصارهم، أما تعدد القيادات في جيش الأحزاب فكان سبباً في انهزامه وخذلانه.

ومما حدث في هاتين الغزوتين: يستفاد درس مهم وهو أن وحدة القيادة في أي جيش: أمر ضروري، إذ إنها ـ بمشيئة الله ـ سبب في انتصار الجيش على خصمه.

أما تعدد القيادات: فهو من أسباب تمزق الجيش وذهاب ريحه وبذلك يصير لقمةً سائغة أمام عدوه.

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٣٠.

(٢) انظر الرسول القائد ـ ص ٢٣٦، ٢٣٧.

المبحث السابع
مشروعية مصالحة الأعداء إذا كان في ذلك جلب مصلحة أو دفع مفسدة

المطلب الأول
في غزوة الخندق

حين اشتد البلاء على المسلمين وتكالب عليهم الأحزاب فكّر النبي ﷺ في وسيلة يفلّ بها هذا التحالف العدواني الذي عُقد ضد المسلمين.

فعمد إلى مصالحة بعض طوائف الأحزاب، فلمّا نجحت هذه الوسيلة فكّر في حيلة أخرى يفرق بها ما استطاع من جموعهم حتى يتمكن من تشريد بقيتهم(١).

ولقد ظهرت حنكته ﷺ وحسن سياسته حين اختار قبيلة غطفان بالذات لمصالحتها على مالٍ يدفعه إليها على أن تترك محاربته وترجع إلى بلادها.

إن الذي جعله يختار هذه القبيلة، هو أنه كان يدرك أهداف طوائف الأحزاب، فهي إما أهداف سياسية، أو عقدية، أو مادية.

أما الأهداف السياسية فتتمثل في مجيء قريش لحربه ﷺ وأما الأهداف العقدية فتتمثل في حرب اليهود له ﷺ.

فأصحاب هذين الهدفين ليس من السهولة بمكان التفاوض معهما، لأن تحقيق هدفهما يقتضي هدم الكيان الإسلامي وقيام هذين الهدفين على أنقاضه.

(١) انظر التفسير السياسي للسيرة النبوية ــ ص ٢٧٠: للدكتور محمد رواس قلعه جي.

وأما الأهداف المادية فتتمثل في مجيء قبيلة غطفان إلى المدينة لهذا الغرض، إذ إن هذه القبيلة من القبائل البدوية، ـ أيضاً ـ فإن حالتها الاقتصادية كانت ضعيفة، ولذلك فهي ما جاءت أساساً إلا للمال فإذا حصل لها فقد تحقق هدفها الذي خرجت من أجله[1].

بدليل قول الحارث الغطفاني للنبي ﷺ (ناصفنا تمر المدينة وإلا ملأتها عليك خيلاً ورجالاً)[2].

وقد تفاوض النبي ﷺ مع قائدي غطفان فاتفق الطرفان على أن يرجع قائدا غطفان ومن معهما إلى بلادهم مقابل إعطائهم ثلث تمر المدينة فيذكر الواقدي: (أن رسول الله ﷺ قال لقائدي غطفان: «أرأيت إن جعلت لكم ثلث تمر المدينة ترجعان بمن معكم وتخذلان بين الأعراب؟»، قالا: تعطينا نصف تمر المدينة، فأبى رسول الله ﷺ، أن يزيدهما على الثلث، فرضيا بذلك، وجاءا في عشرة من قومهما حين تقارب الأمر)[3].

ويعني قبول قائدي غطفان ما عرضه عليهما رسول الله ﷺ، من الوجهة العسكرية، وضوح الهدف الذي خرجت غطفان من أجله، وهو الوقود الذي يشعل نفوس هؤلاء ويحركها في جبهة القتال.

ولا شك في أن اختفاء هذا الدافع يعني أن المحارب فقد ثلثي قدرته على القتال وبذلك تضعف عنده الروح المعنوية التي تدفعه إلى الاستبسال في مواجهة خصمه.

---

(١) انظر غزوة الأحزاب ـ ص ٢٠٠، ٢٠١: للشيخ محمد أحمد باشميل.

(٢) الحديث أخرجه البزار والطبراني. انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٣٢.
وأورده الهيثمي بنحو هذا اللفظ في كشف الأستار عن زوائد البزار ٢/١٣١، ثم قال رحمه الله: قال البزار: لا نعلم رواه عن محمد بن عمرو هكذا إلا عثمان ولم نسمعه إلا من عقبة. قال ابن حجر رحمه الله بعد عزوه لهما: ورجال البزار والطبراني فيهما محمد بن عمرو وحديثه حسن وبقية رجاله ثقات.

(٣) مغازي الواقدي ٢/٤٧٧.

ولكن الرسول ﷺ قبل عقد هذا الصلح شاور الصحابة في هذا الأمر فكان رأيهم على خلاف ذلك[1]. وإنما استشارهم في هذا الأمر لأنه ﷺ لم يشأ أن يقر أمراً يخص المسلمين جميعاً دون أن يكون لهم رأي.

ذلك أن أسلوبه في القيادة كان يفرض الشورى في كل أمر عسكري يتصل بالجماعة ولم يشأ عليه السلام أن يخرج عن هذا الأسلوب أو يحيد عنه. فالأمر شورى ولا ينفرد به فرد حتى ولو كان هذا الفرد هو رسول الله ﷺ، طالما أن الأمر تُرك للاجتهاد ولم ينزل به وحي[2].

ويمكن أن يُستنبط من نتائج هذه المشاورة أمران مهمان:

*** الأول ـ قبول الرسول ﷺ رأي الصحابة:**

إن قبول الرسول ﷺ رأي الصحابة في رفض هذا الصلح يدل على أن القائد الناجح هو الذي يربط بينه وبين جنده رباط الثقة، حيث يعرف قدرهم ويدركون قدره، ويحترم رأيهم ويحترمون رأيه.

ومصالحة النبي ﷺ مع قائدي غطفان تُعَدّ من باب السِّياسة الشرعية التي تراعي مقتضيات الأحوال، بدليل قوله ﷺ للصحابة: «فإن أردتم أن تدفعوه عامكم هذا حتى آمركم بعد»، فلو كان هذا الحكم باقياً لما قيّده بالعام نفسه، وقال: «حتى آمركم بعد»[3].

وقد قرر العلماء جواز دفع مال للعدو إذا كان ذلك يحقق مصلحةً عامة للمسلمين أو يدفع عنهم كيد أعدائهم.

قال أبو عبيد القاسم بن سلّام: (وقد فعل مثل ذلك معاوية في إمارته، حدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو وسعيد بن

---

(١) انظر دليل هذه المشاورة في ص ١٨٠.

(٢) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ـ ص ٤٦١، ٤٦٢.

(٣) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ـ ص ٤٦٢.

عبد العزيز: أن الروم صالحت معاوية على أن يؤدي إليهم مالاً، وارتهن معاوية منهم رهناً فجعلهم ببعلبك، ثم إن الروم غدرت فأبى معاوية والمسلمون أن يستحلوا قتل مَنْ في أيديهم من رهنهم وخلوا سبيلهم واستفتحوا بذلك عليهم، وقالوا: وفاء بغدر خير من غدر بغدر)[1].

ولا شك في أن عزم النبي ﷺ على عقد صلح مع قبيلة غطفان إنما كان لعذر، وقد وضع الفقهاء قاعدة في هذا الشأن وهي قولهم: (ما جاز لعذر بطل بزواله)[2].

ومما يتفرع عن هذه القاعدة أن ما قام على الضرورة فإنه يزول بزوالها[3].

ففي هذه الغزوة جازت مصالحة الأعداء وذلك بإعطائهم قدراً معيناً من تمر المدينة، دفعاً لكيدهم وذلك لتعذّر قتالهم في هذا الظرف لضعف المسلمين وقوة أعدائهم.

أما إذا زال هذا العذر وذلك بأن كان المسلمون في حال قوة وغلبة يستطيعون معها قتال أعدائهم فإنه يبطل هذا الحكم، ولا يُعطى الكفار شيئاً من أموال المسلمين لأن في هذا التصرف ذِلةً وصَغاراً على المؤمنين وفيه ـ أيضاً ـ معونة للكفار على حربهم للإسلام وأهله.

*** الثاني ـ موقف الصحابة من هذا الصلح:**

يحمل موقف الصحابة رضي الله عنهم من هذا الصلح ثلاثة معان:

الأول: أنه يؤكد شجاعة المسلمين الأدبية في إبداء الرأي والمشورة في أي أمر يخص الجماعة، إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

---

(١) الأموال ـ ص ١٦٢: لأبي عبيد القاسم بن سلّام، بتعليق الشيخ محمد حامد الفقي، ط المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، سنة (١٣٥٣هـ).

(٢) انظر الأشباه والنظائر للسيوطي ـ ص ٨٤؛ والأشباه والنظائر لابن نجيم ـ ص ٨٦.

(٣) انظر الوجيز في القواعد الفقهية ـ ص ١٤٩: للدكتور محمد البرنو.

الثاني: أنه يكشف عن جوهر المسلمين وعن حقيقة اتصالهم بالله ورسوله وبالإسلام.

الثالث: أنه يبين ما تمتلىء به الروح المعنوية لدى المسلمين من قدرة على مواجهة المواقف الحرجة بالصبر والرغبة القوية، في قهر العدو مهما كثر عدده وعتاده أو تعدد حلفاؤه[1].

المطلب الثاني
في صلح الحديبية

ذهب فقهاءالمذاهب الإسلامية من حنفية ومالكية وشافعية وحنابلة وزيدية وإمامية إلى أنه يجوز للإمام أو من ينيبه عقد هدنة مع الأعداء على ترك قتالهم وتجوز مصالحتهم ولو بمال ندفعه لهم عند الضرورة وذلك كأن يخاف على المسلمين الهلاك أو الأسر لقوله تعالى: ﴿وإن جَنَحُوا للسَّلْم فاجنحْ لها﴾[2].

وتجوز بلا مال من باب أولى وقد اشترط الفقهاء لعقد الهدنة وجود مصلحة أو دفع مضرة وذلك بأن يُرجى إسلامهم أو بذلهم جزية أو إعانتهم لنا أو كفهم عن الإعانة علينا أو بُعْد دارهم أو كان المسلمون في حالة ضعف والأعداء لهم شوكة وغلبة وخيف هلاك المسلمين لو قاتلوهم ففي هذه الحالة تجوز موادعتهم مدة لا تقل عن أربعة أشهر لقوله تعالى: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾[3] ولا تزيد عن عشر سنين كما وادع النبي ﷺ أهل مكة على أن توضع الحرب بينهما عشر سنين فإن لم يكن في المهادنة جلب مصلحة أو دفع مضرة فلا يجوز عقدها لقوله تعالى: ﴿فلا تَهِنوا وتَدْعوا إلى السَّلْم

---

(١) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ـ ص ٤٦٢.

(٢) سورة الأنفال: آية ٦١.

(٣) سورة التوبة: آية ٢.

وأنتم الأعلَوْن والله معكم ولن يَتِرَكُم أعمالكم﴾[1]. وإذا كانت الهدنة غير مقّيدة فلا يجوز إبرامها لأن ذلك يُفضي إلى تعطيل الجهاد بالكلية[2].

---

(١) سورة محمد: آية ٣٥.

(٢) انظر المبسوط ١٠/٨٦؛ والبحر الرائق شرح كنز الدقائق ٥/٧٩؛ وحاشية أبي السعود ٢/٤٢٤: للسيد محمد أبي السعود المصري، مطبعة جمعية المعارف؛ وبلغة السالك لأقرب المسالك ١/٣٧٠: للشيخ أحمد بن محمد الصاوي المالكي، ط شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، سنة (١٣٧٢هـ)؛ وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٢/١٨٣، ١٨٤؛ ومختصر خليل ـ ص ١١٩: للشيخ خليل بن إسحاق المالكي، صححه وعلق عليه الشيخ طاهر بن أحمد الزاوي، ط دار إحياء الكتب العربية؛ والأم ٨/٢٧٩؛ وفيض الإله المالك ٢/٣١٢؛ وفتح القدير الخبير لشرح تيسير التحرير ـ ص ٣٥٧: للشيخ عبد الله بن حجازي الشرقاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، سنة (١٣٥١هـ)؛ والمغني لابن قدامة ٩/٢٧٩؛ والفروع ٦/٢٥٣؛ والكافي ٤/٣٣٨، ٣٤١؛ والبحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ٥/٤٤٦، ٤٤٨، تأليف الشيخ أحمد بن يحيى المرتضى، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة، الطبعة الأولى، سنة (١٣٦٨هـ)؛ والروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية ٢/٢٠٠، تأليف زين الدين الجبعي العاملي، مطبعة الآداب، النجف، سنة (١٣٨٧هـ)؛ وقواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام ١/٣٣٧، ٣٣٩، الطبعة الأولى، سنة (١٣٨٧هـ)؛ شرائع الإسلام في الفقه الإسلامي الجعفري ١/١٥٦، تأليف جعفر بن الحسن الحلّي، ط دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

المبحث الثامن

شن الحرب النفسية على الأعداء إذا دعت الحاجة إلى ذلك

المطلب الأول

في غزوة أحـد

المرء بطبيعته البشرية يتأثر ـ غالباً ـ بما يسمع أو يرى ولذا جرت عادة المتحاربين أن يعمد كل خصم للتأثير على خصمه بوسائل شتى تعتمد على الخداع وذلك لإضعاف معنوياته.

وقد أدرك الرسول ﷺ نفسية المقاتل وأن لها أثراً كبيراً في حالة الاشتباك مع الخصم، كما تتوقف عليها نتيجة الحرب

كما أدرك ﷺ أن الرّوح المعنوية لدى المقاتل تُعَدّ سلاحاً فتّاكاً في المعركة يفوق الأسلحة المادية لأن لها أثراً واضحاً في كسب النصر أو خسرانه[١].

ولهذا أخذ الرسول ﷺ بهذا الأسلوب في بعض غزواته وذلك لما في تطبيقه من تحقيق المصلحة لجيش المؤمنين ودفع المفسدة عنه.

وقد قرر ﷺ هذا الأسلوب بقوله وفعله، فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: «الحرب خدعة»[٢]. ففي هذا الحديث إشارة إلى استعمال الرأي في الحرب بل الاحتياج إليه آكد من الشجاعة[٣]. قال

---

(١) انظر: العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ص ٥٦٤.

(٢) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة، ح (٣٠٣٠)، فتح الباري ١٥٨/٦.
وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب جواز الخداع في الحرب، ح (١٧٣٩)، صحيح مسلم ١٣٦١/٢.

(٣) انظر فتح الباري ١٥٨/٦.

النووي رحمه الله تعالى: (واتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب وكيف أمكن الخداع إلّا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل)[1]. وقد دل العقل ـ أيضاً ـ على جواز الخداع في الحرب، وفي ذلك يقول الأنصاري ـ رحمه الله ـ (وأما العقل فلا خلاف بين العقلاء أن ما حصل من الظفر بحسن الحيلة ولطف المكيدة مع سلامة النفس وحفظ الجنود والراحة من التعب أحسن وأجمل وأعلى في الفضل وأرفع في الرتبة، لأن الخارج للقاء العدو ومبارزة الفرسان، وإن ساعده الظفر وحفّه النصر، ففي مخاطرة من مكروه المصايب وعضاض السيوف وألم الجراح ومضاض الحروب ومغاورة الأبطال غاية المشقة ونهاية المخاطرة)[2].

وأما من الناحية الفعلية فإنه يلاحظ أن الرسول ﷺ قد شنَّ الحرب النفسية ـ وهي نوع من المخادعة ـ بعد غزوة أحد للتأثير على معنويات قريش حيث خرج ﷺ بالمسلمين إلى حمراء الأسد ومكث فيها ثلاثة أيام وأمر بإيقاد النيران فكانت تُشاهَد من مكان بعيد وملأت الأرجاء بأنوارها حتى خُيِّل لقريش أن جيش المسلمين ذو عدد كبير لا طاقة لهم به فانصرفوا وقد ملأ الرعبُ أفئدتهم[3].

قال ابن سعد رحمه الله: (ومضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد... وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٤٥.

(٢) تفريج الكروب في تدبير الحروب ص ٢٧.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٢/٥٣٥؛ وعيون الأثر في فنون المغازي والسِّيَر ٢/٣٧؛ والسيرة الحلبية ٢/٢٥٧؛ والعبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ص ٣٧٩؛ وغزوة أحد ص ٥١: للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس، ط الأولى، سنة (١٤٠٢هـ)، دار الفرقان للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن.

تُرى من المكان البعيد وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه فكبت الله تبارك وتعالى بذلك عدوهم)[1].

المطلب الثاني
في فتح مكّة

أمر الرسول ﷺ المسلمين في أثناء سيره لفتح مكة بإيقاد النيران فأوقدوا عشرة آلاف نار في ليلة واحدة حتى ملأت الأفق فكان لمعسكرهم منظر مهيب كادت تنخلع قلوب القرشيين من شدة هوله[2]. وقد قصد النبي ﷺ من ذلك تحطيم نفسيات أعدائه والقضاء على معنوياتهم حتى لا يفكّروا في أية مقاومة، وإجبارهم على الاستسلام لكي يتم له تحقيق هدفه دون إراقة دماء.

وبتطبيق هذه الحرب تمّ له ﷺ ما أراد ولقد كان اهتمام الرسول ﷺ بمعنويات المقاتل ونفسيته سبقاً عسكرياً بدليل أن المدارس العسكرية التي جاءت فيما بعد جعلت هذا الأمر موضع العناية والاهتمام من الناحية العسكرية[3].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٤٩؛ وانظر مغازي الواقدي ١/ ٣٣٨؛ وعيون الأثر في فنون المغازي والسِّيَر ٢/ ٣٨.

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ١٣٥؛ وفتح مكة ص ١٨٥: للشيخ محمد أحمد باشميل.

(٣) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ص ٥٦٥.

المبحث التاسع

مراعاة القائد ظروف جنده التي تمنعهم من المشاركة في القتال

المطلب الأول

في غزوة بــدر

من رحمة الله بعباده أنه لم يكلفهم فوق طاقتهم، قال الله تعالى: ﴿لا يكلّف اللَّهُ نفساً إلاّ وسعها...﴾[1].

ومن القواعد التي قررها الفقهاء والأصوليين أن المشقة تجلب التيسير[2]، وقالوا أيضاً: الطاقة شرط التكليف[3].

وقد كان الرسول ﷺ لا يكلف المسلمين فوق طاقتهم، سواء أكان ذلك في السلم أو الحرب.

وفي غزوة بدر أعفى النبي ﷺ بعض الصحابة لأن ظروفهم الأُسرية تتطلب منهم القيام عليها ورعايتها. فقد أعفى عثمان بن عفان رضي الله عنه من الخروج يوم بدر لأن زوجه رُقَيّة كانت مريضة وهي بحاجة إلى من يرعى شؤونها.

روى البخاري في صحيحه أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبر

---

(١) الآية ٢٨٦ من سورة البقرة.

(٢) انظر هذه القاعدة في الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٧٤؛ والأشباه والنظائر للسيوطي ص ٨٤.

(٣) انظر المستصفى من علم الأصول ٨٦/١: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، ط أولى، سنة (١٣٢٢هـ)، بمطبعة بولاق؛ وشرح الكوكب المنير ١ /٤٨٤ للشيخ محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار، تحقيق د/محمد الزحيلي ود/نزيه حماد، من منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، سنة (١٤٠٠هـ).

عن سبب تغيّب عثمان رضي الله عنه عن غزوة بدر، فقال رضي الله عنه: (. . . وأما تغيّبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه». . .)[1].

وأمر ﷺ أبا أُمامة بالبقاء عند أمه حيث كانت مريضة وهي بحاجة إليه، فعن أبي أُمامة بن ثعلبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخبرهم بالخروج إلى بدر وأجمع الخروج معه، فقال له خاله أبو بردة بن نيّار: أَقِمْ على أمك، يا ابن أختي، فقال له أبو أُمامة: بل أنت فأقم على أختك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فأمر أبا أُمامة بالمقام على أمه وخرج بأبي بردة، فقدم النبيّ ﷺ وقد توفيت فصلى عليها[2].

المطلب الثاني
في غزوة تبوك

عندما خرج الرسول ﷺ إلى غزوة تبوك أعفى عليّ بن أبي طالب من الخروج مع الجيش، وذلك لأن ظروفه العائلية لا تسمح له بالمشاركة في هذه الغزوة.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أنواعاً من العوائق التي تمنع المتّصف بها من مشاركة المجاهدين في سبيله، فقال تعالى: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يَجِدون ما يُنفقون حرجٌ إذا نصحوا لله ورسوله، ما على المحسنين من سبيل * ولا على الذين إذا ما أتَوْكَ لتَحْمِلَهم قلتَ لا أجد ما أحمِلُكُم عليه تولَّوْا وأعينُهُم تَفيضُ من الدمع حَزَناً ألّا يجدوا ما يُنْفِقُون﴾[3].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الفضائل، باب مناقب عثمان بن عفان بن عمرو القرشي رضي الله عنه، ح (٣٦٩٨)، فتح الباري ٧/٥٤.

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد ٣/٣١.

(٣) الآيتان ٩١و٩٢ من سورة التوبة.

ويمكن حصر الظروف التي ينبغي أن يعفي فيها القائد جنده من الجهاد فيما يأتي:

أولاً: وجود ظرفٍ عائلي يلزم صاحبه القيام عليه ورعاية شأنه.

ثانياً: وجود مانعٍ ملازم للشخص لا ينفك عنه مثل: ضعف البُنْية الجسدية والتي لا يستطيع صاحبها القيام بتكاليف الجهاد، ويلحق بذلك العمى والعرج.

ثالثاً: وجودُ أمر عارض للشخص، وذلك كأن يعرض له مرض في بدنه، أو أن يصيبه فقر لا يستطيع معه التجهّز للحرب.

وذلك لأن مشاركة من لديه أحد هذه الظروف في المعركة يكون عبئاً على الجيش، لأنه حينئذٍ يحارب ببعضه وليس بكله، وميدان الجهاد يعتمد على المقاتل المتكامل، ومن ثمَّ يكون تخلّف أصحاب هذه الظروف أمراً تتطلبه المصلحة العامة للجيش[1].

وإذا أُعفي هؤلاء من الخروج للجهاد، فإنهم يشاركون إخوانهم المجاهدين في الثواب متى كانت لهم مندوحة في التخلّف، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أن من حبسه عذر عن الجهاد فإنه يشارك المجاهد في الثواب[2].

---

(١) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ص ٦٤٥.

(٢) انظر الدليل على هذا الأمر في ص ٢٨٥، ٢٨٦.

المبحث العاشر
أهمية اختيار المكان المناسب لحماية الجند

المطلب الأول
في غــزوة أحــد

يُعَدّ اختيار المكان المناسب في المعركة ذا أثـر كبير على نتـائجها وقـد ذكر أهل الخبرة والدِرَاية بالحرب أنه ينبغي لقائد الجيش أن يجتهد في حمايـة ظهور جنده من أعدائه.

● فقد ذكر الماوردي رحمه الله أن من واجبات القائد لحماية جنده أن يتخيـر لهم موضـع نزولهم لمحـاربة عـدوهم، وذلك أن يكـونوا أوطـأ الأرض مكـاناً وأكثـرها مـرعىً وماءً وأحـرسها أكنـافاً وأطـرافاً ليكـون أعـون لهم على المنازلة وأقوى لهم على المرابطة[1].

● ويذكر الأنصاري أيضاً أنه يجب على قائـد الجيش (أن يسند ظهـور أصحابه إلى الجبال أو التلال أو الأنهار وما أشبه ذلك ممـا يؤمن سرعـة التطرق والكمن والبيـات من العدو. . . وذلـك أن العدوّ إذا أتى مـواجهة واجهـه أهل العسكر باللقاء بالسِّلاح ودافعوه بما تصل إليه طاقتهم من الدفاع، وأما إذا أتى من جهـة ظهر العسكر فإن لم يكن هناك ما يحفظ ظهره ربما هجم العدو على العسكر على حين غفلة منه)[2].

وبذلك تحل الكارثة بالجند. وقد كان الرسول ﷺ يحرص على اختيـار

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٤٣.

(٢) تفريـج الكروب في تدبير الحروب ص ٥٩، ٦٠.

المكان المناسب الذي ينزل فيه جنده، ففي غزوة أُحُد عرف ﷺ بفراسته أهمية جبل أُحد واستفاد منه في حماية ظهور أصحابه من الخلف.

ومما يدل على أهمية هذا الموقع أن كفة المسلمين كانت راجحة حينما كانوا مسيطرين على الجبل، وعندما ترك الرماة مواقعهم واحتلها المشركون رجحت كفتهم، وهذا ما أكّده النبي ﷺ على الرماة، بقوله: «... إذا رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا...»[1].

المطلب الثاني

في غزوة الخندق

اختار الرسول ﷺ للمسلمين في غزوة الخندق مكاناً تتوافر فيه الحماية للجيش.

فقد ذكر الواقدي رحمه الله: (أن رسول الله ﷺ ركب فرساً له ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار، فارتاد موضعاً ينزله فكان أعجب المنازل إليه أن يجعل سَلْعاً خلف ظهره ويخندق من المذاد إلى ذباب[2] إلى[3] راتج)[4]. وقد استفاد ﷺ من مناعة جبل

---

(١) الحديث: سبق تخريجه في ص ١٥٢، وهو جزء من الحديث المذكور هناك.

(٢) ذُبَاب: أكمة صغيرة في المدينة، يفصل بينها وبين جبل سَلْع: ثنية الوداع، وتقابل سلعاً من جهة الغرب. وهذا الجبل كان عليه مسجد الراية. وقد كساه العمران الآن. انظر: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ٣٠٨/٢: للشيخ علي بن عبد الله السمهودي، مطبعة دار الآداب والمؤيد بمصر، سنة (١٣٢٦هـ). وانظر: معجم معالم السيرة النبوية ص ١٣١.

(٣) رَاتِج: أطم من آطام المدينة، لأناس من اليهود، ثم لحلفاء بني الأشهل من الأنصار، ولم يعد معروفاً الآن. انظر الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٢٦٦؛ ومعجم معالم الحجاز ٩/٤.

(٤) انظر مغازي الواقدي ٤٤٥/٢؛ وتاريخ الطبري ٥٧٠/٢؛ والبداية والنهاية ١٠٢/٤.

سَلْع[1] في حمـايـة ظهور الصحابة[2].

واختيـار هذا المكـان كان اختيـاراً مـوفَّقـاً، وذلـك أن شمـال المـدينـة هو الجانب المكشوف أمام العدو والذي يستطيـع منه دخول المدينة وتهديـدها أمـا الجوانب الأخـرى فهي حصينة منيعـة، تقف عقبـةً أمـام أي هجـوم يقـوم به الأعداء.

فكانت الدور من ناحية الجنوب متلاصقةً عالية كالسور المنيـع، وكانت حرة واقِم[3] من جهة الشرق، وحرة الوَبرة من جهـة الغرب: تقـومان كحصن طبيعي، وكـانت آطـام بني قـريـظة في الجنـوب الشـرقي كفيلة بتـأمين ظهـر المسلمين. وكـان بين الرسـول وبني قـريـظة عهـد ألّا يمـالئـوا عليـه أحـداً، ولا يناصروا عدواً ضده[4].

ويستفـاد من بحث الرسـول ﷺ في هـاتين الغـزوتين عن مكـان مـلائم لنزول الجند أهمية الموقع الذي ينزل فيه الجند وأنه ينبغي أن يتوافر فيه شرط أساسي وهو الحماية التامة للجند، لأن ذلك له أثر واضـح على سير المعـركة ونتائجها.

---

(١) جبل سَلْع: هو أشهر جبال المدينة، رغم صغره حتى إنه يفوق جبل أُحُـد رغم شهرتـه وقدسيته. ويقع بسوق المدينة. وأصبـح الآن يحيط بـه العمران من كـل اتجاه. انـظر: معجم البلدان ٣/٢٣٦؛ ومعجم معالم الحجاز ٤/٢٢٣.

(٢) انظر الرسول القائد ص ٢٢٩.

(٣) حرة واقم: هي حرة المدينة الشرقية، وتعرف بهذا الاسم حتى يـومنا هـذا. وسميت برجل من العماليق اسمه «واقم»، كان قد نـزلها في الـدهر الأول. انـظر: معجم معالم الحجاز ٢/٢٨٣، ٢٨٥.

(٤) انـظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ص ٤٤٢.

المبحث الحادي عشر
ضرورة تقوية روح الجند المعنوية والقضاء على أسباب ضعفها

المطلب الأول
تقوية الروح المعنوية

تقوية روح الجند المعنوية والقضاء على أسباب ضعفها أمران ضروريان، فإنها حين تضعف تلك الروح تقل شجاعة الجند فيضعفون عن مقاتلة الأعداء وتكون نتيجة ذلك انتصار الأعداء عليهم.

لذا فإنه يلاحظ أن الرسول ﷺ كان يحرص على تقوية الروح المعنوية لدى جنده كما أنه كان يقضي على الأسباب التي تؤدي إلى ضعفها.

وسوف أذكر في هذا المقام ـ إن شاء الله ـ إحدى الوسائل التي كان يقوي بها النبي ﷺ روح جنده المعنوية، وهي «المبارزة» والتي تعدُّ سلاحاً ذا حدَّين.

ففي غزوة بدر الكبرى أذِن النبي ﷺ لثلاثة نفر من الصحابة في مبارزة أكفائهم من قريش[1]. وقد فرح الصحابة بذلك فرحاً شديداً فقويت روحهم المعنوية، حيث قُضِيَ على ثلاثة من قادة المشركين.

أما المشركون فإنهم فقدوا في المرحلة الأولى من المعركة ثلاثة من خيرة فرسانهم، فكان وقع هذه المبارزة على نفوسهم كالصاعقة المدمرة، بسبب الخسارة التي لحقت بهم[2].

---

(١) انظر دليل وقوع هذه المبارزة في ص ١٣٣، ١٣٤.

(٢) انظر غزوة بدر الكبرى ص ٦٢: للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس.

المطلب الثاني

القضاء على أسباب ضعف الروح المعنوية

ظهر في غزوة أُحد موقفان يستدعيان المعالجة لدى جيش المسلمين، لأن بقاءهما سيكون سبباً في ضعف الروح المعنوية، ولكن الرسول ﷺ بما أوتيَ من حكمة ورجاحة عقل عالج كلَّ واحد من هذين الموقفين بما يراه كافياً لحسم مادة الفساد، التي يمكن أن تنجم عن إهماله، ويتمثل ذلك في الفرعين التاليين:

● **الفرع الأول: ردّ من كان دون البلوغ:**

حين وصل النبي ﷺ بجيشه إلى مكان يقال له «الشَّيْخَين» استعرض جيشه فأجاز من كان أهلاً للقتال، وردّ من كان بخلاف ذلك. قال الطبري: (. . . وعرض رسول الله ﷺ المقاتلة بالشَّيْخَين بعد المغرب، فأجاز من أجاز وردّ من ردّ)[1]. وعددهم أربعة عشر غلاماً[2].

وقد أجاز ﷺ من كان سنه خمس عشرة سنة فأكثر، وردّ من كان دون ذلك. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه، وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٠٥.

(٢) انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٠٨؛ وعيون الأثر في فنون المغازي والسِّيَر ٢/٧.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب، ح (٤٠٩٧)، فتح الباري ٧/٤٩٢؛ وأخرجه في كتاب الشهادات، باب بلوغ الصبيان وشهاداتهم، ح (٢٦٦٤)، فتح الباري ٥/٢٧٦.
وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب بيان سن البلوغ، ح (١٨٦٨)، صحيح مسلم ٣/١٤٩٠.
وأخرجه ابن ماجه في كتاب الحدود، باب من لا يجب عليه الحد، ح (٢٥٤٣)، سنن ابن ماجه ٢/٨٤٨.
=

وقد استدل ابن حجر رحمه الله بهذا الحديث على أنه ينبغي لقائد الجيش أن يستعرض من يخرج معه للقتال، فمن وجده أهلاً استصحبه وإلاّ ردّه[1].

ولا شك في أن استعراض الجيش من أهم الأمور التي ينبغي أن يُعنَى بها القادة، حتى يردّوا من كان صغيراً ونحوه، وذلك لأن صغار السِّنّ قد لا يثبتون في ميدان القتال كما أنه يمكن أن يكثر فيهم القتل، فيسبب ذلك فتنة لباقي الجيش فيضعفوا عن مجالدة الأعداء[2].

ولما كان وجود مثل هذا الأمر يُعَدّ ضرراً يلحق بعامة الجيش فإنه يجب دفعه قبل بدء القتال. وهذا من باب «سد الذرائع».

● **الفرع الثاني: خروج النبي إلى حمراء الأسد بمن حضر يوم أُحُد:**

حين رجع النبي ﷺ من غزوة أحد وسمع ما كانت تعزم عليه قريش من العودة إلى المدينة: خرج بمن حضر يوم أُحد من المسلمين دون غيرهم إلى حمراء الأسد.

قال ابن حجر: (قال ابن إسحاق: كان أُحُد يومَ السبت للنصف من شوال فلما كان الغد يوم الأحد سادس عشر من شوال: أذّن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو وأن لا يخرج معنا إلاّ من حضر بالأمس، فاستأذنه جابر بن عبد الله في الخروج معه فأذن له، وإنما خرج مرهباً للعدو، وليظنوا أن الذي أصابهم لم يوهنهم عن طلب عدوهم. فلما بلغ حمراء الأسد لقيه سعيد بن أبي معبد الخزاعي فأعلمه أنه لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء وقالوا: أصبنا جلّ أصحاب محمد وأشرافهم، وانصرفنا قبل أن نستأصلهم وهموا بالعودة إلى المدينة، فأخبرهم معبد أن محمداً قد خرج في

= وأخرجه أبو داود في كتاب الحدود، باب في الغلام يصيب الحد، ح (٤٤٠٦)، سنن أبي داود ٤/٥٦١.

(١) انظر فتح الباري ٥/٢٧٩.

(٢) انظر غزوة أحد ص ٤٠ للدكتور محمد عبد القادر أبو فراس.

طلبكم في جمع لم أرَ مثله ممن تخلف عنه بالمدينة، قال: فثنّاهم ذلك عن رأيهم، فرجعوا إلى مكة)[1].

وكان من الأهداف التي قصدها النبي ﷺ من خروجه إلى حمراء الأسد ـ والله أعلم ـ: إرهاب الأعداء بإظهار القوة لهم ولو بعد الهزيمة، وتقوية الروح المعنوية لدى الصحابة رضي الله عنهم. ويتمثل هذا الهدف في تحقيق الاعتبارات الآتية:

أولاً: ألا يكون آخر ما تنطوي عليه نفوس الذين خرجوا يوم أُحُد هو الشعور بالهزيمة.

ثانياً: إعلامهم أن ما أصابهم في ذلك اليوم إنما هو محنة وابتلاء اقتضتها إرادة الله وحكمته، وأنهم أقوياء وأن خصومهم الغالبين في الظاهر ضعفاء.

ثالثاً: إعلامهم أن لهم الكَرَّة على أعدائهم متى نفضوا عنهم الضعف والفشل واستجابوا لدعوة الله ورسوله.

رابعاً: تجرئة الصحابة على قتال أعدائهم[2].

---

(١) فتح الباري ٧/٣٧٣، ٣٧٤؛ وانظر الدرر في اختصار المغازي والسير ص ١٥٨؛ والبداية والنهاية ٤/٤٩.

(٢) انظر في ظلال القرآن ١/٥١٩.

المبحث الثاني عشر
أن عدل القائد وتواضعه سبب في محبة جنده له

المطلب الأول
في العــدل

. العدل أساس الحكم النزيه، قال الله تعالى: ﴿إنّ اللَّهَ يَـأْمُرُكم أن تُؤدُّوا الأماناتِ إلى أهلهـا وإذا حَكَمْتُم بين الناسِ أن تحكمـوا بالعـدل إنّ اللَّهَ نِعِمّا يَعِظُكُم به إنّ الله كان سميعاً بصيراً﴾[1].

وقد كان الرسول ﷺ أعدل الناس. فعن أبـي سعيـد الخدري رضي الله عنـه قـال: (بينـا النبـي ﷺ يقسم ذات يـوم قسمـاً فقـال ذو الخـويصـرة: يا رسول الله، اعدل، قال: ويلك من يَـعْـدِل إذا لم أعدل)[2].

وقد ضرب النبـي ﷺ المثل الأعلى في التحلي بهذا الخلق. ففي غزوة

---

(١) الآية ٥٨ من سورة النساء.

(٢) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الأدب، باب: ما جاء في قول الرجل ويلك، ح (٦١٦٣)، فتح الباري ١٠/٥٥٢. وأخرجه في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ح (٣٦١٠)؛ فتح الباري ٦/٦١٧.
وأخرجه في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتأليف ولئلا ينفر الناس عنه، ح (٦٩٣٣)، فتح الباري ١٢/٢٩٠.
وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة، بـاب ذكر الخوارج وصفاتهم، ح (١٠٦٣)، صحيح مسلم ٢/٧٤٠، وح (١٢٩)، ٢/٧٤٤.
وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، بـاب في ذكر الخوارج، ح (١٧٢)، سنن ابن ماجه ١/٦١.
وأخرجه النسائي في كتاب فضائل القرآن، وفي كتاب التفسير (السنن الكبرى، مخطوط، انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (٤٤٢١)، ٣/٤٩٣).

بدر الكبرى كان ﷺ يسوي الصفوف فرأى أحد أصحابه متقدّماً في الصف فطعنه في بطنه فطلب الصحابي القصاص من رسول الله ﷺ فأجابه إلى ذلك.

عن حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدروفي يده قدح يعدّل به القوم فمرّ بسواد بن غُزَيَّة حليف بني عدي بن النجار وهو مستنتل(١) من الصف فطعنه في بطنه بالقدح وقال: «استو يا سواد»، فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، فقال: «استقد»، فاعتنقه فقبّل بطنه، فقال: «ما حملك على هذا يا سواد»؟ قال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يَمَسَّ جلدي جلدك. فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيراً(٢).

فهذا الحديث يبين منزلة القائد العادل في نفوس جنده فإن تقبيل هذا الجندي لقائده أكبر دليل على محبته له.

المطلب الثاني
في التواضع

يُعَدّ التواضع من الصفات التي كانت ملازمة للنبي ﷺ في سلمه وحربه وفي جميع أحواله.

---

(١) مُسْتَنْتِل: معناها: متقدم، مشتق من النتل وهو التهيؤ في القدوم. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/١٣؛ ولسان العرب ٣/٥٧٦.
وفي رواية ابن هشام ٢/٢٦٦: مُسْتَنْصِل ـ بالصاد ـ ومعناها: خارج من الصف، مأخوذ من قول العرب: نصل علينا إذا خرج من طريق أو ظهر من حجاب. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٦٦؛ وانظر لسان العرب ٣/٦٥١.

(٢) هذا الحديث أورده ابن كثير في البداية والنهاية ٣/٢٧١. والحديث بهذا السند فيه جهالة الأشياخ الذين حدّثوا حبان فهو ضعيف والله أعلم.

قال القاضي عياض رحمه الله: (وأما تواضعه ﷺ على علوّ منصبه ورفعة رتبته فكان أشدّ الناس تواضعاً وأعدمهم كِبْراً، وحسبك أنه خُيِّر بين أن يكون مَلِكاً نبياً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً)[1].

قال ابن الأزرق: (وكيف لا يتواضع ﷺ وقد أمره الله تعالى بذلك)[2].

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيباً، فقال: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يَفْخَرَ أحدٌ على أحد ولا يبغي أحد على أحد»[3].

والتواضع المأمور به شرعاً هو كسائر الأخلاق له طرفان ووسط: فطرف إفراطه تكبر، وطرف تفريطه خسة ومهانة، والوسط المحمود هو التواضع[3].

وقد ظهرت هذه الصفة في رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب: فعندما صنع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما طعاماً لرسول الله ﷺ، دعا ﷺ أهل الخندق وقال لهم: «... ادخلوا ولا تضاغطوا، فجعل يكسِّر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف منه حتى شبعوا»[4].

لقد ضرب النبي ﷺ في هذه القصة أروع الأمثلة في التواضع حيث كان يقوم على خدمة أصحابه في تهيئة الطعام وتقريبه إليهم.

---

(١) انظر الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ١/٧٦: للقاضي عيّاض.

(٢) بدائع السلك في طبائع الملك ١/٥١٢.

(٣) الحديث بهذا اللفظ أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ح (٦٤)، صحيح مسلم ٣/٢١٩٩.

وأخرجه النسائي في كتاب فضائل القرآن (السنن الكبرى، مخطوط، انظر: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (١١٠١٤)، ٨/٢٥١).

(٣) انظر إحياء علوم الدين ٣/٣٦٨: لأبي حامد الغزالي.

(٤) هذا جزء من حديث سبق تخريجه في ص ١٧٤، ١٧٥.

والرسول ﷺ في تحلّيه بهاتين الصفتين مع جنده يعلِّم القادة من بعده أن عدل القائد بين جنده وتواضعه سبب في محبتهم له وطاعتهم لأوامره.

أما إذا اتصف القائد بضد ذلك من الظلم والترفّع والكبرياء فإن هذا السلوك يكون سبباً في بُغْضهم له ونفور قلوبهم منه وهذا له أثر سيء في علاقة الجند بقائدهم فيما يتعلق بطاعته وتنفيذ أوامره[1].

---

(١) انظر غزوة الأحزاب ص ١٢٠ للدكتور محمد عبد القادر أبوفارس، ط الأولى، سنة (١٤٠٣هـ)، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان ــ الأردن.

المبحث الثالث عشر

قتل القائد بعض الأسرى إذا كان في ذلك مصلحة عامة

المطلب الأول

في غـزوة بـدر

عندما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ظافراً منصوراً بعد معركة بدر؛ كان معه كثير من الأسرى وكان من بين هؤلاء أسيران ظهرت عداوتهما لله ولرسوله ﷺ.

وكان من الحكمة حينئذٍ الاقتصاص من هذين المجرمين اللذين كانا من أشد الناس كفراً وبغياً، وكانا من أكبر دعاة الحرب ضد الإسلام والمتربِّصين بالمسلمين الدوائر. وبقاؤهما يُعَدُّ مصدرَ خطرٍ كبير على الإسلام، ولا سيما في تلك الظروف الحاسمة التي تمرّ بها الدعوة الإسلامية، فلو أُطلق سراحهما لَمَا تورّعا عن سلوك أي طريق فيه كيدٌ للإسلام وأهله. فقتلهما في هذا الظرف ضرورة تقتضيها المصلحة العامة لدعوة الإسلام الفتيّة[1].

كما أن في قتلهما شفاءً لغيظ المسلمين الذين لاقَوْا منهما ومن أمثالهما المتاعب الكثيرة في مكة قبل الهجرة.

أما الأول: فهو النضر بن الحارث بن علقمة، وهو ابن خالة النبي ﷺ، وقد آذى رسولَ الله ﷺ كثيراً، وهو صاحب لواء المشركين يوم بدر، فلما كان رسول الله ﷺ بالصَّفْرَاء[2] أمر بقتله، فقتله علي بن أبي طالب.

---

(١) انظر: غزوة بدر الكبرى ص ١٦٢ لمحمد أحمد باشميل.

(٢) الصَّفْرَاء وادٍ كثيرُ النخل والزرع والخير، ويعرف اليوم بـ «الواسطة» وهو على بعد (٥١) =

وأمـا الثاني: فهـو عقبة بن أبـي مُعَيْط، وقـد عُرف بعـداوته الشـديـدة لرسول الله ﷺ، فأمر عليَّ بن أبـي طالب فقتله جزاء جرمه[1].

ومن صور إيذائه للرسول ﷺ ما يأتي:

أولاً: ما ثبت في الحديث الصحيح من أنه قام بوضع سَلى الجَزور فوق ظهر النبـي ﷺ وهو ساجد. فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: (بينا النبـي ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش من المشركين إذ جاء عقبة بن أبي مُعَيط بسَلى جزور وقذفه على ظهر النبـي ﷺ، فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة ـ عليها السلام ـ فأخذت من ظهره ودعت على من صنع ذلك...)[2] الحديث.

ثانياً: ما رواه حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب، عن الشعبي، قال: لما أمر النبـي ﷺ بقتل عقبة بن أبـي مُعَيْط، قال: أتقتلني يا محمد من

= كيلاً من المدينة، وينتهي على مسافة(١٦٣)كيلاً منها، ثم يدفع في البحر على آثار مدينة الجار. انظر معجم البلدان ٣/٤١٢؛ ومعجم معالم السيرة النبوية ص ١٧٦.

(١) انظر البداية والنهاية ٣/٣٠٥، ٣٠٦.

(٢) الحديث بهذا اللفظ أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة، باب طرح جيفة المشركين في البئر ولا يؤخذ لهم ثمن، ح (٣١٨٥)، فتح الباري ٦/٢٨٢. وأخرجه في كتاب الصلاة، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى، ح (٥٢٠)، فتح الباري ١/٥٩٤، وأخرجه في كتاب الجهاد، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، ح (٢٩٣٤)، فتح الباري ٦/١٠٦، وأخرجه في كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبـي ﷺ وأصحابه المشركين بمكة، ح (٣٨٥٤)، فتح الباري ٧/١٦٥، وأخرجه في كتاب المغازي، باب دعاء النبـي ﷺ على كفار قريش: شيبة وعتبة والوليد وأبـي جهل بن هشام وهلاكهم، ح (٣٩٦٠)، فتح الباري ٧/٢٩٢.
وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب ما لقي النبيُّ ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ح (١٧٩٤)، وصحيح مسلم ٣/١٤١٨.
وأخرجه النسائي في كتاب السِّيَر، باب طرح جيف المشركين في البئر (السنن الكبرى، مخطوط، انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (٩٤٨٤)، ٧/١١٨، ١٤/١٠٧).

بين قريش؟ قال: «نعم، أتدرون ما صنع هذا بي؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها، فما رفعها حتى ظننتُ أن عيني ستندران. .»[1].

وأما الدليل على قتله فهو ما رواه أبو داود بسنده، قال: (أراد الضحاك بن قيس أن يستعمل مسروقاً فقال له عمارة بن عقبة: أتستعمل رجلاً من بقايا قتلة عثمان؟ فقال له مسروق: حدثنا عبد الله بن مسعود وكان في أنفسنا موثوق الحديث أن النبي ﷺ لما أراد قتل أبيك، قال: «من للصبية؟ قال: النار»[2] فقد رضيتُ لك ما رضي لك رسول الله ﷺ)[3].

وقد استدل الإمام الخطابي رحمه الله بقصة قتل عقبة بن أبي مُعَيْط على جواز قتل قائد الجيش للأسير إذا تحقق من وراء ذلك مصلحة[4].

ولا شك في أن قتل هذين الأسيرين: فيه مصلحة كبيرة، تتمثل فيما يلي:

أولاً: كسر شوكة أهل البغي والعدوان ولا سيما في ذلك الظرف الذي كانت تعيشه الدعوة الإسلامية.

ثانياً: شفاء صدور المسلمين وارتفاع معنوياتهم حيث يثقون تمام الثقة أن الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لمن حارب رسولَه ﷺ والمؤمنين فيدفعهم ذلك إلى الصبر وتحمّل أذى الأعداء.

---

(١) البداية والنهاية ٣/٣٠٦، وهذه القصة سندها مرسل.

(٢) قوله ﷺ: «النار» المراد به: الاستهزاء، وفيه إشارة إلى ضياع أولاده. وذكر الطيبي أن المعنى يحتمل أحد وجهين:
الأول: أن النار هنا عبارة عن الضياع.
الثاني: أن هذا الجواب من الأسلوب الحكيم، أي: لك النار، ودع أمر الصبية فإن كافلهم هو الله عز وجل. انظر سنن أبي داود ٣/١٣٦.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في قتل الأسير صبراً، ح (٢٦٨٦)، سنن أبي داود ٣/١٣٥. وهو حديث حسن.

(٤) انظر معالم السنن للخطابي ٢/٢٨٩.

المطلب الثاني

في غـزوة أحـد

تمكن المسلمـون يوم أُحُـد من أسر اثنين من المشـركين كانـا يناصبـان المسلمين العـداء؛ أما أحـدهما: فشـاعر كـان يحرّض القبـائـل على حـرب المسلمين، أمـا الثاني: فجـاسوس على المسلمين لمصلحـة قريش. وحيث إنهما مجرما حرب؛ فإن من الـحكمة أن ينالا جزاءهمـا المناسب زجـراً لهما وردعاً لأمثالهما ممّن تسوّل له نفسه الكيد للإسلام وأهله.

أما الأول: فهو الشاعر (أبو عَزّة الجُمَحي)، وقـد أسره النبـي ﷺ يـوم بـدر، فأظهـر أنه ذو عيـال وطلب منه أن يمنّ عليـه، فرقّ الـرسول ﷺ لحـاله وأطلق سراحه؛ ولكنـه عاد إلى التحـريض ضد المسلمين مـرة أخرى، فـوقع أسيراً في أيديهم يوم أُحُد وجيء به إلى الرسـول ﷺ فطلب منـه أن يمنّ عليه واشترط أن لا يعود لمثلها، ولكن النبـي ﷺ رفض التماسه وأمر بضرب عنقه.

قال ابن كثير رحمه الله: (وكان أبو عزة عمـرو بن عبد الله الجُمحي قـد منّ عليـه رسول الله ﷺ يـوم بدر، وكـان فقيـراً ذا عيـال وحـاجـة، وكـان في الأسارى، فقال له صفوان بن أمية: يا أبا عزة، إنك امرؤ شاعر، فأعنّا بلسانك واخرج معنا، فقال: إن محمداً قـد منّ عليَّ فلا أريـد أن أظاهـر عليه، قـال: بلى، فأعنا بنفسك، فلك الله إن رجعتَ أن أُغنيك وإن قُتلت أن أجعل بناتك مع بناتي، يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر، فخرج أبو عـزة يسير في تهـامة ويدعو بني كنانة ويقول:

أيـا بـني عـبـد مـنـاة الـرزّام[1] أنـتـم حـمـاة وأبـوكـم حـام

لا يعـدوني نصـركم بعـد العـام لا تسلمـوني لا يحـل إسـلام)[2]

---

(١) الرزّام على وزن فَعّال، هو من الرجال: الصعب المتشدد، قاله ابن منظور واستشهد على ذلك بشعر أبي عزة هذا. انـظر لسان العرب ١/١١٦٢.

(٢) انـظر البداية والنهاية ٤/١٠؛ ومغازي الواقدي ١/٢٠١.

فلما كان يوم أُحُد أسره المسلمون، فقال أبو عزة: يا رسول الله أقلني، فقال رسول الله ﷺ: «لا والله، لا تمسح عارضيك[1] بمكة بعدها وتقول: خدعت محمداً مرتين، اضرب عنقه يا زبير»[2]، فضرب عنقه. فقال النبي ﷺ حينئذٍ: «لا يُلدغ[3] المؤمن من جحر مرتين»[4]. فصار هذا الحديث مثلاً ولم يُسمع قبل ذلك[5].

ويُعَدّ هذا الفعل من قبيل السياسة الشرعية لأن هذا الشاعر من المفسدين في الأرض، الداعين إلى الفتنة، ولأن في المنّ عليه تمكيناً له من أن يعود حرباً على المسلمين.

---

(١) عارضيك: العارضان: هما جانبا الوجه. والعارض من اللحية: ما ينبت على عرض اللحى فوق الذقن. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٢١٢؛ ولسان العرب ٢/٧٤٢.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٥٦.

(٣) لا يلدغ: تروى على وجهين:
الأول: بضم الغين على أنها خبر ومعناها أن المؤمن الممدوح هو الكيّس الحازم، الذي لا يُؤتى من ناحية الغَفْلَة فيُخدع مرة بعد أخرى وهو لا يشعر بذلك.
الثاني: بكسر الغين، على أنها نهي، فكأنه قال: لا يخدعن ولا يؤتين من ناحية الغفلة فيقع في مكروه وهو لا يشعر وليكن متيقظاً حذراً. انظر: سنن أبي داود ٥/١٨٥.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لا يُلْدَغ المؤمن من جحر مرتين، ح (٦١٣٣)، فتح الباري ١٠/٥٢٩.
وأخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب: لا يُلْدَغ المؤمن من جحر مرتين، ح (٢٩٩٨)، صحيح مسلم ٤/٢٢٩٥.
وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب الحذر من الناس، ح (٤٨٦٢)، سنن أبي داود ٥/١٨٥.
وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب العزلة، ح (٣٩٨٢)، سنن ابن ماجه ٢/١٣١٨.
وأخرجه الدارمي في كتاب الرقاق، باب لا يُلْدَغ المؤمن من جحر مرتين، سنن الدارمي ٢/٣١٩.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/١١٥، ٣٧٩.

(٥) انظر: فتح الباري ١٠/٥٣٠.

وأما الثاني: فهو معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، وقد كان يتجسس على المسلمين لصالح قريش، إذ إنه: (لما رجع الكفار من أُحُد ذهب على وجهه ثم أتى باب عثمان فدقّه... فجاء عثمان فلما نظر إليه قال: أهلكتني وأهلكتَ نفسكَ، فقال: يا ابن عم لم يكن أحد أمسّ بي رَحِماً منك، فأجرني، فأدخله عثمان رضي الله عنه منزله وصيّره في ناحية، ثمّ خرج عثمان ليأخذ له أماناً من رسول الله ﷺ، فسمع رسول الله ﷺ يقول: «إن معاوية بالمدينة فاطْلبوه»، فدخلوا منزل عثمان فأشارت إليه أم كلثوم رضي الله عنها بأنه في ذلك المكان، فأخرجوه وأتَوْا به رسول الله ﷺ فأمر بقتله، فقال عثمان رضي الله عنه: والذي بعثك بالحق، ما جئتُ إلاّ لآخذ له أماناً، فهبه لي، فوهبه له وأجّله ثلاثاً، وأقسم ﷺ إن وجده بعدها قتله وخرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد فأقام معاوية ثلاثاً يستعلم أخبار رسول الله ﷺ ليأتي بها قريشاً، فلما كان في اليوم الرابع عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة فخرج معاوية هارباً، فأدركه زيد بن حارثة وعمّار بن ياسر رضي الله عنهما فرمياه حتى قتلاه، وقد كان ﷺ بعثهما إليه وقال لهما: «إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا»، أي بموضع بينه وبين المدينة ثمانية أميال، فوجداه به فقتلاه)[1].

ولا شك في أن ما ارتكبه معاوية من التجسس يُعَدّ جرماً خطيراً يهدد أمن الدولة الإسلامية. لذا فإنه ينبغي أن تكون عقوبة هذا المجرم مناسبة للعمل الذي قام به، ولا أنسب حينئذٍ من القتل.

ويُعَدّ تنفيذ الرسول ﷺ حكم الإعدام في ذلك المجرم من باب «السياسة الشرعية» التي تراعي مصالح الناس في كل زمان ومكان.

---

(١) انظر السيرة الحلبية ٢/ ٢٦٠.

المبحث الرابع عشر
ثبات القائد في ميدان القتال
له أثر في كسب نتائج المعركة لصالح جيشه

المطلب الأول
في غزوة أُحد

اقتحام ميادين الحروب سبب في تعرض المرء لكثير من المصائب والآلام النفسية والبدنية؛ لذا فإن من الصفات التي ينبغي أن تتوافر لمن أراد الدخول في تلك الميادين: الثبات والصمود أمام ضربات السيوف وطعنات الرماح وتناثر الأشلاء والدماء.

ولمّا كان لثبات القائد في ميدان القتال أثر في نفوس جنوده، فإنه من الملاحَظ أنّ الرسول ﷺ قد أعطى القدوة الحسنة لجنده يوم أُحد، حتى استطاع بثباته أن يخلص تسعة أعشار جيشه من هلاك محقّق.

وقد ذكر القاضي عياض أن الثبات في ميادين الحروب كان من صفاته ﷺ، فقال رحمه الله: (... حضر المواقف الصعبة وفرّ الكماة والأبطال عنه غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح، وما شجاع إلاّ وقد أُحصيَتْ له فرّة وحفظت عنه جولة سواه)[1] ﷺ.

كما ذكر المحدثون وأهل السِّيَر أمثلةً رائعةً من ثباته وصموده ﷺ في ذلك اليوم. وسوف أذكر في هذا المقام ثلاثة منها:

المثال الأول: عن عليّ رضي الله عنه، قال: (لمّا انجلى الناس عن

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/٦٦.

الرسول ﷺ يوم أحد نظرت في القتلى، فلم أرَ رسول الله ﷺ فقلت: والله ما كان ليفرّ ولا أراه في القتلى، ولكن أرى أن الله غضب علينا بما صنعنا، فرفع نبيّهﷺ، فما لي خير من أن أقاتل حتى أُقتَل، فكسرت جفن سيفي، ثم حملت على القوم فأفرجوا لي فإذا برسول الله ﷺ بينهم)(١).

المثال الثاني: عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أُفرد يوم أُحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه قال: «من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة؟» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل، ثم رَهِقُوه أيضاً، فقال: «من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة؟» فتقدّم رجل من الأنصار فقاتَل حتى قُتل، فلم يزل كذلك، حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: «ما أَنْصَفْنا أصحابَنا»(٢).

المثال الثالث: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (لمّا كان يوم أُحد وولّى الناس، كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً من الأنصار، وفيهم طلحة بن عبيد الله، فأدركهم المشركون فالتفت رسول الله ﷺ وقال: «من للقوم»؟ فقال طلحة: أنا، قال رسول الله ﷺ: «كما أنت»، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فقال: «أنت»، فقاتل حتى قُتل، ثم

---

(١) الحديث: أخرجه أبو يعلى. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١١٢، قال الهيثمي ـ بعد عزوه لأبي يعلى ـ : وفيه محمد بن مروان العُقيلي وبقية رجاله رجال الصحيح.
وقد ترجم له الذهبي فقال: محمد بن مروان العقيلي روى عن يونس بن عبيد وغيره، قال أبو زرعة: ليس بذاك، وقال أبو داود: صدوق، وليّنه أحمد. انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٤/٣٣.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب غزوة أحد، ح (١٧٨٩)، صحيح مسلم ٣/١٤١٥.
وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (مخطوط ـ انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (٣٣٧)، ١/١٢٢، وح (١٠٩٧)،١/٢٩٠).
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٤٦٣.

التفت فإذا المشركون، فقال: «من للقوم»؟ فقال طلحة: أنا، قال: «كما أنت»، فقال رجل من الأنصار: أنا ، فقال: «أنت»، فقاتل حتى قُتل، ثم لم يزل يقول ذلك ويخرج إليهم رجل من الأنصار فيقاتل قتالَ من قبله حتى بقي رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله، فقال رسول الله ﷺ: «من للقوم»؟ فقال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضُربت يده فقُطعت أصابعه، فقال: حسٍّ[1]، فقال رسول الله ﷺ «لو قلتَ بسم الله: لرفعتك الملائكة والناس ينظرون، ثم ردّ الله المشركين»)[2].

فهذه الأحاديث مجتمعة دلّت على ثبات النبي ﷺ يوم أُحد.

المطلب الثاني
في غزوة حنين

لمّا انحدر المسلمون إلى وادي حنين في عماية الصبح: كان الأعداء قد كمنوا لهم في منحنيات الوادي، فلم يشعر المسلمون إلاّ وسهام العدو تمطرهم من جميع الجهات فاضطربت صفوفهم وماج بعضهم في بعض.

ونتيجة لهول هذا الموقف انهزم معظم الجيش ولاذوا بالفرار، كل يطلب النجاة لنفسه، وبقي الرسول ﷺ ونفر قليل في المَيْدان يتصدَّوْن

---

(١) حسٍّ بكسر السين وتشديدها: هي كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما يؤلمه، أو يحرقه غفلة، كالضربة والجمرة ونحوهما. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٣٨٥؛ ولسان العرب ١/٦٣٤.

(٢) الحديث أخرجه النسائي في كتاب الجهاد، بباب ما يقوله من يطعنه العدو، ٦/٢٩، ٣٠.

وأخرجه البيهقي ــ بنحو هذا اللفظ ــ في جماع أبواب مغازي رسول الله ﷺ، في باب: تحريض النبي ﷺ أصحابَه على القتال يوم أحد وثبوت من عصمه الله عز وجل منهم معه، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٣/٢٣٦، قال ابن حجر في فتح الباري ٧/٣٦٠: إسناده صحيح.

لهجمات الأعداء، وحينئذ نادى رسول الله ﷺ بصوت مرتفع: «أين أيها الناس؟ هلمَّ إليَّ أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله»[1].

ولكن نظراً لشدة هول الموقف والرعب الذي كان يملأ القلوب، لم يسمع أحد نداءه، فأمر ﷺ عمَّه العباس بن عبد المطلب ـ وكان رجلاً صيِّتاً ـ أن ينادي في الناس.

وعندما سمع المسلمون الصوت أقبلوا نحو مصدره والتفوا حول نبيِّهم ﷺ[2].

وبدأت موازين المعركة تتغير لصالح المسلمين وتأخذ شكلاً جديداً فقد قويت روح المسلمين المعنوية حين رأوا النبي ﷺ ثابتاً لا تزعزعه أهوال المعركة ولا تزيده ضراوتها وعنفوانها إلّا ثباتاً وإصراراً.

ولقد كان لموقف الرسول ﷺ الشجاع أثر واضح على سير المعركة ونتائجها، حيث تحقق لهم النصر على عدو يفوقهم عَدَداً وعُدّة، وهذا يدل على عِظَم تأثير ثباتِ القائد على نفسيات جنده.

وذلك أنّ القائد إذا واجه اللحظات الحرجة في ميدان الحرب بالثبات والقوة والشجاعة، انتقلت هذه الصفات إلى أتباعه، لأن القائد كالمرآة التي يرى فيها الجنديّ نفسَه والقدوة التي يترسم خطاها في سلوكه.

وبناءً على ما تقدّم يمكن أن نقول: إن النصر الذي أحرزه المسلمون يوم حنين في الصفحة الثانية من القتال كان أعظم أسبابه ـ بعد مشيئة الله ـ ثبات الرسول ﷺ وسط الميدان بعد أن فرَّ معظم الجند من ساحة القتال[3].

---

(١) الحديث سبق تخريجه في ص ٢٥٤.

(٢) انظر نص الحديث الوارد في هذا الشأن في ص ٢٥٦، ٢٥٧.

(٣) انظر العبقرية العسكرية ص ٦٠١؛ والرسول القائد ص ٣٨٠؛ والمدرسة العسكرية ص ٦١٤؛ واقتباس النظام العسكري في عهد الرسول ﷺ ص ١٣١؛ وفتح الباري ٨/٣٢؛ وغزوة حنين ص ١٢٩، ١٥٠، ٣٧١، ٣٧٢: لمحمد أحمد باشميل.

ويستفاد من جميع الأمثلة السابقة في هاتين الغزوتين درس مهم، وهو: أن ثبات القائد في المعركة له أثر فعّال على سير المعركة ونتائجها، فالقائد الذي يثبت في المواقف الصعبة يعلّم جنوده بلسان الحال قبل لسان المقال الثبات أمام الأعداء.

ولا شكّ في أن رؤية الجند قائدهم وهو وسط المعركة يصطلي بنارها وتصيبه شدائدُها ولأواؤها، أعظم من ألف خُطبة من قائد يحثّهم على الصبر والثبات وهو بعيد عن أرض المعركة يتمتع بلذائذ العيش وزخارف الحياة.

المبحث الخامس عشر
تطبيق حرب الدعاية للتأثير على معنويات الأعداء

المطلب الأول
في صلح الحديبية

تُعَدّ حرب الدعاية من أهم أركان الحرب الباردة التي تؤثر على معنويات الأعداء، حيث إنها في بعض الظروف تفوق الأسلحة والجيوش الجرارة.

وقد طبق النبي ﷺ هذا النوع في صلح الحديبية حيث أمر أصحابه أن يبعثوا البُدْن أمام الحليس بن علقمة، وأن يستقبلوه وهم يلبّون، حتى ينقل الحليس هذه الصورة التي شاهدها إلى قريش لتكون بمثابة الدليل الواضح على حسن مقاصد المسلمين[1].

أخرج الإمام أحمد من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم خبر بعث قريش للحليس بن علقمة، فقال: (... فبعثوا إليه الحليس بن علقمة الكناني وهو يومئذ سيد الأحباش، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هذا من قوم يتألّهون فابعثوا الهَدْيَ في وجهه»، فبعثوا الهدي فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، قد أكل أوتاره من طولِ الحبس عن مَحِلّه رجع ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى، فقال: يا معشر قريش قد رأيت ما لا يحلّ صدّه، فقالوا: اجلس إنما أنت أعرابيّ لا علم لك...)[2].

---

(١) انظر: الرسول القائد ص ٢٧٤، ٢٨٧.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه في ص ١٩٦.

المطلب الثاني

في فتح مكة

طبق الرسول القائد ﷺ هذه الحرب في فتح مكة فقد أمر ﷺ عمَّه العباس ـ رضي الله عنه ـ أن يحبس أبا سفيان بعدما أسلم عند مضيق الجبل، حتى تمرّ به جنود الله فيراها[1] ، فقال: «احبس أبا سفيان عند مضيق الجبل، حتى ينظر إلى المسلمين»[2]. وقد قصد النبي ﷺ من ذلك القضاء على روح المقاومة لدى أبي سفيان وهو قائد قريش وسيّدها ولأن شخصية القائد لها أثر على جنوده. وإنما أمر النبي ﷺ بحبس أبي سفيان عند مضيق الجبل حتى تمرّ به كتائب الإسلام فلا يفوته شيء منها وحتى يرى بعينيّ رأسه مدى قوة ما وصل إليه الجيش الإسلامي من تسليح وتنظيم وحسن طاعة وانضباط لكي يقضي هذا المشهد الرائع على أي فكرة في نفوس المكّيّين يمكن أن تحملهم على مقاومة هذا الجيش إذا دخل مكة لتحريرها من براثن الشرك والوثنية. وقد تحقق له ﷺ ما أراد حيث سيطرت الدهشة على عقل أبي سفيان فصار يحدث نفسه قائلاً: ما لأحد بهؤلاءقِبَلٌ ولا طاقة، ولما عاد إلى قومه عبّر عن شعوره بما شاهده قائلاً: يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَل لكم به[3].

وبهذا يكون الرسول القائد ﷺ سعى إلى تحطيم مقاومة قريش دون

---

(١) انظر الحديث الوارد في شأن هذا الشأن وتخريجه في ص ٢٢٩.

(٢) الحكمة ـ والله أعلم ـ من استعراض الجيش أمام أبي سفيان عند مضيق الجبل هي: أن يكون هذا المشهد قريباً منه، ولو كان هذا الاستعراض حدث في صحراء واسعة لما أثّر في نفسه كتأثيره وهو يمر أمام عينيه في مضيق الجبل، وهذا أمر معقول في حياة الناس.

(٣) انظر: البداية والنهاية ٤/ ٢٩٠.

قتال، ثم أجّل العمليات الحربية حتى ضمن انحلال روحها المعنوية، فجعل ﷺ قريشاً تنهزم عن طريق نفسها.

والدليل على نجاح هذه الخطة أن الرسول ﷺ لما دخل مكة بجيشه لم يجد من أهلها مقاومة تُذكر، بل استسلموا للجيش الفاتح[1].

---

(١) انظر: فتح الباري٨/٨؛ والسيرة النبوية لابن هشام ٤/٢٣؛ وزاد المعاد في هدي خير العباد ٢/١٩١؛ والرسول القائد ﷺ ص ٣٣٧، ٣٤٩؛ والعبقرية العسكرية في غزوات الرسول ص ٥٦٩؛ والمدرسة العسكرية الإسلامية بين النظرية والتطبيق ص ٦٠: للواء محمد فرج، ط الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ـ القاهرة، سنة (١٣٩٥هـ)؛ والنظرية الإسلامية في الحرب النفسية ص ٧٢: للواء محمد جمال الدين محفوظ، دار الاعتصام ـ القاهرة؛ وفتح مكة ص ٢٣؛ وفقه السيرة للبوطي ص ٤٠٧.

المبحث السادس عشر

مراعاة المصلحة العامة عند اختيار المكان الذي يُجَابه فيه العدو

المطلب الأول

في غـــزوة حنـــين

يُعَدّ اختيار المكـان الذي تـدور عليه المعـركة ذا أثـر فعّال على سيـرها ونتائجها. ولهذا فقد كان الرسول ﷺ يولي هذا الأمر عناية تامة.

ومن الأمثلة على ذلـك أنه عنـدما علم ﷺ بتحـرك هـوازن من ديـارهـا وتوجهها إلى مكة سارع إلى حشـد قواتـه لكي يواجـه هذا الجيش الكبيـر في حنين قبل أن يصل إلى هدفه الذي رسمه قائده.

وتعَـدّ هذه الخـطة من الرسـول ﷺ سياسـة حكيمة هـداه الله سبحانـه وتعالى إلى سلوكها. فقد قدّر ﷺ أنه لو تـرك هؤلاء الأعداء حتى يـدخلوا مكة لَتَرَتَّب على ذلك أمران خطيران.

الأول: خسران النصر الذي كسبه المسلمـون بفتح مكـة وتطهيـرها من أرجاس الوثنية حيث سيعودالمكّيونإلى جاهليتهم مرة أخرى.

الثـاني: أن من المرجّـح أن ينتهز القـرشيون فـرصة دخـول هوازن إلى البلد الأمين فيشكلوا جبهـة داخلية مهمتهـا توجيـه ضربـة قاصمـة إلى الجيش الإسلامي من الخلف، مع أن هذا الجيش في الوقت نفسه يقاوم جيش هوازن يبلغ تَعداده عشرين ألف رجل مسلح.

ولا شك في أن هذه الأعداد الكثيرة لو تكالبت على المسلمين في مكان واحد لقُضي على معظم أفراد الجيش الإسلامي، ولكن عناية الله ولطفه بعباده جعلت الرسول ﷺ يتبـع هذه السياسة الحكيمة.

وبالتأمل في هذه الخطة الحربية يتبين موقف آخر يدل على براعة الرسول ﷺ العسكرية وبُعْد نظره وإدخال أصعب الأمور احتمالاً في الحسبان حتى لا يُفاجَأ بأمر غير متوقَّع.

المطلب الثاني

في غــزوة تبــوك

عندما علم النبي ﷺ بعزم الروم على غزو المسلمين كان أمامه اختياران لا ثالث لهما.

الأول: أن يترك الروم حتى يتقدموا إلى الصحراء ثم يقوم بمواجهتهم في الوقت والمكان اللذين يختارهما.

الثاني: أن يتقدم بجيشه إلى حدود بلادهم ويهاجمهم هناك. وقد استقر رأيه ﷺ على الأخذ بهذا الحل، حيث ذهب بجيشه إلى تبوك الواقعة على حدود بلاد الشام.

وإنما أخذ ﷺ بالحل الثاني لما له من ميزات حسنة متعددة. وسوف أقتصر في هذا المقام على ذكر ثلاث ميزات عسكرية[1]:

الأولى: أن الهجوم على بلاد العدو يمنح القائد وجنده روحاً قتالية عالية وشجاعةً في القتال وحماسةً في مواجهة العدو ورغبةً قويةً في تدمير قواه وإلحاق الهزيمة به. ومن جهة أخرى فإن الهجوم له تأثير فَعَّال على الروح المعنوية للعدو، إذ يتعرض هذا الجانب لهزات قوية فيكون لذلك أثر مباشر على سير القتال.

الثانية: أن القتال على حدود بلاد الشام يكسب المسلمين عمقاً استراتيجياً يمكن أن يستغلّوه لصالحهم في حالة تفوّق العدو عليهم، حيث

---

(١) انظر بقية هذه الميزات في مبحث نتائج غزوة تبوك في ص ٣٠٨، ٣٠٩.

يتمكنون في هذا الظرف من الارتداد إلى الخلف لمسافات مناسبة لإعادة تنظيمهم وتنسيق قواتهم ثم القيام بهجوم مضاد.

الثالثة: أن قطع المسافة من المدينة إلى منطقة تبوك والتي تقدر بـ (٧٧٨) كيلاً يُعَدّ تدريباً عملياً للجند وصقلاً لصفات المحارب الذي سيخوض المعارك الإسلامية القادمة[1].

(١) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ص ٦٣٨، ٦٣٩.



الفَصْلُ الثَّانِي

الدُّرُوسُ القِيَادِيَّة

الخاصّة بكلّ غزوة

المبحث الأول

الدروس القيادية المستفادة من غزوة بدر

المطلب الأول

الاستفادة من الظروف الطبيعية أثناء قتال الأعداء

لقد كان الرسول ﷺ يستفيد من كل الظروف الطبيعية في ميدان المعركة لمصلحة جيشه.

ومن الأمثلة على استفادته من تلك الظروف ما فعله ﷺ قبل بدء القتال يوم بدر، وفي ذلك يقول المقريزي: (وأصبح ﷺ ببدر قبل أن تنزل قريش فطلعت الشمس وهو يصفّهم فاستقبل المغرب وجعل الشمس خلفه فاستقبلوا الشمس)[1].

وهذا التصرف يدل على حسن تدبيره ﷺ لأمر الحرب واستفادته حتى من الظروف الطبيعية لما يحقق المصلحة لجيشه، وإنما فعل ﷺ ذلك لأن الشمس إذا كانت في وجه المقاتل تسبّب له عَشا[2] البصر فتقلّ مقاومته ومجابهته لعدوه[3]. وفي هذا المعنى يقول الأنصاري: (يجب على صاحب

---

(١) إمتاع الأسماع للمقريزي ١/ ٧٩.

(٢) العشا: يقال عشا يعشو عشواً وهو: سوء البصر بالليل والنهار يكون في الناس والدواب والإبل والطير، وقيل: العشا: سوء البصر من غير عمى. ويطلق على من لا يبصر في الليل ويبصر في النهار. انظر لسان العرب ٢/ ٧٨٧.

(٣) انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٧/ ١٧٥: للشيخ محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، راجعه وصححه عبد الرحمن محمد عثمان، مطبعة الفجالة الجديدة، الطبعة الثانية، سنة (١٣٨٤هـ).

العسكر أن يجتهد أن يكون مصافه في وقت يكون الشمس أو الريح فيه من وراء ظهر عسكره، أما استدبار الشمس فلأنه إذا استقبلها وقع شعاعها على السلاح المصقول من السيوف والخَوَذ[1] وغيرها فيلحق شعاعها الأعين فتكلّ الأبصار عن النظر، وربما أثّر في بعضها ذهاب البصر بالكلية. وأما استدبار الريح فلكي يسلم مما تلقيه الريح في العيون من التراب والرمل فإنه متى سفت الريح التراب والرمل في الأعين دعا ذلك إلى إطباق الجفون وقد نُهِيَ عن إطباق الجفون في الحرب عند اللقاء ولو أنه يرى السِّلاح يكاد يدخل في عينه، لأنه بإطباق الجفون يصير المقاتل كأنه أعمى، والأعمى لا نفع له في الحرب. كما أن الشمس والريح إذا كانت في وجه العدو فإنها تضعف مقاومته وبذلك يصاب بالهزيمة)[2].

وفيما فعله الرسول ﷺ يوم بدر إشارة إلى أن الظروف الطبيعية كالشمس والريح والتضاريس الجغرافية وغيرها لها تأثير عظيم على موازين القوى في المعركة.

إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن ينصر نبيه ﷺ بجند من عنده دون أن يلجأ إلى الاستفادة من تلك الظروف، ولكنه ﷺ أراد بهذا العمل أن يقتدي به القادة العسكريون من هذه الأمة، وذلك بالاستفادة من تلك الظروف التي في مقدور كل قائد الأخذ بها حتى يتحقق النصر لجيوش المسلمين في حروبها مع أعدائها.

---

(١) الخَوَذ: جمع، مفرده خَوْذَة، وهي المِغْفَر، وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يُلبس تحت القلنسوة. انظر: الإفصاح في فقه اللغة ١/٦١٥.

(٢) تفريج الكروب في تدبير الحروب ـ ص ٧٠؛ وانظر مختصر في سياسة الحروب ـ ص ٣٣؛ والتمثيل والمحاضرة ـ ص ١٥٣، تأليف عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق محمد عبد الفتاح الحلو، سنة (١٣٨١هـ)، دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه؛ وفكاهة الأذواق من مشارع الأشواق ـ ص ٧٤: للشيخ محمود العالم، المطبعة السنية الكبرى، سنة (١٢٩٠هـ)؛ وبطل الأبطال ـ =

المطلب الثاني

تطبيق أسلوب القيادة المناسب في الوقت المناسب

القيادة الحكيمة هي التي تتصرف في كل موقف حسب ما تدعو إليه المصلحة وذلك لاختلاف مقتضيات الأحوال والظروف. وقد طبّق الرسول ﷺ في الجانب العسكري أسلوب القيادة المُقْنِعَة في مكانها المناسب، كما طبّق أسلوب القيادة التوجيهية في مكانها الصحيح.

أما أخذه بالأسلوب الإقناعي في غزوة بدر فقد تجلّى في استشارة الصحابة في المواطن الأربعة التي سبق ذكرها[1]، لأن الرسول ﷺ لا يقود جنده بمقتضى السلطة، بل بالكفاءة والثقة، وهو ﷺ أيضاً لا يستبدّ برأيه بل يتبع مبدأ الشورى وينزل على الرأي الذي يبدو صوابه.

والدين الإسلامي يدعو إلى أن تكون الصلة بين القائد وأتباعه على أساس من المحبة والرفق[2]. قال تعالى: ﴿فبما رحمةٍ من اللَّهِ لِنْتَ لهم ولو كنتَ فظّاً غليظَ القلب لا نفضّوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفِرْ لهم وشاورهم في الأمر﴾[3]. قال سيد قطب رحمه الله: (لو كان ﷺ فظّاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ولا تجمّعت حوله المشاعر، فالناس في حاجة

= ص ٨٤، تأليف الشيخ عبد الرحمن عزّام، مكتبة البيان ساحة رياض الصلح ــ بيروت، سنة (١٩٦٨م).

(١) المواطن الأربعة هي:

الأول: مشاورتهم في الخروج للعير حين علم بقدومها. وقد سبق ذكره في ص ١١١.

الثاني: مشاورتهم عندما علم بخروج قريش لتدافع عن عيرها. وسبق ذكره في ص ١١٢.

الثالث: قبول مشورة الحباب بن المنذر في المنزل المناسب. وقد سبق ذكره في ص ١١٧.

الرابع: مشاورتهم في أسرى الحرب. وقد سبق ذكره في ص ١٤١ ــ ١٤٣.

(٢) انظر المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ٢٩١.

(٣) الآية ١٩٥ من سورة آل عمران.

إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا، وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ، وهكذا كانت حياته مع الناس)[1].

أما سلوكه ﷺ أسلوب القيادة التوجيهية في غزوة بدر فيتجلى في ثلاثة أمور هي:

الأمر الأول: أمره ﷺ الصحابة برمي الأعداء إذا اقتربوا منهم لأن الرمي يكون أقرب إلى الإصابة في هذه الحالة.

الأمر الثاني: نهيه ﷺ عن سلّ السيوف إلى أن تتداخل الصفوف.

الأمر الثالث: أمره ﷺ الصحابة بالاقتصاد في الرمي[2].

فقد سلك الرسول ﷺ في هذه الأمور الثلاثة أسلوب القيادة التوجيهية، لأن المقام يقتضي الحزم والجدّ، إذ إن في أخذه بهذا الأسلوب ـ في هذا الظرف ـ تحقيقاً لمصلحةٍ ودفعاً لمفسدة.

المطلب الثالث

مشروعية تحريض القائد جنده على قتال الأعداء

كان الرسول ﷺ يحثّ أصحابه على القتال ويحرّضهم عليه امتثالاً لأمر ربه عز وجل حيث قال: ﴿يا أيها النبيُّ حرِّض المؤمنين على القتال إن يكنْ منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكنْ منكم مائةٌ يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾[3].

وقد تنوّعت أساليب التحريض فتارة كان يبيّن لهم منزلةَ من قُتل في

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٥٠٠، ٥٠١.

(٢) انظر غزوة بدر الكبرى ص ٦٣، ٦٤: للدكتور محمد عبد القادر أبوفارس.

(٣) الآية ٦٥ من سورة الأنفال.

سبيل الله[1]، وأخرى كان يبشرهم بالنصر[2]، وتارة ثالثة كان يَعِد من قتل قتيلاً أن يعطِيَه سَلَبه[3].

وفي غزوة بدر الكبرى قضى ﷺ بسلب أبي جهل ــ لعنه الله ــ لمعاذ بن عمرو بن الجموح[4].

ولهذا ذهب بعض الفقهاء إلى القول بمشروعية إعطاء القاتل سلب قتيله إذا كان يتحقق من وراء ذلك مصلحة عامة[5].

وقد اشترط بعضهم عدة شروط لاستحقاق القاتل سلب المقتول تتلخص في الآتي:

الشرط الأول: أن يكون القاتل ممن يستحق السهم في الغنيمة، فأما المخذِّل والمرجِف والكافر ــ إذا حضروا عوناً للمسلمين ــ فإنهم لا يستحقون السلب، لأن هؤلاء الأصناف لا يستحقون شيئاً من الغنيمة.

الشرط الثاني: أن يقتله والحرب قائمة، كأن يبارزه أو يحمل على صف المشركين ويطرح نفسه فيقتله، فأما إذا رمى في صف المشركين بسهم فقتل رجلاً فلا يستحق سلبه.

الشرط الثالث: أن يكون المقتول ممتنعاً، فإن كان مثخناً بالجراح أو أسيراً فلا يستحق قاتله السلب.

الشرط الرابع: أن يكفي المسلمين شرَّه، وذلك بأن يكون المقتول

---

(١) سبق ذكر دليل هذا الأمر في ص ١٣٢.
(٢) سبق ذكر دليل هذا الأمر في ص ١٣٠، ١٣٢.
(٣) سبق ذكر دليل هذا الأمر في ص ٣٥٧.
(٤) سبق ذكر دليل هذا الأمر في ص ٣٥٣.
(٥) انظر كتاب الكافي ١/٤٧٧؛ والبحر الرائق شرح كنز الدقائق ٥/٩١، ٩٢؛ والاختيار لتعليل المختار ٤/٢٠٩؛ واللباب في شرح الكتاب ٤/١٣٠؛ والمغني ٩/٢٢٩.

حين قَتْله صحيحاً غير زَمِن ولا مقعد، فأما إذا قتل زَمِناً أو مُقْعَدَاً لا يقاتل فإنه لا يستحق سلبه.

الشرط الخامس: أن يكون المقتول من المقاتلة الذين يجوز قتلهم، فلا يكون امرأة أو صبياً أو شيخاً، وذلك لنهيه[1] ﷺ عن قتل هؤلاء[2].

المطلب الرابع

مراعاة المصلحة العامة في أسرى الحرب

نتيجة لقتال المؤمنين في بدر وانتصارهم على المشركين وقع سبعون رجلاً منهم في الأسر[3].

وحيث إن هذا الأمر لم ينزل فيه حكم من الله سبحانه وتعالى استشار الرسول ﷺ اثنين من كبار الصحابة، هما: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فأشار عليه أبو بكر رضي الله عنه أن يأخذ من هؤلاء الأسرى فديةً حتى تكون للمسلمين قوة على الأعداء، بينما كان رأي عمر رضي الله عنه أن الحكم المناسب في هؤلاء الأسرى هو ضرب أعناقهم[4].

ولكن الرسول ﷺ أخذ برأي أبي بكر، فنزل القرآن الكريم يعاتبه على ذلك. قال تعالى: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يُثْخِنَ في الأرض تريدون عرضَ الدنيا واللَّهُ يريد الآخرة والله عزيز حكيم* لولا كتابٌ من الله سبق لمسَّكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾[5].

وإنما كره الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ أخذ الفداء يوم بدر لسببين:

السبب الأول: أن المسلمين في هذا الوقت لا يزالون قلةً، والمشركون

---

(١) انظر المغني ٩/٢٣٥، ٢٣٦؛ والمجموع شرح المهذب ١٨/١١٣، ١١٤.

(٢) انظر دليل النهي عن قتل هؤلاء الأصناف في ص ١٠٠، ١٠١.

(٣) انظر الدليل على وقوع هذا العدد من الأسرى في ص ١٤١.

(٤) انظر الدليل على هذه المشاورة في ص ١٤١ ـ ١٤٣.

(٥) الأيتان ٦٧ و٦٨ من سورة الأنفال.

لا يزالون كثرةً، وكان نقص عدد المشركين مما يكسر شوكتهم ويحطم كبرياءهم فيجعلهم عاجزين عن معاودة الكرة على المسلمين، ولا شك في أن تحقيق هذا الأمر يُعَدّ مصلحة كبرى، لا يعدلها المال الذي أخذه المسلمون فداءً من أسرى المشركين بقصد التقوِّي به على الجهاد في سبيل الله.

السبب الثاني: إظهار العداوة والبغضاء لهؤلاء المشركين، ويتجلّى هذا السبب في مشورة عمر رضي الله عنه على الرسول ﷺ بضرب أعناق هؤلاء الأسرى، حيث قال: (... أرى أن تمكنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان ـ أخيه ـ فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين هؤلاء صناديدهم وأئمتهم...)[1].

ويتجلى في هذا الرأي حزمُ عمر ودقة فهمه. وذلك في نظره للمصلحة العامة في ذلك الظرف المعين، وهذه الحادثة تُعَدّ من المسائل التي وافق فيها رأي عمر ـ رضي الله عنه ـ كتاب الله سبحانه وتعالى.

وقد ذكر ابن قدامة ـ رحمه الله ـ تقسيماً بديعاً لمراعاة المصلحة في أسرى الحرب، فقال: (وإذا سبى الإمام فهو مخيَّر: إنْ رأى قَتَلهم، وإنْ رأى مَنَّ عليهم بلا عوض، وإن رأى أطلقهم على مال يأخذه منهم، وإن رأى فادى بهم، وإن رأى استرقّهم، أيُّ ذلك رأي فيه نكاية العدو وحظاً للمسلمين فعل... لأن كل خصلة من هذه الخصال قد تكون أصلح في بعض الأسرى، فإن منهم من له قوة ونكاية في المسلمين، وبقاؤه ضرر فقتله أصلح، ومنهم الضعيف الذي له مال كثير ففداؤه أصلح، ومنهم حسن الرأي في المسلمين يُرجى إسلامه بالمنّ عليه أو معونته للمسلمين بتخليص أسراهم والدفع عنهم فالمنّ عليه

(١) هذا الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/٣٢، وقد سبق تخريجه في ص ١٤٣.

أصلح، ومنهم من يُنتفع بخدمته ويُؤمَنُ شره فاسترقاقه أصلح، كالنساء والصبيان، والإمام أعلم بالمصلحة فينبغي أن يُفوَّض ذلك إليه)[1].

ثم قال رحمه الله: (. . . إذا ثبت هذا: فإن هذا تخييرُ مصلحة واجتهاد لا تخيير شهوة، فمتى رأى المصلحة في خصلة من هذه الخصال تعيّنت عليه ولم يجز العدلُ عنها، ومتى تردّد فيها فالقتل أَوْلى)[2].

وقد فعل الرسول ﷺ هذه الخصال الأربع جميعها ويتلخص ذلك في الفروع الآتية:

● **الفرع الأول: القتل:**

قتل رسول الله ﷺ عقبة بن أبي مُعَيْط والنضر بن الحارث، بعد عودته من غزوة بدر[3].

وقَتل ﷺ أبا عَزّة الجُمَحي ومعاوية بن المغيرة وذلك بعد أسرهما يوم أُحد[4].

وإنما قَتل ﷺ هؤلاء الأربعة لظهور المصلحة دون غيرها من الخيارات الثلاثة في هذا الفعل.

---

(١) و(٢) المغني ٩/٢٢١، ٢٢٢؛ وانظر في هذا الموضوع تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ٣/٣٤٩؛ والمبسوط ١٠/٢٤؛ وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ٩/٤٣٢٤؛ وفتح القدير ٤/٣٠٦: للكمال بن الهمام؛ الأم للشافعي ٤/١٧٦؛ وتحفة المحتاج بشرح المنهاج ٩/٢٠٤٧؛ ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ٨/٦٨؛ وتكملة المجموع شرح المهذب ١٩/٣١٣؛ وفيض الإله للمالك في حل ألفاظ عمدة السالك ٢/٢١١؛ والمدوّنة الكبرى ٢/٩: للإمام مالك؛ وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٢/١٦٤؛ وحاشية العدوي ٢/٥؛ ومقدمات ابن رشد ٢/٢٨٧؛ والمحرّر في الفقه ٢/١٧٢؛ والفروع ٦/٢١٢، ٢١٣؛ ومطالب أولي النهي ٢/٥٢١.

(٣) انظر أدلةقتل هذين الأسيرين في ص ٤٣٥، ٤٣٦.

(٤) انظر أدلة قتل هذين الأسيرين في ص ٤٣٨ ـ ٤٤٠

● الفرع الثاني: المنّ:

ثبت أن النبي ﷺ منّ على أسرى المشركين الذين وقعوا في يده، ومن ذلك:

١ ـ منُّه على ثُمامة بن أثال: فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه، قال: (بعث النبي ﷺ خيلاً قِبَل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثُمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ، فقال: «ماذا عندك يا ثُمامة»؟ فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتُلْني تقتلْ ذا دم، وإن تُنْعِمْ تنعمْ على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فتركه حتى كان الغد، ثم قال له: «ما عندك يا ثُمامة»؟ فقال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: «ما عندك يا ثُمامة»؟ فقال: عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثُمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله . . .)[1] الحديث.

فقد دل هذا الحديث على جواز المنّ على الأسير الكافر، بغير مقابل.

٢ ـ منُّه على الأسارى الذين هبطوا من جبل التنعيم في غزوة صلح الحديبية[2].

---

(١) الحديث بهذا اللفظ أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، ح (٤٣٧٢)، فتح الباري ٨/٨٧.
وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب ربط الأسير وحبسه، ح (١٧٦٤)، صحيح مسلم ٣/١٣٨٦، ١٣٨٧.
وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الأسير يوثق، ح (٢٦٧٩)، سنن أبي داود ٣/١٢٩.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/٢٤٦، ٤٥٢، ٤٨٣.

(٢) انظر دليل القبض على هؤلاء الأسارى والمنّ عليهم في ص ٢١٠.

● الفرع الثالث: الفداء:

وقد فعل النبي ﷺ هذه الخصلة مع بعض الأسرى، حيث كانت مصلحة الإسلام وأهله تقتضي ذلك، ومن الأمثلة على ذلك:

١ ـ أخذ الفداء ﷺ من أسرى بدر: عن عليّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن جبرائيل عليه السلام هبط عليه فقال له خيِّرهم ـ يعني أصحابك ـ في أسارى بدر القتلَ أو الفداء على أن يقتل منهم قابل مثلهم قالوا: الفداء ويُقتل منّا»[1].

فقد دل هذا الحديث على قبوله ﷺ الفداء من أسرى بدر.

٢ ـ مفاداة عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: (كانت ثقيفُ حلفاء لبني عُقَيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل، وأصابوا معه العضباء[2]، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق، قال: يا محمد، فأتاه فقال: «ما شأنك»؟ فقال: بم أخذتني؟ وبم أخذت سابقة الحاج؟[3] فقال (إعظاماً لذلك): «أخذتُك بجريرة حلفائك ثقيف»، ثم انصرف عنه، فناداه فقال: يا محمد

---

(١) هذا الحديث أخرجه الترمذي في كتاب السِّيَر، باب: ما جاء في قتل الأسارى والفداء، ح (١٥٦٧)، سنن الترمذي ٥/٢٩٢، ٢٩٤، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من حديث الثوري لا نعرفه إلّا من حديث ابن أبي زائدة.

(٢) العضباء: اسم ناقة النبي ﷺ التي هاجر عليها، وتسمى ـ أيضاً ـ القصواء، والجدعاء، وكان قد أخذها ﷺ ومعها ناقة أخرى من أبي بكر الصديق رضي الله عنه. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٤٩٢؛ وتركة النبي ﷺ والسُّبُل التي وجّهها فيها ص ١٠٠، تأليف حماد بن إسحاق بن إسماعيل، دراسة وتحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، ط ١، سنة (١٤٠٤هـ).

(٣) سابقة الحاج: أراد بها العضباء المذكورة، فإنها كانت لا تسبق أو لا تكاد تسبق. انظر: صحيح مسلم ٣/١٢٦٢. وقد ثبت هذا الوصف في الحديث الصحيح: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان للنبي ﷺ ناقة تسمى «العضباء» لا تسبق، قال حميد: أو لا تكاد تُسبق. . . الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: ناقة النبي ﷺ، ح (٢٨٧٢)، فتح الباري ٦/٧٣، وأخرجه في كتاب الرقاق، باب: =

يا محمد، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً فرجع إليه فقال: «ما شأنك»؟ قال: إني مسلم، قال: «لو قلتها وأنتَ تملك أمرك: أفلحت كل الفلاح»، ثم انصرف فناداه فقال: يا محمد يا محمد، فأتاه فقال: «ما شأنك»؟ قال: إني جائع فأطعمني وظمآن فاسقني، قال: هذه حاجتك، فَفُدِيَ بالرجلين...)[1] الحديث.

● الفرع الرابع: الإسترقاق:

ثبت أن النبي ﷺ استرقّ بعض الأسارى حيث كانت مصلحة الإسلام وأهله تقتضي ذلك. والدليل على فعله ﷺ هذه الخصلة ما يأتي:

١ ـ ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: (لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد ـ هو ابن معاذ ـ بعث رسول الله ﷺ وكان قريباً منه، فلما دنا قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم»، فجاء فجلس إلى رسول الله ﷺ، فقال له: إن هؤلاء نزلوا على

= التواضع، ح (٦٥٠١)، فتح الباري ١١/ ٣٤٠.
وأخرجه النسائي في كتاب الخيل، باب السبق، سنن النسائي ٦/ ٨٢٧.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٠٣، ٢٥٣.

(١) الحديث بهذا اللفظ أخرجه مسلم في كتاب الأَيمان والنذور، باب لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد، ح (١٦٤١)، ٣/ ١٢٦٢.
وأخرجه أبو داود في كتاب الأيمان والنذور، باب في النذر فيما لا يملك، ح (٣٣١٦)، سنن أبي داود ٣/ ٦٠٩، ٦١٢.
وأخرجه النسائي في كتاب السِّيَر، باب قول الأسير: إني مسلم، (السنن الكبرى مخطوط، انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (١٠٨٨٤)، ٨/ ٢٠٣، ١٤/ ١٠٧)، وأخرجه في باب النهي عن قتل النساء. (انظر: المرجع السابق ح (١٠٨٨٨)، ٨/ ٢٠٣، ١٤/ ١٠٧).
وأخرجه الترمذي في كتاب السِّيَر، باب ما جاء في قتل الأسارى والفداء، ح (١٥٦٨)، سنن الترمذي ٥/ ٢٩٤.
وأخرجه ابن ماجه في كتاب الكفارات، باب النذر في المعصية، ح (٢١٢٤)، سنن ابن ماجه ١/ ٦٨٧.

حكمك، قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبي الذرية، قال: لقد حكمتَ فيهم بحكم الله)[1].

فقد دل هذا الحديث على جواز سبي نساء المشركين وصبيانهم واسترقاقهم.

٢ ـ أن النبي ﷺ استرقّ جويرية بنت الحارث، في غزوة بني المصطلق، وسأذكر لهذه الواقعة دليلين:

الأول: ما ثبت في الحديث الصحيح من أن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق فقتل المقاتلة وسبى الذراري وأصاب في هذه الغزوة جويرية بنت الحارث[2].

الثاني: عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (لما قسم رسول الله ﷺ

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: إذا نزل العدو على حكم رجل، ح (٣٠٤٣)، فتح الباري ٦/ ١٦٥، وأخرجه في كتاب مناقب الأنصار، باب: مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، ح (٣٨٠٤)، فتح الباري ٧/ ١٢٢، وأخرجه في كتاب المغازي، باب: مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، ح (٤١٢١)، فتح الباري ٧/ ٤٠٧؛ وأخرجه في كتاب الاستئذان، باب: قول النبي ﷺ: «قوموا إلى سيدكم»، ح (٦٢٦٢)، فتح الباري ١١/ ٤٩.
وأخرجه مسلم في كتاب الجهادوالسِّيَر، باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم، ح (١٧٦٨، ١٧٦٩)، صحيح مسلم ٣/ ١٣٨٨، ١٣٨٩.
وأخرجه الدارمي في كتاب السِّيَر، باب نزول أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، سنن الدارمي ٢/ ٢٣٨.
وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في القيام، ح (٥٢١٥)، سنن أبي داود ٥/ ٣٩٠.
وأخرجه النسائي في كتاب المناقب، باب مناقب سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه (السنن الكبرى، مخطوط، انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (٣٩٦٠)، ٣/ ٣٢٧ و ١٤/ ١٠١).

(٢) سبق ذكر الحديث الذي يدلّ على هذه الواقعة في ص ٩٢.

سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شمّاس، أو لابن عم له، وكاتَبَتْه على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلاّ أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت: فوالله ما رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحٰرث بن أبي ضرار، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخفَ عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتَبْتُه على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي، قال: «فهل لك في خير من ذلك»؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أقضي كتابتك وأتزوجك»، قالت: نعم، يا رسول الله، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، فأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أعتق بتزوجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأةً كانت أعظم على قومها بركةً منها)[1].

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٣٣٩، ٣٤٠.

المبحث الثاني

الدروس القيادية المستفادة من غزوة أحد

المطلب الأول

خطورة مخالفة أوامر القائد

يُعَدّ تنفيذ الأوامر في ميدان الحرب أمراً مهماً إذ إنه ـ بمشيئة الله ـ سبب في حصول المصالح ودفع المفاسد. ولما كان القائد وحده هو المسؤول عن سير العمليات وعن إصدار الأوامر ومراقبة تنفيذها استقر رأي العسكريين على أنه ينبغي أن تكون طاعة الجند لقائدهم طاعة لا رجعة فيها[1].

وقد أكد الرسول ﷺ على هذا الأمر في ثاني لقاء مع المشركين ليعلّم المؤمنين من بعد قادةً وجنوداً أهمية العناية بأمر الطاعة للأوامر، لأن لها أثراً كبيراً في سير المعارك ونتائجها. ففي غزوة أُحُد وضع ﷺ على جبل أُحُد جماعة من الرماة، وجعل عليهم أميراً، وذلك لحماية ظهور المسلمين من الخلف، وأكد عليهم عدم مغادرة المكان مهما كانت الحالة، ولكنهم خالفوا أمره فحلت بهم المصائب[2].

وهذا أعظم دليل على سوء عاقبة مخالفة الجنود لأمر قائدهم، حيث عمّ ضرر هذه المعصية مَنْ لم تقع منه[3].

وقد نزل القرآن الكريم يصوّر حالة المؤمنين في ذلك اليوم، وذلك في

---

(١) انظر: العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ص ٤١٣.

(٢) انظر الحديث الذي يدل على هذا الأمر في مبحث مخالفة الرماة لأمر النبي ﷺ ص ١٥٢، ١٥٦.

(٣) انظر: فتح الباري ٧/٣٥٣.

قوله تعالى: ﴿حتى إذا فَشِلْتُم وتنازعتُم في الأمر وعَصَيْتُم من بعد ما أراكم ما تحبون، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة، ثم صرفكم عنهم لِيَبْتَلِيَكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾[1]. ففي هذه الآية تقرير لحالة الرماة وقد ضعف فريق منهم أمام إغراء الغنيمة، ووقع النزاع بينهم وبين من يرى الطاعة التامة لرسول الله ﷺ، وقد انتهى الأمر بهم إلى العصيان، وحينئذٍ عاقبهم الله بأن صرف قوّتهم وانتباههم عن المشركين وصرف الرماة عن ثغرة الجبل وصرف بعض المقاتلين عن المَيْدان فلاذوا بالفرار[2].

كما كانت مخالفة الرماة سبباً في عدم إمداد المؤمنين بالملائكة في ذلك اليوم وذلك لضعف أرواحهم. يقول الشيخ محمد رشيد رضا عند تفسير قوله تعالى: ﴿إذ تقول للمؤمنين أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أن يُمِدُّكم ربُّكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يُمْدِدْكم ربُّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾[3] فقال رحمه الله: (كان المؤمنون يوم بدر في قلة وذلة من الضعف والحاجة فلم يكن لهم اعتماد إلا على الله تعالى، وما وهبهم من قوة في أبدانهم ونفوسهم، وما أمرهم به من الثبات والذكر، إذ قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقِيتُم فئةً فاثبُتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾[4]، فبذلوا كل قواهم وامتثلوا أمر ربهم ولم يكن في نفوسهم استشراف إلى شيء غيرَ نصر الله وإقامة دينه والذود عن نبيه لا في أول القتال ولا في أثنائه، فكانت أرواحهم بهذاالإيمان وهذا الصفاء قد علت وارتفعت

---

(١) الآية ١٥٢ من سورة آل عمران.
(٢) انظر في ظلال القرآن ١/٤٩٤.
(٣) الآيتان ١٢٤ و ١٢٥ من سورة آل عمران.
(٤) الآية ٤٥ من سورة الأنفال.

حتى استعدت لقبول الإلهام من أرواح الملائكة والتقوّي بنوعٍ ما من الاتصال بها.

وأما يوم أحد فقد كان بعضهم في أول الأمر على مقربة من الافتتان بما كان من المنافقين، ولذلك همت طائفتان منهم أن تفشلا. ثم إنهم لما تثبّتوا وباشروا القتال انتصروا وهزموا المشركين الذين هم أكثر من ثلثهم فكان بعد ذلك أن خرج بعضهم عن التقوى وخالفوا أمر الرسول ﷺ وطمعوا في الغنيمة وفشلوا وتنازعوا في الأمر، فضعف استعداد أرواحهم فلم ترتق إلى أهلية الاستمداد من أرواح الملائكةفلم يكن منهم مدد لأن الإمداد لا يكون إلا على حسب الاستعداد)[1].

وقد كان النصر في أول المعركة للمؤمنين ولكنهم حين خالفوا أمر قائدهم ﷺ حلّت بهم تلك المصائب. وما حدث للصحابة في ذلك اليوم يدلنا على أهمية الطاعة في الحرب وأنها أفضل من بعض القتال[2].

المطلب الثاني
ضرورة تعبئة الجند معنوياً

إذا كان الجيش يحتاج إلى إعداد مادي من السلاح والعتاد فإنه يحتاج كذلك إلى إعداد معنوي، وذلك بتعبئة أرواح الجند حتى يكونوا أقوياء على قتال أعدائهم. ومما يبين منزلة التعبئة المعنوية للجيش ما قاله أهل الخبرة بالحرب: (الرجال كالأشباح والتعابي كالأرواح فإذا حلَّتْ الأرواح الأشباح حصلت الحياة)[3].

(١) انظر تفسير المنار ٤/ ١١٤، ١١٥.

(٢) انظر شرح السِّيَر الكبير ١/ ٦٠.

(٣) العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة ص ١٣: للشيخ صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

وكان هَدْي الرسول ﷺ في الجهاد أن يحرّض أصحابه على قتال الأعداء ويحثهم على التحلي بالصبر في ميادين القتال لكي تتقوّى روحهم المعنوية ويصمدوا عند ملاقاة أعدائهم. ومن ذلك ما فعله يوم أحد؛ وفي ذلك يقول الواقدي: (ثم قام رسول الله ﷺ فخطب الناس فقال: «يا أيها الناس أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجرٍ وذخر لمن ذكر الذي عليه ثم وطّن نفسه له على الصبر واليقين والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد، شديد كربه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله رشده فإن الله مع من أطاعه وإن الشيطان مع من عصاه، فافتتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي آمركم فإني حريص على رشدكم، فإن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف مما لا يحب الله ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر)[1].

وتتلخص أهداف هذه الخطبة في ثلاثة أمور:

الأول: الحث على الجد والنشاط في ميدان الجهاد.

الثاني: الحث على الصبر عند قتال الأعداء.

الثالث: بيان مساوىء الاختلاف والتنازع.

ويستفاد من تعبئة الرسول ﷺ الروحَ المعنوية لدى جنده أن الجيش وإن كان عظيماً في تسليحه، دقيقاً في تنظيمه فإن ذلك لا يغني شيئاً إلا إذا حملته نفوس قوية تحرص على الموت أشد من حرصها على الحياة، ولن يتأتّى ذلك إلا إذا كانت قيادة الجيش تعبِّىء أرواح جندها، كلما آنست منهم ضعفاً أو تردداً، وتغرس في نفوسهم ـ كذلك ـ حب الجهاد في سبيل الله..

---

(١) مغازي الواقدي ١/٢٢١ ـ ٢٢٢.

المطلب الثالث

استثارة روح المنافسة الشريفة بين الجنود

من مسؤوليات القيادة استثارة همم الجنود وبث روح المنافسة الشريفة بينهم حتى تقوى روحهم المعنوية على قتال الأعداء.

وفي يوم أحد استثار الرسول ﷺ هِمَمَ أصحابه قبل بدء القتال فأخرج سيفاً ورفعه قائلاً: «من يأخذ هذا السيف»؟ فاشرأبت إليه أنفس الصحابة كُلٌّ يُمَنِّي نفسه بأخذ سيف رسول الله ﷺ ولكن النبي صلوات الله وسلامه عليه ما كان ليعطي هذا السيف إلا من هو أهله من حيث الكفاءة القتالية، لكي يكون ذلك دافعاً إلى استبسال الجنود وإقدامهم على قتال الأعداء[١].

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أُحد فقال: «من يأخذ مني هذا السيف»؟ فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول: أنا أنا، قال: «فمن يأخذه بحقه»؟ قال: فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة (أبو دجانة): أنا آخذه بحقه، قال: فأخذه ففلق به هام المشركين[٢].

وعن الزبير بن العوام قال: عرض رسول الله ﷺ سيفاً يوم أُحد فقال: «من يأخذ هذا السيف بحقه»؟ فقام أبو دجانة سماك بن خرشة فقال: يا رسول الله أنا آخذه بحقه، فما حقه؟ قال: فأعطاه إياه فخرج واتبعته فجعل لا يمر بشيء إلا أفراه وهتكه[٣].

وفي عصرنا الحاضر ينبغي أن يعي قادة الجيوش الإسلامية هذا الدرس ويقتدوا برسول الله ﷺ في استثارة هِمَم جنودهم، وهذا بلا شك له آثاره النفسية لدى الجند مما يجعلهم يتحمسون لقتال أعدائهم.

---

(١) انظر غزوة أُحد ص ٦٦: للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس.

(٢) الحديث سبق تخريجه في ص ١٥٥.

(٣) الحديث أخرجه البزار. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٠٩/٥، قال الهيثمي بعد عزوه للبزار: ورجاله ثقات.

المطلب الرابع

القضاء على الحرب النفسية بالحقائق الدامغة

تؤثر الحرب النفسية في الإنسان تأثيراً سيئاً، وهذا ما يقرره خبراء الحرب النفسية، لذا فإن كل خصم في ميدان القتال يستغلّ هذا النوع من الحرب لصالح جيشه، وهذه الحرب لا تؤتي ثمارها المرجوّة إلا عند غيبة الحقائق الدامغة التي هي السبيل الوحيد للقضاء على الشائعات والأكاذيب.

وفي غزوة أُحد انتهز المشركون فرصة هزيمة المسلمين فأطلقوا الإشاعات حول مقتل الرسول ﷺ بقصد تحطيم الروح المعنوية لدى جيش النبي ﷺ. وقد كان لهذه الإشاعة أثر سيء على المسلمين، حيث انهزموا أمام المشركين في آخر المعركة.

روى الزبير بن العوام خبر هذه الإشاعة وأثرها بين صفوف الجيش فقال: (. . . فصرخ صارخ يَرَوْن أنه الشيطان: ألا إن محمداً قد قُتِلَ، فأعظم الناس، وركِبَ بعضهم بعضاً فصاروا أثلاثاً: ثلثاً جريحاً، وثلثاً مقتولاً، وثلثاً منهزماً. . .)[1].

وقد رد الرسول ﷺ على هذه الإشاعة المغرضة بالحقيقة الدامغة حيث نادى بصوت مرتفع قائلاً: «إليّ يا فلان إليّ يا فلان أنا رسول الله»[2].

وقد كان لظهور هذه الحقيقة في ذلك الظرف الحرج الذي يمر به المسلمون ما يأتي:

---

(١) هذا الحديث ذكره ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٤/٢١٧، ثم قال رحمه الله: وهذا إسناده صحيح، وله شاهد في الصحيح من حديث البراء. انظر فتح الباري، ح(٤٠٤٣)، ٧/٣٤٩).

(٢) انظر إمتاع الأسماع ١/١٣٠؛ والسيرة الحلبية ٢/٥٠٥؛ والمدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ١٣٧؛ والنظرية الإسلامية في الحرب النفسية ص ٦٤، ٦٥؛ واقتباس النظام العسكري في عهد النبوّة ص ١٥٥.

أولاً: دفع مفسدة عظيمة وهي: القضاء على الآثار المعنوية لتلك الإشاعة التي استهدفت هزيمة المسلمين.

ثانياً: حصول مصلحة عظيمة وهي: تجميع قوى المسلمين المبعثرة، وردّ الثقة إلى أنفسهم.

المطلب الخامس
حقيقة التوكل على الله في ميدان المعركة

جرت سنّة الله في الحياة أن تربط الأسباب بمسبَّباتها فإذا تخلف السبب لم يوجد مقتضاه.

وحقيقة التوكل هي: بذل ما يمكن من الأسباب المادية ثم تفويض الأمر إلى الله في جلب المنافع ودفع المضار.

أما التوكل بدون القيام بالأسباب المادية فهو من باب العجز، ولا ينبغي للمؤمن أن يجعل توكله عجزاً ولا عجزه توكلاً، بل يجعل توكله من جملة الأسباب التي لا يتم مقصوده إلا بها كلِّها.

لذا فإنه يلاحظ أن النبي ﷺ وهو أعظم المتوكلين على الله قد أعطى القدوة الحسنة في هذا الشأن ليقتدي به من بعده من المؤمنين. ففي غزوة أُحد وبعد أن علم ﷺ بقدوم قريش إلى المدينة أمر جنده بأن يأخذوا أسلحتهم وباتوا يحرسون المدينة. وحين جاء الحباب بن المنذر وأخبره بعدة قريش قال ﷺ: «لا تذكر في شأنهم حرفاً واحداً، حسبنا الله ونعم الوكيل»[1].

وعندما خرج ﷺ إلى حمراء الأسد مرّ به ركب من عبد القيس فأخبروه بما عزم عليه أبو سفيان ومن معه من استئصال شأفتهم، فقال رسول الله ﷺ: «حسبنا الله ونعم الوكيل»[2].

---

(١) انظر مغازي الواقدي ١/٢٠٨.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٢/٥٣٦.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (حسبنا الله ونعم الوكيل: قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوْهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾)[1].

وقد بيَّن الله عاقبة هؤلاء بقوله تعالى: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضلٍ لم يَمْسَسْهُم سوء واتَّبعوا رضوانَ الله والله ذو فضلٍ عظيم﴾[2].

المطلب السادس

ضرورة يقظة القائد لتحركات عدوه

القيادة المحنكة هي التي تكون دائماً يقظة لتحركات أعدائها لأن العدو يحرص على الفتك بخصمه كلما وجد الفرصة المناسبة. وقد ذكر بعض العلماء أن شدة الحذر واليقظة لتحركات العدو هي أقوى مكيدة يدبرها المحارب للوقوف على مقاصد عدوه[3].

وبعد انتهاء غزوة أُحد كان الرسول ﷺ على حذر من تحركات قريش حيث أخذ يتتبع أخبارهم. قال ابن إسحاق رحمه الله: (بعث النبي ﷺ عليَّ ابن أبي طالب فقال: «اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿الذين قال لهم الناسُ إنّ الناسَ قد جمعوا لكم فاخشَوْهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ الآية ١٧٣ من سورة آل عمران، ح (٤٥٦٣، ٤٥٦٤)، فتح الباري ٨/٢٢٩.
وأخرجه البيهقي في جماع أبواب مغازي رسول الله ﷺ، باب خروج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد، دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٣/٣١٧.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/١٠٣ للنسائي وابن أبي حاتم.

(٢) الآية ١٧٤ من سورة آل عمران.

(٣) انظر مختصر في سياسة الحروب ص ١٩.

وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لَأسيرَنّ إليهم فيها ثم لأناجزنّهم». قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة) (١)

ففي هذا التتبع من الرسول ﷺ لتحركات قريش بعد معركة أُحد إرشاد للقادة من بعده، فقد كان بإمكان الرسول ﷺ أن يعلم عن مراد قريش عن طريق الوحي، ولكن شاء الله سبحانه وتعالى أن يسلك ﷺ الطريق المألوف لكي يقتدي به القادة من بعده في هذا الأمر.

وفي هذه القصة دلالة أخرى فقد كان مما جرى عليه العرف والعادة عند العرب في ذلك الوقت أن يركبوا الخيل وقت الحرب، أما في وقت السلم فإنهم يريحونها ويستخدمون الإبل. لذا فإن الرسول ﷺ قد أعطى علياً أمارة يستدل بها على وجهة قريش. وهذا يدلنا على أن ما جرت عليه عادة أي جيش في استخدام وسائل النقل ينبغي أن يؤخذ قرينة يُستدلّ بها على مراد العدو.

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٤٥، ٤٦؛ وعيون الأثر في فنون المغازي والسِّيَر ٢/٧٩.

المبحث الثالث

الدروس القيادية المستفادة من غزوة الخندق

المطلب الأول

تأمين الذراري والنساء والصبيان من خطر الأعداء

لما علم النبي ﷺ بقدوم جيش الأحزاب وأراد الخروج إلى الخندق أمر بوضع[1] ذراري المسلمين ونسائهم وصبيانهم في حصن بني حارثة حتى يكونوا في مأمن من خطر الأعداء[2].

وإنما فعل النبي ﷺ هذا الأمر لأن حماية الذراري والنساء والصبيان لها أثر فعّال على معنويات المقاتلين، إذ إن الجندي إذا اطمأن على زوجه وأبنائه يكون مرتاح الضمير هادىء الأعصاب فلا يشغل تفكيره أمر من أمور الحياة، وبذلك يُسخِّر كل إمكاناته وقدراته العقلية والجسدية للإبداع في القتال. أما إذا كان الأمر بعكس ذلك فإن أمر الجندي يضطرب ومعنوياته تضعف ويستولي عليه القلق، مما يكون له أثر في تراجعه عن القتال وبذلك تنزل الكارثة بالجميع[3].

وفي فعل النبي ﷺ في هذا الشأن تعليم للقادة العسكريين من بعده حتى يقتدوا به في هذا الأمر، لأن الجند حين يأمنون على عوائلهم ترتفع معنوياتهم لقتال أعدائهم فيتحقق من وراء ذلك النصر للأمة وتندفع عنها شرور أعدائها.

---

(١) انظر دليل هذا الأمر في ص ١٧٥.

(٢) انظر الرسول القائد ص ٢٢٩.

(٣) انظر غزوة الأحزاب ص ٩٨: للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس.

المطلب الثاني

بث الإشاعات في صفوف الأعداء للنيل من معنوياتهم

تعتمد الحروب على الخداع والتضليل، ومن ذلك بث الإشاعات والأراجيف في صفوف الأعداء. وفي غزوة الأحزاب تكالب على المسلمين عدة طوائف، من قبائل العرب واليهود، الذين يقيمون في المدينة وما جاورها.

وقد أدرك النبي ﷺ أن المسلمين لا قِبَل لهم بهذه الجموع الكثيرة، التي تفوقهم في العدد والعُدّة، فلا بد إذاً من الأخذ بأسلوب سرِّي، لتفريق جموع الأحزاب وكسر صيغة التحالف الذي عُقد للقضاء على المسلمين.

فتجلى هذا الأسلوب في التخذيل[1] بين صفوف مختلف طوائف الأحزاب حيث هيأ الله لهذا الأمر شخصية فذّة وضعت إمكاناتها تحت تصرف الرسول ﷺ، ذلك هو (نعيم الغطفاني) الذي كان حديث عهد بإسلام، وقد كتمه عن الأعداء فاستطاع بذلك أن يثبط قوماً عن قوم وأن يوقع بينهم شراً، حتى كانت كل فئة ترى أنه ينصح لها، وبهذا اندفع كيد الأحزاب عن المؤمنين[2].

وكان من أسباب نجاح مهمة نعيم قيامها على الأسس الآتية:

أولاً: أنه أخفى إسلامه عن كل الأطراف، بحيث وثق كل طرف فيما قدمه له من نصح.

ثانياً: أنه ذكَّر بني قريظة بمصير بني قينقاع وبني النضير، وبصَّرهم بالمستقبل الذي ينتظرهم إن هم استمروا في حروبهم للرسول ﷺ فكان هذا الأساس سبباً في تغيير أفكارهم وقلب مخططاتهم العدوانية.

---

(١) انظر قصة تخذيل نعيم الغطفاني بين صفوف الأحزاب في ص ٣٨٢، ٣٨٣.

(٢) انظر غزوة الأحزاب في ص ٢٤٨، ٢٥٠: للشيخ محمد أحمد باشميل.

ثالثاً: أنه نجح في إقناع كل الأطراف بأن يكتم كل طرف ما قال له. وفي استمرار هذا الكتمان نجاح لمهمته، فلو انكشف أمره لدى أي طرف من الأطراف لفشلت مهمته.

وقد حققت مساعي نعيم في تخذيل بني قريظة أمرين مهمين لجيش النبي ﷺ وهما:

الأول: أن المسلمين بعد انسحاب بني قريظة من التحالف مع الأحزاب أصبحوا في أمان لأن هؤلاء اليهود كانوا يسكنون المدينة، فلو بقوا في هذا التحالف لما أمن المسلمون من توجيه طعنة لهم من الخلف مع أنهم مشغولون بمواجهة خصمهم الرئيس من الأمام.

الثاني: أن المسلمين اطمأنوا إلى أن بني قريظة سيستمرون في إمدادهم بالمؤن التي يتطلبها الموقف، وذلك لشدة حاجتهم إليها وانشغالهم عن توفيرها بمواجهة الأعداء[1].

وفيما فعله (نعيم) دلالة واضحة على أن بث الإشاعات والأراجيف بين صفوف الأعداء يؤثر ما لا يؤثره جيش كبير مع عدم تعريض الجند للخطر وبذل الأموال الكثيرة في تجهيزهم للقتال.

المطلب الثالث

تقديم أسلوب الترغيب والتشجيع على أسلوب الأمر

يُعَدّ أسلوب الترغيب والتشجيع ذا أثر فعّال على النفس، فتستجيب ـ بعد مشيئة الله ـ لما طُلب منها.

وقد علّم النبي ﷺ أمته بسنّته القولية والفعلية أسلوب التعامل الناجح، إذ كان يبدأ أولاً بأسلوب الترغيب والتشجيع، فإن لم يُجْدِ هذا الأسلوب أخذهم بالأمر الجازم.

---

(١) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ص ٤٦٥، ٤٦٦.

وفي هذه الغزوة طبق ﷺ هـذا الأسلوب عندمـا بعث حذيفـة بن اليمان ليـأتيه بخبـر الأعداء ومـاذا فعلوا ليلاً[1]، فقـال أولاً: «ألا رجـل يـأتينـا بخبـر القوم، جعله الله معي يوم القيامة»[2].

فهذه دعوة محبَّبة إلى كل واحد من الصحابة، إذ إنهم أصلاً لم يخرجوا إلّا طلباً لرضوان الله وجنته، وعندما لم يُجْدِ هذا الأسلوب بعد أن كرره ثـلاث مـرات لجـأ ﷺ إلى الأسلوب الثـاني، وهـو: «الأمـر الجـازم»، فعيَّن واحـداً بنفسه، فقال: «قم يا حذيفة فائتنا بخبر القوم»[3]. فلما عيَّنه بنفسه لم يكن بدٌّ من امتثاله[4].

وقـد قرر العسكـريون أن القيـادة الناجحـة هي التي توجـه جنودهـا إلى أهــدافهـا عن طــريق التـرغيب والتشجيـع، ولا تلجـأ إلى الأمــر والحــزم إلّا عند الضرورة[5].

المطلب الرابـع

مشروعية تشجيـع القائد جنده على التفكير للمصلحة العامة

كـان النبـي ﷺ يشجع أصحـابـه على التفكيـر البنّـاء الـذي تتحقق من ورائه مصلحة عامة للمسلمين، فكان يُظْهِر التقديـر والاحترام لمن حقق شيئـاً من ذلك، حتى يدفع الآخرين لكي يسلكوا هذا السبيـل. وحين أشار سلمـان الفارسي رضي الله عنه على النبـي ﷺ بفكرة حفر الخنـدق أعجبه هـذا الرأي وأظهر التقدير الأدبـي الرفيـع لسلمان رضي الله عنه على تفكيره السَّديد الذي

---

(١) انظر: غزوة الأحزاب ص ١٩٢ : للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس.

(٢) انظر دليل بعثه ﷺ حذيفة ـ رضي الله عنه ـ في ص ١٨٧ .

(٣) هذا جزء من حديث سبق تخريجه في ص ١٨٧ .

(٤) انـظر الدليل على تطبيقه هذا الأسلوب في ص ١٨٧ .

(٥) انـظر المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ٢٩١ .

قدَّم لجيش المسلمين أحدث أسلوب يمكن أن يطبقوه حتى يسلموا من كيد أعدائهم.

عن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه، قال: احتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي ـ وكان رجلاً قوياً ـ فقال المهاجرون: سلمان منا، وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت»[1].

ويظهر ـ والله أعلم ـ أن لقول الرسول ﷺ هذا معنيين آخرين:

الأول: أنه ﷺ أراد أن يقطع دابر العصبيات التي يفتخر بها الناس، فإن قيمة المرء تكمن في تقديمه لكل ما يحقق للمسلمين مصلحةً عامةً بغض النظر عن حسبه ونسبه[2].

الثاني: أنه ﷺ أراد بهذا القول أن يقتدي به قادة الجيوش الإسلامية في تشجيع جنودهم على التفكير للمصلحة العامة وبذل الجهد فيما يحقق النفع للآخرين يستوي في ذلك أن يكون هذا التشجيع مادياً أو أدبياً.

وفي ذلك دعوة لاكتشاف الطاقات والمواهب الكامنة في النفوس حيث إن في ظهورها إلى واقع الحياة تحقيقاً للمصالح العامة ودفعاً للمفاسد الواقعة أو المتوقعة.

المطلب الخامس

مشاركة القائد جنده أعباء العمل

اجتمع على الصحابة رضي الله عنهم وهم يقومون بحفر الخندق ظروف صعبة، كان من أهمها الخوف من مداهمة الأحزاب لهم، فكان لا بدّ من إنجاز هذا المشروع الكبير في أسرع وقت.

---

(١) هذا جزء من حديث سبق تخريجه في ص ١٧٣.

(٢) انظر: الرسول القائد ص ٢٣٨؛ وغزوة الأحزاب ص ٩٩: للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس.

وقد شارك الرسول ﷺ الصحابةَ في هذا العمل المضني فأخذ يعمل بيده الشريفة في حفر الخندق. فعن ابن إسحاق، قال: سمعت البراء يحدث، قال: (لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني التراب جلدة بطنه وكان كثير الشعر)[1].

فعمل رسول الله ﷺ مع الصحابة بهمة عالية لا تعرف الكلل[2]، فأعطى القدوة الحسنة لأصحابه حتى بذلوا ما في وسعهم لإنجاز حفر ذلك الخندق.

ومما تجدر الإشارة إليه: أن مشاركة النبي ﷺ لأصحابه في هذا العمل كانت مشاركة حقيقية، في تلك الظروف الصعبة، وليس المراد بها البدء بأول ضربة ثم بعد ذلك يدير ظهره لأصحابه فلا يرونه أو أنه كان يقف موقف المشجِّع بكلام معسول، أو أنه كان يكتفي بإصدار الأوامر الصارمة، كما يفعله معظم القواد في عصرنا الحديث.

إن شيئاً من ذلك لم يحدث، بل انطلق ﷺ يشارك جنده التعب والمشقة حتى غطى التراب جلدة بطنه الشريف[3].

ومن هذا الموقف يستفاد درس عملي مهم: وهو أن مشاركة القائد جنده في عملهم وتفانيه في ذلك سبب في رفع معنوياتهم وبذل أقصى ما يستطيعون في إنجاز العمل الذي كُلّفوا به. أما إذا حدث العكس فإن الجند لا يبذلون من الجهد إلّا بالقدر الذي يجنّبهم محاسبة قائدهم لهم.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب، ح (٤١٠٦)؛ فتح الباري ٧/٤٠٠.
وأخرجه مسلم بنحو هذا اللفظ في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب غزوة الأحزاب، ح (١٨٠٣)؛ صحيح مسلم ٣/١٤٣٠.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٣١؛ ومغازي الواقدي ٢/٤٤٥؛ والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٦٦.

(٣) انظر غزوة الأحزاب ص ١٠٢، ١٠٣: للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس.

المطلب السادس

مشاركة القائد جنده في آلامهم وآمالهم

كان الرسول ﷺ يشارك الصحابة رضي الله عنهم في آلامهم وآمالهم، بل كان يستأثر بالمصاعب الجمة دونهم.

ففي غزوة الأحزاب: نجد أنه ﷺ كان يعاني من آلام الجوع كغيره، بل أشد، حيث وصل به الأمر إلى أن ربط حجراً على بطنه الشريف من شدة الجوع(١).

ثم إنه ﷺ كذلك شاركهم في آمالهم فحين وجد ما يسدّ رمقه بعد هذا الجوع الذي استمر ثلاثاً؛ لم يستأثر بذلك دونهم، بل أبت عليه نفسه الكريمة وقلبه الذي امتلأ عطفاً وحناناً إلّا أن يشاركه أصحابه في هذا الطعام، الذي صنعه جابر مع أنه كان قليلاً يكفي لرجلين أو ثلاثة لا غير(٢).

وقد كان جابر ـ رضي الله عنه ـ مضطراً إلى ما فعل، إذ إنه كأي مفكر عادي من الناس لم يكن يملك إلّا أن يتصرف حسب ما يملك من الأسباب المادية.

ولما كان الطعام الذي لديه قليلاً لا يكفي إلّا لهذا العدد اليسير خص به رسول الله ﷺ ومن يشاء من بعض الصحابة في حدود ضيّقة. ولكنه ﷺ لم يكن من عادته أن يتأثر بنظرة جابر تلك فهو أولاً: لا يمكن أن يتميز عن أصحابه بشيء من النعمة أو الراحة، وهو ثانياً: لا يمكن أن يجعل نفسه أسيراً للأسباب المادية التي أَلِفها البشر، فالله سبحانه وتعالى هو مسبِّب الأسباب وخالقها، وهو القادر على أن يجعل من الطعام القليل كثيراً، وأن يبارك في القليل منه حتى يكفي القوم الكثير.

---

(١) انظر غزوة الأحزاب ص ١١٦، ١١٧: للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس.

(٢) انظر نص الحديث الوارد في هذا الشأن في ص ١٧٤، ١٧٥.

فقد أكل أهل الخندق وكانوا ألفاً من طعام جابر القليل حتى شبعوا وبقي فيه بقية.

وبهذا يتبين أن الرسول ﷺ كان هو وأصحابه شركاء متضامنين، يتقاسمون النعمة بينهم، مهما قلّت، كما أنهم كانوا يتقاسمون بينهم المحنة مهما عظمت[1].

ولو أن هذا الطُعَيم القليل الذي دعا إليه جابرٌ الرسول القائد ﷺ دُعيَ إليه قائد من قادات الجيوش في عصرنا الحاضر لما علم بذلك جنوده فضلاً عن أن يروه أو يطعموه ـ إلاّ من رحم الله ـ بسبب الأنانية وحب الذات التي أصبحت من سمات هذا العصر[2].

وفيما فعله ﷺ عندما صبر على الجوع كغيره، وفي دعوته الصحابة إلى طعام جابر قدوةٌ لمن يأتي بعده من القادة.

إذ إن مشاركة القادة جنودهم في آلامهم وآمالهم: دليل على المحبة القوية التي تجمع بينهم. وهذا له آثاره الطيبة في انقياد الجند لقادتهم وبذل أقصى ما يستطيعون من جهد في الذود عن حياض الإسلام ومقدسات المسلمين.

المطلب السابع

تخفيف القائد عن جنوده بما يدخل عليهم السرور ويبعث فيهم النشاط

اقترن حفر الخندق بصعوباتٍ جمة، فقد كان الجو بارداً والريح شديدة، والحالة المعيشية صعبة، بالإضافة إلى الخوف منْ قدوم العدو الذي يتوقعونه في كل لحظة.

ويضاف إلى ذلك كله: العمل المضني حيث كان الصحابة يحفرون

---

(١) انظر فقه السيرة ص ٣٢٣: للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

(٢) انظر غزوة الأحزاب ص ١١٩، ١٢٠: للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس.

بأيديهم وينقلون التراب على ظهورهم، ولا شك في أن هذا الظرف ـ بطبيعة الحال ـ يحتاج إلى قدر كبير من الحزم والجد.

ولكن النبي ﷺ لم ينس في هذا الظرف أن هؤلاء الجند إنما هم بشر كغيرهم، لهم نفوس بحاجة إلى الراحة من عناء العمل، كما أنها بحاجة إلى من يُدخل عليها السرور حتى تنسى تلك الآلام التي تعانيها فوق معاناة العمل الرئيس.

ولهذا نجد أن النبي ﷺ عَطَّرَ هذا الجو الذي يملؤه الرعب ومشقة العمل بنوع من المرح البريء.

عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يحدث قال: لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق... فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل من التراب ويقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأَنْزِلَنْ سكينةً علينا ... وثبِّتْ الأقدام إن لاقينا

إن الأعادي قد بغَوْا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

قال: ثم يمد صوته بآخرها[1].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن أصحاب محمد ﷺ كانوا يقولون يوم الخندق:

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الإسلام ما بقينا أبدا

أو قال: (على الجهاد) ـ شكَّ حماد ـ والنبي ﷺ يقول:

اللهم إن الخيرَ خيرُ الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرة[2]

كما كان الصحابة يرتجزون بشيء من حوادث واقعهم، فقد كان أحد

---

(١) الحديث سبق تخريجه في ص ٤٨٠.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب: غزوة الأحزاب، ح (١٢٩)، صحيح مسلم ٣/١٤٣٢.

الصحابة اسمه جعيلاً ــ وكان دميم الوجه ــ فسماه الرسول ﷺ عَمْراً، فصاروا يرددون:

سمَّاه من بعد جُعَيْلٍ عمرا وكان للبائس يوماً ظهرا

وعندما يصلون إلى كلمة (عَمْرا) يردِّدها معهم رسول الله ﷺ وعندما يصلون إلى قافية البيت (ظهراً) كان يردِّدها أيضاً[1].

وإذا كانت الجِمال تطرب للحداء وتواصل السَّير ولا تشعر بطول الطريق. ومشقة السفر وهي تحمل الأثقال فليس غريباً أن يميل الإنسان إلى هذا النوع من الغناء ــ إن صحت تسميته بذلك ــ الذي يروِّح عن النفس همومها ويبعث فيها النشاط ويخفِّف عنها مما تعانيه من التعب.

ولعله من أجل هذا ــ والله أعلم ــ أقرّ النبي ﷺ الصحابة على هذه الأراجيز[2].

ولنا أن نتصور هذا الجو الذي يعمل فيه المسلمون والرسول ﷺ بينهم، يضرب بالفأس[3] ويجرف بالمِسْحَاة ويحمل في المِكْتَل[5]، ويرجِّع معهم هذا الغناء ــ إن صحت هذه التسمية ــ ولنا أن نتصور أية طاقة يطلقها هذا

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٣٢.

(٢) انظر غزوة الأحزاب ص ١٠٤، ١٠٥: للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس.

(٣) الفأس: هي آلة من حديد يحفر بها ويقطع الحطب. وتجمع على فؤوس. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٤٠٥؛ ولسان العرب ٢/١٠٤٢.

(٤) المِسْحَاة: هي المجرفة من الحديد. والميم هنا: زائدة، لأنها مشتقة من السحو، وهو: الكشف والإزالة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٣٤٩؛ ولسان العرب ٢/١١٢.

(٥) المِكْتَل: هو الزنبيل الذي يُحمل فيه التمر أو العنب إلى الجرين، وقيل: المكتل شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعاً. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/١٥٠؛ ولسان العرب ٣/٢٢٠.

الجـو في أرواحهم وأي ينبـوع يتفجـر في كيـانهم بـالـرضـا والحمـاسـة والثقة والاعتزاز[1].

كما أن هذا الجو لم يخل من روح الدعابة والمزاح، فقـد كان زيـد بن ثابت غلاماً صغيراً ينقل التراب أثناء حفر الخنـدق، وعندمـا نزل في الخنـدق أحسَّ بالدفء فغلبته عيناه حتى نام، فأخذ عمّار بن حـزم سلاحـه، فقام زيـد فزعاً، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا رُقَاد نمت حتى ذهب سلاحك»[2].

وتتجلى روح الدعابـة التي مازح بهـا النبـي ﷺ هذا الغـلام في قولـه: «يا أبا رُقَاد».

ولقـد كان لهـذا التبسط والمرح في ذلـك الوقت أثـره في التخفيف عن الصحابة مما يعانونه نتيجة للظروف الصعبة التي يعيشـونها، كمـا كان لـه أثره في بعث الهمـة والنشـاط، بـإنجـاز العمـل الـذي كُلِّفـوا بـإتمـامـه، قبـل وصول عدوهم.

المطلب الثامن
تقدير حاجات الجند والإذن لهم في قضائها

مرّت فترة حفر الخندق بظروف حاسمة تتطلب إنجـاز العمل في أسـرع وقت. لذا كانت مصلحة العمل تقتضي أن يستأذن الرجـل عندمـا تعرض لـه حاجة. وقد كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على قدر كبير من الأدب مع النبـي ﷺ فكانوا يستأذنونه في الانصراف إذا عرضت لهم ضرورة.

روى ابن إسحاق وابن المنذر والبيهقي: أن النبـي ﷺ لما سمع بقـدوم الأحزاب ضرب الخنـدق على المدينـة، فعمل فيـه رسول الله ﷺ وعمـل معه المسلمون فيه، فجعل الرجـل من المسلمين إذا نابتـه نائبـة من الحاجـة التي

---

(١) في ظلال القرآن ٥/٢٨٤٢.

(٢) انـظر إمتاع الأسماع ١/٢٢٢.

لا بدّ منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ويستأذن في الذهاب لقضاء حاجته فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من العمل، رغبةً في الخير واحتساباً لـه فأنزل الله في أولئك من المؤمنين[1]: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يـذهبوا حتى يستـأذنوه إن الـذين يستأذنـونك أولئـك الذين يؤمنـون بالله ورسـوله، فـإذا استأذنـوك لبعض شأنهم فـأْذَنْ لمن شئتَ منهم واستغفِرْ لهم الله إن الله غفور رحيم﴾[2].

ومعنى الآية الكريمـة: إذا استأذنـك يا محمـد الذين لا يـذهبون عنـك إلّا بإذنك في هذه المواطن لقضاء بعض حاجاتهم التي تعرض لهم فـأْذَنْ لمن شئتَ منهم في الانصراف عنك لقضائها واستغفر لهم[3].

فكان النبـي ﷺ بالخيار، إن شاء أذن له إذا رأى ذلك ضرورة للمستأذن ولم ير فيه مضـرة على الجماعـة، فكان يـأذن أو يمنع، حسب مـا تدعـوا إليه المصلحة ويقتضيه مقام الحال[4].

وتشير الآية الكريمة إلىٰ أن مغالبة الضرورة وعدم الانصـراف هو الأوْلى وأن الاستئـذان والـذهـاب فيهمـا قصـور يقتضي استغفـار النبـي ﷺ أو أميـر الجماعة بعده للمستأذن[5].

وذلك أن الاستئذان ــ وإن كـان لعذر قـوي ــ لا يخلو من شائبـة تقديم أمر الدنيا على الدين[6].

---

(١) انـظر لباب النقول في أسباب النزول ص ٦٢: للسيوطي.

(٢) الآية ٦٢ من سورة النور.

(٣) انـظر صفوة التفـاسير ٣٢/١٠: للشيـخ محمـد علي الصـابوني، الـطبعة الأولى، سنـة (١٤٠١هـ)، ط دار القرآن الكريم ــ بيروت.

(٤) انـظر أحكام القرآن لابن العربـي ١٤١٠/٣.

(٥) انـظر في ظلال القرآن ٢٥٣٥/٤.

(٦) انـظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكـريم ١٥١/٤: لأبـي السعود بن محمـد العمادي، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيـع.

وفي الآية ـ أيضاً ـ التنبيه على أن الاستئذان إذا كان فيه أدنى دخل للاحتيال أو يريد المستأذن أن يؤثر مصلحته الفردية على المصلحة الجماعية، فإنه آثم، وهذا يقتضي الاستغفار له[1].

وينبغي أن يستفيد قادة الجيوش الإسلامية في عصرنا الحاضر من هذا الدرس وعليهم أن يقدروا المصلحة العامة للجيش، فيأذنوا لمن كانت له ضرورة لا بد من قضائها، بقدر ما تنقضي ضرورته، وإذا كانت المصلحة في منع جندي بعينه من الذهاب ـ ولو كان قد استأذن ـ فإن لهم الحق في منعه.

وعلى القادة أن يراعوا في كلتا الحالتين المصلحة العامة وملابسات الظروف التي تعيشها تلك الجماعة.

---

(١) تفسير سورة النور ص ٢٣٠ : لأبي الأعلى المودودي، تعريب محمد عاصم حداد، ط دار الفكر.

المبحث الرابع

الدروس القيادية المستفادة من غزوة صلح الحديبية

المطلب الأول

مشروعية أخذ الحيطة والحذر من الأعداء

حدَّد النبي ﷺ هدفه السلمي منذ أن كان في المدينة، حيث تجرد هو وأصحابه من المخيط ولبسوا ثياب الإحرام.

ومع ذلك فقد كان ﷺ على جانب كبير من الحيطة والحذر، ويتمثّل في حرصه على الأخذ بالأمور الآتية:

أولاً ـ تقديم طليعة استكشاف بين يديه:

لما أراد ﷺ أن يخرج إلى مكة قدَّم بين يديه طليعة استكشافيةً مكوّنة من عشرين رجلاً وفي ذلك يقول الواقدي:

(دعا رسول الله ﷺ عبَّاد بنَ بشر فقدَّمه أمامه طليعةً في خيل المسلمين عشرين فارساً وكان فيها رجال من المهاجرين والأنصار)[1].

وكان هدفه ﷺ من ذلك الاستعداد للطوارىء التي يمكن أن يفاجأ بها، ـ وأيضاً ـ فقد كانت مهمة هذه الطليعة استكشاف خبر العدو[2].

ثانياً ـ أخذ السِّلاح والعتاد:

حينما وصل النبي ﷺ إلى ذي الحليفة بعث إلى المدينة من يجمع كل ما وجد من سلاح أو كُرَاع، قال الطبري ـ رحمه الله ـ: (لما خرج النبي ﷺ بالهدي وانتهى إلى ذي الحليفة قال له عمر: يا رسول الله تدخل على قوم هم

---

(١) مغازي الواقدي ٢/٩٧٤.

(٢) انظر صلح الحديبية ص ٣٠٩: للشيخ محمد أحمد باشميل، الطبعة الثالثة، سنة (١٣٩٣هـ)، دار الفكر.

لك حرب بغير سلاح ولا كراع؟ قال: فبعث النبي ﷺ إلى المدينة فلم يَدَعْ فيها كُرَاعاً ولا سلاحاً إلاّ حمله)(١).

وقصده ﷺ من ذلك: الاستعداد لهؤلاء الأعداء، الذين يملكون من السِّلاح والعتاد ما يستطيعون به إلحاق الأذى بالمسلمين والنيل منهم.

ثالثاً ـ تجنب مصادمة الأعداء:

لزم النبي ﷺ جانب الحذر(٢) والحيطة خشية الاصطدام بجيش الأعداء، وهذا مما يتنافى مع هدفه السلمي، فأخذ طريقاً لا يمرّ به عليهم حتى نزل بأقصى الحُدَيْبية.

وقد استدل العلماء بهذا الفعل على جواز الاستتار عن طلائع المشركين دفعاً لما يمكن أن يحدث من الضرر.

كما استدلوا به ـ أيضاً ـ على جواز التنكيب عن الطريق السَّهلة إلى الوعرة إذا اقتضت المصلحة ذلك(٣).

وإنما أخذ النبي ﷺ بهذه الأسباب مع أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن ينصره على أعدائه دون أن يلجأ إلى الأخذ بشيء منها: لأنه ﷺ أراد بهذا الفعل ـ والله أعلم ـ أن يقتدي به القادة العسكريون من بعده لما في ذلك من المصالح الكثيرة، ودرء مكايد الأعداء الذين يتربّصون بالمسلمين الدوائر.

وذكر الهرثمي رحمه الله منافع الأخذ بالحيطة والحذر في الحروب فقال: (لا تأنَفنّ من الحذر منه، فإن ذلك هو العجز الظاهر، وما لا يستقال الخطأ فيه، وأقوى مكيدة المحارب: إظهار شدة الحذر في كل وقت، ذلك مع تحصين كل عورة، وإحكام كل مصنعة، وإذكاء العيون، ومظاهرة الطلائع، والقوة في الاحتراس.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٢٢.
(٢) انظر دليل أخذه ﷺ بالحيطة والحذر في ص ٢٠٠.
(٣) انظر فتح الباري ٥/٣٣٥.

اجعل الحذر رأس مكيدتك، فإنه قليل ما تكون عورة مع حذر، أو تضييع مع سوء ظن. . . كن في الحذر وسوء الظن معظماً لأمر عدوك فوق قدره من غير أن يظهر ذلك منك أو يصدك عن إحكام شيء من أمرك)[1].

المطلب الثاني
توخّي القائد للهدف الذي يسعى من أجله

يُعَدُّ توخّي القائد مبدأً أساسياً من مبادىء الحرب، وقد طبّق النبي ﷺ هذا المبدأ في صلح الحديبية حيث قرّر ألاّ يحارب قريشاً وأن يبذل كل جهده للتفاهم معها وألاّ يلجأ إلى قتالها إلاّ إذا دعته الضرورة إلى ذلك.

ومما يدلّ على توخّيه ﷺ الهدف الرئيسي الذي خرج من أجله الأمور الآتية:

أولاً: أنه ﷺ خرج مُحْرِماً يريد العمرة وساق معه الهدي ليؤكد لقريش حسن نيّته.

ثانياً: أنه ﷺ أفسح الطريق أمام مفاوضي قريش بدليل استقباله[2] لهم حتى يعلموا عن كثب مراد المسلمين من مجيئهم إلى مكة[3]، كما بعث سفيريه[4] إلى أهل مكة لتوضيح هدفه الرئيس الذي جاء من أجله.

ثالثاً: أنه ﷺ أمر الصحابة بالقبض على الشباب المسلَّحين الذين جاءوا من معسكر الأعداء بقصد النَّيل من المسلمين ثم ردّهم إلى أصحابهم دون أن يمسهم بأي أذى[5].

---

(١) مختصر في سياسة الحروب ص ١٩.
(٢) انظر الدليل على استقبال الرسول ﷺ سفراء قريش في ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦ وما بعدها.
(٣) انظر الدليل على بعث سفيريه ﷺ إلى قريش في ص ٢٠٦، ٢٠٧.
(٤) انظر الرسول القائد ص ٢٨٠، ٢٨١.
(٥) سبق ذكر دليل هذا الأمر في ص ٢١٠.

رابعاً: أنه ﷺ أظهر كامل استعداده لتوخّي هدفه الرئيس بدليل قوله ﷺ: «لا يسألوني خطة يعظّمون فيها حرمات الله إلاّ أعطيتهم إيّاها»[1].

ولعله ﷺ ـ والله أعلم ـ يقصد بذلك مصالحة الأعداء متى استعدوا لذلك.

وما حدث في هذا الصلح هو أعظم درس يمكن أن يستفيده القادة العسكريون من الرسول ﷺ في توخّي الهدف وذلك من أجل تحقيق المصالح العامة للأمة الإسلامية ودرء المفاسد عنها.

المطلب الثالث

تطبيق مبدأ الحياد المسلح[*] عندما تدعو الحاجة إليه

لمّا اتفق النبي ﷺ مع كفّار قريش على الصلح كان مما اشترطه سهيل بن عمرو على النبي ﷺ (أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلاّ رددتَه إلينا...)[2].

وكان هذا الشرط ـ في الظاهر ـ يعدُّ كسباً للمشركين حيث أرادوا به ألّا يكثر عدد المسلمين، ولكن الرسول ﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوى بشّر المسلمين بأن هذا الشرط سيكون نصراً لهم وذلك عندما أخبر أبا جندل بأن الله سيجعل له ولمن معه من المؤمنين فرجاً ومخرجاً.

---

(١) هذا جزء من حديث سبق تخريجه في ص ٢٠٠.

(*) الحياد المسلّح معناه في القانون الدولي: الحالة القانونية التي توجد فيها الدولة التي لا تشتبك في حرب قائمة وتستبقي علاقاتها السلمية مع الطرفين المتحاربين. انظر: الرسول القائد ص ٢٨٤.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، وقوله تعالى: ﴿لقد رضي اللَّهُ عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ الآية ١٨ من سورة الفتح، ح (٤١٨٠، ٤١٨١)، فتح الباري ٧/٤٥٣.
وأخرجه الإمام أحمد بنحو هذا اللفظ، المسند ٤/٣٢٣.

أما القرشيون فلم يكن يخطر ببال ممثلهم في الصلح سهيل بن عمرو، وهو يؤكد عليه أنه سيصبح سوطاً يلهب ظهورهم ويسبب لهم المتاعب ويصيبهم في أرزاقهم ويعطل لهم تجارتهم، حيث عادوا في آخر الأمر يطلبون من الرسول ﷺ إلغاء هذا الشرط وإيواء أولئك المحاربين[1].

فقد بعث أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ رسالة يقول فيها: (إنا أسقطنا هذا الشرط من الشروط. من جاء منهم إليك فامسكه من غير حرج، فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا باباً لا يصلح إقراره)[2].

وذلك: أن أبا بصير ومن انضم إليه من إخوانه المستضعفين قد خرجوا إلى سيف البحر ـ طريق الشام ـ وشكّلوا عصابة محاربة أقضّت مضاجع المشركين.

فعن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ـ يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ـ قالا: (... ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير ـ رجل من قريش وهو مسلم ـ فأرسلوا في طلبه رجلين فقالا: العهد الذي جعلته لنا، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمرٍ لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا جيداً، فاستله الآخر فقال: أجل، والله إنه لجيد، لقد جربت به ثم جربت به، ثم جربت به، فقال أبوبصير: أرني أنظر إليه، فامكنه منه، فضربه حتى برد وفرّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا ذعراً»، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل واللهِ صاحبي وإني لمقتول. فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله

---

(١) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ص ٥٣٧.

(٢) السيرة الحلبية ٢/١٥١.

منهم. قال النبي ﷺ: «ويل أمه مِسْعَر[1] حرب لو كان له أحد»، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ فأرسل إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً * هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهديَ معكوفاً أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيّلوا لعذّبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً * إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميّة حميّةَ الجاهلية فأنزل الله سكينتَه على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمةَ التقوى وكانوا أحقَّ بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً﴾)[2].

ويهذا يتبين أن الرسول ﷺ أخذ بمبدأ الحياد المسلح

المطلب الرابع

احترام القائد المعارضة النزيهة التي تصدر من أحد جنوده

وضع النبي ﷺ قاعدة احترام المعارضة النزيهة بين القائد ومرؤوسيه، وقررها بقوله وفعله.

ففي أثناء كتابة شروط صلح الحديبية تعنّت المشركون فاشترطوا على

---

(١) هذه كلمة تعجب يصفه بالمبالغة في الحروب، وجودة معالجتها، وسرعة النهوض فيها، تقول العرب: فلان مِسْعَر حرب إذا أرادوا أنه يوقد نارها ويصلي حرّها. انظر: سنن أبي داود ٣/١١٥، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢، سنة (١٣٦٩هـ).

(٢) الآيات ٢٤ ـ ٢٦ من سورة الفتح، والحديث سبق تخريجه في مبحث تحرّك النبي ﷺ إلى مكة ص ١٩٦، وهو قطعة من الحديث المخرَّج هناك.

النبي ﷺ أنّ من جاء من المسلمين إلى المشركين لم يردّوه عليهم[1].

وكان هذا الشرط يُعَدُّ كسباً للمشركين وهضماً للمسلمين، وعندما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذا الشرط: أعلن معارضته الشديدة له، ولكن الرسول ﷺ احترم هذه المعارضة لسلامة مقصد صاحبها وحسن نيّته.

ولقد حاول النبي ﷺ إقناع عمر بصحة هذا المسلك، ولكن عمر رضي الله عنه كرّر معارضته الشديدة لهذا الشرط[2]. وفي ذلك يقول عمر عن نفسه: (فأتيتُ نبيَّ الله ﷺ فقلت: ألستَ نبيَّ الله حقاً؟ قال: «بلى»، قلت: ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟ قال: «بلى»، قلت: فَلِمَ نعطي الدنية[3] في ديننا إذن؟ قال: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري»، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام»؟ قال: قلت: لا، قال: «فإنك آتيه ومطوّف به»...)[4].

وقد بيَّن النبي ﷺ الحكمة من هذا الشرط بقوله: «إنه من ذهب منّا إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً...»[5].

وذلك أن من يلحق بالمشركين عن طيب نفس إنما يكون مرتداً، ولو عاد إلى المسلمين وهو على تلك الحال فإنه سيكون نقطة ضعف بينهم. ولذلك دعا عليه الرسول ﷺ بالبُعد لعدم ظهور المصلحة للمسلمين في بقائه بينهم.

---

(١) انظر الحديث الوارد بشأن هذا الشرط في ص ٢١٣.

(٢) انظر صلح الحديبية ص ٣١٥، ٣١٦: للشيخ محمد أحمد باشميل.

(٣) الدنيّة: بمعنى الخصلة المذمومة، أو بمعنى: الضعيف الخسيس. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/١٣٧؛ ولسان العرب ١/١٠٢٢.

(٤) الحديث سبق تخريجه في مبحث تحرّك النبي ﷺ إلى مكة في ص ١٩٦، وهو قطعة من الحديث المخرّج هناك.

(٥) الحديث سبق تخريجه في ص ٢١٣.

أما وجه ردّ من يأتي مسلماً إلى المشركين؛ فإن المرء ما دام إيمانه بـالله قوياً فإن بقاءه ـ للضرورة ـ بين أهله المشركين لا يؤثر في إيمانه بل قد يزيده ذلك صلابةً وثباتاً كما حدث لأبـي جندل[1].

وقـد تحقق ما أخبـر به ﷺ حيث جعـل الله لهؤلاء المضطهـدين فـرجـاً ومخرجاً. وهذا من دلائل نبوّته ﷺ[2].

وبهذا يتبيّن أنّ الرسول ﷺ وضع قاعدة احترام المعارضة النزيهـة حيث قرر ذلك بقوله وفعله. وهـو ـ والله أعلم ـ إنما أراد بهـذا الفعل إرشـاد القادة من بعْـده إلى احتـرام المعـارضـة النـزيهـة التي تصـدر من أتبـاعهم، وذلـك لتشجيـع الجند على إبداء الآراء السليمة التي تخدم المصلحة العامّة.

---

(١) انـظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ص ٥٢٨، ٥٢٩.

(٢) انـظر خاتم النبيين ﷺ ٢/٨٦٤.

المبحث الخامس

الدروس القيادية المستفادة من غزوة فتح مكّة

المطلب الأول

ضرورة الوفاء بالعهد لأهله

يُعَدّ الوفاء بالعهد خصلةً حميدةً من الخصال التي أرسى الإسلام دعائمها، ولمّا كان الرسول ﷺ هو القدوة المثلى التي يقتدي بها المسلمون في جميع شؤونهم، فإنه ﷺ كان حريصاً على الوفاء بالعهد سواءً كان ذلك للمسلم أو للكافر.

وقد تجلّت هذه الخصلة في فتح مكة في حرصه الشديد ﷺ على نصرة حلفائه من بني خزاعة حين غدر بهم بنو بكر حلفاء قريش[1].

وإنما وفّى ﷺ بهذا العهد لأن الغدر بحلفاء القوم كالغدر بهم. ولأن العهد كلٌّ لا يتجزأ، فمن نقص جزءاً منه فقد نقضه كاملاً، فإذا خان أهل العهد من هم في جوار الإمام وعهده، صاروا بذلك ناقضين للعهد، وعلى الإمام أن يفي بعهد حلفائه ويجهِّز جيشاً لمحاربة أولئك الغادرين.

كما أن الالتزام بهذا العهد يوجب على كلا الطرفين تبعات وحقوقاً يصير بموجبها الطرف الملتزم بالعهد في حِلّ من نبذ العهد إلى خصمه وإعلان الحرب عليه في حالة نقضه للعهد.

وهذا ما فعله الرسول ﷺ عندما أصرَّت قريش على أن يعلن ﷺ الحرب عليها ورفضت الخيارين الأولين[2].

---

(١) سبق ذكر الدليل على ذلك في ص ٢١٩.

(٢) انظر خاتم النبيين ﷺ ٢/٩٩٢، ٩٩٣.

قال ابن حجر رحمه الله: قال محمد بن عبَّاد بن جعفر بعث رسول الله ﷺ إلى قريش: «أما بعد: ... فإنكم إن تبرؤوا من حلف بني بكر أو تَدُوا خزاعة وإلا أوذنكم بحرب»، فقال قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف ـ صهر معاوية ـ: إن بني بكر مشائيم فلا ندي[1] ما قتلوا ألاَّ يبقى لنا سبد[2] ولا لبد ولكن نؤذنه بحرب»[3].

المطلب الثاني

مشروعية تقديم السَّرايا أمام الجيش للإيهام والخداع

لمّا كانت الحروب تقوم على الخداع والتضليل من أجل كسب القضية والتغلّب على الخصم. لهذا؛ فإن الرسول ﷺ قرر فيما يتعلق بشؤون الحرب هذا الأمر بقوله وفعله.

فقد ثبت عنه ﷺ أنهُ قال: «الحرب خدعة»[4].

وحين أكمل ﷺ جميع الترتيبات العسكرية لفتح مكة قدّم بين يديه سريةً بقيادة أبي قتادة؛ مهمتها إسدال الستار على مقاصده ﷺ الحقيقية، وتحويل الأنظار بعيداً عن مكة حيث توجهت ناحية نجد شرقي المدينة[5]، حتى يظن

---

(١) نقل الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ـ محقق المطالب ـ نصاً عن كتاب إتحاف السادة البررة بزوائد المسانيد العشرة في تصحيح هذه العبارة، فقال: وكأن في الإتحاف متى نَدِي ما قتلوا لا يبقى لنا سبد ولا لبد. المطالب العالية ٤/٢٤٣.

(٢) السَّبدُ: الوبر، وقيل: الشَّعر، واللَّبدُ: الصوف، ويكنّى بهما عن الإبل والغنم، وقيل: يكنى بهما عن المعز والضأن. وذكر الأصمعي رحمه الله أن المعنى ما له قليل ولا كثير. انظر لسان العرب ٢/٨٤، ٣/٣٣٤.

(٣) هذا الحديث أورده ابن حجر في كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، ح (٤٣٦١)، ثم قال: هذا مرسل صحيح الإسناد. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٤/٢٤٣، ٢٤٤.

(٤) الحديث سبق تخريجه في ص ٤١٨.

(٥) انظر الرسول القائد ص ٣٣٤؛ والعبقرية العسكرية في غزوات الرسول ص ٥٥٩؛ =

من يرى هذه السرية أن الرسول ﷺ قصد تلك الناحية لكي تتناقل الأخبار ذلك[1].

ولعل الرسول ﷺ قصد بذلك ـ والله أعلم ـ أن يرشد القادة من بعده إلى وجوب أخذ الحذر وسلوك ما يمكن من أساليب التضليل على الأعداء والإيهام التي من شأنها صرف أنظار الناس عن معرفة مقاصد الجيوش الإسلامية التي تخرج من أجل الجهاد في سبيل الله حتى تحقق أهدافها وتَسْلَمْ من كيد أعدائها.

المطلب الثالث

إقالة عثرات ذوي السوابق الحسنة

أمر النبي ﷺ ولاة الأمر بإقالة عثرات ذوي الهيئات، لأن أيَّ امرىء لايخلو من زلة. فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أقيلوا ذوي الهيئات [2] عثراتهم، إلا الحدود»[3].

= ودروس في الكتمان من الرسول القائد ﷺ ص ٣٢؛ والمدرسة العسكرية الإسلامية ص ٦٠٨؛ والنظرية الإسلامية في الحروب النفسية ص ٧١؛ وفتح مكّة ص ١٥: لمحمد أحمد باشميل.

(١) انظر طبقات ابن سعد ٢/١٣٣؛ ومغازي الواقدي ٢/٧٩٧.

(٢) المراد بذوي الهيئات: هم الذين لا يُعْرَفون بالشر فيزل أحدهم الزلة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٢٨٥؛ وسبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلّة الأحكام ٤/٣٨: للشيخ محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني المعروف بالأمير، ط المكتبة التجارية الكبرى، بمصر، سنة (١٣٦٩هـ).

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الحدود، باب في الحد يشفع فيه، ح (٤٣٧٥)، سنن أبي داود ٤/٥٤٠.
قال المنذري: وفي إسناده عبد الملك بن زيد العدوي، وهو ضعيف، وذكر ابن عديّ أن هذا الحديث منكر بهذا الإسناد، لم يروه غير عبد الملك بن زيد. انظر مختصر سنن أبي داود ٦/٢١٣.
وقد ترجم له الذهبي فقال: عبد الملك بن زيد بن سعيد بن زيد حجازي، حدّث عنه =

ففي الحديث: أمر النبي ﷺ بالتجافي والصفح عن ذوي المروءات والهيئات إذا اقترفوا شيئاً من الهفو والزلات.

والأمر هنا للأئمة؛ لأنهم هم الذين تُوكل إليهم التعزيرات، فيجب عليهم الاجتهاد في فعل الأصلح، لاختلاف ذلك باختلاف مراتب الناس، وباختلاف المعاصي، والمراد بالإقالة: الموافقة على ترك المؤاخذة له أو تخفيفها.

أما من ارتكب ما يوجب حداً أو قذفاً فقد خرج من ذلك المعنى الذي أمر أنْ يتجافى عن زلات أهله، ووجب على الأئمة إقامة الحدود عليه ليكون ذلك رادعاً له ولغيرِهِ عن إتيان مثل ذلك والمعاودة له[1].

وقد ضرب النبي ﷺ القدوة الحسنة لمن بعده في الصفح عن زلات أصحابه ومن الأمثلة على ذلك: موقفه مع أحد أصحابه حين ارتكب خطأً عسكرياً، أثناء استعداد النبي ﷺ للفتح. وذلك كما في قصة حاطب بن أبي بلتعة المتقدمة[2].

وحين حقق ﷺ مع حاطب رضي الله عنه في هذا الأمر[3] تبين له ﷺ

ابن أبي فديك. ضعّفه علي بن الحسين بن الجنيد، وقال النسائي وغيره: ليس به بأس، قال ابن أبي فديك... ثم ساق حديث عائشة هذا. انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢/٦٥٥.

وأخرجه النسائي في كتاب الرجم، باب التجاوز عن زلة ذي الهيئة (السنن الكبرى، مخطوط، انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (١٧٩١٢)، ١٢/٤١٣، و ح (١٧٩٥٦)، ١٢/٤٣١، ١٤/٣٢).

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/١٨١.

(١) انظر مشكل الآثار للطحاوي ٢/١٣٢؛ وسبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلّة الأحكام ٤/٣٨.

(٢) انظر تفاصيل هذه القصة في مبحث «كتمان أمر المسير إلى مكة» في ص ٢٢٦، ٢٢٧.

(٣) إن هذه المخالفة تعدّ جرماً كبيراً، إذ لو قدّر وصول هذه الرسالة لنشب صدام مسلّح =

حسن نيته، فعفا عنه، وردّ ﷺ على عمر رضي الله عنه حين استأذنه في قتل حاطب بقوله: «أليس من أهل بدر؟ لعل الله اطّلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو: قد غفرت لكم»[1].

ففي هذا الحديث يتبين قدر الوفاء الذي يكُنُّه النبي ﷺ لأصحابه الذين نصره الله بهم، في مواطن كثيرة، ومن أولئك حاطب بن أبي بلتعة، وكان ممن حضر بدراً، وغيرها.

وحين دعته نفسه إلى ارتكاب هذا الخطأ العظيم في حق النبي ﷺ وفي حق أمته جعل الرسول ﷺ ماضيه المجيد سبباً في العفو عن هذه الخطيئة[2].

فإن ما اشتملت عليه هذه الحسنة العظيمة ــ وهي شهوده بدراً ــ من المصلحة وما تضمنته من محبة الله بها ورضاه وفرحه بها ومباهاته للملائكة بفاعلها أعظم مما اشتملت عليه سيئة التجسس من المفسدة وتضمنته من بغض الله لها. ولهذا فقد غلب الأقوى على الأضعف[3].

ويذكر الأنصاري رحمه الله عند الكلام على سياسة قائد الجيش جنده: أن مما يجب على القائد نحو جنده أن يقيل عثراتهم لأنه أدعى إلى المحبة والتآلف مما يكون سبباً في نصرتهم على عدوهم[4].

= بين العسكريين ونجم عن ذلك إراقة دماء كثيرة، من كلا الطرفين، مع أنه ﷺ كان حريصاً على أن يتم استسلام قريش دون أن يحدث ما لا تُحمد عقباه. انظر: فتح مكة ص ١٢١ : لمحمد باشميل.

(١) الحديث سبق تخريجه في ص ٢٢٧ .
(٢) انظر خاتم النبيين لأبي زهرة ٢/٩٩٨؛ وبطل الأبطال ص ٣٢ .
(٣) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٤٢٤ .
(٤) انظر تفريج الكروب في تدبير الحروب ص ٤٤ .

المطلب الرابـع

تنظيم عناصر الجيش حسبما تدعو إليه المصلحة

يُعَدُّ تنظيم الجيش وحسن اختيار أفراده ذا أثر في الحرب التي يخـوضها ضد أعدائه.

ولهذا فقد أَوْلى الـرسول ﷺ هـذا الجانب عنـاية تـامةً، وأعـطى القدوة المثلى فيه، لكي يقتدي به القادة العسكريون من بعده ويتجلى هذا الأمـر في تشكيله عناصر جيش الفتـح من قبائل شتى من العرب.

وقـد قصـد ﷺ في تشكيـل الجيش على هـذه الكيفيـة تحقيق أمـرين مهمين:

● **الأمر الأول: يتعلق بجيش المسلمين:**

إن انتصار هذا الجيش لا يُعَدّ انتصاراً لقبيلة دون أخرى، بل إنـه انتصار لجميـع المسلمين، وهذا له أثـره على الروح المعنـوية لـدى كل مسلم حيث يكون هذا الأمر باعثاً له على الحماس للجهاد في سبيل نصرة الحق.

كمـا أن إخفـاق أي قبيلة في التغلب على عـدوّهـا لا يُعَـدّ عـاراً عليهـا وحدها، لأن هذا الجيش كان للإسلام ولمعتنقيه من العرب وغيرهـم.

● **الأمر الثاني: يتعلق بجيش المشركَين:**

لقـد كـان تنـظيـم جيش الـمسـلميـن بهـذه الـصـورة سببـاً في جـعـل المشركين يتردّدون في مقـاومته، إذ إن كـل قبيلة من قبائـل المشركين لهـا في جيش المسلمين عدد كبير من الرجال، حتى إن كثيـراً من القبائـل ممن كانـوا على الشـرك حـينذاك تعدّ نجـاح هذا الجيش نجـاحـاً لهـا، على الـرغم من اختلاف العقيدتين، حيث كان النصر يُعَدّ مفخرةً من مفاخر العرب التي كانـوا يتباهون بهـا

كمـا أن تنظيم الجيش بهـذه الصورة جعـل أكثر القبـائـل المعـادية لـه لا تحـرص على مقاومتـه حرصهـا على مقـاومـة قبيلة خاصـة، ثم إن تـركيب الجيش بهذه الكيفية جعل تلك القبائل لا تريد إضعاف هـذا الجيش مع أنهـا لا تريد النصر لـه، مما أدّى إلى تردّد القبائل المعاديه له في نقـل المعلومات عـنـه إلى قريش وحلفـائها ، ولأن قتـال جيش النبي ﷺ أو نقل المعلومـات عنه معناه: إلحاق الخسائر بعسكر المسلمين جميعاً، وبحدوث هذا الأمر يعمّ الضرر القبائل كلها لا المسلمين وحدهم.

وهـذا التصرف الحكيم يـدل على براعـة النبي ﷺ في تنـظيم الجيش حسب ما تدعو إليه المصلحة، لاحشد مجموعة من الرجال فحسب.

فعلى القادة العسكريين أن يراعوا المصلحـة العامـة عند تنـظيم عناصـر الجيش، وهذا لا يتم إلا بعرض هـذا الأمر على مجلس الشـورى، لدراستـه من جميع الوجوه، حتى تتبين المصلحة في تشكيل عناصر الجيش على كيفية معينة[1].

المطلب الخامس

للقائد تقسيم الجيش إلى أرتال إذا دعت المصلحة إلى ذلك

جرت العادة في الحروب أن تكون قـوات الجيش مجتمعة ليكـون ذلك أدعى إلى قوّته وتماسكه، وإلقاء الرعب في نفوس الأعداء، وأحياناً قـد تدعـو الحاجة إلى تفريق القوات في عدة أماكن.

وفي فتح مكة قسم الرسول القائد ﷺ جيشه إلى خمسة أرتال[2]، حيث

---

(١) انـظر الرسول القائـد ص ٣٥؛ والعبقريـة العسكريـة في غزوات الـرسول ص ٥٨٠؛ والنظرية الإسلامية في الحروب النفسية ص ٧٣.

(٢) الأرتال: جمع رَتْل، بفتح الراء أو كسرها، وهو في اللغة: يطلق على الطيّب من كـل شيء. انـظر لسان العرب ١/١٢٠.
أما في الاصطلاح فهـو يطلق عـلى جماعـة من المشاة أو الخيّـالة أو السيّـارات أو الدروع =

رأى أن المصلحة العامة تقتضي سلوك هذا السبيل في ذلك الظرف.

وقد تجلى في هذا الموقف بُعْدُ نظره ﷺ، حيث أدخل في حسبانهِ أصعب الاحتمالات وقوعاً، عند رسم خطة الفتح، بحيث كانت تلك الخطة تؤمِّن له تطويق مكة من جهاتها الأربع وذلك بأن قسَّم جيشه إلى أرتال، كل واحدة منها قوة مستقلة بذاتها عند الحاجة إلى ذلك. ويهدف هذا التشكيل إلى تحقيق أمرين:

الأول: القضاء على أية مقاومة تحدث في أي جهة من تلك الجهات.

الثاني: تشتيت قوات قريش إلى عدة أقسام، لمقاومة كل رتل من أرتال جيش المسلمين على انفراد.

وبهذا تكون القوات ضعيفة في كل مكان لا تستطيع التصدي لجيش المسلمين[1].

وفي هذا التصرف الحكيم إرشاد لقادة الجيوش الإسلامية وهو أنه ينبغي أن يكون وضع الخطة مناسباً للظروف التي تتم فيها العمليات الحربية فإن كانت المصلحة العامة تقتضي تقسيم الجيش إلى أرتال فإنه ينبغي أن يفعل ذلك.

المطلب السادس

مشروعية عزل بعض قادة أرتال الجيش إذا ظهرت المصلحة في ذلك

لمّاكانت قيادة الجند تُعَدّ من باب التكاليف التي يُقصد بها تحقيق المصالح العامة فإن التولية والعزل ينبغي أن يراعى فيهما تلك المصلحة. وقد كان الرسول ﷺ يولّي ويعزل متى رأى المصلحة في ذلك.

ففي فتح مكة عزل ﷺ سعد بن عُبادة عن قيادة كتيبة الأنصار عندما

= أو جماعة من كل هذه الأصناف يتبع بعضها إثر بعض. انظر المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ١/٢٧٨.

(١) انظر مبحث وصول الجيش إلى ضواحي مكة، ص ٢٣٠.

بلغته مقالة عن سعد أغضبت أبا سفيان والمهاجرين، وولى مكانه ابنه قيساً[1].

روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (دفع رسول الله ﷺ الرايةَ يوم فتح مكة إلى سعد بن عبادة فجعل يهزها ويقول: اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، قال: فشق ذلك على قريش وكبُرَ في نفوسهم، قال: فعارضت امرأةٌ رسولَ الله ﷺ في مسيره وأنشأت تقول:

يا نبيّ الهدى إليك لجاحي	قريش ولات حين لجاء
إن سعداً يريد قاصمة الظهـ	ـر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيـ	ـظ رمانا بالنسر والعواء
فانهينْه فإنه الأسـ	ـود والليث والغ في الدماء

قال: فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر دخله رحمة ورأفة بهم وأمر بالراية فأُخِذَت من سعد بن عبادة ودُفعت إلى ابنه قيس بن سعد.

قال: فيروى أنه عليه الصلاة والسلام أحب أن لا يخيِّبها إذ رغبت إليه واستغاثت به وأحبَّ أن لا يُغضب سعداً فأخذ الراية منه ودفعها إلى ابنه قيس[2].

---

(١) انظر نص الحديث الوارد في هذا الشأن في هامش ص ٢٣١.

(٢) انظر البداية والنهاية ٤/٢٩٥؛ والسيرة النبوية لابن هشام ٤/٢٦.

المبحث السادس

الدروس القيادية المستفادة من غزوة تبوك

المطلب الأول

مشروعية معاقبة القائد العصاة من جنده بما يراه مناسباً لتأديبهم

تختلف الأمم قديماً وحديثاً في تطبيق العقوبات الرادعة للمتخلّفين عن القتال بحسب المصادر التشريعية التي تستمد منها تلك العقوبات.

ففي الحرب العالمية الثانية أُبيد كثير من عوائل المتخلفين عن بكرة أبيهم، وقد قُصد من ذلك التقليل من أعداد المتخلّفين عن الحروب، ولكنها حين تداعت قواتها تحت مطارق الحرب تكاثر عدد المتخلّفين برغم قوانينها الرادعة، وهذا يدل على أنّ القوانين الوضعية لا سلطان لها على الضمائر لأنها لا تملك الوسيلة المقنعة في الثواب والعقاب.

أما الإسلام فقد عالج مشكلة التخلف عن القتال بالعقاب النفسي للمتخلف وحده، دون أن يلحق أحداً من ذويه أي عقاب، لأن الجزاء في الشريعة الإسلامية يكون على الشخص وحده[1].

وقد بَيّنَ الله سبحانه وتعالى هذا الأمر بقوله: ﴿ألّا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى﴾[2].

وفي غزوة تبوك تخلّف ثلاثة نفر من الصحابة عن الخروج إلى الجهاد، وكان ذلك من غير عذر منهم. وحين تبين للنبي ﷺ حسن نياتهم وصدقهم مع الله ورسوله عاقبهم رسول الله ﷺ عقاباً نفسياً، تطهيراً لهم من هذا الدرن الذي علق بهم، وهؤلاء الثلاثة هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع.

---

(١) انظر الرسول القائد ص ٤١٠، ٤١١. (٢) الآية ٣٨ من سورة النجم.

ولنترك الحديث الآن لأحد هؤلاء النفر وهو كعب بن مالك ليحدثنا عن أثر هذا العقاب في نفوسهم فيقول:

(. . . ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتَنَبنا الناس وتغيّروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحبيّ فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أَشَبّ القوم وأجلدهم وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحبّ الناس إلي، فسلمت عليه، فوالله ما ردّ عليَّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة: أنشدك الله هل تعلمني أحبّ الله ورسوله؟ فسكَتَ، فعدت له فنشدته فسكتَ، فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي. . . فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كملت لنا خمسون ليلة، من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أَوْفى على جَبل سَلْع بأعلى صوته يقول: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجداً، وعرفت أنه قد جاء فرج، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبَلَ صاحِبَيَّ مبشرون، وركض إليَّ رجل فرساً وسعى ساعٍ من أسلم فاوفى على الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما، ببشراه.

ووالله ما أملك غيرهما يومئذٍ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة يقولون: لِتَهْنِكَ توبةُ الله عليك، قال كعب: حتى دخلتُ المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حول الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين ـ ولا أنساها لطلحة ـ قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور ـ: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك»، قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله»، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه...)[1].

ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء الثلاثة من الأنصار، ولذا فقد عاقبهم الرسول ﷺ عقاباً يتناسب مع مكانتهم من بين سائر الصحابة.

وفي ذلك يقول السُهَيلي: (إنما اشتد غضبه على من تخلف عنه ونزل فيهم من الوعيد ما نزل، حتى تاب الله على الثلاثة منهم، وإن كان الجهاد من فروض الكفاية لا من فروض الأعيان، لكنه في حق الأنصار خاصةً كان فرض عين، وعليه بايعوا النبي ﷺ، ألا تراهم يقولون في يوم الخندق:

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا

ومن تخلّف منهم يوم بدر، إنما تخلف لأنهم خرجوا لأخذ العير ولم يظنوا أنه سيكون قتال، فكذلك كان تخلفهم في هذه الغزوة كبيرة، لأنها كالنكث لبيعتهم[2].

ويدل على ذلك أمره ﷺ للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه يوم حنين أن يخصّ الأنصار بالنداء عندما لم يسمع المسلمون النداء في المرة الأولى والثانية[3].

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه مستوفىً في ص ٢٨٨، ٢٨٩.
(٢) الروض الأنف ٧/٣٦٩.
(٣) سبق ذكر الحديث الذي يدلّ على ذلك في ص ٢٥٦، ٢٥٧.

ولهذه الواقعة دلالتان قويتان:

الأولى: أن الاستنكار النفسي يفعل في الأخيار ما لا تفعله العقوبات الأخرى في الأشرار[1].

الثانية: أن القوي في الدين يؤاخَذ بأشد مما يؤاخذ به ضعيف الدين، إذا وقع في معصية[2].

ويستفاد من هذه الواقعة درس مهم وهو فرض العقوبة المناسبة على الجنود عندما يُراد تأديبهم من غير زيادة ولا نقصان.

ومن الجدير بالذكر أن العقوبة على المخالفة بمنزلة الدواء، فإن كان قليلاً ضَعُفَ عن حصول الشفاء به وإن كان تعاطيه كثيراً في الكمية أو الكيفية فإنه يهلك صاحبه[3].

المطلب الثاني

جواز عدول القائد عن الخطة التي اعتاد تطبيقها إذا اقتضت المصلحة العامة ذلك

كانت عادة الرسول ﷺ في رسم الخطط الحربية أن يأخذ بأسلوب الكتمان نظراً لأهميته، ولكنه ﷺ متى رأى أن المصلحة للجيش تقتضي خلاف هذا الأمر فإنه يأخذ به[4].

ففي غزوة تبوك كان مقام الحال يقتضي التصريح للصحابة بالجهة التي يريد أن يتوجه إليها. فعن الزهري قال: (أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، قال: سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يقول: كان

---

(١) انظر خاتم النبيين ﷺ ١٠٩٧/٢: للشيخ أبو زهرة.

(٢) انظر فتح الباري ١٢٣/٨.

(٣) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد ٥٧٨/٣.

(٤) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ص ٦٥٩، ٦٦٠؛ وغزوة تبوك ص ١٧٦، ١٧٧: للشيخ محمد أحمد باشميل.

رسول الله ﷺ قلّما يريد غزوة إلّا ورّى بغيرها، حتى كانت غزوة تبوك، فغزاها رسول الله ﷺ في حرّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبل غزو عدو كثير، فجلّى للمسلمين أمره ليتأهّبوا أهبّة عدوّهم وأخبرهم بوجهه الذي يريد)[1].

وقد استدل بعض العلماء بهذا الحديث على جواز التصريح بجهة الغزو إذا لم تقتض المصلحة ستره[2]، كما استدلوا به أيضاً على أن الكتمان إذا تضمّن مفسدة فإنه لا يجوز أن يُصار إليه[3].

وإنما صرّح ﷺ في هذه الغزوة ـ على غير العادة ـ بالجهة التي يريد غزوها، وجلّى هذا الأمر للمسلمين، لأسباب أربعة:

الأول: بُعد المسافة، فقد كان الرسول ﷺ يدرك أن السّير إلى بلاد الروم يُعَدُّ أمراً صعباً، لأن التحرك سيتم في منطقة صحراوية ممتدة، قليلة الماء والنبات، ولا بدّ حينئذٍ من إكمال المؤنة ووسائل النقل للمجاهدين قبل بدء الحركة حتى لا يؤدي نقص هذه الأمور إلى الإخفاق في تحقيق الهدف المنشود.

الثاني: كثرة عدد الروم بالإضافة إلى أن مواجهتهم تتطلب إعداداً خاصاً. فهم عدو يختلف في طبيعته عن الأعداء الذين واجههم النبي ﷺ من قبل، فأسلحتهم كثيرة، ودرايتهم بالحرب كبيرة وقدرتهم القتالية فائقة[4].

الثالث: شدّة الزمان؛ وذلك لكي يقف كل امرىء على ظروفه ويعدّ النفقة اللازمة له في هذا السفر الطويل ولمن يعول وراءه[5].

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه في ص ٣٢٩.

(٢) انظر فتح الباري ٦/١٢٣.

(٣) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/١٣.

(٤) انظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ص ٦٤١، ٦٤٢؛ والرسول القائد ص ٣٩٨.

(٥) انظر البداية والنهاية ٥/٣؛ وتاريخ الطبري ٣/١٠١؛ والسيرة الحلبية ٣/٩٩؛ والمواهب اللدنية ١/١٧٢.

الرابع: أنه لم يعد مجال للكتمان في هذا الوقت، حيث لم يبق في جزيرة العرب قوة معادية لها خطرها تستدعي هذا الحشد الضخم سوى الرومان ونصارى العرب الموالين لهم في منطقة تبوك ودومة الجندل والعقبة[1].

ويُستفاد من تصريحه ﷺ في غزوة تبوك بالجهة التي يريدها أمران مهمان:

الأول: الأخذ بمبدأ المرونة عند رسم الخطط الحربية.

الثاني: مراعاة المصلحة العامة في حالتي الكتمان والتصريح، ويُعرف ذلك من مقتضيات الأحوال.

المطلب الثالث

مشروعية مراعاة القائد شؤون جنده أحياءً وأمواتاً

تُعَدّ رعاية القائد شؤون جنده من المبادىء الأساسية التي تقوم عليها القيادة العسكرية.

وفي غزوة تبوك توفي أحد الصحابة، وهو عبد الله المزني الملقّب بـ «ذي البجادين»، وكان مؤمناً بالله صادقاً في جهاده، فتولى النبي ﷺ تجهيزه ودفنه، وكان معه وزيراه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

وقد ضرب النبي ﷺ في هذه الواقعة القدوة الحسنة لمن يأتي بعده في رعاية القائد شؤون جنده والاعتزاز بهم وتكريمهم أحياءً وأمواتاً.

وإنما فعل ذلك ﷺ بجنوده؛ لأنهم قدّموا أنفسهم للجهاد في سبيل

---

(١) انظر غزوة تبوك ص ٥٧: للشيخ محمد أحمد باشميل. والعقبة: مدينة كبيرة على رأس خليج، يُعرف بهذا الاسم، وكانت تابعة للحجاز حتى قيام دولة الأردن، فضُمّت إليها، وكانت ميناءً لها. وهي الآن مدينة متقدمة من حيث الناحية العمرانية والعلمية. وكانت تعرف قديماً باسم «أيْلة». انظر معجم البلدان ١/٢٩٢؛ ومعجم معالم الحجاز ٦/١٥٣.

الله، تاركين وراءهم أعزّ ما يملكون، فكانت تلك الرعاية مظهراً من مظاهر تكريمهم في الدنيا، حيث لم يترك جثثهم تتناوشها الذئاب وغيرها لكي يكون هذا التكريم من الأسباب التي تدفع غيرهم إلى الاستبسال والإقدام في ميادين الجهاد.

ومن الجدير بالذكر أنّ هذا المبدأ لم يجد من يدعو إلى تطبيقه إلاّ في العصر الحديث. وبهذا يمكن أن يُقال: إن رعاية القائد المسلم لشؤون جنده تُعَدُّ سبقاً عسكرياً لم تعرفه النُظُم والدساتير الوضعية إلاّ بعد قرون طويلة من بزوغ فجر الإسلام[1].

المطلب الرابع
الاهتمام بتدريب الجند جسمياً ونفسياً حتى يسهل عليهم تحمُّل شدائد الجهاد

يلجأ قادة الجيوش الحديثة إلى تدريب جنودهم تدريباً عنيفاً، وذلك لتحمُّل أصعب المواقف المحتمل حدوثها في الحرب، وقد سبق النبي ﷺ إلى هذا الأمر قبل أربعة عشر قرناً من الزمان. وذلك بقصد إعداد الصحابة الكرام رضي الله عنهم لأشرف مهمة، وهي الجهاد لإعلاء كلمة الله فيما بعد.

ففي غزوة تبوك درَّب النبي ﷺ الصحابة تدريباً عنيفاً، فقطع بهم مسافةً طويلة في ظروف جويّة صعبة، حيث كانت حرارة الصيف اللاَّهب بالإضافة إلى الظروف المعيشية التي كانوا يعانون منها. فقد كان هناك قِلّة في

---

(1) انظر المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ٢٩٩؛ وخاتم النبيين ﷺ ٢/١٠٨٨.

الماء حتى كادوا يهلكون من شدة العطش[1]، وأيضاً كان هناك قِلّة في الزاد[2] والظهر[3].

ولا شك في أنّ هذه الأمور تُعَدّ تدريباً عنيفاً لا يتحمّله إلاّ الأقوياء من الرجال.

وقد ظهرت منفعة هذا التدريب بعد وفاة النبي ﷺ حيث سهل على الصحابة رضي الله عنهم فتح بلاد فارس والروم.

يقول اللواء محمد فرج: (إن رحلتَي الذهاب والعودة كانتا تدريباً عملياً شمل اجتياز الموانع وقطع المسافات الطويلة في ظروف جوية مختلفة، مع الحرمان من الطعام والماء. ولقد تحمّل الجيش المشاقّ بروح قوية وصبر طويل، وكان هذا التدريب إعداداً نفسياً وجسمياً لهم لكي يتعوّدوا على مثل هذه التحركات ويتغلّبوا على كافة ما يلقونه خلالها).

ولقد سهّل لهم هذا التدريب الأمر حينما طولبوا في عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه بالسير إلى بلاد الشام لمواجهة جيوش الروم، وإلى بلاد فارس لمواجهة جيوش الفرس.

وهذا النوع من التدريب يسمى في عصرنا هذا «بالتدريب العنيف» وتلجأ إليه الجيوش لتدريب رجالها على اجتياز كافة الصعوبات، وعلى التغلّب على كافة المشكلات كما أنها تلجأ إلى تدريب القوات على تحمل الجوع والعطش وعلى العمل تحت مختلف الظروف الجوية حتى تتعوّد عليها[4].

---

(١) انظر دليل هذا الأمر في مبحث «تحرّك جيش المسلمين إلى تبوك» ص ٢٩١.

(٢) انظر دليل هذا الأمر في مبحث «تحرّك جيش المسلمين إلى تبوك» ص ٢٩٥، ٢٩٦.

(٣) انظر دليل هذا الأمر في مبحث «تحرّك جيش المسلمين إلى تبوك» ص ٢٩٢.

(٤) انظر: العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ص ٦٦١ ـ ٦٦٢؛ والرسول القائد ص ٤١٥.

مطلب في
تطبيق مبدأ المطاردة بعد المعركة إذا دعت إليه الضرورة(*)

يُعَدّ تطبيق مبدأ المطاردة بعد الفرار أمراً مهمّاً يجب أن تختم به كل معركة إذا دعت إلى ذلك الضرورة.

إذ إنّ في تطبيق هذا المبدأ تأثيراً عظيماً على معنويات الأعداء من جوانب ثلاثة:

الأول: أنها تجعل المقاتل يفقد ثقته في نفسه بسبب انهيار الروح المعنوية لديه فيتردّد في العودة إلى القتال أو السير على وجهه حتى الموت أو الأسر.

الثاني: أنها تفقده ثقته في سلاحه، حيث يلقيه من يده فلا هو يستطيع أن يستخدمه ولا السلاح يستطيع أن يحميه، وبهذا يكون وجود هذا السلاح عذاباً نفسياً يضرب نياط قلب صاحبه.

الثالث: أنها تفقده الثقة في قائده لأن كل واحد منهما في حالة المطاردة لا تهمّه مدافعة الخصم والانتصار عليه بقدر ما يهمّه التفكير في أسلوب يستطيع أن ينجو بنفسه مما هو فيه.

ومتى فقدت الثقة بين الجندي وقائده؛ فإنها لا تقوم للعمل العسكري قائمة.

ونظراً لأهمية هذا المبدأ الحربي فقد كان الرسول ﷺ يأخذ به في حروبه عندما تدعو إلى ذلك الحاجة.

(*) بعد استنتاج الدروس القيادية من غزوة حنين تبينّ لي أنّها تشترك مع غيرها من الدروس في الغزوات الأخرى. لهذا رأيت أن من المصلحة ـ منعاً للتكرار ـ أن أضعها مع مايشابهها. وبقي درس واحد فرأيت أن من الأولى إفراده بمطلب خاص في نهاية هذا الفصل.

ويعدُّ تطبيقه ﷺ لهذا المبدأ سبقاً عسكرياً اعتمدته المدارس العسكرية الحديثة[1].

ومن الأمثلة على تطبيق الرسول ﷺ لهذا المبدأ:

ـ أنه لمّا انسحب المشركون يوم حنين من ميدان القتال أمر ﷺ بمطاردة فلولهم المنهزمة.

فقد ذهب ﷺ بنفسه ومعه بعض أفراد الجيش وطارد ثقيفاً حتى اضطرت أن تلجأ إلى حصن الطائف.

وأرسل ﷺ سرية من الجيش بقيادة أبي عامر الأشعري لمطاردة المنهزمين إلى وادي أوطاس ونخلة حتى كان بين الطرفين قتال شديد انتهى بالقضاء على المعاندين[2].

وبهذه الخطة الحكيمة استطاع ﷺ أن يكسب ثمار هذه المعركة لصالح الإسلام والمسلمين.

---

(١) انظر العبقرية العسكرية ص ٢٩٣، ٦٢٣، ٦٢٤، ٥٦٢؛ والرسول القائد ص ٣٨١؛ وغزوة حنين ص ١٨٦.

(٢) انظر هذا الموضوع بالتفصيل في ص ٢٦٣ ـ ٣٦٨.

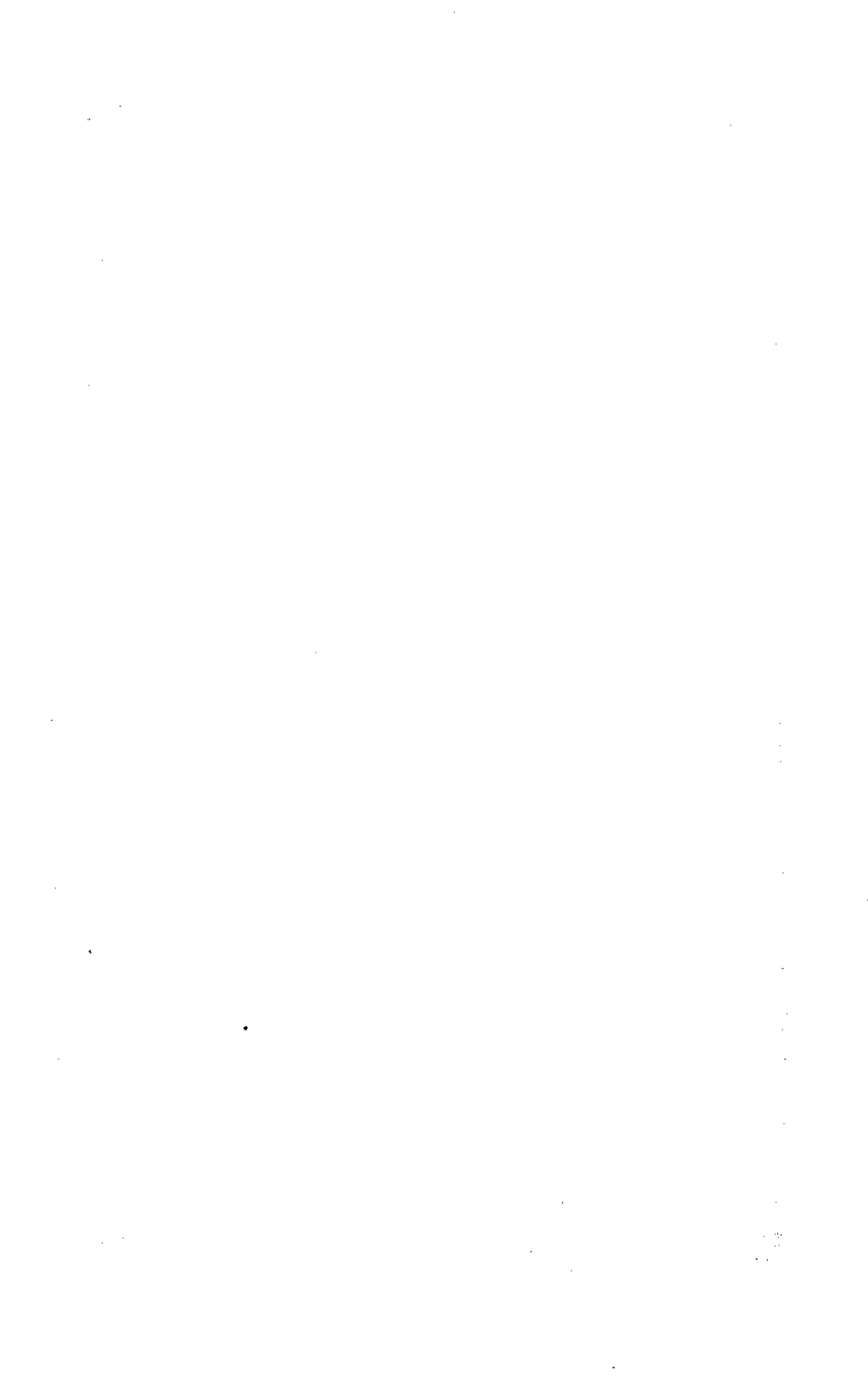
الباب الرابع

نماذج من السرايا الحربية

في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

والدروس القيادية المستفادة

من هذه السرايا



الفَصْل الأوَّل

أَحْدَاثُ السَّرَايَـا الحَربِيَّة

المبحث الأول

سرية علقمة بن مجزز

• ذكر بعض أهل المغازي والسِّيَر سبب هذه السرية وتاريخها قال ابن سعد رحمه الله: (بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من الحبشة تراياهم أهل جدّة[1]، فبعث إليهم علقمة بن مجزز في ثلاثمائة، فانتهى إلى جزيرة في البحر وقد خاض إليهم البحر، فهربوا فلما رجع تعجل بعض القوم إلى أهلهم فأذن لهم، فتعجل عبد الله بن حذافة السهمي... فأمّره على من تعجّل)[2].

فحصل له مع هؤلاء القوم قصة غريبة، وقد ذكر المحدثون هذه القصة بتفاصيلها، فعن أبي سعيد ــ رضي الله عنه ــ قال: (بعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجززعلى بعث أنا فيهم حتى انتهينا إلى رأس غزاتنا، أو كنا ببعض الطريق أذن لطائفة من الجيش، وأمّر عليهم عبد الله بن حذافة السَّهمي، وكان

---

(١) جُدَّة بضم الجيم وتشديد الدال: بلد قديم معروف على ساحل البحر الأحمر، وهي الآن مدينة رائعة العمران والتنسيق، وتُعدّ الميناء الرئيسي للحجاز ويؤتى لها من ثلاث وسائل: البر والبحر والجو، ومطارها أحد المطارات العالمية، تحط فيه جميع الطائرات، وتبعد عن مكة ٧٣ كيلاً، من جهة الغرب، و٤٢٠ كيلاً جنوب المدينة. انظر معجم البلدان ٢/١١٤، ١١٥؛ ومعجم معالم الحجاز ٢/١٣٠، ١٣١.

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٦٣؛ ومغازي الواقدي ٣/٩٨٣؛ وتاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ٢/١٢٠.

من أهل بدر وكانت فيه دعابة[1]، فقال: اجمعوا لي حطباً، فجمعوا له، ثم قال: أوقدوا ناراً، فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، فكان كذلك، وسكن غضبه، وطفئت النار، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ قال: «لو دخلوها[2] ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف»[3]، وقد وقعت هذه السرية في ربيع

---

(١) الدُّعَابة: المزاح واللَّعِبُ. انظر لسان العرب ١/٩٨٠، ومما يدل على وجود هذه الصفة في عبد الله: ما جاء في رواية الإمام أحمد: (... حتى إذا ظن أنهم دانون قال: احبسوا أنفسكم، فإنما كنت أضحك معكم...). انظر: المسند ٣/٦٧.

(٢) قوله ﷺ: «لو دخلوها ما خرجوا منها» وردت برواية أخرى هي: «ما خرجوا منها أبداً»، ووردت برواية ثالثة وهي: «فلم يزالوا فيها إلى يوم القيامة». والمراد بهذه الروايات الثلاث: أن الدخول في تلك النار معصية، والعاصي يستحق النار. ويحتمل أن يكون المراد: لو دخلوها مستحلين لما خرجوا منها أبداً، وعلى هذا: ففي العبارة نوع من أنواع البديع وهو الاستخدام، لأن الضمير في قوله: «لو دخلوها» للنار التي أوقدوها، والضمير في قوله: «ما خرجوا منها أبداً» لنار الآخرة، لأنهم ارتكبوا ما نُهُوا عنه من قتل أنفسهم.
وهناك احتمال آخر: وهو أن الضمير يعود للنار التي أوقدت لهم حيث ظنوا أنهم إذا دخلوا بسبب طاعة أميرهم لا تضرهم، فأخبر ﷺ أنهم لو دخلوا فيها لاحترقوا فماتوا فلم يخرجوا، والاحتمال الثاني هو الظاهر من هذه العبارة والله تعالى أعلم. انظر: فتح الباري ٨/٦٠.

(٣) الحديث أخرجه مسلم بهذا اللفظ في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ح (١٨٤٠)، صحيح مسلم ٣/١٤٦٩.
وأخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي وعلقمة بن مجزز المدلجي، ح (٤٣٤٠)؛ فتح الباري ٨/٥٨.
وأخرجه في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ح (٧١٤٥)؛ فتح الباري ١٣/١٢١.
وأخرجه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر عبد الله بن حذافة السهمي، المستدرك على الصحيحين ٣/٦٣٠.
=

الآخر، سنة تسع للهجرة)[٢].

= وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الطاعة، ح (٢٦٢٥)، سنن أبي داود ٣/ ٩٢.
وأخرجه النسائي في كتاب البيعة، باب جزاء من أمر بمعصية فأطاع، سنن النسائي ٧/ ١٥٩.
أمر بمعصية، ح (١٥٥٢)، موارد
وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب جزاء من أمر بمعصية فأطاع، سنن النسائي ١٥٩/٧.
وأخرجه ابن ماجة في كتاب الجهاد، باب لا طاعة في معصية الله، ح (٢٨٦٣)، سنن ابن ماجة ٢/٩٥٥.
وأخرجه الإمام أحمد بهذا اللفظ في المسند ٦٧/٣، ١٢٤، وبنحوه في ٨٢/١، ٩٤.
وأخرجه ابن حبان في كتاب الإمارة، باب فيمن أمر بمعصية، ح (١٥٥٢)، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ٣٧٣، ٣٧٤.

(١) انظر مغازي الواقدي ٩٨٣/٣؛ والطبقات الكبرى لابن سعد ١٦٣/٢؛ وتاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ١٢٠/٢.

المبحث الثاني
سريـــة ذات السَّــلاسِل

المطلب الأول
سبب السرية وتاريخها

عندما علم النبي ﷺ أن جماعة من قضاعة تريد أن تغير على أطراف المدينة قام بتجهيز جيش للقضاء على هؤلاء المعتدين وأسند قيادته إلى عمرو بن العاص. وفي ذلك يقول ابن سعد:

(لما بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من قضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص فعقد له لواءً[1] أبيض وجعل معه رايةً سوداء[2]، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرساً، وأمره أن يستعين بمن يمر به من

---

(١) اللِّوَاء: هي الرَّاية، ولا يمسكها إلا صاحب جيش الحرب، ويكون الناس تبعاً له. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٢٧٩؛ ومجمع بحار الأنوار في غريب التنزيل ولطائف الأخبار ٤/٥١٦.

(٢) الرَّاية: هو العلم، ويجمع على رايات، وكان الأصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه. انظر مختار الصحاح ص ٢٨٦: للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة(١٣٦٩هـ)؛ وفتح الباري ٦/١٢٩. وفرق ابن العربي – رحمه الله – بين اللِّواء والرَّاية فقال: اللِّواء هو ما يُعقد في طرف الرمح ويلوى معه، والرَّاية هو ثوب يجعل في طرف الرمح ويخلى كهيئة تصفقه الرياح، صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي ٧/١٧٧، الطبعة الأولى، سنة (١٣٥٠هـ)، المطبعة المصرية بالأزهر.

بلى وعذرة وبلقين)[1]. وقد نقل ابن عساكر في تاريخه اتفاق أهل السِّيَر (عدا ابن إسحاق) على أن سرية ذات السلاسل وقعت في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة[2].

المطلب الثاني
تحرك الجيش إلى ذات السَّلاسل

لمّا عقد الرسول ﷺ لواء الجيش لعمرو بن العاص أمره بالتوجه إلى ذات السَّلاسِل، فسار إلى حيث أمره ﷺ فكان يسير في الليل ويكمن في النهار.

ولما وصل عمرو إلى مكان تجمع الأعداء بلغه أن لهم جموعاً كثيرة، فتخوّف من ذلك، فبعث إلى النبي ﷺ رافع بن مكيث يطلب منه مدداً، فأرسل إليه أبا عبيدة عامر بن الجراح ومعه مائتا مقاتل، وانضم المدد إلى الجيش لقتال الروم[3].

عن عامر قال: (بعث رسول الله ﷺ جيشَ ذاتِ السَّلاسِل فاستعمل أبا عبيدة على المهاجرين، واستعمل عَمْراً على الأعراب، فقال لهما: تطاوعا، قال: وكانوا يُؤمرون أن يغيروا على بكر، فانطلق عمرو فأغار على قضاعة، لأن بكراً أخواله، فانطلق المغيرة بن شعبة إلى أبي عبيدة، فقال: إن رسول الله استعملك علينا، وإن ابن فلان قد ارتبع[4] أمر القوم وليس لك

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/١٣١؛ وانظر مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير ص ٢٠٧؛ وعيون الأثر في فنون المغازي والسِّيَر ٢/١٥٧.

(٢) انظر الطبقات الكبرى ٢/١٣١؛ وعيون الأثر في فنون المغازي والسِّيَر ٢/١٥٧؛ وتاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ٢/٧٥.

(٣) انظر مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير ص ٢٠٧؛ وتاريخ الطبري ٣/٣٢؛ والكامل لابن الأثير ٢/٢٣٢؛ والبداية والنهاية ٤/٢٧٣ ـ ٢٧٤؛ وتاريخ الخميس ٢/٧٥.

(٤) ارْتَبَع: يقال: فلان ارْتَبَع أمر القوم: أي إنه ينتظر أن يؤمّر عليهم. انظر لسان العرب ١/١١١٢.

معه أمر، فقال أبو عبيدة: إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتطاوع فأنا أطيع رسول الله ﷺ وإن عصاه عمرو)[1].

وقد أرادت جماعة من الجيش أن يوقدوا ناراً للتدفئة، فمنعهم عمرو من ذلك، ولما انهزم الأعداء أراد المسلمون أن يتبعوا فلولهم فمنعهم قائدهم من ذلك، وقد حمد النبي ﷺ لعمرو هذين الموقفين.

فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ بعثه في غزوة ذات السَّلاسِل، فسأله أصحابه أن يوقدوا ناراً، فمنعهم، فكلموا أبا بكر فكلمه، فقال: لا يوقد أحد منهم ناراً إلا قذفته فيها، قال: فلقوا العدو فهزموهم، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم، فلما انصرف ذلك الجيش ذكروا ذلك للنبي ﷺ وشكوه إليه، فقال: يا رسول الله إني كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قلتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفوا عليهم، فحمد رسول الله ﷺ أمره)[2].

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/١٩٦؛ المسند بتحقيق أحمد شاكر، ح (١٦٩٨)، ٣/ ١٥١.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/٢٠٦، ثم قال: رواه أحمد وهو مرسل ورجاله رجال الصحيح، والحديث بهذا الإسناد ضعيف لإرساله، لأن عامراً وهو ابن شراحيل الشعبي الهمداني إمام كبير تابعي ثقة حجة، ولكنه لم يدرك عمرو بن العاص، فمن باب أولى أن لا يكون قد أدرك أبا عبيدة، ولكنه حكى القصة فأرسلها إرسالاً. انظر الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة؛ المسند بتحقيق أحمد شاكر، ح (١٦٩٨)، ٣/ ١٥١.

(٢) الحديث أخرجه ابن حبان في كتاب الجهاد، باب الرأي في الحرب، ح (١٦٦٥)؛ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ٤٠٠.
وأخرجه الحاكم من طريق آخر بنحو هذا اللفظ في كتاب المغازي، باب لا بد لأهل العسكر أن يطيعوا قائدهم، المستدرك على الصحيحين ٣/٤٣. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وأقره الذهبي.

المطلب الثالث

مطاردة المسلمين أعداءهم

عندما وصل عمرو بجيشه إلى ذات السَّلاسِل أخذ يطارد القبائل الموالية للروم حتى توغّل في ديار قبائل (بلى وعذرة وبلقين وطيء)، وكان كلما وصل إلى موضع فرت القبائل التي كانت موجودة فيه إلى مكان آخر، فحمل عليهم المسلمون، وفي نهاية المدة لقي جيش المسلمين جمعاً من تلك القبائل حتى تفرقوا في البلاد.

وبهذا الأسلوب: استطاع عمرو أن يشتت جموع تلك القبائل وأن يعيد الهيبة للدولة الإسلامية[1].

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٣١؛ والبداية والنهاية ٤/٢٧٤؛ وتاريخ الخميس ٢/٧٥.

المبحث الثالث

سـرية مـؤتـة

المطلب الأول

سبب السرية وتاريخها

بعث رسـول الله ﷺ كعب بن عمير الغفـاري رضي الله عنـه على رأس سـرية إلى أطـراف الجزيـرة العـربيـة، فعـدا الـروم على تلك السـريـة وقتلوا أفرادها، عدا قائد السَّرية فإنه نجا بجراحاته(١).

ثم إن الرسول ﷺ بعث الحارث بن عمير إلى ملك بُصْـرَى(٢)، يدعـوه إلى الإسلام، فعدا عليه شرحبيل بن عمرو الغسـاني وقتله، فقرر الـرسول ﷺ أن يثأر لذلك، وندب الناس إلى الخروج.

قال ابن سعد رحمه الله: (بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي ـ أحـد بني لهب ـ إلى ملك بُصْـرى، بكتـاب، فلمـا نـزل مؤتـة عـرض لـه شـرحبيل بن عمـرو الغساني، فقتله، ولم يُقتـل لرسـول الله ﷺ غيره، فـاشتد ذلك عليه، وندب الناس فأسرعوا وعسكروا بالجُرْف)(٣).

وقد كان خـروجهم في جمادى الأولى سنـة ثمان، قـال عروة بن الـزبير

---

(١) انـظر مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير ص ٢٠٤؛ والـطبقات الكبـرى لابن سعد ٢/١٢٨؛ وفتـح الباري شرح صحيـح البخـاري ٧/٥١١؛ وزاد المعاد في هـدي خير العباد ٣/٣٨١.

(٢) بُصْرَى: بلد بالشام من أعمال دمشق وهي قصبـة كورة حـوران ومن البلدان المشهورة عند العرب. انـظر معجم البلدان ١/٤٤١.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٢٨.

في مغازيه: (بعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان)[1].

وقد عيَّن الرسول ﷺ لهذا الجيش ثلاثة قادة يتعاقبون قيادته في حالة قتل الأول منهم. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أمّر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ: «إن قُتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة...» الحديث[2].

المطلب الثاني

تحرك الجيش إلى مؤتة وقتاله للروم

ساق المحدثون وأصحاب المغازي خبر تحرك هذا الجيش ومقاتلة الروم. عن خالد بن شمير قال: (قدم علينا عبد الله بن رباح فوجدته قد اجتمع إليه ناس من الناس قال: حدثنا أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ قال: بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء... فوثب جعفر فقال: بأبي أنت يا رسول الله ما كنت أرهب أن تستعمل عليَّ زيداً، قال: «امضوا فإنك لا تدري أي ذلك خير»، فانطلق الجيش، فلبثوا ما شاء الله ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر، وأمر أن ينادى الصلاة جامعة، فقال رسول الله ﷺ: «ناب[3] خبر ـ أو ثاب[4] خبر ـ (شكَّ عبدالرحمن) ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي، إنهم انطلقوا حتى لقوا العدو فأصيب زيد شهيداً،

---

(١) انظر مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير ص ٢٠٤؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري ٧/٥١١.

(٢) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، ح (٤٢٦٠، ٤٢٦١)، فتح الباري ٧/٥١٠.

(٣) ناب: يقال: نابَ الأمرُ نَوْباً ونَوْبة: بمعنى نزل، والنَّائِبَةُ: هي ما ينوب الإنسان، أي: ينزل به من المهمات والحوادث. انظر: لسان العرب ٣/٧٣٧.

(٤) ثاب: يقال: ثابَ الشيءُ ثَوْباً وثُؤُوباً: إذا رَجَعَ والمعنى هنا: رجع خبر. انظر: لسان العرب ١/٣٨٢.

فاستغفروا له، فاستغفر له الناس، ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فشدّ على القوم حتى قُتِلَ شهيداً، أشهد له بالشهادة فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبَتَ قدميه حتى أصيب شهيداً، فاستغفروا له، ثم أخذ اللِّواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء هو أمّر نفسه... ثم قال النبي ﷺ: «انفروا فأمِدّوا إخوانكم ولا يتخلفنّ أحد»، فنفر الناس في حرّ شديد مشاةً وركباناً)[1].

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد بهذا اللفظ في المسند ٥/٢٩٩، ٣٠٠، ٣/١١٣.
وأخرجه النسائي في كتاب المناقب، باب مناقب جعفر بن أبي طالب، وفي باب: مناقب خالد بن الوليد (السنن الكبرى، مخطوط، انظر: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (١٢٠٩٤)، ٩/٢٤٧، ١٤/١٠١، ١٠٢)، وأخرجه في كتاب الجنائز، باب: النعي، سنن النسائي ٤/٢٦.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/١٥٦ وعزاه إلى الإمام أحمد، ثم قال: ورجاله رجال الصحيح غير خالد بن شُمَير، وهو ثقة. انظر: ترجمة خالد في تهذيب التهذيب ٣/٩٧.
تنبيه:
من قوله ﷺ: «فأصيب زيد» إلى قوله: «هو أمّر نفسه» ورد له شاهد في صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة، وإن عينيْ رسول الله ﷺ لتذرفان، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح عليه».
وقد أخرجه في كتاب الجنائز، باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه، ح (١٢٤٦)، فتح الباري ٣/١١٦.
وأخرجه في كتاب الجهاد باب تمني الشهادة، ح (٢٧٩٧)، فتح الباري ٦/١٦.
وأخرجه في باب: من تأمر في الحرب من غير إمرة إذا خاف العدو، ح (٣٠٦٣)، فتح الباري ٦/١٨٠.
وأخرجه في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح (٣٦٣٠)، فتح الباري ٦/٦٢٨.
وأخرجه في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد رضي الله عنه، ح (٣٧٥٧)، فتح الباري ٧/١٠٠. =

المطلب الثالث

عودة الجيش إلى المدينة

قدَّر خالد رضي الله عنه بفكره العسكري المتميِّز خطورة الموقف الذي يتعرَّض له المسلمون في هذه المعركة، فآثر الانسحاب بالجيش دون أن يعلم الأعداء بهذا التدبير.

وقد ابتكر رضي الله عنه خطة حربيةً تقوم على الإيهام والخداع، لتحقيق هذا الهدف. وقد ذكر أهل المغازي والسِّير تلك الخطة الحربية ولخصها أحد القادة العسكريين المعاصرين بأسلوب عسكري يبرز مدى ما يتمتع به خالد من عبقرية عسكرية متميِّزة.

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب: (لقد قاتل يومه قتالاً شديداً فلما أظلم الليل غيَّر نظام جيشه، فجعل مقدمته ساقه، وساقته مقدمة، وكذلك فعل بالميمنة، والميسرة، أي إنه سحب جيشه من ساحة المعركة وأبقى ساقة تحمي الانسحاب، نشر هذه الساقة ليحتل فرسانها مساحةً شاسعة من الأرض، وأمرهم أن يحدثوا أصواتاً مرتفعة بما لديهم من أبواق وطبول وأدوات حربية وإثارة الغبار بالخيل تدور بسرعة في دوائر ضيقة، كل ذلك جعل الروم لا يشعرون بانسحاب قوات «القسم الأكبر» من المسلمين ليلاً، من جهة، ويعتقدون أن إمدادات قوية جاءتهم ليلاً، لهذا لم يُقْدم الروم على مطاردة المسلمين فسهل ذلك على خالد مهمته في سحب رجاله من ساحة المعركة بأمان، ودون أن ينقلب الانسحاب إلى هزيمة، كما سهل عليه مهمة سحب الساقة التي سترت انسحاب القسم الأكبر من قوات المسلمين وذلك بعد أن اطمأن إلى أن القسم الأكبر من قواته قد وصل إلى مأمنه. ومع ذلك لم يكن

= وأخرجه في كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، ح (٤٢٦٢)، فتح الباري ٧/٥١٢.

سحب الساقة سهلاً، لأنها كانت بتماس شديد بالعدو، من جهة، ولأنها كانت تشغل منطقةً واسعةً من الأرض من جهة أخرى)[1].

عندما وصل الجيش إلى المدينة تلقاهم أهلها بالتبكيت والتعنيف. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص[2] الناس حيصةً وكنت فيمن حاص، فقلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟ ثم قلنا: لو دخلنا المدينة ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا. فأتيناه قبل صلاة الغداة، فخرج فقال: «من القوم»؟ قال: فقلنا: نحن الفرّارون، قال: «لا، بل أنتم العَكَّارُون[3]، أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين»، قال: فأتيناه حتى قبّلنا يده)[4].

---

(١) خالد بن الوليد المخزومي ص ٧١، ٧٢: للواء الركن محمود شيت خطاب، ط ٣، سنة (١٣٩٣هـ)، دار الفكر؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ص ٧٩، ٨٠: للواء الركن محمود شيت خطاب، ط ٢، سنة (١٣٩٣هـ)، دار الفكر.

(٢) حاص الناس: أي مالوا، والمعنى: جال الناس جولة يطلبون الفرار، والمَحِيص: المهرَب والمحيد. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٤٦٨؛ ومجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ١/٦١٤.

(٣) العكّارُون: جمع، مفرده: عَكّار، وهو: الذي يولّي في الحرب، ثم يكر راجعاً إليها، يقال: عكرت عليه: إذا حملت، وعكر يَعْكِرُ عَكْراً: إذا عطف، والمعنى هنا: أنتم الكرارون إلى الحرب، والعطّافون نحوها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٨٣/٣؛ ولسان العرب ٢/٨٥١.

(٤) الحديث أخرجه الإمام أحمد بهذا اللفظ في المسند ٢/٧٠ وبنحوه في ص ٨٦، ١١١.
وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب: في التولّي يوم الزحْف، ح (٢٦٤٧)، سنن أبي داود ٣/١٠٦، ١٠٧.
وأخرج بعضه في كتاب الأدب، باب: في قبلة اليد، ح (٥٢٢٣)، سنن أبي داود ٥/٣٩٣.
وأخرجه الترمذي في كتاب الجهاد، باب: ما جاء في الفرار من الزحف، ح (١٧١٦)، قال الترمذي: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث زيد بن أبي زياد، سنن الترمذي ٦/٣٧. =

المطلب الرابع
نتائج سرية مؤتة

عادت سرية مؤتة على الإسلام وأهله بأعظم النتائج، ويمكن تلخيصها فيما يأتي:

وأخرجه ابن ماجة مختصراً في كتاب الأدب، باب: الرجل يقبِّل يد الرجل، ح (٣٧٠٤)، سنن ابن ماجه ٢/١٢٢١.
وأخرجه البخاري في باب: تقبيل اليد، ح (٩٧٢)، في الأدب المفرد، وانظر: فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، تأليف المحدث فضل الله الجيلاني، المطبعة السلفية ومكتبتها ـ القاهرة، سنة (١٣٩٣هـ).
وعزاه السيوطي لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وابن أبي حاتم والنحاس وأبي الشيخ، انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٣/١٧. والحديث: صحيح الإسناد، وفيه يزيد بن أبي زياد، وهو ثقة، وانظر: مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر ٦/٣٣٧. وانظر في ترجمة يزيد: تهذيب التهذيب ١١/٣٢٨.
وهنا تعارض ينبغي دفعه، وهو: أن (العَكَّارِين) في لغة العرب هم الكرارون، فكيف جاز إطلاق هذا اللفظ على الفارين من المعركة؟ مع أنه معارض للآية الكريمة التي نصت على تحريم الفرار من الزحف في سبيل الله وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تُوَلُّوهم الأدبار * ومن يولِّهم يومئذ دُبُرَه إلا متحرِّفاً لقتال أو متحيِّزاً إلى فئةٍ فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنَّمُ وبئس المصير﴾[1].
والجواب عن ذلك أن يقال:
(إن هؤلاء القوم لما كرّوا إلى نبيهم ﷺ ـ وهو ولي الأمر في ذلك الوقت ـ ليرجعوا إلى ما يأمرهم به ولينصرفوا فيما يصرفهم إليه كان ذلك منهم عوداً إلى ما كانوا عليه من بذل أنفسهم لقتال عدوهم، فاستحقوا بذلك أن يُطلق عليهم «العكّارين» وأما حكم الفرار من الزحف لغير متحرِّف لقتال أو متحيِّز إلى فئة فهو باقٍ على التحريم إلى يوم القيامة، وبهذا يزول التعارض بين الآية والحديث والله سبحانه وتعالى أعلم)[2].

(١) سورة الأنفال: آيتا ١٥، ١٦.
(٢) انظر: مشكل الآثار ١/٣٨٧: للشيخ أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الحنفي المعروف بالطحاوي.

أولاً: أنها معركة استطلاعية، أفادت المسلمين في معرفة خواص قوات الروم، وأساليبها في القتال، كما استفاد المسلمون أيضاً من معرفة خواص قوات حلفاء الروم من حيث التنظيم والتسليح. وهذه المعلومات ـ وخصوصاً في ذلك الوقت ـ لها قيمتها لأن الحرب لا تُعرف إلا بالممارسة.

وقد ظهر أثر تلك المعرفة في المعارك التي خاضها المسلمون مع الروم، كما في تبوك واليرموك.

ثانياً: أن تحرك المسلمين من المدينة إلى مؤتة في صحراء ممتدة يقدر طولها (٧٠٠ كم)، يعد تدريباً عملياً على تحمل الصعاب، التي سوف يلاقيها الجيش الإسلامي أثناء جهاده في سبيل نشر الإسلام ودكّ عروش الباطل.

ثالثاً: أن هذه السرية كانت سبباً في نشر الإسلام في ربوع بلاد الشام، حيث أخذ الناس بعد انتهاء هذه المعركة يفكرون في أمر هذا الدين ويدرسون أصوله ومبادئه وأهدافه حتى آمن كثير من أهل تلك البلاد.

رابعاً: تحقق النصر للمسلمين رغم قلة عددهم وكثرة عدد قوات أعدائهم حيث كان عدد جيش المسلمين (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف، بينما كان عدد جيش الروم مائتي ألف مقاتل (٢٠٠,٠٠٠)، وقد أبطلت هذه المعركة خرافة التفوق التكنولوجي التي يدعيها المنهزمون نفسياً وروحياً في كل عصر، ممن يزعمون أن انتصار أعداء الإسلام إنما هو بسبب كثرة عددهم وتفوّقهم العسكري على المسلمين.

بل لقد حدث عكس هذا الزعم، فقد ثبت المسلمون أمام قوات تفوقهم من حيث العدد سبعين ضعفاً، وتتفوق عليهم تفوقاً كبيراً من حيث القوة العسكرية[1].

---

(١) انظر: الرسول القائد ص ٣٠٩؛ والعبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ص ٦٢٩، ٦٣١، ٦٣٦؛ وخاتم النبيين ٢/٩٦١؛ وغزوة مؤتة ص ٤٠٠: للشيخ محمد أحمد باشميل، ط ١، سنة (١٣٩٢هـ)، دار الفكر.

وقد سجل العلامة ابن كثير إعجابه بهذا النصر الذي حدث للمسلمين في مؤتة قائلاً: (... هذا عظيم جداً أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين: أحدهما ـ وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله ـ عدتها ثلاثة آلاف، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف مقاتل: من الروم مائة ألف، و من نصارى العرب مائة ألف، يتبارزون ويتصاولون، ثم مع هذا كله لا يُقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلاً[1]، وقد قتل من المشركين خلق كثير، هذا خالد وحده يقول: لقد اندقّت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة[2] يمانية[3].

فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها، دع غيره من الأبطال والشجعان من حملة القرآن، وقد تحكموا في عبدة الصلبان ـ عليهم لعائن الرحمن ـ في ذلك الزمان وفي كل أوان، وهذا مما يدخل في قوله تعالى: ﴿قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا فئةٌ تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يَرَوْنهم مِثْلَيْهم رأيَ العين واللّهُ يؤيِّد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار﴾[4])[5].

---

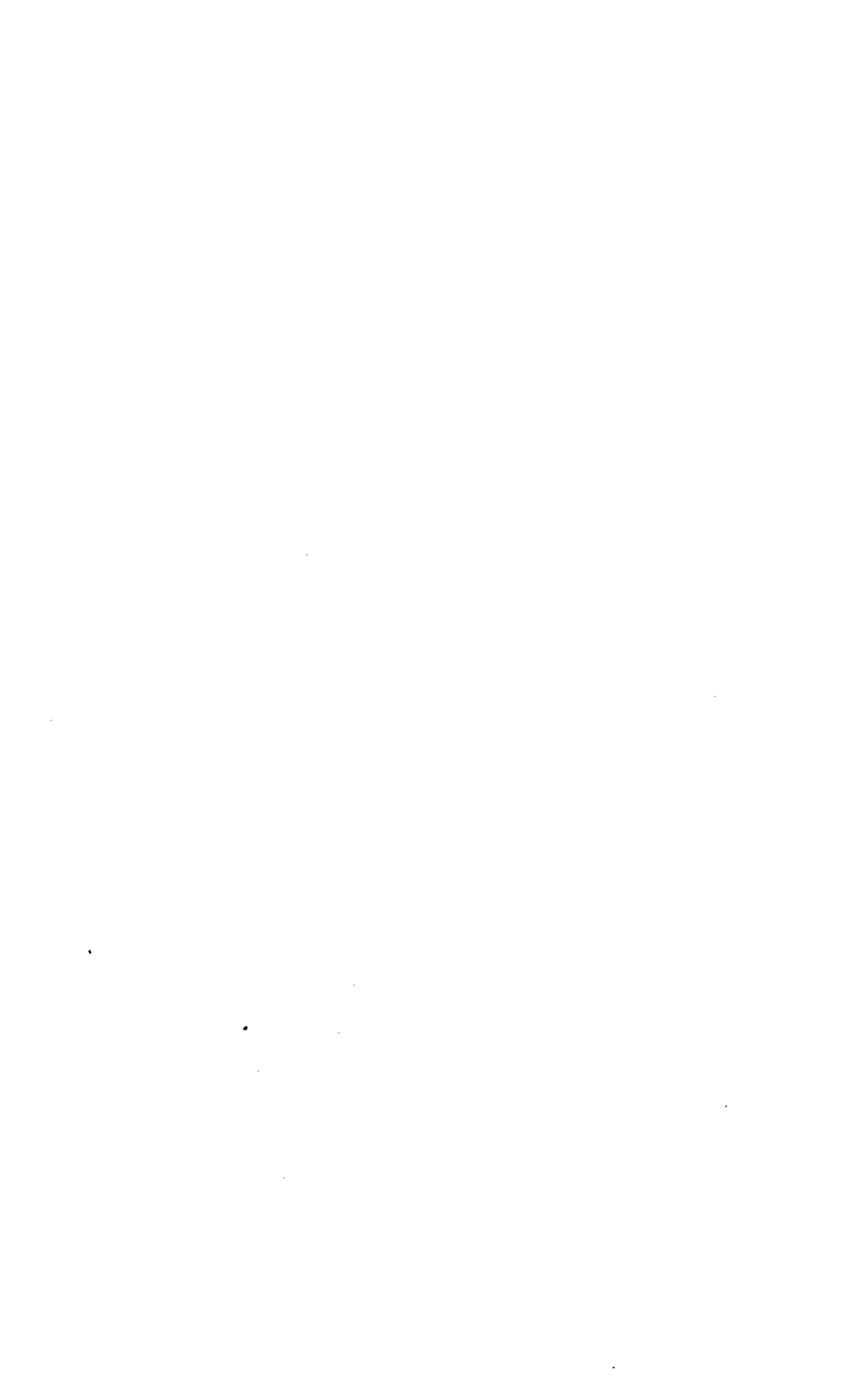
(١) انظر أسماء هؤلاء الشهداء في: السِّيرة النبوية لابن كثير ٣/٤٨٩، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط الثانية سنة (١٣٩٨هـ)، دار الفكر ـ بيروت.

(٢) الصَّفيحة: هي السيف العريض. انظر لسان العرب ٢/٤٤٦.

(٣) هذا الأثر: أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: غزوة مؤتة من أرض الشام، ح (٤٢٦٥، ٤٢٦٦)، فتح الباري ٧/٥١٥.
وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير ٤/١٢١، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، الدار العربية للطباعة ـ بغداد، ط ١، سنة (١٣٩٩هـ).

(٤) سورة آل عمران: آية ١٣.

(٥) البداية والنهاية ٤/٢٥٩.



الفصل الثاني

الدروس القيادية المستفادة
من هذه السرايا

المبحث الأول
أن طاعة القائد واجبة إذا لم تتضمن معصية الله

. من الحقوق التي أوجبها الإسلام للقائد على جنده حق الطاعة، حتى تتحقق المصلحة من تسيير الجيوش وهي إعلاء كلمة الله وكسر شوكة المعتدين.

ولكن الإسلام عندما أمر بطاعة أمراء الجيوش، لم يتركها مطلقة حتى لا تتدخل الأهواء في تحديد مفهومها، بل قيّد تلك الطاعة بأن تكون في المعروف كما ثبت في الحديث الصحيح: عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة حق، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[1].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الجهاد، باب السمع والطاعة للإمام، ح (٢٩٥٥)، فتح الباري ٦/١١٥.
وأخرجه في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ح (٧١٤٤)، فتح الباري ١٣/١٢١.
وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ح (١٨٣٩)، صحيح مسلم ٣/١٤٦٩.
وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الطاعة، ح (٢٦٢٦)، سنن أبي داود ٣/٩٣.
وأخرجه الترمذي في كتاب الجهاد، باب لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ح (١٧٠٧)، سنن الترمذي ٦/٣٠.
وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب لا طاعة في معصية الله، ح (٢٨٦٤)، سنن =

فإن في هذا الحديث تقييداً لما أُطلق في الأحاديث المطلقة القاضية بطاعة أولي الأمر، وهذا يدل على أن الطاعة المأمور بها لها ضوابط وحدود ينبغي ملاحظتها قبل التنفيذ.

فضابطها الشرعي: أن تكون في المعروف، وهو ما كان من الأمور المعروفة في الشرع، لا في العرف والعادة، لأن الحقائق الشرعية مقدّمة على غيرها، لكون الشريعة مصدراً للتشريع والحكم[1].

قال الخطابي رحمه الله في شأن قصة عبد الله بن حذافة مع أصحابه الذين أمرهم باقتحام النار: (قلت: هذه القصة وما ذُكر فيها من شأن النار والوقوع فيها يدل على أن المراد به طاعة الولاة، وأنها لا تجب إلا في المعروف، كالخروج في البعث إذا أمر به الولاة، والنفوذ لهم في الأمور التي هي طاعات ومعاون للمسلمين ومصالح لهم، فأما ما كان فيها معصية كقتل النفس المحرمة وما أشبهه فلا طاعة لهم في ذلك)[2].

ومن هذا الدرس ينبغي أن ندرك بطلان ما استقر في الفكر العسكري الحديث، من وجوب الطاعة العمياء التي تعني تنفيذ الأوامر دون التفكير فيها أو مناقشة الآمر بها.

= ابن ماجه ٢/٩٥٦.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/١٧، ١٤٢.

(١) انظر نيل الأوطار ٧/٢٦٠.
(٢) معالم السنن للخطابي ٢/٢٦٦.

المبحث الثاني

على القائد أن يسلك الأسلوب المناسب

للمحافظة على سلامة قواته وأمْنِها

يُعَدّ الحرص على سلامة القوات وأمْنِها أمراً ضرورياً يجب أن تهتم به كل القيادات العسكرية، لما يترتب عليه من المصالح العظيمة وقد اهتمت القيادة العسكرية الإسلامية بهذا المبدأ وأولته عناية خاصة، وسوف أذكر ـ إن شاء الله ـ أمثلةً لتحقيق هذا الهدف في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول

في سرية ذات السَّلاسِل

حرص عمرو بن العاص رضي الله عنه أثناء قيادته لهذه السرية على سلامة قواته ويتجلى ذلك في الصور الآتية:

الأولى: أنه كان يسير ليلاً ويختفي نهاراً:

كان عمرو ـ رضي الله عنه ـ يدرك بثاقب بصيرته أن العدو يمكن أن يسعى إلى معرفة أخباره قبل اللقاء بينهما، فيعدّ نفسه في ضوء ما تجمع لديه من معلومات عن جيش المسلمين، ولهذا السبب رأى عمرو رضي الله عنه أن السَّير ليلاً والاختفاء نهاراً هو أفضل أسلوب للمحافظة على قواته.

وقد قصد عمرو من سلوك هذه الخطة تحقيق أمرين مهمين:

الأول: إخفاء تحركاته عن عدوه وبذلك يضمن سلامة قواته.

الثاني: حماية الجند من شدة الحرّ وحتى يبقى لهم نشاطهم فيصلون إلى مكان المواجهة، وهم أقوياء على مجابهة أعدائهم.

الثانية : عدم السماح للجند بإيقاد النار :

كان جيش ذات السلاسل يعاني من شدة برودة الجوّ[1]، مما جعل الجند يفكّرون في إيقاد نار لحاجتهم الماسة إلى التدفئة. ومع أن حصول التدفئة في ذلك الجو البارد فيه مصلحة للجيش إلا أن عَمْراً رضي الله عنه بحكم خبرته الحربية وعمق فكره العسكري خشي وقوع مفسدة أعظم من تلك المصلحة وهي أن يمتد الضوء فيكشف المسلمين ـ وهم قِلّة ـ لأعدائهم فيهجموا عليهم ويتجلى هذا الفقه في قوله للرسول ﷺ: كرهتُ أن آذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوّهم قلّتهم، فأقره النبي ﷺ على فعله.

الثالثة : منع الجند من مطاردة أعدائهم :

عندما هزم المسلمون أعداءهم طمعوا فيهم فأرادوا مطاردتهم وتتبّع فلولهم ولكن قائد السرية منع جنده من تحقيق رغبتهم لئلا يترتّب على هذه المطاردة مفسدة أعظم منها وهي أن يلحق جيش المسلمين أذى بسبب ذلك.

ويتجلى هذا الفقه في قول عمرو رضي الله عنه للرسول ﷺ: (وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد) فأقره النبي ﷺ على هذا التصرف الحكيم الذي يحقق للجيش الأمن والسلامة[2].

---

(١) لا منافاة بين ما ذكر هنا من حرص عمرو على حماية الجند من شدة الحر، وبين ضرورة الجند إلى التدفئة، نظراً لشدة برودة الجو، فإن من المعروف أن مناطق الجزيرة العربية، ومنها الحجاز، تتميز بحرارة الصيف اللاهب، أما بلاد الشام فهي تتميز ببرودة الجو، ولعل خروج الصحابة في هذه المرة، وهي الأولى من نوعها، جعلهم لا يصبرون على برودة الجو.

(٢) انظر شخصيات عسكرية إسلامية ـ ص ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٨، تأليف اللواء محمد فرج، تقديم الدكتور عبد الحليم محمود، الناشر دار الفكر، القاهرة، ط ٣، سنة (١٣٩٦هـ)؛ من معارك الإسلام الحاسمة ـ ص ٣٨، ٣٩: للواء محمد فرج، الدار القومية للطباعة والنشر، بالقاهرة.

المطلب الثاني
في سرية مؤتة

عندما رأى خالد بن الوليد رضي الله عنه أن الخطر يهدد جيش المسلمين وأن بقاء هذه الفئة القليلة أمام جيش الروم ذي العدد الكثير يُعَدّ ضرباً من الانتحار الذي لا يرضى به النبي ﷺ[1]، قرر أن ينسحب بهذا الجيش ويعود إلى المدينة، فوضع خطةً رائعة لتحقيق هذا الهدف[2].

وقد أعجب الرسول ﷺ بهذه الخطة العسكرية الناجحة التي أنقذت الجيش الإسلامي من الهلاك في هذا الظرف العصيب الذي تعرض له المسلمون في مؤتة، وأثنى ﷺ على جهود خالد، فسماه (سيف الله) وسمى قتاله (فتحاً).

فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعى[3] زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان، حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»[4].

وقد ذكر ابن حجر رحمه الله أن سبب هذه التسمية يرجع إلى أحد وجهين:

---

(١) انظر غزوة مؤتة ـ ص ٣٨٨؛ وخالد بن الوليد ـ ص ١٨٠، تأليف بسام العسلي، الطبعة الرابعة، سنة (١٤٠١هـ)، دار النفائس؛ وموسوعة فقه عمر بن الخطاب ـ ص ٢٣٤، ٢٣٥: للدكتور محمد رواس قلعه جي.

(٢) انظر تفصيل هذه الخطة في ص ٥٢٧.

(٣) نعى: يقال: نعى الميت ينعاه نعياً ونعيّاً: إذا أذاع موته وأخبر به، وإذا ندبه، والنعي: هو خبر الموت. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٨٥؛ ولسان العرب ٣/٦٧٨، ٦٧٩.

(٤) الحديث بهذا اللفظ أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد، ح (٢٧٥٧)، فتح الباري ٧/١٠٠، وقد سبق تخريجه بتوسع في ص ٥٢٦.

الأول: أنـه كان هنـاك قتال بين الجيشين حتى هـزم الله العـدو وأظهـر المسلمين.

الثاني: أن انحياز خالد بـالمسلمين في حدّ ذاتـه يُعَدّ فتحـاً حتى رجعوا سالمين من كيد أعدائهم[1].

ثم ذكـر ابن حجـر رحمـه الله وجهـاً حسنـاً في الجمـع بين هـذين الاحتمـالين فقال: (يمكن الجمـع بـأن خالـداً لما حـاز المسلمين وبات، ثم أصبـح وقد غيّر هيئة العسكر. . . وتـوهم العدو أنـه قد جـاء لهم مدد، حمـل عليهم خالد حينئذ فولوا فلم يتبعهم ورأى الرجوع بالمسلمين هي الغنيمة الكبرى)[2]

---

(١) انـظر فتـح الباري شرح صحيـح البخاري ٧/ ٥١٤؛ والبداية والنهاية ٤/ ٢٥٠.

(٢) فتـح الباري شرح صحيـح البخاري ٧/ ٥١٤.

المبحث الثالث

للقائد أن يستعمل من أساليب الخداع ما يرى أن فيه إيهاماً للعدو وإضعافاً لمعنوياته

يُعَدّ إيهام العدو وخداعه ذا أثر فَعّال في سير المعركة ونتائجها وقد طبق القادة العسكريون في عهد النبي ﷺ هذا الأمر في السرايا التي كان يبعثها ﷺ للجهاد في سبيل الله ومن ذلك ما فعله خالد رضي الله عنه في سرية مؤتة عندما أحسَّ بالخطر الذي يحيط بجيش المسلمين من كل جهة فانتهز فرصة ظلام الليل وتوقف الجيشين عن القتال فوضع خطة حربية بارعة تقوم على الإيهام والخداع. وتتلخص فيما يأتي:

أولاً: أنه أجرى تغييرات في مواقع الجيش.

ثانياً: أنه أمر جنده بإثارة الغبار ودق طبول الحرب أمام الأعداء لإيهامهم أن مدداً ضخماً قد وصل لمساعدة هذا الجيش.

فلما طلعت الشمس والتقى الجيشان رأى العدو وجوهاً جديدة غير التي رآها بالأمس فظنوا أن مدداً قد انضم إلى جيش المسلمين فوقع الرعب في قلوبهم وضعفت معنوياتهم وآثروا النجاة بأنفسهم. وقد أنقذت هذه الخطة ــ بمشيئة الله ــ الجيش الإسلامي من فناء محقق[1].

---

(١) انظر خالد بن الوليد المخزومي ــ ص ٧١، ٧٢؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ــ ص ٧٩، ٨٠.

المبحث الرابع
ضرورة توحيد قيادة الجيش

يُعَدّ توحيد قيادة الجيش أمراً ضرورياً وخصوصاً في ميدان المعركة ولم يسجل تاريخ الحروب قديماً وحديثاً ـ فيما أعلم ـ أن معركة دارت بين قوتين وكانت القيادة لإحداهما تحت رئاستين ونجحت في قيادتها. وقد حرص القادة العسكريون من صحابة رسول الله ﷺ على تطبيق هذا الأمر في كل سرية يخرجون فيها. ومن الأمثلة على ذلك أنه عندما وصل المدد الذي بعثه رسول الله ﷺ للجيش في ذات السلاسل، حدث خلاف حول تولي منصب القيادة بين قائد المدد وقائد السرية، فقد عرض أبو عبيدة عامر بن الجراح فكرته في هذا الأمر وهو أن يتولى قيادة المدد بينما يتولى عمرو قيادة الجيش بحيث يصبح لهذا الجيش قيادتان في وقت واحد، ولكنّ عَمْراً رضي الله عنه الذي كان يتصف بالحكم وسداد الرأي رفض بشدة هذه الفكرة التي عرضها عليه أبو عبيدة رضي الله عنه[1].

وإنما أصرّ عمرو على رأيه مع أن قيادة الجيش من باب التكاليف، لأن تولّي قائدين إمارة جيش واحد يكون سبباً في حدوث الارتباك وضياع المسؤولية بين الجند، وفي ذلك ضياع للجهد وتفريق للشمل، وإخلال بأهم مقومات النصر وهي وحدة الصف والتضامن.

وبعد حسم هذا الخلاف أصبح قائد هذه السرية هو عمرو بن العاص

(١) انظر من معارك الإسلام الحاسمة ـ ص ٣٩؛ وشخصيات عسكرية ص ٢٢٦، ٢٢٧؛ وقادة فتح الشام ومصر ص ١٦٢: للواء الركن محمود شيت خطاب، ط دار الفكر، بيروت ـ لبنان.

وحـده، ولو أن عَمْـراً قَبِـل اقتـراح أبـي عبيـدة لهُـزم الجيش منـذ أول لحـظة وللحقت به خسائـر لا يعلم مداهـا إلا الله سبحانـه وتعالى وينبغي أن يستفيـد القادة العسكريون من هذا الدرس حتى لا يعرّضـوا جيوش المسلمين للهـزيمة والفناء.

المبحث الخامس

تطبيق مبدأ الحشد عند الضرورة

تُعَدّ مواجهة العدو بعدد أقل منه ــ بدرجة كبيرة ــ حماقة عسكرية يجب على القائد معالجتها وإلا أخفق أمام خصمه.

وقد طبق عمرو رضي الله عنه هذا المبدأ في سرية ذات السلاسل فعندما وصل عمرو رضي الله عنه إلى (ذات السلاسل) شعر بالفرق الواضح بين عدد جنده وجنود الأعداء حيث كانت النسبة بين الجيشين كبيرة، إلى درجة لا تمكّن جيش عمرو من مواجهة أعدائه.

لذا طلب عمرو من رسول الله ﷺ مدداً، فاستجاب الرسول ﷺ لهذا الطلب لإداركه تأثير الحشد في هذا الظرف فأرسل مدداً مكوّناً من مائتي رجل بقيادة أبـي عبيدة عامر بن الجراح.

ولما وصل المدد وأكمل عمرو الحشد اللازم لهذه المعركة هاجم العدو وحمل عليه حتى تفرق في البلاد، وبقي رضي الله عنه في موضعه ثلاثة أيام حتى تحقق له النصر[1].

---

(١) انظر من معارك الإسلام الحاسمة ص ٣٨؛ والرسول القائد ص ٣١٠؛ وشخصيات عسكرية ص ٢٢٥.

المبحث السادس
ضرورة استعمال الحزم مع الجند
في المواقف الحاسمة

تحدث في المعارك الحربية بعض المواقف التي تحتاج من القائد إلى سرعة البتّ فيها وحسمها، إذ إن سير المعركة له أثر على نتائجها.

وفي سرية (ذات السُّلاسِل) حدث ثلاث مشكلات تتطلّب علاجاً سريعاً وحاسماً، فقابلها قائد السَّرية بالحزم حتى استطاع القضاء عليها، وهي:

الأولى: مشكلة تعدّد القادة، وهذه عالجها بإصراره على أن يكون هو القائد الوحيد للجيش لما تقتضيه مصلحة الجيش خاصة والإسلام وأهله عامة.

الثانية: مشكلة إيقاد النار وقد عالجها بإصراره على منع الجند من تحقيق مطلبهم حتى إنه توعّد من أوقد ناراً بقذفه فيها، مما جعل الجند لا يفكّرون في هذا الأمر مطلقاً.

الثالثة: مشكلة تتبّع فلول العدو بعد الانتصار عليهم، وقد عالجها بمنعهم من ذلك.

وبتدبر هذه المواقف واستخلاص العبر منها يتبين أن الحزم صفة ضرورية للقائد العسكري، لكي ينجح في عمله، وبدون التحلي بهذه الصفة ينتج ضرران كبيران هما:

الأول: أن تردّد القائد يجعله يفقد ثقته في نفسه، فحين يصدر أمراً يعود فيلغيه ويستمر الأمر هكذا دون أن يستقر على رأي معين. وحينئذ ينهار جانب مهم من جوانب المعركة، إذ إنها تحتاج إلى رأي سديد وخطة سليمة

وتصرف حكيم، وهذه الأمور مجتمعة لا تتحقق في القائد المتردد.

الثاني: أن تردّد القائد يفقد ثقة جنده فيه، حيث يجدونه غير مستقر على رأي واحد، وإنما يكون متردداً لا يعرف قراراً يتمسك به ولا يستطيع أن يصدر أمراً واحداً، وإنما تكون أوامره كثيرة يناقض بعضها بعضاً[1].

---

(١) انظر من معارك الإسلام الحاسمة ص ٣٩.

المبحث السابع
الإشادة بالجند الذين يُظهرون كفاءة عسكرية نادرة لحفز غيرهم على المضي في ذلك

عندما عاد جيش مؤتة إلى المدينة لقي المقاتلون عنتاً ومشقة من أهليهم وذويهم، حيث استقبلوهم بعبارات التبكيت[1] والتشهير بقولهم: يا فُرّار أفررتم من سبيل الله؟.

وذلك لاختلال موازين النصر والهزيمة عند أولئك المستقبلين، فقد ظنوا أن مفهوم الهزيمة يعني الفرار من ميدان المعركة، ولكن الرسول ﷺ وزن هذه المعركة وقائدها بالميزان الصحيح الذي ينبغي أن توزن به المعارك العسكرية وقادتها.

أما ميزانه ﷺ لهذه المعركة فهو مستمَدّ من كتاب الله سبحانه وتعالى، ولذلك سماهم «الكرارون أو العكارون»، ومعنى ذلك: أنهم متحيِّزون إلى فئة، وذلك لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لَقِيتُمُ الذين كفروا زحفاً فلا تولُّوهُمُ الأدبار * ومن يولِّهم يومئذ دُبُرَه إلا متحرِّفاً لقتالٍ أو متحيِّزاً إلى فئةٍ فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾[2].

قال ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿أو متحيِّزاً إلى فئة﴾: (أي فرّ من ههنا إلى فئة أخرى من المسلمين يعاونهم ويعاونونه فيجوز له ذلك حتى

---

(١) التَّبْكِيت: هو التعيير وتقبيح الفعل، مأخوذ من قول العرب: بَكَّت زيدٌ عَمْراً تَبْكِيتاً، إذا عَيَّره وقَبَّح فعله، وقد يكون التبكيت بلفظ الخبر كما في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ الآية ٦٣ من سورة الأنبياء. فهو إنما قال ذلك تبكيتاً وتوبيخاً على عبادتهم للأصنام. انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/٦٥.

(٢) سورة الأنفال: الآيتان: ١٥، ١٦.

لـو كـان في سـريـة ففـرّ إلى أميـره أو إلى الإمـام الأعـظم دخـل في هـذه الرخصة)[1].

وبعد النظر إلى هذه المعركة بالميزان الصحيـح فإنه يتبين أن المسلمين لم ينهزموا، وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: أن انسحابهم كان إلى مركز القيادة لإعادة تـرتيب قواتهـم وتنـظيم جيش مناسب في العَدد والعُدَّة على ضوء إمكانات العدو واحتياجات المعركـة للقاء آخر.

ثـانياً: أنـه كان في استـطاعـة المسلمين ـ لـو أنهم أرادوا الفـرار ـ أن يتركوا أرض المعـركة ليـلاً عندمـا توقف القتـال، ولكن إصرارهم على البقـاء يؤكد رفضهم للهزيمة.

ثـالثـاً: أن عـدد جيش الـروم يفـوق عـدد جيش المسلمين سبعين مـرة تقـريباً، ومـع وجـود هذا الفـرق العظيم بين القـوتين فقـد كـان عـدد شهـداء المسلمين (١٢) اثني عشر رجلاً، بينمـا قتل من الـروم خلق كثير، كمـا يقول ذلك العلامة ابن كثير رحمه الله.

أمـا تقييم الرسـول ﷺ لقائـد هـذه المعـركـة الـذي استـطاع بعبقـريتـه العسكرية الفذة أن ينقذ جيش المسلمين من هـلاك محقق فهو أمـر يدعـو إلى العَجَب. فقـد أشاد بكفـاءة خالـد العسكـريـة التي بـرزت في هـذا المـوقف الحرج، فأطلق عليـه ذلك اللقب العسكـري الرفيـع: «سيف الله المسلول»، وهـو منسحب من مؤتة على رأس جيش المسلمين، وهـذه أول معركـة يشترك فيها رضي الله عنه بعد إسلامه بشهرين أو ثلاثة.

وقـد حـرص ﷺ على ألاّ يـدع هـذا المـوقف يقضي على المستقبـل العسكـري لقائـد لديـه من المواهب والقـدرات ما يجعله كفـوءاً لتـولي قيـادة المعارك الحربية الكبرى.

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٩٣.

ولقد آتى هذا التشجيع ثماره الطيبة، فقد شهد التاريخ العسكري لخالد بن الوليد بالقيادة الحربية المتميزة، حيث وضعته أعماله العسكرية الرائعة في عِدَاد كبار القادة العسكريين في تاريخ الإسلام[1].

وينبغي أن يستفيد كل القادة العسكريين ـ على اختلاف رتبهم ـ من هذا الدرس النبوي البليغ، فيشيدوا بكفاءة كل من أظهر بسالة عسكريةً، من مرؤوسيهم. ففي ذلك تحقيق مصلحتين عظيمتين:

الأولى: تشجيع هذا الرجل الذي ظهرت كفاءته حتى يكون ذلك حافزاً له على العطاء المتواصل في الجانب العسكري.

الثانية: شحذ هِمَم الآخرين إلى التفكير المثمر الذي يعود على جيوش المسلمين بالعزة والمنعة.

---

(١) انظر المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ٣١٧، ٣١٨.

المبحث الثامن
انعقاد الإمارة في الحرب
لمن نصَّب نفسه أميراً في حالة الضرورة

يُعَدّ تولي إمارة الجيش من حق الإمام، فإن كان هناك ما يمنعه من مباشرة هذه الولاية فله أن يعيِّن من يراه كفوءاً لتولي هذا المنصب.

ولا يجوز لأيّ شخص أن ينصِّب نفسه قائداً لأي جيش إلا بإذن الإمام ما لم تكن هناك ضرورة تمنع من استئذان الإمام في هذا الأمر.

وقد تولى خالد رضي الله عنه إمرة جيش مؤتة بعد مقتل أمرائه الثلاثة، وكان ذلك من غير تأمير النبي ﷺ له، بدليل ما ثبت في صحيح البخاري: «ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة»، وفي رواية غيره: «ولم يكن من الأمراء، هو أمَّر نفسه»، وفي هذا دليل على نفوذ إمارة من أمَّر نفسه على جيش إذا وجدت ضرورة تمنعه من مراجعة إمامه.

قال ابن المنير رحمه الله: (إن من تعيَّن لولاية وتعذَّرت مراجعة الإمام أن الولاية تثبت لذلك المعيَّن شرعاً، وتجب طاعته حكماً)[1].

ولكن بشرط أن يتفق الحاضرون على ترشيحه لهذا المنصب لئلا يحدث من جراء الاختلاف عليه شقاق ونزاع يؤدي إلى اختلاف الكلمة.

قال ابن حجر رحمه الله: (ولا يخفى أن محله ما إذا اتفق الحاضرون عليه)[2].

قال ابن قدامة رحمه الله: (فإن بعث الإمام جيشاً وأمَّر عليهم أميراً فقُتِلَ

---

(١) فتح الباري ٦/ ١٨٠.

(٢) المرجع السابق والجزء والصفحة نفسها.

أو مـات فللجيش أن يؤمّروا أحـدهم كما فعـل أصحـاب النبـي ﷺ في جيش مؤتة لمّا قُتـل أمراؤهم الذين أمّرهم النبـي ﷺ فـأمّروا عليهم خـالد بن الـوليد فبلـغ ذلك النبـي ﷺ فرضي أمرهم وصوّب رأيهم)[1].

ونفوذ حكم القائد في مثل هذه الحالـة يدخـل تحت قاعـدة: (إذا ضاق الأمـر اتسـع)[2]، فإذا زالت تلك الضرورة فإن هـذا الحكم يعـود إلى أصله، فيجب الرجوع إلى الإمام في ذلك.

---

(١) المغني لابن قدامة ٩/٢٠٣.

(٢) انظر هذه القاعدة في الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٨٣؛ والأشباه والنظائـر لابن نجيم ص ٨٤؛ والفقـه الإسلامي في ثـوبه الجـديـد (المـدخـل الفقهي العـام، فقـرة ٥٩٩، ٢/٩٩٤): للشيـخ مصطفى أحمد الزرقاء، ط العاشرة، دار الفكر، بيروت ــ لبنان.



الباب الخامس

نماذجُ من القادةِ العسكريّين

في عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم



الفَصْل الأوَّل

أبُوعُبَيْدَةَبنالجَرَّاح

المبحث الأول
ترجمـة أبـي عبيـدة

المطلب الأول
اسمـه ونَسَـبه

هـو عـامـر بن عبـد الله بن الجـراح بن هـلال بن أهيب بن ضبَّـة بن الحارث بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالـك بن النضر بن كنـانة بن مـدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان(١).

وأمه أميمة بنت غُنم بن جابر بن عبـد العزى بن عـامر بن عميـرة، وهي من بني فهر(٢).

---

(١) انـظر الريـاض النَّضـرة في منـاقب العشرة ١/١٨: للشيـخ أبـي جعفـر أحمد المشهـور بـالمحبّ الـطبري، ط ١، بتصحيـح أحمـد النعسـاني الحلبي؛ والـطبقــات الكبـرى ٧/٣٨٤؛ وتبصـير المنتبه بتحـريـر المشتبـه ٣/١١٢: للشيـخ أحمـد بن عـلي بن حجـر العسقلاني، تحقيق محمد علي البجاوي، مـراجعة محمـد علي النجـار، المؤسسة العـربية العـامة للتـأليف والأنباء والنشر؛ وتهـذيب تاريـخ ابن عسـاكر ٧/١٥٧، هـذَّبه ورتبـه الشيـخ عبد القادر بن أحمد الحنبلي المعروف بابن بـدران، ط الأولى، سنة (١٣٤٩هـ)، مطبعة الترقي بدمشق؛ وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٣/٨٤.

(٢) انظر: كتاب نسب قـريش ص ٤٤٥: لأبـي عبد الله المصعب بن عبـد الله بن المصعب الـزبيري، بتصحيـح وتعـليق ليفي بـروفنسال، دار المعـارف للطبـاعـة والنشر، سنـة (١٩٥١م)؛ والطبقات الكبرى ٧/٣٨٤.

المطلب الثاني

إسـلامـه

أسلم أبو عبيدة رضي الله عنه على يدي الرسول ﷺ في وقت مبكر من بزوغ فجر الإسلام.

ويعد من السابقين الأولين إلى الانضواء تحت راية هذا الدين. وفي ذلك يقول ابن سعد: (انطلق عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحارث بن المطلب وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد وأبو عبيدة بن الجراح حتى أتوا رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإسلام وأنبأهم بشرائعه، فأسلموا جميعاً في ساعة واحدة، وذلك قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم[1]، وقبل أن يدعو فيها)[2].

المطلب الثالث

مـنـاقـبـه

لأبي عبيدة رضي الله عنه مناقب متعددة تتلخص في الفروع الآتية:

---

(١) دار الأرقم: هي مكان على الصفا، أو قريب منه، وهي الدار التي كان يصلي فيها المسلمون سراً في صدر بعثة النبي ﷺ، وهي خارجة عن المسجد الحرام مطلع شمس، بينها وبين الصفا درب السُّيل، وبينها وبين أبي قبيس سكة سيارات منحوتة، ويذكر أحد المكيين أن موقعها هو: مكان مكتبة الحرم التي هدمت في عام (١٣٩٥هـ)، وجعلت توسعة عامة. انظر: أخبار مكة ٢٦٠/٢: لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي، حققه رشدي الصالح ملحس؛ ومعجم معالم الحجاز ١٩٣/٢.

(٢) انظر الطبقات الكبرى ٣٩٣/٣؛ والسيرة النبوية لابن هشام ٢٦٩/١؛ والرياض النضرة في مناقب العشرة ٥٧/١؛ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١٥٨/٧؛ والإصابة في تمييز الصحابة٢/ ٢٤٣؛ وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٨٥/٣؛ وتاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ٢٨٧/١.

● الفرع الأول: تسميته بأمين هذه الأمة:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: جاء العاقب والسَّيد[1] ـ صاحبا نجران[2] ـ إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه[3]، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث إلا أميناً، فقال: لأبعثنّ معكم رجلاً أميناً حقّ أمين، فاسْتَشْرَفَ[4] له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح». فلما قام قال رسول الله ﷺ: «هذا أمين هذه الأمة»[5].

---

(١) العاقب والسَّيد: هما من رؤساء أهل تلك البلد وأصحاب مراتبهم والعاقِب يتلو السَّيد. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٢٦٨؛ ولسان العرب ٢/٨٣٠.
واسم السَّيد الأيهم، وكان صاحب رحالهم ومجتمعهم ورئيسهم في ذلك.
وأما العاقب فاسمه عبد المسيح، وكان صاحب مشورتهم. انظر فتح الباري ٨/٩٤.

(٢) نَجْرَان: مدينة قديمة بالحجاز تقع بنواحي اليمن سميت بنَجْرَان بن زيد بن يشجب بن يعرب وهو أول من بناها وتتألف من مجموعة مدنٍ صغيرة في وادٍ واحد كبير وكثير المياه والزرع يسيل من السراة شرقاً حتى يصب في الربع الخالي وتقع على الطريق بين صعدة وأبها على قرابة ٩١٠ كيلاً جنوب شرقي مكة في الجهة الشرقية من السراة وفيها آثار أشهرها مدينة الأخدود ويوجد بها حالياً مطار. انظر معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ٤/١٢٩٨؛ ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٣١٤.

(٣) يلاعناه: الملاعنة: صيغة مفاعلة لا تكون إلا بين اثنين فصاعداً وهي المباهلة، وصفتها: أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا. انظر: لسان العرب ١/٢٧٩، ٣/٣٧٤، ٣٧٥.

(٤) اسَتَشْرَفَ: المعنى: تطلعوا إلى هذه الولاية ورغبوا فيها حرصاً على أن يكون هو الأمين الموعود في هذا الحديث لا حرصاً على الولاية من حيث هي. انظر: صحيح مسلم ٤/١٨٨٢.

(٥) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ح (٤٣٨٠، ٤٣٨١)، فتح الباري ٨/٩٣، ٩٤.
وأخرجه في كتاب المناقب، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، =

● **الفرع الثاني: أنه من أحب الصحابة إلى الرسول ﷺ:**

عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لعائشة: أيّ أصحاب النبي أحب إليه؟ قالت: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قالت: ثم عمر، قلت: ثم من؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح، قلت: ثم من؟ فسكتت[1].

= ح (٣٧٤٥)، فتح الباري ٧/٩٣.

وأخرجه في كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، ح (٧٢٥٤)، فتح الباري ١٣/٢٣٢.

وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ح (٢٤٢٠)، صحيح مسلم ٤/١٨٨٢.

وأخرجه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة رضي الله عنه، المستدرك على الصحيحين ٣/٢٦٧.

وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب أبي عبيدة، ح (٣٧٥٩)، سنن الترمذي ٩/٣٢٤.

وأخرجه النسائي في كتاب المناقب، باب مناقب أبي عبيدة رضي الله عنه (السنن الكبرى، مخطوط، انظر: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (٣٣٥٠)، ٣/٤١، ١٤/١٠١).

(١) الحديث أخرجه الترمذي بهذا اللفظ في كتاب المناقب، باب مناقب أبي عبيدة عامر بن الجراح، ح (٣٧٦٠)، ثم قال: حسن صحيح، سنن الترمذي ٩/٣٢٥.

وأخرجه ابن ماجة في المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (فضل عمر)، ح (١٠٢)، سنن ابن ماجة ١/٣٨.

وأخرجه النسائي في كتاب المناقب، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح (السنن الكبرى، مخطوط، انظر: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (١٦٢١٢)، ١١/٤٤٥، ١٤/١٠١).

وأخرجه الإمام أحمد في باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ح (١٢٨١)، كتاب فضائل الصحابة للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله ٢/٧٤٠، حققه وأخرج أحاديثه وصيّ الله بن محمد عباس، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٣هـ)، مؤسسة الرسالة.

وهذا الحديث إسناده صحيح وفيه سعيد الجريري وهو مختلط. انظر المرجع السابق. =

● **الفرع الثالث: ثناء الرسول ﷺ عليه:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح»[1].

● **الفرع الرابع: أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة:**

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعليّ في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»[2].

= وقد ترجم الإمام الذهبي رحمه الله لسعيد الجريري ونقل أقوال علماء الجرح والتعديل فيه:

فهو سعيد بن إياس أبو مسعود الجريري البصري أحد العلماء الثقات تغيّر قليلاً ولذلك ضعّفه يحيى القطان ووثّقه جماعة. قال عنه الإمام أحمد: هو محدث أهل البصرة. وقال يحيى بن سعيد لعيسى بن يونس: أسمعت من الجريري وهو مختلط؟ قال: نعم، قال: لا تروِ عنه. وقد توفي الجريري رحمه الله سنة أربع وأربعين ومائة. انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢/١٢٧، ١٢٨.

ومما يجب التنبيه عليه في هذا المقال أن الحمّادين (وهما حماد بن سلمة وحماد بن زيد) سمعا من الجريري قبل اختلاطه ومنها هذا الحديث. انظر الكواكب النيّرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات ص ١٧٨: لأبي البركات محمد بن أحمد المعروف بابن الكيال، تحقيق ودراسة عبد القيوم عبد رب النبي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٠هـ).

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب أبي عبيدة رضي الله عنه، ح (٣٧٦١)، ثم قال: هذا الحديث حسن إنما نعرفه من حديث سهيل، سنن الترمذي ٩/٣٢٥.

(٢) الحديث: أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، ح (٣٧٤٨)، سنن الترمذي ٩/٣١٨.

قال الترمذي ـ رحمه الله ـ: وقد روي هذا الحديث عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ نحو هذا، وهذا أصح من الحديث الأول. =

● **الفرع الخامس: أنه أُنزل فيه قرآن يُتلى إلى يوم القيامة يشيد بعمله:**

نزل في أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه حين قَتل أباه يوم بدر مشركاً، قولُ الله تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر...﴾ الآية[1][2].

عن عبد الله بن شوذب قال: جعل أبو أبي عبيدة ينصب الأل[3] لأبي عبيدة، يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر الجراح قصده أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله فيه هذه الآية حين قتل أباه ﴿لا تجد قوماً...﴾[4].

● **الفرع السادس:**

أن النبي ﷺ ولاه قيادة المدد الذي ذهب إلى ذات السلاسل، لإمداد

= وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١٣٦/٣، بإسناد صحيح، ورواته ثقات. انظر: المسند، ح (١٦٧٥)، تحقيق أحمد شاكر ١٣٦/٣.
وأخرجه النسائي في كتاب المناقب، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح (سنن الكبرى، مخطوط، انظر: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح(٩٧١٨)، ٢٠٩/٧، ١٠١/١٤).

(١) انظر أسباب النزول ص ٢٧٨: لأبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري، ط دار الكتب العلمية.

(٢) سورة المجادلة: آية ٢٢.

(٣) الأَل بالفتح جمع (ألّة)، وهي: الحربة العظيمة النصل، سميت بذلك لبريقها ولمعانها. انظر: لسان العرب ٨٥/١.

(٤) الحديث أخرجه الحاكم بهذا اللفظ في كتاب معرفة الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة رضي الله عنه، المستدرك على الصحيحين ٢٦٥/٣، وسكت عنه الحاكم ووافقه الذهبي.
وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم والطبراني وابن عساكر. انظر الدر المنثور في التفسير المأثور ١٨٦/٦.
وأخرجه البيهقي في كتاب السِّيَر، باب المسلم يتوقّى في الحرب قتل أبيه ولو قتله لم يكن به بأس، السنن الكبرى ٢٦/٩.

عمرو بن العاص رضي الله عنه مع أن في هذا الجيش أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[1].

المطلب الرابع
تواضعه وزهده

كان أبو عبيدة رضي الله عنه متواضعاً بين الناس، زاهداً في متاع الحياة الدنيا، يبتغي الأجر من الله تعالى.

. أما علامة تواضعه: فهي مساواته لجنده، حيث لم يكن هناك أي فرق بينه وبين واحد منهم. ويدل على ذلك: (أن رجلاً من الروم جاء إلى معسكر المسلمين بقصد الصلح بينهم وبين الروم، فلم يَعرف أبا عبيدة من بقية جنده، حتى قال: يا معشر العرب، أين أميركم؟ فقالوا له: ها هوذا فنظر فإذا هو بأبي عبيدة وعليه الدِّرع[2]، وهو ممسك الفرس، وبيده أَسْهُم[3] يقلبها وهو جالس على الأرض، فقال له: أنت أمير هؤلاء؟! قال: نعم، قال: ما يجلسك على الأرض؟ أرأيت إنْ كنتَ جالساً على وسادة[4] أو كان تحتك

---

(١) انظر ص ٥٢١، ٥٤٠، فقد سبق فيهما الكلام عن تولية أبي عبيدة هذا المدد.

(٢) الدِّرع في اللغة: لَبُوس الحديد في الحرب، تذكَّر وتؤنَّث، فيقال درع سابغة، ودرع سابغ، وهو في الاصطلاح العسكري: قميص ينسج من حِلَق حديدية رقيقة، فإن نسجت حلقة داخل حلقة سميت (مفردة) وإن نسجت حلقتين داخل حلقتين سميت (مضاعفة)، وحلقاتها توصل بمسامير تسمى (الغلائل)، بحيث تشبه الشبكة التي يلبسها الرجال الفرسان فوق أكتافهم. انظر لسان العرب ١/٩٦٩؛ الفن الحربي ص ١٧٧، ١٧٨.

(٣) أَسْهُم: جمع سَهْم، والمراد به: واحد النبل، وهو مركب النصل، وهو في الاصطلاح العسكري: عود من الخشب يوضع في طرفه نصل يرمى به عن القوس. انظر لسان العرب ٢/٢٢٩؛ المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ١/٣٨٠.

(٤) الوِسَادة: هي المخدة، وجمعها وسائد، تقول: وسَّدتُ زيداً الشيء فتوسد، إذا جعلته تحت رأسه. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/١٨٢؛ ولسان العرب ٣/٩٢٢.

بساط أكان ذلك واضعك عند الله؟ أو هل يبعدك من الإحسان؟ فقال له أبو عبيدة: لو كان عندي بساط أو وسادة ما كنت لأجلس عليها وأُجْلِسُ أخي المسلم الذي لا أدري لعله خير مني منزلة عند الله عز وجل على الأرض ونحن عباد الله نمشي على الأرض ونجلس عليها ونأكل عليها ونضطجع عليها وليس ذلك بناقصنا عند الله شيئاً بل تعظم به أجورنا وترفع به درجاتنا)(١).

وأما زهده: فهو غاية في العَجَب ودليل ذلك هذه القصة:

قال ابن وهب: حدثني عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر: (أن عمر حين قدم الشام قال لأبي عبيدة: اذهب بنا إلى منزلك، قال: وما تصنع عندي؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك عليَّ، قال: فدخل فلم ير شيئاً، قال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لُبَداً وصفحةً وشناً وأنت أمير، أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جُونَة(٢) فأخذ منها كُسَيْرات، فبكى عمر، فقال له أبو عبيدة: قد قلت لك إنك ستعصر عينيك عليّ يا أمير المؤمنين، يكفيك ما يبلغك المَقِيل، قال عمر: غيَّرتنا الدنيا كلَّنا غيرك يا أبا عبيدة)(٣).

المطلب الخامس

ثناء الصحابة عليه

أثنى بعض الصحابة على أبي عبيدة رضي الله عنه ثناءً عاطراً مما يوضح منزلة هذا القائد بين الصحابة رضوان الله عليهم.

١ ـ فقد أثنى عليه عمر بن الخطاب وتمنى أن يكون في المسلمين كثير من أمثاله.

---

(١) انظر الرياض النضرة في مناقب العشرة ٢/٣١٢؛ وتهذيب ابن عساكر ٧/١٦٢؛ وسير أعلام النبلاء ١/١٧: للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

(٢) الجُونَة: بضم الجيم: سلَّة مُسْتديرة مُغَشَّاة أَدَماً، تكون مع العطارين لحفظ الطيب فيها. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٣١٨؛ ولسان العرب ١/٥٣٨.

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/١٦٢.

روى زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه أنه قال لأصحابه: (تمنَّوْا فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله وأتصدق، وقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة زبرجداً وجوهراً فأنفقه في سبيل الله وأتصدق، ثم قال عمر: تمنوا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: أتمنى لو أنها مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وحذيفة بن اليمان)[1].

٢ ــ وقال عبد الله بن عمر: (ثلاثة من قريش أصبحُ الناس وجوهاً، وأحسنها أخلاقاً، وأثبتها حياءً، إن حدثوك لم يكذبوك وإن حدثتهم لم يكذبوك: أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح)[2].

٣ ــ وقال معاذ بن جبل لما مات أبو عبيدة رضي الله عنه: (أيها الناس، قد فُجِعْتُمْ برجل والله ما أزعم أني رأيت من عباد الله عبداً قط أقل غمراً[3] ولا أبرّ صدراً ولا أبعد غائلة ولا أشد حباً للعاقبة ولا أنصح للعامة منه فترحموا عليه ــ رحمه الله ــ ثم اصْحَروا[4] للصلاة عليه)[5].

---

(١) هذا الأثر أخرجه الحاكم بهذا اللفظ في كتاب معرفة الصحابة، باب: مناقب سالم مولى أبي حذيفة، وقد أشار الإمام الذهبي رحمه الله إلى أن هذا الأثر صحيح على شرط الشيخين، المستدرك على الصحيحين ٣/٢٢٧.
وأخرجه الإمام أحمد بنحو هذا اللفظ بإسناد حسن في باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، برقم (١٢٨٠)، كتاب فضائل الصحابة ٢/٧٤٠.
وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٠٢/٢، الطبعة الثانية، سنة (١٣٨٧هـ)، نشر دار الكتاب العربي ــ بيروت.

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٦١/٧.

(٣) الغِمْر: على وزن (فِعْل) هو الحقد وزناً ومعنىً، والمراد أنه لا يحمل في صدره حقداً على غيره. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٨٤/٣؛ والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١٠٦/٢.

(٤) اصْحَروا: يقال: أصْحَرَ القومُ: إذا برزوا في الصحراء. انظر لسان العرب ٤١١/٢.

(٥) هذا الأثر أخرجه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر مناقب أبي عبيدة رضي الله عنه، وقد سكت عنه الذهبي انظر المستدرك على الصحيحن ٢٦٤/٣.

المطلب السادس

وفـــاتـــه

اتفق أهـل السير على أن أبـا عبيدة بن الجـراح رضي الله عنه مـات في طاعون عَمَوَاس بالشام سنة ثمـاني عشرة (١٨)، وعـاش ثماني وخمسين سنـة وليس له عقب[١]. وشذ بعضهم فأرخ وفاته سنة سبـع عشرة[٢].

---

(١) انـظـر تاريـخ خليفة بن خياط ١/١٣٨، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمـري، الطبعـة الثانية، سنة (١٣٩٧هـ)؛ وطبقات خليفة ١/٧٧٢، حققه وقدم له الدكتور أكرم ضياء العمـري، ط الأولى، سنـة (١٣٨٧هـ)؛ والـطبقـات الكبـرى ٣/٤١٤، ٧/٣٨٥؛ والإصابة في تمييز الصحابـة ٢/٢٤٥؛ وتهذيب تـاريـخ ابن عساكـر ٧/١٥٨؛ وتهذيب الأسـماء واللغات ٢/٢٥٩: لأبـي زكـريا محيـي الـدين بن شـرف النـووي، دار الكتب العلميـة بيروت، ط إدارة الـطباعـة المنيريـة؛ والعقـد الثمـين في تـاريـخ البلد الأمـين ٥/٨٥: للإمام محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، سنـة (١٣٥٨هـ)؛ وشـذرات الـذهب في أخبـار من ذهب ١/٢٩: للمؤرخ عبـد الحي بن العماد الحنبلي، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٩هـ)، دار المسير.

(٢) انـظر الإصابة في تمييز الصحابة ٢/٢٤٥؛ وتهذيب تاريـخ ابن عسـاكر ٧/١٥٨؛ وسير أعلام النبلاء ١/٢٣.

المبحث الثاني
صفات أبي عبيدة القيادية

تتلخص صفات أبي عبيدة رضي الله عنه القيادية في المطالب الآتية:

المطلب الأول
الشَّجاعة

يُعَدّ أبو عبيدة رضي الله عنه من شجعان قريش الذين لا يشق لهم غبار. ولهذا كان أثر هذه الصفة في نفسه قوياً حتى صارت أشد من كل العقبات والصعاب التي كان يواجهها.

وكان رضي الله عنه يقصد بجهاده الحصول على رضاء الله سبحانه وتعالى والإخلاص في طاعته، فتوافرت له بذلك الشجاعة الأدبية فكان لا يخشى مخلوقاً.

وهو أيضاً يتصف بالشجاعة الجسدية ولهذا فقد كان لا يخاف ما تحمله الحروب من أخطار.

ومن أبرز المواقف التي ظهرت فيها شجاعته رضي الله عنه ثباته في معركة أحد حين انهزم الناس عن رسول الله ﷺ وهو موقف لا يثبت فيه إلا من أُوتي حظاً عظيماً من الشجاعة[1].

---

(١) انظر مغازي الواقدي ١/ ٢٤٠؛ وقادة فتح الشام ومصر ص ٧٧، ٧٨؛ وأبو عبيدة بن الجراح ص ١٥٨: لبسام العسلي، الطبعة الثانية، ط دار النفائس — بيروت، سنة (١٣٩٩هـ).

المطلب الثاني

صحيح القرار غير متسرع

لقد كان لدى أبي عبيدة المقدرة على اتخاذ القرار الصحيح ولكنه غير متسرع. والحق أن من يتحلى بهذه الصفة فإنه هو الذي يصلح للحرب كما يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث[1] الذي يعرف الفرصة والكفّ)[2]. وقد أخذ بعض الصحابة على أبي عبيدة تريثه الشديد قبل خوض أي حرب. ومن الأمثلة على ذلك:

ما رواه هاشم بن سعد عن زيد عن أبيه قال: (بلغني أن معاذاً سمع رجلاً يقول: لو كان خالد بن الوليد ما كان بالناس دوك[3]، وذلك في حصار أبي عبيدة (دمشق)[4]، فقال معاذ: فإلى أبي عبيدة تضطر المعجزة لا أبا لك والله إنه لخير مَنْ بقي على الأرض)[5].

ويفهم من إنكار معاذ رضي الله عنه على من أخذ على أبي عبيدة تريثه قبل إصدار قراراته أن هذه الصفة تعد خصلة محمودة في القائد العسكري.

المطلب الثالث

الثقة والمحبة المتبادلتان

من الصفات القيادية التي تحلى بها أبو عبيدة رضي الله عنه صفتا الثقة والمحبة المتبادلتان.

---

(١) المَكِيث: هو الرزين الذي لا يعجل في أمره. انظر: لسان العرب ٣/٥١٤.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٤٥.

(٣) الدُّوك: دق الشيء وسحقه وطحنه، وتداوك القوم: أي تضايقوا في حرب أو شر، ويريد القائل بذلك ما حدث للمسلمين أثناء حصار دمشق من شدة ومعاناة. انظر: لسان العرب ١/١٠٣٤.

(٤) ما بين القوسين: ليست من أصل النص وقد أضفتها هنا حتى يعرف القارىء الموقف الذي أخذ على أبي عبيدة. انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٤/١٢.

(٥) انظر: الطبقات الكبرى ٣/٣٠١.

فقد كان موضع ثقة النبي ﷺ ومحبته له بدليل أنه ﷺ أرسله إلى أهل نجران يعلّمهم السنّة والإسلام، كما كان يبادل قائده الأعلى هذه الثقة والمحبة.

ومن أبرز الأمثلة على ثقته بالنبي ﷺ: ثباته في يوم أحد حين فرَّ معظم الصحابة عن الرسول ﷺ وذلك لهول الفاجعة التي نزلت بهم[1].

وفي هذا الثباتِ علامة على ثقته في قيادة الرسول ﷺ العسكرية وحنكته في تدبير أمور الحروب.

أما علامة حبه للنبي ﷺ فهو قيامه بنزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجنتي الرسول ﷺ حتى سقطت ثنيّتاه[2][3].

كما كان يحب جنده ويثق بهم، وكانوا أيضاً يحبونه ويثقون به، حتى وصل الأمر إلى درجة الافتتان بمزاياه الخلقية والعقائدية[4].

المطلب الرابع

الماضي الناصع المجيد

يتحلى أبو عبيدة رضي الله عنه بالماضي الناصع المجيد، فهو من بني فِهْر وهذا البطن من قريش هو ممن انتهت إليه الرئاسة والشرف في الجاهلية.

ويجتمع أبو عبيدة رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ في فهر بن مالك، وذلك في الجدّ الثامن، وأما أبوه فهو عبد الله بن الجراح، وكان من أشراف

---

(١) انظر قادة فتح الشام ومصر ص ٥٧، ٧٧، ٧٩؛ وأبو عبيدة بن الجراح ص ١٣٩: لبسام العسلي.

(٢) ثنيتاه، مثنى مفرده: ثنية، وهي من الأضراس أول ما في الفم، وثنايا الإنسان التي في فمه أربع، ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل. انظر: لسان العرب ١/٣٨١.

(٣) انظر السِّيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٨؛ وجوامع السِّيرة لابن حزم ص ١٦١؛ والدرر في اختصار المغازي والسِّيَر ص ١٤٩.

(٤) انظر قادة فتح الشام ومصر ص ٧٧.

قـريش في الجاهليـة، تولى قيـادة بني فهر يـوم أن التقت قـريش وبنـو كنـانـة بهوازن.

وأما أمه: فهي أميمة بنت غنم بن جابـر بن عبد العـزى، من بني فهر، وعاش أبو عبيـدة في الجاهليـة في ذلك البيت الشـريف بعيداً عن حيـاة اللهو والعبث.

وقد اجتمـع له الشرف من نـواحٍ متعددة، فهو ذو نسب شريف وتربّى في بيت شريف وفي بلد شريف هو مكة المكرمة[1].

المطلب الخامس
بُـعْـد الـنـظـر

كان أبو عبيـدة رضي الله عنه يتصف ببُعْـد النظر، حيث كـان يضـع في حسبانه أصعب الاحتمالات وقوعاً. وبهذه التدابير الاحتياطية لم يستطـع العدو في أيامه استعادة أي موقعٍ فَتَحه المسلمون.

ومن الأمثلة على تحلّيه بهذه الصفة: أنه كـان يشحن النواحي المخـوفة بـالجند حتى تـرد إليها الإمـدادات. وفي ذلك يقـول ابن الأثير ــ عنـد الكلام على فتـح أنـطاكية وغيـرها ــ: (وولى أبـو عبيـدة على كـل كـورةٍ[2] فَتَـحَهـا عاملاً، وضم إليه جماعة وشحن النواحي المخوفة بالجند)[3].

---

(١) انـظر السيرة النبـويـة لابن هشـام ٢/٣٣٢؛ والـريـاض النضـرة في منـاقب العشـرة ١/١٨، ٢/٣٠٧؛ والطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٤٠٩؛ وطبقات خليفة بن خياط، القسم الثاني ص ٧٧٢، تحقيق سهيل زكار، مطابـع وزارة الثقافة والسيـاحة والإرشـاد القومي ــ دمشق، سنة (١٩٦٦م).

(٢) الكَـوْرَة: الصُقْـع، ويُطلق أيضـاً على المـدينة، وجمعهـا: كُوَر، مثـل: غرفـة وغرف. انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢/٢٠٦.

(٣) الكـامل لابن الأثـير ٢/١٩٢. وانظر: قـادة فتـح الشـام ومصر ص ٧٨؛ العسكـريـة الإسلامية وقادتها العظام ص ١٣١.

المطلب السادس

المشاورة

من الصفات القيادية التي كان يتحلى بها أبو عبيدة رضي الله عنه المشاورة؛ فقد كان يستشير جنده في كل خطوة يخطوها. ومن الأمثلة على تحليه بهذه الصفة أنه عندما احتشد الروم لاستعادة بلاد الشام استشار أبو عبيدة جنده في هذا الأمر، الذي يتطلّب قراراً حاسماً، فأشار عليه الأكثرون بقبول الحصار في حمص. أما خالد بن الوليد فأشار عليه بالهجوم على جموع الروم. ولكن أبا عبيدة أخذ برأي الأكثرية، فاستمد عمر بن الخطاب وأخبره بالموقف الراهن[1].

يحدثنا عن ذلك ابن الأثير فيقول: (... قصد الروم أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين، بحمص، وكان المهيّج للروم أهل الجزيرة، فإنهم أرسلوا إلى ملكهم وحثوه على إرسال الجنود إلى الشام ووعدوا من أنفسهم المعاونة، ففعل ذلك، فلما سمع المسلمون باجتماعهم ضم أبو عبيدة إليه مَسالِحهم[2]، وعسكر بفناء مدينة حمص، وأقبل خالد من قِنَّسْرِين[3] إليهم، فاستشارهم أبو عبيدة في المناجزة أو التحصين إلى مجيء

---

(1) انظر تاريخ الطبري ٤/٥٠؛ قادة فتح الشام ومصر ص ٧٨؛ أبو عبيدة بن الجراح ص ١٨١: لبسام العسلي.

(2) المسالِح: مواضع المخافة، وهي جمع مَسْلَحة ويُراد بها: القوم الذين يحفظون الثغور، من العدو، سُمّوا بذلك لأنهم يكونون ذوي سلاح، أو أنهم يسكنون المَسْلَحة، وهي كالثغر والمرقب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة. انظر لسان العرب ٢/١٧٩، ١٨٠.

(3) قِنّسْرين بكسر القاف وتشديد النون: مدينة بالشام مجاورة لحمص بينها وبين حلب مرحلة واحدة من جهة حمص. انظر معجم البلدان ٤/٤٠٣.

الغياث، فأشار خالد بالمناجزة وأشار سائرهم بالتَحْصِيْن[1] ومكاتبة عمر فأطاعهم وكتب إلى عمر بذلك)[2].

(١) التحْصِين لغة: دخول الحصن والاحتماء به، وهو في الاصطلاح العسكري: تقوية المواضع الدفاعية بالحفر والأسلاك الشائكة والألغام وغيرها. انظر لسان العرب ١/٦٥٥؛ المصطلحات العسكرية ١/١٨٨.

(٢) الكامل لابن الأثير ٢/٥٣. وانظر تاريخ الطبري ٤/٥٠؛ وقادة فتح الشام ومصر ص ٧٨؛ وأبو عبيدة بن الجراح ص ١٨١: لبسام العسلي.

المبحث الثالث

المبادىء العسكرية التي طبقها أبو عبيدة

طبّق أبو عبيدة رضي الله عنه في قيادته العسكرية عدداً من المبادىء العسكرية يمكن تلخيصها في المطالب الآتية:

المطلب الأول

المباغتة

يُعَدّ مبدأ المباغتة وتطبيقه في طليعة المبادىء العسكرية التي طبقها أبو عبيدة وعمل على تطويرها في حروبه.

وسوف أضرب مثالين على ذلك:

* **الأول: في فتح حمص:**

تظاهر أبو عبيدة بالانسحاب من حمص وسمح للروم بمطاردته وقدَّم شيئاً من الغنائم وذلك لاجتذابهم وإخراجهم من حصونهم ثم باغتهم بالانقضاض عليهم.

وقد كان وقع هذه المباغتة مذهلاً حيث أدى إلى نجاح استراتيجية الهجوم غير المباشر(١).

* **الثاني: في فتح اللاذقية:**

باغت أبو عبيدة مدينة اللاّذقية بأسلوب جديد، حيث لجأ إلى إقامة الحفر للفرسان وخيولهم، بهدف إخفائها وتمويهها، بسبب طبيعة المنطقة

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١/٦٤؛ وتاريخ فتوح الشام للأزدي ص ١٤٦؛ وأبو عبيدة بن الجراح ص ١١٠ ـ ١١٢: لبسام العسلي.

المكشوفة حول المدينة، والتي لا تساعد القوات على الاقتراب دون أن تنذر حامية[1] المدينة[2]. ويعد هذا الأمر من المباغتة بالأسلوب.

المطلب الثاني
المبادأة[3] واستخدام القوة الهجومية

من المبادىء العسكرية التي طبّقها أبو عبيدة: المبادأة واستخدام القوة الهجومية.

وهذا يعني: وضع العدوّ أمام مواقف متجددة، يصعب عليه مجابهتها مما يجعله يقتنع بعجزه عن متابعة الصراع.

ونظراً لاعتماد قوات الروم ـ بسبب حروبهم السابقة مع الفرس ـ على التحصينات الدفاعية والأسوار، فإن من البدهي أن تتعرض قوات المسلمين لمأزق حربي، وذلك بمجابهة أعمال الحصار الطويل، في حين أن قوات المسلمين لم تكن مؤهلة لهذا النوع من الحروب.

ثم إن الاصطدام بالتحصينات من شأنه أن يفقد المسلمين قدرتهم الحركية العالية وقوتهم الهجومية المرنة.

وقد عمل أبو عبيدة رضي الله عنه على تطوير هذه الخصائص واستخدامها بشكل صحيح يحقّق للمسلمين النجاح في هجومهم على أعداء الإسلام وذلك بتطبيق الوسائل الآتية:

---

(١) الحامِية لغةً تُطلق على الحجارة التي تُطوى بها البئر، حتى تمنع تساقط الأتربة فيها. والحامية في الاصطلاح العسكري مؤنث الحامي، وهو الرجل الذي يحمي أصحابه في الحرب، وتطلق أيضاً على الجماعة من الجيش تحمي نفراً أو بلداً. انظر لسان العرب ١/٧٣٢؛ المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ١/٢٠٠.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٢.

(٣) المبادأة: هي القدرة على التصرف في الأوقات التي لا توجد فيها أوامر وذلك بإصدار قرارات سليمة لإصلاح تنظيم أو حل مشكلة معينة. انظر كتاب القيادة ص ١١٩.

أولاً: إرغام العدو على مغادرة تحصيناته والدخول معه في مواجهة تكون فيها المبادأة في قبضته، ويتم فيها استخدام القوة الهجومية للمسلمين.

ومن الأمثلة على ذلك: معركة «فِحل»[1][2] وبَعْلَبك[3] واللاّذقية[4][5].

ثانياً: استخدام القوة الهجومية في أعمال التوغّل العميق حتى أثناء عمليات الحصار.

ومن الأمثلة على ذلك: أن قوات «ذي الكلاع الحميري» وصلت أثناء حصار دمشق إلى حدود مدينة (حمص)[6].

ثالثاً: المطاردة البعيدة لفلول الروم، حتى لا تتمكن تلك القوات من إعادة تجمّعها وتقديم مقاومات منظّمة في مجابهة قوات المسلمين. ومن الأمثلة على ذلك: ما سلكه أبو عبيدة في معركة مرج الروم[7].

المطلب الثالث

مبدأ أمن العمل

عرف المسلمون منذ وقت مبكر مبدأ (أمن العمل) وطبقوه في حروبهم بهدف عدم توريط قوات المسلمين في مأزق يعرضها للخطر.

---

(١) فِحْلُ: اسم موضع بالشام في ناحية الأردن. انظر معجم البلدان ٤/٢٣٧.

(٢) انظر البداية والنهاية ٧/١٩؛ وتاريخ فتوح الشام ص ١١١، ١١٢، رواية محمد بن عبد الله الأزدي، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر، مؤسسة سجل العرب، سنة (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م).

(٣) انظر تاريخ فتوح الشام للأزدي ص ١١٠.

(٤) اللاّذِقِية بذال وقاف مكسورتين: هي مدينة في ساحل بحر الشام وتقع غربي جبلة وبينهما ستة فراسخ، وهي من أعمال حلب. انظر معجم البلدان ٥/٥.

(٥) انظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٢.

(٦) انظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٠، ٤٩١.

(٧) انظر تاريخ الطبري ٣/٥٩٨، ٥٩٩؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤٩٠؛ وأبو عبيدة بن الجراح ص ١٢٦ ـــ ١٢٩: لبسام العسلي.

وقد طبق أبو عبيدة رضي الله عنه هذا المبدأ واتخذ في سبيل تطبيقه إجراءات كثيرة ومتنوعة، بحسب الموقف من العدو وبحسب وضع قوات المسلمين.

وقد اتخذ رضي الله عنه التدابير الوقائية الآتية لتطبيق هذا المبدأ:

* **أولاً: الاستطلاع المستمر لأحوال العدو:**

لم يخف على أبي عبيدة رضي الله عنه شيء من أحوال عدوه، وذلك باتخاذه الجواسيس لمعرفة الأخبار واستعمال العيون ودوريات الاستطلاع واستجواب الأسرى ومعلومات الأنصار.

* **ثانياً: اتخاذ تدابير الحيطة والحذر:**

كان أبو عبيدة رضي الله عنه لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة، وقد حاول الروم عدة مرات مباغتة قوات المسلمين في بلاد الشام التي كان أَمْرُ فتحها مسنداً إلى أبي عبيدة مثل: دمشق وفحل ومرج الروم وحمص.

ولكن الروم لم يستطيعوا النيل من المسلمين، وذلك لأن عناصر الرصد والإنذار ودوريات الاستطلاع التي كانت تعتمد على الفرسان (الخَيَّالة) كانت متيقِّظة دائماً وكانت تزيد من يقظتها في الليل والأحوال الجوية غير العادية.

كما أن هناك قوة جاهزة يطلق عليها اسم (الرِّدْء)[1]، واجبها مجابهة قوات العدو وإشغالها ريثما تستعدّ القوات الرئيسة لدخول الميدان.

وقد كانت تلك التدابير متكاملة في مستوياتها شاملة في تنظيمها، بحيث لم تترك للعدو أي ثغرة يستفيد منها.

وبهذا الأسلوب أحبطت كل محاولة استهدفت غرة قوات المسلمين[2].

---

(١) الرِّدْءُ: في اللغة: العون والناصر، وفي الاصطلاح العسكري: القوة الاحتياطية، فيقال: سرية الردء أي: سرية الاحتياط، لأنها معين للفوج وعماد له. انظر: لسان العرب ١/١١٤٨؛ والمصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ١/٢٨٦.

(٢) انظر البداية والنهاية ٧/١٩، ٢٠؛ وأبو عبيدة بن الجراح ص ١١٦ ـ ١١٧: لبسام العسلي.

* **ثالثاً: عزل ميدان المعركة عن أي تدخل خارجي:**

من التدابير الوقائية التي اتخذها أبو عبيدة رضي الله عنه لتحقيق مبدأ الأمن: عزل ميدان المعركة عن التدخل الخارجي، وذلك بإيجاد مفارز من الفرسان.

وكان مقدار الحيطة وكيفيتها يرتبط بعوامل عدة، منها على سبيل المثال ما يأتي:

أولاً: خطورة التهديد.

ثانياً: حجم قوة الحماية.

ثالثاً: طبيعة منطقة العمليات.

ومن الأمثلة على ذلك المفرزة التي شكلت بقيادة خالد بن الوليد في أثناء حصار حمص ويبلغ عدد أفرادها (٤٠٠) فارس وذلك بقصد عزل ميدان العمليات الحربية عن أي تدخّل خارجي غير متوقَّع[١].

ويبرز تطبيق (مبدأ أمن العمل) الخصائص القيادية لأبي عبيدة، فقد كان يركز جهده على تطويق الموقف الذي يجابهه بواسطة التدابير الوقائية المناسبة وبعد أن يضمن لقواته الحماية يقوم بوضع مخطَّط محكَم ودقيق لحل المأزق العسكري الذي يريد الخروج منه.

وبهذا التصرف كان أبو عبيدة رضي الله عنه يحدث موقفاً لا يتوقعه العدو فتنهار إرادة الصراع لديه، وينتصر جيش المسلمين دون أن يتكبد خسائر فادحة في سبيل ذلك[٢].

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤/٥٠؛ وأبو عبيدة بن الجراح ص ١١٥ ــ ١١٨: لبسام العسلي.

(٢) انظر أبو عبيدة بن الجراح ص ١١٧، ١٢٠: لبسام العسلي.

المطلب الرابع
وحدة القيادة

من المبادىء العسكرية التي طبقها أبو عبيدة رضي الله عنه: وحدة القيادة وكان يؤمن بهذا المبدأ إيماناً عميقاً، فقد عرف أن النجاح في تنفيذ الواجب إنما يرتبط إلى حد بعيد بوحدة القيادة والعمل على جميع المستويات.

وما قول أبي عبيدة: (... إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتطاوع، فأنا أطيع رسول الله ﷺ وإن عصاه عمرو)[1] إلا تطبيقاً لهذا المبدأ.

وإن عصيان هذا الأمر والخروج عليه ـ يعني تعدّدَ القادة ـ مما يتنافى مع المبدأ الذي آمن به أبو عبيدة رضي الله عنه وحرص على تطبيقه.

ولم يكن أبو عبيدة رضي الله عنه ممن تغرّهم القيادة أو تغريهم بما تضمنته من مميزات السلطة والسيطرة.

كما كان يدرك رضي الله عنه أن القيادة تكليف لتنفيذ واجب معين، وليست مكافأة أو مغنماً، وكان التزامه بهذا المبدأ التزاماً طوعياً ينطلق من الإيمان بالهدف الذي يعمل له والذي كان يتولى قيادة المسلمين من أجله، وهو رفع راية الإسلام والتمكين له في الأرض[2].

المطلب الخامس
المحافظة على الهدف

من المبادىء العسكرية التي طبقها أبو عبيدة رضي الله عنه: المحافظة على الهدف. ومن الأمثلة على ذلك:

أن أبا عبيدة رضي الله عنه عندما أراد فتح شمال الشام بدأ بفتح

---

(١) هذه قطعة من حديث سبق نصه وتخريجه في ص ٥٢١، ٥٢٢.

(٢) انظر أبو عبيدة بن الجراح ص ١٣٧ ـ ١٤٠: لبسام العسلي.

المحور الداخلي الذي يشمل: بعلبك ــ حمص[1] ــ قنسرين[2] ــ حلب[3][4] مروراً ببقية المراكز، وقد اتخذ من حمص مقراً لقيادته بحيث يستطيع توجيه قواته منها نحو كل اتجاه يتعرض للتهديد.

فلما أكمل المحور الداخلي انطلق إلى المحور الساحلي (أنطاكية[5] ــ اللاذقية ــ جبلة[6][7] ــ طرطوس[8]).

وكانت خطة الفتح واضحة في ذهن أبي عبيدة، بحيث لم يتم الانتقال من المنطقة الداخلية إلى المنطقة الساحلية إلا بعد تكوين قاعدة قوية ومضمونة في الداخل. وبهذا يكون أبو عبيدة رضي الله عنه قد حقق الهدف وحافظ عليه في وقت واحد.

ومما يدل على أهمية هذه القاعدة تركيز الروم هجومهم المضاد على حمص لأنه لو تم لهم ذلك لانهارت المنطقة الساحلية بسهولة.

---

(١) انظر تاريخ خليفة بن خياط ١/١٣٠؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤٩١.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٣/٦٠١؛ الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٢.

(٣) انظر تاريخ خليفة بن خياط ١/١٣٤؛ وزبدة الحلب من تاريخ حلب ص ٣٠: لأبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم، تحقيق الدكتور سامي الدهان، دمشق، (١٣٧٠هـ).

(٤) حلب: مدينة بالشام واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء بينها وبين قنسرين اثنا عشر ميلاً، وسميت بحلب رجل من العمالقة، وهي الآن من أشهر مدن سوريا. انظر: معجم البلدان ٢/٢٨٢؛ والروض المعطار في خبر الأقطار ص ١٩٦.

(٥) أنْطاكية بفتح الهمزة وتسكين النون وتخفيف الياء: من أشهر بلاد الشام (وهي الآن تابعة لتركيا) بينها وبين حلب مسيرة يوم وليلة. انظر: معجم البلدان ١/٢٢٦، ٢٢٧.

(٦) جبلة: قلعة مشهورة بساحل الشام وهي من أعمال حلب قرب اللاذقية. انظر معجم البلدان ٢/١٠٥.

(٧) انظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٤.

(٨) طرطوس: هي بلد بالشام مشرفة على البحر قرب المرقب وعكا. انظر معجم البلدان ٤/٣٠.

ومما هو جدير بالذكر أن عمليات الفتوح التي قام بها هذا القائد المظفر لم تكن عملية مرتجلة، وإنما كانت تخضع لتخطيط دقيق ومحكم، يحدد الهدف ويضع كل ما هو ضروري من وسائل ممكنة للمحافظة عليه[1].

المطلب السادس
الاقتصاد في القوى

طبق أبو عبيدة رضي الله عنه مبدأ الاقتصاد في القوى، وكان يقصد بذلك التعويض مادياً وبشرياً مما كانت تعاني منه قوات المسلمين، وقد اعتمد أبو عبيدة في ذلك على مجموعة من الأسس والمبادىء من أهمها:

أولاً: الوصول إلى هدف الحرب عن طريق عقد اتفاقات من أجل تحقيق السِّلْم وإقامة المجتمع الجديد.

ومثال ذلك: صلح أذرع[2] والجزيرة[3]. وذلك بقصد تحقيق مبدأ الاقتصاد في القوى.

ثانياً: تنفيذ الأعمال الحربية في جو من التشتيت لإعاقة تطوير قوات العدو.

كان أبو عبيدة رضي الله عنه يدفع بقواته حتى أبعد مسافة من أفق المعركة، وفي الوقت نفسه كانت بقية الجيوش الإسلامية تخوض معارك في كل مكان.

ومن الأمثلة على ذلك: ما حدث في بلاد الشام، حيث كان شرحبيل بن حسنة يتابع حركة الجهاد في الأردن، وكان عمرو بن العاص

---

(١) انظر أبو عبيدة بن الجراح ص ١٣٤ ــ ١٣٧: لبسام العسلي.

(٢) أذرع: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمّان، وقال الحافظ أبو القاسم: إنها مدينة البلقاء. انظر معجم البلدان ١/١٣٠.

(٣) الجزيرة: هي المعروف باسم جزيرة أقور وتقع بين دجلة والفرات مجاورة الشام، وتسمى الجزيرة الفراتية وبها ديار مضر وبكر. انظر معجم البلدان ١/١٣٤.

يعمل على تصفية بقية جيوب المقاومة في فلسطين، كما كان معاوية بن أبي سفيان يحرر بقية جيوب المعارضة في ساحل الشام[1].

وفي هذا الظرف الذي كانت فيه قوات العدو مشتتة أصبح من المحال على قيادة الروم أن تسعى إلى تطوير أساليبها القتالية في أي جبهة من جبهات القتال[2].

ثالثاً: إظهار العناد والتصميم لبلوغ هدف الحرب.

ظن الروم في الشام أن طول الحصار سيرغم المسلمين على الانصراف، كما كان أهل حمص يأملون أن تكون برودة الجو وقوة المقاومة سببين في إرغام جند المسلمين على الانسحاب.

وقد أقنع هذا التصميم والعناد بقية مواقع الروم بعدم جدوى مقاومة المسلمين. كما حقق هذا المسلك النصر للمسلمين، دون أن يكلفهم كثيراً من التضحيات وساعد ـ أيضاً ـ على توفير القدرة الضرورية لمتابعة أعمال القتال في المراحل المقبلة[3].

المطلب الرابع
أعمال أبي عبيدة رضي الله عنه

يمكن تلخيص الأعمال التي قام بها أبو عبيدة رضي الله عنه منذ إسلامه إلى وفاته في الفرعين الآتيين:

---

(١) انظر تاريخ خليفة بن خياط ١/١٢٦؛ وفتوح الشام ١/١١: لأبي عبدالله محمد بن عمر الواقدي، الطبعة الرابعة، سنة (١٣٨٥هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤٣١.

(٢) انظر أبو عبيدة بن الجراح ص ١٣٢، ١٣٣: لبسام العسلي.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٣/٥٩٩؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤٩١؛ أبو عبيدة بن الجراح ص ١٣٣.

● **الفرع الأول: في عهد النبي ﷺ:**

شارك أبو عبيدة في غزوة بدر الكبرى، وقد تولى قتل أبيه في ذلك اليوم[1].

وفي يوم أحد: كان أبو عبيدة ممن ثبت في ميدان المعركة وأبلى بلاءً حسناً[2].

ولما أجمع «بنو محارب» و«ثعلبة» وأغاروا على مواشي المدينة وهي ترعى بهيفاء[3]، بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة في أربعين رجلاً فساروا حتى وصلوا إلى «ذي القصة»[4] فأغاروا على أولئك القوم وأخذ أبو عبيدة بعض ما لديهم من النعم، ثم عادوا إلى المدينة[5].

وعند فتح مكة كلف الرسول ﷺ أبا عبيدة أن يدخل بفرقته من الناحية الشمالية الغربية[6].

وعندما سأل أهل نجران رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم من يعلمهم السنّة والإسلام بعث أبا عبيدة رضي الله عنه لهذه المهمة[7].

● **الفرع الثاني: في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما:**

كان أبو بكر رضي الله عنه قبل معركة اليرموك قد جعل على كل أهل

---

(١) انظر الدليل على ذلك في ص ٥٥٨.

(٢) انظر مغازي الواقدي ١/٢٤٠.

(٣) هيفاء: موضع على بُعد أربعة أميال من المدينة، وهي حرة فيها بشر، ويُعرف هذا الموضع أيضاً بقناة معاوية. انظر كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ص ٢٠١.

(٤) ذو القصة: اسم موضع على بعد أربعة وعشرين ميلاً من المدينة، وهو ماء لبني طريف في أجا، وأهله موصوفون بالملاحة. انظر: المغانم المطابة في معالم طابة ص ٣٤٧.

(٥) انظر: عيون الأثر في فنون المغازي والسير ٢/١٠٥.

(٦) سبق ذكر ذلك في ص ٢٣٢. وقد رأيت أن المقام يقتضي ذكر هذه المهمة في هذا الموضع لكونها من الأعمال التي تضاف إلى أبي عبيدة رضي الله عنه.

(٧) سبق ذكر الدليل على بعثه إلى نجران في ص ٥٥٥.

بلد في الشام أميراً، فكان أبو عبيدة رضي الله عنه أميراً على حمص[1].

وعندما خرج خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتال الروم في اليرموك جعل أبا عبيدة بن الجراح على القلب[2].

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام أبو عبيدة رضي الله عنه بفتح بلاد كثيرة بالشام.

فقد فتح دمشق[3][4]، وفِحل[5]، وبعلبك[6][7]، وحمص[8]، ومرج[9] الروم، وحماه[10][11]، وشيزر[12][13]، ـــــــــ

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٠٥.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٩٦؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤١١.

(٣) دِمَشْق: قاعدة الشام، وهي الآن عاصمة سوريا، سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنيانها، أي أسرعوا. وقال أهل السِّيَر: سميت بدمشق بن قاني بن مالك بن آرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. انظر معجم البلدان ٢/٤٦٣؛ والروض المعطار في خبر الأقطار ص ٢٣٧.

(٤) انظر تاريخ خليفة بن خياط ١/١٢٥؛ ومعجم البلدان ٣/٢٣٧.

(٥) انظر تاريخ خليفة بن خياط ١/١٢٦.

(٦) بَعَلْبَكّ: مدينة قديمة بالشام فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة بينها وبين دمشق من جهة الشرق مرحلتان وهي الآن تابعة للبنان. انظر معجم البلدان ٢/٤٥٣؛ والروض المعطار ص ١٠٩.

(٧) انظر تاريخ خليفة بن خياط ١/١٢٧.

(٨) انظر تاريخ خليفة بن خياط ١/١٢٧.

(٩) انظر تاريخ الطبري ٣/٥٩٨.

(١٠) حماة: مدينة كبيرة وهي الآن تابعة لسوريا، وبها نهر العاصي، بينها وبين كفر طاب أربعون ميلاً، ومن حمص إلى حماة مثلها. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠؛ والروض المعطار في خبر الأقطار ص ١٩٩.

(١١) انظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٢.

(١٢) شَيْزَر: قلعة قديمة بالشام، تقع قرب معرة النعمان، بينها وبين حماة يوم واحد، وفي وسطها نهر الأردن، وعليه قنطرة في وسط هذه القلعة، وهي تعد في كورة حمص. انظر معجم البلدان ٣/٣٨٣.

(١٣) انظر فتوح الشام ١/٧٥.

ومعـرة[1] حمص[2]، واللاذقيـة[3]، وقِنَّسْـرِين[4]، وحلب[5]، وأنـطاكيـة[6]، ومعرة[7] مَصْرين[8]، والجومة[9][10]، وسرمين[11][12]، ومرتحـوان[13][14]، وتيزين[15][16]، وقورس[17][18]،

---

(١) معرة حمص: مدينة كبيرة قـديمة مشهـورة، من أعمال حمص، بـين حلب وحماة، أطلق عليها اسم (معرة النعمـان) اسم الصحابـي الجليـل: النعمان بن بشـير، الذي مـر بها فمات له ولد فدفنه فيها. انـظر معجم البلدان ٥/١٥٦.

(٢) انـظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٢.

(٣) انـظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٢.

(٤) انـظر تاريـخ الطبري ٣/٦٠١.

(٥) انـظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٥.

(٦) انـظر تاريـخ خليفة بن خياط ١/١٣٥.

(٧) مَعَرَّةُ مَصْرِين: بلدة صغيـرة بنواحي حلب، وهي من أعمـالها، بينهـما نحواً من خمـسة فراسـخ. انظر: معجم البلدان ٥/١٥٥.

(٨) انـظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٥.

(٩) الـجُومَة بضم الجيم: قرية من نواحي حلب. انـظر معجم البلدان ٢/١٨٩.

(١٠) انـظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٥.

(١١) سَرْمِين بفتـح أوله وتسكين ثانيه: بلدة من أعمال حلب، قيل: إنها سميت بسرمين بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام. انـظر معجم البلدان ٣/٢١٥.

(١٢) انـظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٥.

(١٣) مَرْتَحوان بفتـح الميم وتسكين الراء وفتـح التاء: بلدة صغيرة من نـواحي حلب. انـظر معجم البلدان ٥/١٠٠.

(١٤) انـظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٥.

(١٥) قـرية كبيـرة من نواحي حلب، كـانت تعد من أعمـال قنسـرين، ثم صـارت في أيـام هارون الرشيد من العواصم مـع منبـج وغيرها. انـظـر معجم البلدان ٢/٦٦.

(١٦) انـظر فتوح البلدان ص ١٥٤: للشيـخ أحمـد بن يحيـى بن جابـر المعروف بـالبلاذري راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان، مطبعة السعادة بمصر.

(١٧) قُـورُس: مدينـة قديمـة بـالشـام وهي كـورة من نـواحي حلب. انـظر: معجم البلدان ٤/٤١٢.

(١٨) انـظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٥.

وتـل[١] عـزاز[٢]، ومـنـبـج[٣][٤]، ودلـوك[٥][٦]، ورعبان[٧][٨]، ومرعش[٩][١٠]، وحصن[١١] الحدث[١٢]، والجزيرة[١٣][١٤]، ـــــــــ

---

(١) تل عَزَاز: بلدة صغيرة فيها قلعة تقع شمال حلب، بينهما مسيرة يوم واحد. انظر: معجم البلدان ٤/١١٨.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٦.

(٣) مَنْبِج: مدينة كبيرة بالشام، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ. انظر معجم البلدان ٥/٢٠٦.

(٤) انظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٦.

(٥) دُلُوك بضم الدال واللام: بلدة صغيرة من نواحي حلب، كانت فيها وقعة لأبي فراس بن حمدان مع الروم. انظر: معجم البلدان ٢/٤٦١.

(٦) انظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٦.

(٧) رَعْبَان: مدينة بثغور الشام، بين حلب وسميساط، قرب الفرات، في العواصم، وهي قلعة تحت جبل. انظر: معجم البلدان ٣/٥١.

(٨) انظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٦.

(٩) مَرْعَش: مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم، لها سوران وخندق، وفي وسطها حصن، عليه سور. انظر: معجم البلدان ٥/١٠٧.

(١٠) انظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٧.

(١١) حصن الحَدَث: قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش، وهي على جبل يقال له (الأحيدب)، قيل: إن سبب تسميته بذلك أن غلاماً (حدثاً) لقي المسلمين فقاتلهم في أصحابه قتالاً استظهر فيه عليهم، فسمي الحصن بذلك. انظر معجم البلدان ٢/٢٢٧.

(١٢) انظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٧.

(١٣) الجزيرة: هي الجزيرة الفراتية، وتطلق على الجزء الشمالي من الأرض التي يكتنفها نهر دجلة والفرات، بها مدن وحصون وقلاع كثيرة، منها: حران، والرها، والرقة، ورأس العين، ونصيبين، والخابور، وماردين، ومن أهم أعلامها جبل سنجار، ويرتفع ١٤٥٣ متراً، عن سطح البحر، وجبل عبد العزيز ٩٢٠ متراً. انظر معجم البلدان ٢/١٣٤؛ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٨٢.

(١٤) انظر تاريخ خليفة بن خياط ١/١٣٩.

وحران[1][2]، والرها[3][4].

---

(١) حرّان: بلدة مشهورة بالشام، وهي الآن تابعة لسوريا، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي مجمع الصابئة، وقد ذكر المفسرون أنها هي المرادة في قولة إبراهيم عليه السلام: ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾ الآية ٢٦ من سورة العنكبوت، وهي المقصودة كذلك في قوله تعالى: ﴿ونجّيْناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ الآية ٧١ من سورة الأنبياء. انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٣٥؛ الروض المعطار في خبر الأقطار ص ١٩١.

(٢) انظر تاريخ خليفة بن خياط ١/ ١٣٩.

(٣) الرُّها: مدينة بالجزيرة الفراتية، متصلة بحران، بينهما ستة فراسخ، وهي ذات عيون كثيرة، تجري فيها الأنهار. سميت باسم الذي استحدثها وهو الرُّها بن البلندي بن مالك بن دُعر. انظر معجم البلدان ٣/ ١٠٦؛ والروض المعطار في خبر الأقطار ص ٢٧٣.

(٤) انظر تاريخ خليفة بن خياط ١/ ١٣٩.

الفَصْلُ الثَّانِي

خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ

المبحث الأول

تعـريف بشخصية خالـد

المطلب الأول

اسمـه ونَسَـبه

هـو: خالـد بن الـوليـد بن المغيـرة بن عبـد الله بن عمـرو بن مخـزوم، وكنيته: أبو سليمان[1].

وأبوه: الوليد بن المغيرة، سيـد من سادات قـريش، كانت تتحـاكم إليه وتدعوه: ريحانتها، وهو أيضاً: عدلها[2].

فقد كانت قريش مجتمعة تكسو الكعبة سنة، من مالها، ويكسوها الوليد من ماله الخاص سنة[3].

وفيه نزلت هذه الآيات الكريمات ـ كمـا رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ وهي قوله تعالى: ﴿ذرني ومن خلقتُ وحيـداً﴾... إلى قولـه: ﴿إنْ هذا إلا سحرٌ يُـؤْثر﴾[4].

---

(١) انـظر الطبقات الكبرى ٢/٣٩٤؛ الإصابة في تمييز الصحابة ١/٤١٢؛ وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٢/٩٣؛ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥/٩٢.

(٢) انـظر الكامل لابن الأثير ١/٤٩١؛ ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩/٣٤٨؛ والسيـرة الحلبية ١/٣٤٧؛ وخالـد بن الوليـد ص ١٩: للشيـخ محمد صـادق عرجـون، ط ٢، سنة (١٣٧٨هـ)، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.

(٣) العَـدْلُ بكسر العين وفتحهـا: يراد بـه المثل، والمعنى: أن الـوليد كـان مماثـلاً لقريش. انـظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١٩١.

(٤) سورة المدثر: الآيات ١١ ـ ٢٥.

وروي عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ذرني ومن خلقتُ وحيداً﴾ أنه قال: هو الوليد بن المغيرة، أخرجه الله من بطن أمه وحيداً لا مال له ولا ولد، فرزقه الله المال والولد والنماء[1].

وأما أمّه: فهي (لبابة الصغرى) بنت الحارث بن حزن بن بجير، ابن الهزم بن روية بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، وهي أخت أم الفضل بن الحارث، أم ابن العباس بن عبد المطلب.

وعلى هذا يكون خالد بن الوليد: ابن خالة عبد الله بن عباس، وابن أخت ميمونة بنت الحارث زوجة رسول الله ﷺ[2].

المطلب الثاني

نشأته

ولد خالد من أبوين شريفين، بلغا الذروة في المجد والشرف، بالإضافة إلى ما عُرف عن بني (مخزوم) من الشجاعة والنجدة، وقد كان والده من أثرى أهل مكة كما أخبر عنه القرآن فنشأ خالد منذ نعومة أظفاره نشأةً عسكريةً.

وساعده على ذلك: عدة عوامل:

الأول: عدم اشتغاله بأيّ مهنة يكتسب منها عيشه، وذلك بسبب غنى والده، فاستغل هذا الفراغ فيما يعود بالنفع على قومه الذين كانوا يعتمدون عليه في الحروب.

الثاني: أنه كان عنده الاستعداد النفسي لممارسة فنون الفروسية.

الثالث: تولى بنو مخزوم (القبّة والأعنّة)، وقد وُكِلَ بهذان المنصبان إلى خالد، نظراً لكفاءته العسكرية، فكان عمله مقتصراً على القيام بواجبه

---

(١) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/١٥٢؛ وتفسير ابن كثير ٤/٤٤٢.

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٣٩٤، ٤٧٩؛ والكامل لابن الأثير ٢/٢٦؛ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥/٩٤؛ والأعلام للزركلي ٨/١٢٢.

العسكري، وهو قيادة الرجال في أيام الحرب، والتدريب على الفروسية واستعمال السلاح في أيام السِّلم.

وقد تضافرت هذه العوامل جميعها على أن تكون حياته ـ في الجاهلية والإسلام ـ ذات طابع عسكري متميز، مما جعله في عداد القادة المشهورين[1].

المطلب الثالث

إسلامه

شاهد الرسول ﷺ أثناء قتاله للمشركين أن خالد بن الوليد يتمتع بشخصية قيادية متميزة وفكر عسكري عميق، فكان يرجو أن يستفيد المسلمون من هذه الطاقة في حركة الجهاد الإسلامي. فأخذ الرسول ﷺ يسأل عن خالد؛ قال ابن سعد رحمه الله: (وكان خالد من فرسان المشركين وأشدّائهم... ثم قذف الله في قلبه حب الإسلام لما أراد الله به من الخير ودخل رسول الله ﷺ عام القضية مكة، فتغيّب خالد فسأل رسول الله ﷺ أخاه فقال: «أين خالد»؟ ثم قال: «... ما مثل خالد يجهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته وجدّه مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ولقدّمناه على غيره»)[2].

فكتب الوليد إلى أخيه خالد كتاباً يخبره فيه بذلك، فقال فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك، ومثل الإسلام لا يجهله أحد، وقد سألني رسول الله ﷺ فقال: «أين

---

(١) انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥/٩٤؛ والإصابة في تمييز الصحابة ١/٤١٢، ٤١٣؛ وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٢/١٠١؛ وتفسير ابن كثير ٤/٤٢٤؛ والسيرة الحلبية ١/٢٤٧؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٥٧.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٣٩٤.

خالد»؟ فقلت: يأتي الله به، فقال: «ما مثل خالد يجهل الإسلام...»، فاستدرك يا أخي ما فاتك، فقد فاتتك مواطن صالحة)[1].

ويذكر خالد رضي الله عنه أثر هذا الكتاب في نفسه فيقول: (فلما أتاني كتابه نشطت للخروج)[2].

واتفق هو وعثمان بن طلحة على أن يذهبا إلى رسول الله ﷺ لِيُسْلِما على يديه. وفي الطريق لقيا عمرو بن العاص فسألهما عن جهة مسيرهما فأخبراه وأعلمهما بقصده[3].

يحدثنا عن ذلك عمرو بن العاص فيقول: (خرجت عامداً لرسول الله ﷺ فلقيت خالد بن الوليد وكان قبيل الفتح وهو مقبل من مكة فقلت: يا أبا سليمان، لقد استقام الميسم[4]، وإن الرجل نبيّ. اذهب فأسلم، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم قال: فقدمنا على رسول الله ﷺ فتقدم خالد بن الوليد فأسلم... قال ابن إسحاق: وقد حدثني من لا أتهم: أن عثمان بن طلحة كان معهما أسلم حين أسلما)[5].

---

(١) انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥/٩٦.

(٢) انظر صفة الصفوة ١/٦٥٣.

(٣) انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥/٩٧.

(٤) المِيْسَم: هو العلامة، أي: قد تبين الأمر واستقامت الدلالة. وفي رواية أخرى: (المَنْسَم) بوزن (مَفْعَل)، ومعناه: استقام الطريق ووجبت الهجرة، وأصل المَنْسَم: مُقَدَّم خف البعير، كُنِيَ به عن الطريق للتوجه به فيه. انظر: الروض الأنف في شرح السِّيرة النبوية لابن هشام ٦/٣٨٦.

(٥) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/١٩٩؛ ورواه ابن إسحاق بسند جيد. انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٣١٩؛ والفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ٢٢/٣٣٩.
وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩/٣٥١، ثم قال بعد عزوه للإمام أحمد والطبراني: ورجاله ثقات.

المطلب الرابع

مناقبه

لخالد بن الوليد رضي الله عنه مناقب جليلة، يمكن تلخيصها في الفروع الآتية:

● **الفرع الأول: أن الرسول ﷺ سماه فتى العشيرة:**

عن وحشي بن حرب: أن رسول الله ﷺ عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد. . .» الحديث[1].

وعن أبي عبيدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خالد سيف من سيوف الله عز وجل ونعم فتى العشيرة»[2].

● **الفرع الثاني: أن الرسول ﷺ سماه (سيف الله)، وذلك عندما تولى قيادة جيش مؤتة، بعد مقتل أمرائه الثلاثة[3].**

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ١ / ٨.
وأخرجه الطبراني في الكبير ٤/١٢.
وأخرجه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد ٣/٢٩٨، وسكت عنه الذهبي.
وقد أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩/٣٤٨، ثم قال: رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/٩٠.
وهذا الحديث إسناده ضعيف لانقطاعه لأن عبد الملك بن عُمير (وهو أحد الرواة) لم يدرك عمر ــ رضي الله عنه ــ ولا أبا عبيدة ولا خالداً. انظر فضائل الصحابة ٢/٧٣٩ ــ فإن أبا عبيدة توفي سنة (١٨هـ). انظر وفاته رضي الله عنه في ص ٥٦٢، وخالداً توفي سنة (٢١هـ)، على أرجح أقوال العلماء. انظر وفاته في ص ٥٨٩ ــ أما عبد الملك بن عمير: فإنه ولد لثلاث سنين بقين من خلافة عثمان رضي الله عنه، سنة (٣٢هـ). انظر تهذيب التهذيب ٦/٤١٢.

(٣) انظر الدليل على تسميته رضي الله عنه بهذا الاسم في ص ٥٢٧.

● **الفرع الثالث**: أن الرسول ﷺ لم يعدل به أحداً من أصحابه. عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد أحداً منذ أسلمنا في حربه(١).

المطلب الخامس

ثناء الناس عليه

أثنى عدد من الصحابة وغيرهم على خالد بن الوليد:

١ ــ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: عجز النساء أن يلدن مثل خالد(٢).

٢ ــ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما مات خالد: قد ثلم في الإسلام ثلمة لا ترتق.

وقال عنه أيضاً: كان والله سَدَّاداً لنحور العدو، ميمون النَّقِيبة(٣)(٤).

٣ ــ وقال الزبير بن بكار: كان خالد الذي يقال له سيف الله: مباركاً ميمون النَّقِيبة(٥).

٤ ــ وقال أكيدر دومة الجندل: لا أحد أيمن طائراً منه ولا يقف في وجه خالد قوم أبداً قلوا أو كثروا، إلا انهزموا عنه(٦).

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في أبواب جماع السرايا التي تُذكر بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضية، باب ذكر إسلام عمرو بن العاص دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٤/٣٤٣.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير ٢/٣٨٩؛ وتاريخ الطبري ٣/٣٥٩.

(٣) تقول العرب: فلان ميمون النَّقِيبة: أي مبارك النفس مظفر بما يحاول، كما يطلق هذا الوصف على من كان منجح الفعال، مظفر المطالب. انظر لسان العرب ٣/٦٩٨.

(٤) انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥/٩٣، ١١٣.

(٥) انظر المرجع السابق ٥/٩٤.

(٦) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٧٨.

المطلب السادس

وفـــاتـــه

اختلف المؤرخون وأهل السِّيَر في السنة التي توفي فيها خالد، وفي أي مكان كانت؟:

١ ــ فذكر الطبري رحمه الله أنه مات بحمص سنة (٢١هـ)[١].

٢ ــ وقال ابن عساكر: قدم خالد بن الوليد بعد أن عزله عمر بن الخطاب معتمراً فمرّ بالمدينة فلقي عمر، ثم رجع إلى الشام فانقطع إلى حمص، فلم يزل بها حتى توفي بها سنة إحدى وعشرين[٢].

٣ ــ وقال ابن الأثير: وتوفي بحمص من الشام، وقيل: بل توفي بالمدينة سنة إحدى وعشرين[٣].

٤ ــ وقال ابن حجر: قال محمد بن سعد وابن نمير وغير واحد: مات بحمص سنة (٢١هـ)، وقال دُحَيم وغيره: مات بالمدينة، وقيل: مات سنة (٢٢هـ)[٤].

٥ ــ وقال البدر العيني: ومات على فراشه بحمص، وقيل: بالمدينة، والأول أصحُّ، سنة إحدى وعشرين[٥].

وبعد سياق هذه الأقوال في سنة وفاة خالد ومكانها، فإن الذي يترجح عندي أن وفاته كانت بحمص سنة (٢١هـ).

وذلك للأسباب الآتية:

* **السبب الأول**: أن هذا القول هو الذي عليه الأكثرون من المؤرخين وأهل السِّيَر.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤/١٤٤.
(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥/١١٣.
(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢/١٠٤.
(٤) تهذيب التهذيب ٣/١٢٤.
(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٦/٢٤٥.

* السبب الثاني: أن من أصحاب هذه الأقوال من لم يذكر موته بالمدينة، كما ذكره الواقدي وابن عساكر.

* السبب الثالث: أن من ذكر سنة وفاته لم يذكر أنه توفي سنة (٢٢هـ).

* السبب الرابع: أن من ذكر أن سنة الوفاة سنة (٢٢هـ) أو أنها كانت بالمدينة إنما ساق ذلك بصيغة تفيد التمريض والتضعيف، مما يدل على أنه قول مرجوح[1].

---

(١) انظر تاريخ سيف الله خالد بن الوليد (البطل الفاتح) ص ٢١١، تأليف أبو زيد شلبي، نشر دار الفرجاني، مصر الجديدة ــ القاهرة.

المبحث الثاني
الصفات القيادية التي كان يتمتع بها خالد

المطلب الأول
القدرة على إصدار القرار الصحيح والسريع

لمّا كان إصدار القرار الصحيح والسريع يستند إلى عاملين رئيسيين هما: القابلية العقلية، والحصول على المعلومات عن العدو وعن أرض المعركة[1]، فقد كان خالد رضي الله عنه يتحلى بهذه الصفة، فهو رضي الله عنه ذو عقلية متميزة. فقد شهد له الرسول ﷺ برجاحة العقل وذلك بقوله ﷺ: «قد كنت أرى لك عقلاً، رجوتُ ألاّ يُسْلِمَك إلا إلى خير»[2].

أما فيما يتعلق بالحصول على المعلومات فقد كان رضي الله عنه حريصاً أشد الحرص على استطلاع حالة العدو المادية والمعنوية، لوجوده دائماً أمام جنده، ولأنه كان لا ينام ولا يُنِيم ولا يبيت إلا على تعبئة ولا يخفى عليه من أمر عدوه شيء[3].

وكان يحصل على المعلومات بالطرق الآتية:

أولاً: إرسال دوريات الاستطلاع والقتال.

ثانياً: بعث العيون والجواسيس.

ثالثاً: استنطاق الأسرى.

---

(١) انظر الرسول القائد ص ٤٣٥.

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٥٢/٤، ٣٩٤/٧؛ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٩٧/٥.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٤٣٩/٣؛ والكامل لابن الأثير ٤٢٨/٢.

رابعاً: الاستطلاع الشخصي.

خامساً: استشارة ذوي الخبرة والرأي من جنده، أو من أسرى عدوه[1].

ومن الأمثلة التي تدل على تحلي خالد بهذه الصفة: ما حدث عند فتح (الأنبار)[2] بالعراق، حيث قام خالد بجولة حول الخندق المضروب عليها، وقد تحصَّن أهل البلدة داخل أسوارها، وفي حصونها، وهم مطمئنون إلى أن الخندق المحفور حول السور سوف يمنع خالداً من الوصول إليهم. ولكن خالداً رضي الله عنه اكتشف نقطة ضعف في الخندق فاستغلها وما إن تمكن من شلِّ مقاومة أهل الأنبار، برمي عيونهم بالسهام وفقئها، حتى أمر بنحر الإبل في ذلك الموضع، واتخذ من جثثها جسراً عبر عليها جنده إلى المحاصرين داخل المدينة وهزموهم[3].

المطلب الثاني

الإرادة القوية الثابتة

تُعَدّ قوة الإرادة من الصفات التي ينبغي أن تتوافر في القائد العسكري، حتى يستطيع القيام بالعمل الذي يُكلَّف به على أحسن وجه، وقد تحلى خالد رضي الله عنه بهذه الصفة. ومن الأمثلة على ذلك:

إقدامه على محاربة جيوش الامبراطورية الرومانية، كما حدث في اليرموك، حيث كان عدد قوات المسلمين ستةً وأربعين ألفاً، بينما كان عدد جيش الروم يبلغ مائتين وأربعين ألف مقاتل.

---

(١) انظر قادة فتح العراق والجزيرة ص ١٩٥؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢١٦.

(٢) الأنبار: مدينة متحضرة تقع بالعراق، بينها وبين بغداد ثلاثة عشر فرسخاً وهي على رأس نهر عيسى، لها سوق وفيها قلعة. انظر الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٣٦.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٧٤؛ الكامل لابن الأثير ٢/٣٩٤؛ ومعارك خالد بن الوليد رضي الله عنه ص ٣١٨: للعميد الركن د. ياسين سويد، ط الثالثة، سنة (١٩٨١م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

كما كان التفوّق العددي في أفـراد الجيش وفي التسليـح وتيسر الشؤون الإدارية، إلى جانب الامبراطورية الفارسية في العراق والامبراطورية الرومـانية في أرض الشام، كل هذا كان له تأثير على سير المعركة.

وكان هذا التفوّق الساحق بارزاً في كل معركة خاضها خالد مـع أعـدائه ومـع ذلك انتصر عليهم، فقد كان لإرادتـه القويـة الثابتـة أثر واضـح في تلك الانتصارات[1].

المطلب الثالث
تحـمُّل المسؤولـيّـة

كـان خـالـد رضي الله عنـه يتحلى بصفـة تحمـل المسؤوليـة إلى أبعـد الحدود، فحين يرى الموقف بعينيه ويفكـر فيه بعقله يقـدم بعزم وإصـرار على تنفيذ القرار الذي يناسب ذلك الموقف، ويتفق مـع المصلحة العامة.

ومن الأمثلة على تحمله المسؤوليـة في الجانب العسكـري: أنـه رضي الله عنه ترك جيشـه في العراق بعـد انتصاره على الـروم وحلفائهم في معـركة (الفـراض)[2]، ليؤديَ فـريضـة الحـج دون أن يـأخـذ مـوافقـة قـائـده الأعلى أبـي بكر الصديق. فعتب عليـه في هذه المخـالفة الصَّـريحة وكـانت عقوبتـه إياه: أن صرفه إلى الشام[3].

---

(١) انـظـر تاريـخ الـطبري ٢/٥٥٤؛ الكـامـل لابن الأثـير ٢/٣٩٩؛ قـادة فتـح العـراق والجزيرة ص ١٩٥؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢١٧.

(٢) الفِرَاض: موقـع بـالعراق بـين البصرة واليمـامة، قـرب فُليـح، من ديار بكـر بن وائل وهو تخوم الشام والعراق. انظر: معجم البلدان ٤/٢٤٣.

(٣) يرى ابن جرير الطبري ــ رحمه الله ــ أن نقل خالد بن الوليد ــ رضي الله عنه ــ من العراق إلى الشام: كان عقوبة له على ذهابه للحج دون علم أبـي بكر ــ رضي الله عنه ــ بذلك، بدليل: ما جاء في كتابه إلى خالد: (سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك، فـإنهم قد شَجُـوا وأشْجَوا، وإيـاك أن تعود لمثـل ما فعلت). انـظـر تاريـخ الـطبـري ٣/٣٨٤، =

ولكن عذر خالد رضي الله عنه في ذلك أنه ذاهب إلى الحج سراً في وقت لا حرج فيه على قوات المسلمين.

كما أن غيبته عن الجند كانت يسيرة، فما توافى إلى الحِيرة[1] آخرهم حتى وافاهم خالد وأصحابه الذين كانوا بصحبته، مع صاحب الساقة[2] الذي وضعه. وبهذا لم يترك غيابه عن الجيش أثراً سلبياً في الموقف العسكري[3].

ولم يقتصر تحلّيه رضي الله عنه بهذه الصفة في المواقف العسكرية فحسب، بل كان يتحملها في الأمور المالية.

ومن الأمثلة على ذلك: أن عمر بن الخطاب لما ولي الخلافة كتب إلى خالد ألا تعطي شاةً ولا بعيراً إلا بأمري، فكتب إليه خالد: إما أن تدعني وعملي وإلا فشأنك بعملك... فعزله ثم كان يدعوه إلى العمل فيأبى إلا أن يخليه يفعل ما يشاء فيأبى عليه[4].

= ٣٨٥؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤٠٠.
فمن هذه الرواية يُستفاد أن النقل التأديبي في الجانب العسكري يُعَدّ أمراً مشروعاً متى وُجدت مصلحة تقتضي ذلك.
ويرى اللواء الركن محمود شيت أن نقل خالد كان اعتماداً على قيادته الحكيمة المتفوقة عندما حشد الروم قوات كبيرةً لصد المسلمين عن فتح الشام. والدليل على ذلك ما قاله أبو بكر رضي الله عنه: (والله لأنسِينّ الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد).
انظر تاريخ الطبري ٣/٤٠٨؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ص ١٣٩، ١٤٠.
انظر تاريخ الطبري ٣/٣٨٤؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤٠٠؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ١٢٩؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ص ١٩٧.

(١) الحِيْرة بالكسر ثم السكون: اسم لمدينة بالعراق، كانت تقع على مسافة ثلاثة أميال من الكوفة، على موضع يقال له (النجف). انظر معجم البلدان ٢/٣٢٨.
(٢) السّاقة: اسم للقسم المؤخّر من الجيش، مما يلي العدو، ووظيفتها: حماية القسم الأكبر من العدو، ومنعه من الاستطلاع على هذا القسم وأخذ المعلومات عنه. انظر لسان العرب ٢/٢٤٢؛ والمصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ١/٣٨٤.
(٣) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٨٤؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤٠٠؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ١٢٩؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ص ١٩٧.
(٤) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ١/٤١٣.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن تحلّي خالد بهذه الصفة حال بينه وبين الاشتغال بإمرة عمر المباشرة حيث كان لا يعطي مرؤوسيه الحرية الكاملة، بينما اشتغل رضي الله عنه بإمرة أبي عبيدة بن الجراح الذي كان يعطي مرؤوسيه الحرية الكاملة، ولهذا فقد فضّل خالد رضي الله عنه أن يعمل قائداً مرؤوساً وله ملء الحرية في تحمل مسؤوليته كاملة على أن يعمل قائداً عاماً، ولا حرية له كاملة في تحمل المسؤولية[1].

المطلب الرابع
ثبات النّفس

يُعدّ ثبات النفس من الصفات الأساسية التي ينبغي أن يتحلى بها القائد العسكري، لكي يؤدي عمله على أحسن وجه، وقد كان خالد رضي الله عنه ذا نفس ثابتة. وسوف أذكر مثالاً واحداً يوضح ذلك:

ففي يوم مؤتة سيطر خالد على نفسه، حين قُتِلَ قادة الجيش الثلاثة، وآلت إليه القيادة حيث استطاع أن يُخَلِّص جيش المسلمين من الخطر العظيم الذي كان يهدّدهم بالهلاك، ليقودهم بعد ذلك إلى ساحة النصر في معركة اليرموك[2].

المطلب الخامس
بُعْد النظر

من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها القائد بُعْد النظر، ويتجلى ظهور هذه الصفة في عنايته بهذين الأمرين:

---

(١) انظر خالد بن الوليد المخزومي ص ٢١٩؛ وقادة العراق والجزيرة ص ١٩٨.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٤٣٥؛ وطبقات ابن سعد ٤/٢٥٣؛ وتاريخ الطبري ٣/٤٠؛ وجوامع السيرة لابن حزم ص ٢٢٢؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ص ١٩٨، ١٩٩؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢٢٠؛ والمدرسة العسكرية الإسلامية ص ٥٣٧؛ ومعارك خالد بن الوليد ص ٣١٩.

الأول: أن يفكر في الاحتمالات القريبة والبعيدة ويدخل في حسبانه أصعب الاحتمالات التي يمكن أن يواجهها قبل القتال وفي أثنائه أو بعده.

الثاني: أن يُعِدّ الخطط المناسبة لكل ما يُتوقع حدوثه من عدوه حتى يتمكن من تنفيذ تلك الخطط عند الحاجة إليها، وقد كان بُعْد النظر من الصفات القيادية التي يتمتع بها خالد رضي الله عنه. فقد كان لا يسير إلا في تعبئة ولا يبيت إلا على تعبئة لأنه يدخل في حسبانه دائماً احتمال مصادمة العدو لقواته وحينئذ تكون قِطْعَاته على استعداد لخوض المعركة دون أن يخشى مباغتة.

ومن الأمثلة على ذلك: ما حدث في معركة (الفِرَاض)، التي حدثت بين الروم والمسلمين حيث قال الروم لخالد: إما أن تعبروا إلينا وأما أن نعبر إليكم، قال خالد: بل اعبروا إلينا، قالوا: فتنحّوا حتى نعبر، فقال خالد: لا نفعل، ولكن اعبروا أسفل منا. وعندئذ قالت الروم والفرس (بعضهم لبعض): احتسبوا مُلْككم، هذا رجل يقاتل عن دين وله عقل وعلم، ووالله لَيُنْصَرَنّ وَلَنُخْذَلَنّ، فعبروا أسفل من جيش خالد، فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى هزم خالد أعداءه.

ويعود ذلك بعد مشيئة الله إلى بُعْد نظر خالد ـ رضي الله عنه ـ حيث قدر ما يحتمل أن يؤدي إليه عبوره من محاذير، ولم يفسح المجال لعاطفته أن تتدخل في القضايا العسكرية التي يؤدي الإهمال في تقدير نتائجها إلى الهزيمة وإلى إزهاق أرواح بريئة دون جدوى[1].

المطلب السادس
معرفة النفسيات والقابليات

تُعَدّ معرفة القائد لنفسيات جنده وقابلياتهم أمراً ضرورياً حتى يستطيع

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٨٣؛ والكامل لابن الأثير ٢/٣٩٩؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ص ٢٠٠، ٢٠١؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢٢١، ٢٢٢.

أن يكلف كل واحد بالعمل الذي يتناسب مع قدراته لكي يكون حماسه أقوى، وعطاؤه فيه أكثر.

وقد كان خالد رضي الله عنه يتحلى بهذه الصفة لأنه كان يعيش مع جنده أكثر من بقائه مع أهله وذويه، ولأنه جرَّبهم في المعارك وعرف كل فرد منهم عن كثب.

ومن الأمثلة على ذلك: ما حدث أثناء فتح دمشق حيث اختار رضي الله عنه من بين جنده جماعة من المغاوير، وكلفهم بمهمة تسلق سور المدينة، والقضاء على حراس أبوابها، وفتح الأبواب، حتى يدخلها المسلمون.

وليس من السهل تكليف هؤلاء الجند بمثل هذا العمل البطولي، بدون معرفة دقيقة لقابلياتهم في القتال[1].

المطلب السابع

الثقة المتبادلة

لقد كان خالد موضع ثقة قادته، الذين عمل تحت إمْرَتهم بعد إسلامه وهم: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح.

كما كان رضي الله عنه يبادل مرجعه الأعلى ثقةً بثقة، فكان يثق بالنبي ﷺ رسولاً وقائداً، وكان يثق بأبي بكر الصديق وعمر الفاروق وأبي عبيدة رضي الله عنهم[2].

والدليل على ذلك: أنه لما حضرت خالداً الوفاة جعل وصيته وتركته وإنفاذ عهده إلى عمر[3].

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/٤٣٩؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤٢٨، ٤٢٩؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢٢٢، ٢٢٣؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ص ٢٠١، ٢٠٢.

(٢) انظر قادة فتح العراق والجزيرة ص ٢٠٢؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢٢٣.

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٣٩٧؛ والإصابة في تمييز الصحابة ١/٤١٤؛ وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٢/٩٦.

كما كان رضي الله عنه يقول عن أبي عبيدة: بعث عليكم أمين هذه الأمة[1].

وكان أيضاً يثق بنفسه وبجنده ثقةً كبيرة. ومن الأمثلة على ذلك: أنه نزل على غير ماء في معركة (كاظِمَة)[2]، ثم أمر مناديه فنادى: (جالدوهم على الماء، فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين)[3].

وقد عبَّر أيضاً عن ثقته بجنده في كتابه إلى رستم ومهران وأهل فارس حيث قال فيه:

(أما بعد، فإنا ندعوكم إلى الإسلام، فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فإن أبيتم فإن معي قوماً يحبون القتل في سبيل الله كما يحب فارس الخمر. والسَّلام على من اتبع الهدى)[4].

وكان جنده أيضاً يثقون به، فحين قُتل أمراء الجيش في مؤتة اصطلح الناس على تأمير خالد عليهم، مع أنه كان بينهم يومئذ بعض كبار المهاجرين والأنصار.

وليس من السهل أن يثق الجند بقائدهم، لأنهم يريدون منه أن يدافع عنهم ويحميهم من الأخطار، وألا يستأثر دونهم بالغُنم وألا يوقعهم في المهالك، وأن يكون شجاعاً مقداماً في الحرب.

وقد وجد الجند في قائدهم خالد كل هذه المزايا، فأَوْلَوْه ثقتهم، وقاتلوا

---

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ١/٤١٥.

(٢) كاظِمَة: موضع على سيف البحر، في طريق البحرين من البصرة، بينه وبين البصرة مرحلتان. انظر معجم البلدان ٤/٤٣١.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٤٩.

(٤) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير ٤/١٢٣.
وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٥/٣١٠.
وانظر كتاب الأموال ص ٨٢: لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق وتعليق محمد خليل هراس، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٦هـ).

تحت إمرته وهم مطمئنون إلى كفايته وثقته، حتى خاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسبب هذه الثقة المطلقة أن يفتتن به الناس فعزله عن منصب القيادة.

وبسبب تحلي خالد بهذه الصفة نجح في قيادته العسكرية حتى صار في عداد كبار القادة العسكريين في التاريخ الإسلامي[1].

المطلب الثامن

المحبة المتبادلة

تُعَدّ صفة المحبة المتبادلة بين القائد وجنده من الصفات الأساسية التي ينبغي أن تتوافر في القائد والجند على حد سواء، حتى يتعاون الجميع على أداء الواجب العسكري الملقى على عواتقهم. وقد برزت هذه الصفة للعيان في معارك خالد، فكان جنده يحبونه.

ومن الأمثلة على ذلك: ما بذله (القعقاع بن عمرو) وأصحابه في سبيل إنقاذ خالد رضي الله عنه في سرية ذات السَّلاسِل من غدر المشركين.

أما محبة خالد لجنده فأعظم دليل عليها: أنه كان يستأثر دونهم بالمخاطر ويؤثرهم بالخير والأمان، ويحب لهم ما يحبه لنفسه، وكان حبهم له يزداد كلما ازداد إقداماً وبلاءً وشجاعةً.

بدليل أن جنده الذين قاتلوا معه المرتدين وصاحبوه في قتاله بالعراق والشام عندما عادوا إلى العراق نسوا الفخر كله، إلا فخرهم بأيامهم التي عاشوها مع خالد[2].

---

(١) انظر قادة فتح العراق والجزيرة ص ٢٠٣، ٢٠٤؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٤٩؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢٢٧؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ص ٢٠٥.

المطلب التاسع

قوة الشخصية

كان خالد رضي الله عنه يتمتع بشخصية قوية، جعلته مَهيباً عند كل من عرفه حتى مع قادته وأمرائه. ومن الأمثلة على تحلّيه رضي الله عنه بهذه الصفة: أنه لما كتب عمر إلى أبي عبيدة يأمره أن يقيم خالداً ويعقله بعمامته ويعزله عن عمله؛ لم ينفذ أمرَ عمر في خالد، مع العلم بأن أبا عبيدة في ذلك الوقت كان قائداً عاماً على الشام؛ وخالد كان تحت إمرته فقام بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ بتنفيذ أمر عمر، وذلك لمكان بلال من النبي ﷺ، ولماضيه المجيد في خدمة الإسلام.

وقد بقي خالد بعد هذه الحادثة لا يدري هل هو معزول أم غير معزول؟ ولم يستطع أبو عبيدة أن يعلمه بخبر عزله تقديراً له.

ثم كتب عمر إلى خالد يأمره بالمجيء إليه، فلما قدم إلى عمر شكاه إلى المسلمين وقال: (وقد شكوتُك إلى المسلمين، فبالله إنك في أمري لغير مجمل)، فرد عليه عمر قائلاً: (والله إنك عليّ لكريم، وإنك إليّ لحبيب).

فمن موقف عمر رضي الله عنه القوي المُهاب الذي لم يترك له الحق صديقاً يتبيّن لنا مدى قوة شخصية خالد، حيث بلغ الأمر بخليفة المؤمنين أن يسترضيه بهذا الأسلوب اللين الرقيق[1].

المطلب العاشر

الماضي المجيد

لقد كان خالد رضي الله عنه يتحلى بالماضي المجيد، سواء كان ذلك قبل إسلامه أم بعده. فقد اجتمع لخالد مجد المنبت الطيب، فهو من بني

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير ٢/٥٣٦؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢٢٧؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ص ٢٠٦.

مخزوم، وهذا البطن من قريش قد انتهى إليه الشرف في الجاهلية، كما توافر له مجد النشأة الكريمة، حيث نشأ في بيت الوليد بن المغيرة، فتربّى فيه على الصدق والاستقامة والرجولة، بعيداً عن الفحشاء والمنكر والبغي، كما أنه نشأ في مكان شريف، وهو مكة المكرمة، وقد تفرّغ لإشباع هوايته في التدريب العسكري، كما تحقق له مجد التاريخ الناصع حيث تولى عن بني مخزوم القبّة والأعَنّة، رغم صغر سنه.

كما شهد ثلاث معارك حاسمة ضد المسلمين، قبل إسلامه، وبعد أن أسلم شهد ما يقرب من واحد وأربعين مشهداً.

وتوافر هذه الأمور الثلاثة (مجد المنبت الطيب، ومجد النشأة الكريمة، ومجد التاريخ الناصع)، جعلته أهلاً لتولي منصب القيادة العسكرية[1].

المطلب الحادي عشر
الشّجاعة

من الصفات التي ينبغي أن تتوافر في القائد العسكري الشجاعة، وذلك لكي يقتدي به جنده في الثبات والتضحية. وقد كان خالد رضي الله عنه متحلياً بهذه الصفة في أبرز صورها.

ففي مسيرة الاقتراب كان دائماً أمام الجيش يقود مقدّمته، وفي الهجوم كان هو الذي يبادر إلى مبارزة قائد العدو ومهاجمته حتى يتم القضاء عليه، وفي الانسحاب كان خالد رضي الله عنه يقود مؤخرة الجيش ثم يبقى مع السّاقة ولا ينسحب إلا بعد انسحاب رجال السّاقة، وبعد أن يتأكد أن جيشه كله أصبح في أمان.

---

(١) انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥/١٠٣؛ والإصابة في تمييز الصحابة ١/٤١٣؛ وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٢/٩٣؛ والاستيعاب في معرفة الأصحاب؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٥٣، ٥٧، ٢٢٩؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ص ٢٠٧.

ومن الأمثلة على شجاعته: أنه يوم الوَلَجَة[1] بارز رجلاً من أهل فارس يعدل ألف رجل في الحرب، فقتله[2].

كما أن آثار شجاعته كانت بارزة في بدنه، الذي وصفه بقوله: (لقد حضرتُ مائة زحف، أو زهاءها، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء)[3].

المطلب الثاني عشر
القابلية البدنيّة

لقد كان خالد رضي الله عنه يتمتع بقابلية بدنية جيدة، فقد ذكر أهل السِّيَر أنه كان طويلاً ضخماً، بعيد ما بين المنكبين، واسع الهيكل، وكان أشبه الناس خلقاً بعمر.

ولم يعرف أنه أصيب بأمراض تقعده عن أداء عمله أو تضعف قابليته البدنية[4].

ومما يدل كذلك على تحليه بهذه الصفة رحلته من «الفراض» إلى مكة المكرمة، حيث قطع طريقاً صحراوياً صعباً في فترة يسيرة[5].

---

(١) الوَلَجَةُ: هي موضع بأرض العراق مما يلي كَسْكَر، وهو على يسار القاصد إلى مكة من القادسية. انظر: معجم البلدان ٥/٣٨٣.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٥٤؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢٠٩.

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢/٩٥.

(٤) انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥/٩٤؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢١١، ٢١٢.

(٥) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٨٤؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢١١، ٢١٢.

المطلب الثالث عشر

معرفة وتطبيق مبادىء القيادة

لقد كان خالد رضي الله عنه يعرف مبادىء الحرب ويحسن تطبيقها. وسوف أذكر تلك المبادىء ثم أضرب أمثلة على تطبيق خالد لها.

وتتلخص هذه المبادىء في الفروع الآتية:

● **الفرع الأول: اختيار المقصد وإدامته:**

كان خالد يختار مقصده ويبذل كل ما يستطيعه من جهد في سبيل تنفيذه ولا يفكر أبداً في التحوّل عنه قبل الحصول عليه، وكان مقصده في كل معاركه: القضاء على قائد قوات أعدائه إما بالمبارزة، أو بإدامة زخم[1] الهجوم على مقره، حتى يُقتل أو يضطر إلى الفرار، وحينئذ يصبح الجند بلا قائد، فيفرون من الميدان أو يستسلمون.

ومن الأمثلة على ذلك: أنه جعل مقصده في معركة اليرموك[2] حرمان مشاة الروم من إسْنَاد[3] فرسانهم، ولهذا فقد هجم بالقلب[4]، متوخياً فصل

---

(١) يقال: زَخَمَهُ يَزْخَمُهُ زَخْماً: إذا دفعه دفعاً شديداً، والمراد به هنا: ملازمة الهجوم على مقر قائد جيش العدو حتى ينهزم. انظر: لسان العرب ٢/١٨.

(٢) اليرموك: وادٍ بناحية الشام في طرف الغور، يصب فيه نهر الأردن، ثم يمضي إلى البحيرة المنتنة، وهو الذي كانت به هذه المعركة. وتحمل إحدى الجامعات بالمملكة الأردنية الهاشمية حالياً اسم هذا الموضع. انظر: معجم البلدان ٥/٤٣٤.

(٣) الإسْنَاد: جمع سَنَد، ويطلق لغة على معانٍ، منها معتمد الإنسان، تقول: ساندتُ الرجلَ مساندةً: إذا عاضدته وكاتفته. والإسْنَاد في الاصطلاح العسكري: الرَّمي بالأسلحة لمعاونة القوة الرئيسة على تحقيق أهدافها، يقال: إسناد المدفعية وإسْنَاد الرشاشات والإسناد الجوي. انظر لسان العرب ٢/٢١٥؛ والمصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ١/٣٧٨.

(٤) القلب: هو القوة الأصلية في الجيش، عدا قطعات الحماية. انظر المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ٢/٦٠٩.

خيل الروم عن مشاتهم، ثم أفسح الطريق لخيل الروم حتى تخرج من مكانها الـذي تقاتـل فيه بعـد أن ضيّق عليهـا بشـدة فخـرجت الخيـل إلى الصحـراء مما سهّل أمر القضاء على المشاة[1].

● الفرع الثاني: التعرض:

اتصفت كل المعارك التي خاضها خالد بأنها «تعرّضيّة»، وكان لعبقريتـه في القيادة أثر حاسم لتطبيقـه هذا المبـدأ، مما كـان ـ بعد مشيئـة الله ـ سبباً لانتصاره في كل معاركه.

ومن الأمثلة على ذلـك: تعرض خـالد لأهـل (دومـة الجنـدل) بعـد أن استعصت على عياض بن غنم وأَشْجَـى[2] أهلها عياضاً وشجوا به.

وقد كان تطبيق هذا المبدأ سبباً لفتـح تلك المدينة[3].

● الفرع الثالث: المباغتة:

من المبادىء العسكرية التي طبقها خالد في حـروبه «المبـاغتة»، وليس في التاريـخ العسكري ـ قـديماً وحـديثاً ـ قـائد بـرز في إنجازاتـه العسكريـة وانتصـر على خصـومـه إلا وهـو مشبَـع بـروح هـذين المبـدأين: التعـرض، والمباغتة، لأنهما أهـمُّ المبادىء العسكرية على الإطلاق.

ومن الأمثلة على تطبيق خالد لمبدأ المباغتة: أنه لما تحرك نحو (طليحة الأسـدي) أظهر أنـه متجه إلى ديـار طيء، لا إلى (بزاخـة)، منطقـة طليحـة،

---

(١) انـظـر تاريـخ الـطبري ٣/ ٤٠٠؛ والكـامل لابن الأثـير ٢/ ٤١٣؛ وقادة فتـح العـراق والجزيرة ص ٢٠٩؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢٣٠.

(٢) أَشْجَـى: مشتق من الشجي، وهـو: الغصص، يقال: أَشْجَـاه يُشْجِيه إشْجَـاء: إذا أغصَّهُ، وهذا كناية عما لقيه هذا القائـد من المشقة من أهـل هذه البلدة، ومـا لقوه منـه بسبب حصاره لهم. انـظر لسان العرب ٢/ ٢٧٥.

(٣) انـظـر تاريـخ الـطبري ٣/ ٣٧٨؛ والكـامل لابن الأثـير ٢/ ٣٩٦؛ وقادة فتـح العـراق والجزيرة ص ٢١١؛ وخالد بن الوليد المخـزومي ص ٢٣١، ٢٣٢؛ ومعارك خـالد ص ٢٠٥.

وبهذا انفصلت طيء عن أسد، وهم قوم طليحة وأسرعت إلى ديارها. ونتيجة لذلك ضعفت قوات طليحة وسهل على خالد القضاء عليها[1].

ويعد هذا الأسلوب الذي اتبعه خالد من المباغتة بالمكان.

● الفرع الرابع: حشد القوة:

أعطى خالد مبدأ حشد القوة اهتماماً كبيراً، لأنه يعلم أن عدد القوة وعددها له أثر في إحراز النصر. ولكنه مع ذلك كان يركز على نوعية المقاتلين، وكان اهتمامه بها أكثر من اهتمامه بالكمية.

ومن أبرز الأدلة على ذلك: أنه كان يتمنى أن يقاتل مع المهاجرين ويفضلهم على غيرهم لما عرف عنهم من الإخلاص والصدق[2].

عن قيس بن أبي حازم قال: قال خالد بن الوليد: (ما ليلة تُهدى إلى بيتي فيها عروس أنا لها محب أو أبشَّر فيها بغلام أحبُّ إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبّح بهم العدو)[3].

ومن الأمثلة على تطبيقه لهذا المبدأ أنه ضم إليه كلاً من رجال شرحبيل بن حسنة والمدد الذي قدم من المدينة قبل بدء القتال[4].

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير ٢/٣٤٧، ٣٤٨؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ص ٢١٣؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢٣٤.

(٢) انظر قادة فتح العراق والجزيرة ص ٢١٧؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢٣٤.

(٣) الحديث رواه ابن حبان. انظر: كتاب الثقات ٣/١٠١، ١٠٢: للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البُسْتي، ط الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند سنة (١٣٩٧هـ).
وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٥/١٠٧، وقال بعد عزوه لأبي يعلى: رجاله رجال الصحيح.

(٤) انظر تاريخ الطبري ٣/٢٨١، ٢٨٢؛ والكامل لابن الأثير ٢/٣٤٦؛ ومعارك خالد بن الوليد ص ٣٠٣.

ولم يكن خالد يقتصر على حشد القوة لتعزيز مركزه فحسب، بل كان أيضاً يعمد إلى إضعاف قوة عدوه حتى يسهل القضاء عليه.

ومن الأمثلة على ذلك: أنه بعث عديّ بن حاتم الطائي إلى قومه ليغريهم بالانفضاض عن طليحة والانضمام إلى خالد، فتمكّن عديّ من إقناعهم فعاد ومعه منهم خمسمائة مقاتل.

كما بعث عديّاً للغرض نفسه إلى بني جديلة فعاد ومعه منهم ألف مقاتل[1].

● الفرع الخامس: الاقتصاد بالمجهود:

لقد كانت قوات خالد رضي الله عنه دائماً أقل من قوات عدوه، ولكنه كان يعوض عن قلة رجاله بأساليبه التعبوية الفذة، وبفنه العسكري الممتاز.

ومن ذلك: أنه كان دائماً في مقدمة الجيش، قريباً من مواطن الخطر، حتى يرى بعينيه حقيقة الموقف، ويسعى إلى معالجته لحظة وجوده، ودون أن يكبِّد قواته خسائر في الأرواح.

ومما يجدر ذكره أن شخصية خالد وقيادته العبقرية وشجاعته تُعَدّ عوامل حاسمة للاقتصاد بالمجهود وإكمال ما يعانيه جيشه من نقص في العدد والمعدات[2].

● الفرع السادس: الأمن:

لقد كان خالد رضي الله عنه يحافظ على تطبيق مبدأ الأمن من أجل المحافظة على سلامة قواته. وقد سلك في سبيل تطبيق هذا المبدأ الأساليب الآتية:

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/٢٥٣، ٢٥٤؛ والكامل لابن الأثير ٢/٣٤٦، ٣٤٧؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ص ٢١٨.

(٢) انظر قادة فتح العراق والجزيرة ص ٢١٧، ٢١٨؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢٣٨، ٢٣٩.

أولاً: أنه كان لا يتحرك ولا يبيت إلا على تعبئة.

ثانياً: أنه كان يفتش بنفسه قطاعات الحماية والحُرَّاس حتى يتأكد من قيامهم بواجباتهم بشكل جيد.

ثالثاً: أنه كان يكثر من إرسال العيون والأرصاد ويقوم بنفسه بالاستطلاع الشخصي.

رابعاً: أنه كان يطبق مبدأ الكتمان في كل حركاته، ليحرم العدو من معرفة نياته، قبل وقت مناسب، ويتخذ لإحباطها التدابير المناسبة[1].

- **الفرع السابع: المـرونـة:**

كانت لدى خالد رضي الله عنه عقلية ممتازة، بحيث يستطيع أن يفكر ويقرر وينفذ بسرعة.

فكان بحق قائداً مرناً في كل خططه الحربية، لا ينفك يعدّ لها بسرعة ودقة كلما دعته المواقف المتطورة إلى تغييرها لما فيه مصلحة جيشه.

ومن الأمثلة على ذلك: أنه في غزوة أحد استغل فرصة انسحاب الرماة من الجبل فضرب قوات المسلمين من الخلف وطوّقهم بفرسانه، دون أن ينتظر أوامر قائده. في الوقت الذي لم يفكر فيه القائد العام لجيش المشركين أنّ بإمكانه ضرب الجيش الإسلامي وإلحاق الضرر بين صفوفه[2].

- **الفرع الثامن: التعـاون:**

كان لدى خالد رضي الله عنه القدرة على تأمين التعاون بين صفوف قِطَعَات الجيش من جهة، وبين تشكيلاتها التعبوية من جهة أخرى في يسر وسهولة.

---

(١) انظر خالد بن الوليد المخزومي ص ٢٣٩؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ص ٢١٨.

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٤١، ٤٢؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢٤٠، ٢٤١؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ص ٢٢٠.

ومن الأمثلة على تطبيقه لهذا المبدأ: أنه أمَّن التعاون بين قواته وبين قبيلة طيء، حتى استطاع القضاء على طليحة الأسدي وقومه[1].

● **الفرع التاسع: إدامة المعنويات:**

تُعَدّ إدامة المعنويات مبدأ مهماً في الجانب العسكري، كما أنها عامل من عوامل النجاح في الحروب.

ويقوم هذا المبدأ على دعامتين رئيسيتين:

الأولى: الثقة المتبادلة.

الثانية: الإيمان الراسخ.

وكانت معنويات خالد وجنده تقوم على هاتين الدعامتين، فقد كان رضي الله عنه يبادل قيادته العليا وجنده الثقة ويقدرهم التقدير اللائق بهم، كما كان يثق بنفسه.

أما إيمان خالد وجنده فهو إيمان المسلمين الأولين من السلف الصالح، الذين كانوا يؤمنون بالقضاء والقدر، وأن النفس البشرية لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها، وأن الجهاد في سبيل الله فرض عين على كل مسلم وأن الصبر في ساحة القتال واجب على من شارك فيه. كما كانوا يؤمنون بأنهم يخوضون حرباً عادلة، لتكون كلمة الله هي العليا.

وقد اتخذ خالد خطوات عمليةً لإدامة معنويات رجاله، تتلخص فيما يأتي:

* **أولاً**: أنه كان يثير في نفوس جنده شعور الاعتزاز بالـمُثُل العليا فكان يعيِّن قارئاً يقرأ سورة الأنفال للتذكير بفضل الجهاد، وعاقبة الفرار من ساحات القتال.

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٣/٢٥٥؛ والكامل لابن الأثير ٢/٣٤٧؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢٤٣؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ص ٢٢٢.

* **ثانياً**: أنه كان يعيِّن قاصَّاً يقصُّ على الناس أخبار أيام العرب قبل الإسلام: كحرب ذي قار، وأيام حرب الفجار، وأخبار حوادث الجهاد أيام النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه. وهذا من شأنه أن يبعث النخوة في النفوس ويحملها على الإقدام حتى تكون هي الأخرى قصةً مُشَرِّفة تتلى على مرور الأزمان.

* **ثالثاً**: أنه كان يديم معنويات رجاله بالنصر الذي كان يحققه بدليل قولته المشهورة: (إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان، لا بعدد الرجال)[1].

* **رابعاً**: أنه كان قدوةً حسنة لرجاله في الإقدام والشجاعة[2].

● **الفرع العاشر: الأمور الإدارية:**

اتخذ خالد بعض التدابير الإدارية لقطع المسافة من العراق إلى الشام، حيث نقل الماء فوق ظهور الإبل وفي بطونها، كما أمر أن يُعَطِّشَ قائد كل خيل عدداً من الإبل حتى يبقي قدراً كافياً من الماء لخيله وجنده.

كما هيأ دليلاً يعرف مسالك الصحراء، فاستطاع بذلك عبور الصحراء دون أن يحدث خللاً إدارياً يُذكر[3].

وقد اتخذ خالد أيضاً عدداً من التدابير الإدارية لجنده، وأخرى لمعاملة أعدائه:

فمما اتخذه لجنده:

أولاً: أنه كان مع جيشه بعض الأطباء لإعداد الأدوية المتيسِّرة في ذلك الزمن للمرضى والمصابين.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٩٧، ٣٩٨؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤١٢؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢٤٤ ـ ٢٤٧؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ص ٢٢٥.

(٢) انظر خالد بن الوليد المخزومي ص ٢٤٤ ـ ٢٤٧؛ وقادة فتح العراق والجزيرة ص ٢٢٥.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٣/٤٠٩؛ وفتوح الشام ١/١٤؛ وفتوح البلدان ص ١١٨.

ثانياً: أنه كان مع الجيش عدد من النساء يقمن بواجب تموين المقاتلين بالماء والطعام ونقل المرضى والجرحى من ساحة المعركة إلى مكان آمن[1].

* أما الأمور الإدارية التي أجراها مع أعدائه فقد بلغت الغاية في العدل والإنصاف وهي:

أولاً: أنه أقر الفلاحين على ما كانوا عليه، وجعل لهم الذمة.

ثانياً: أنه فرض على المغلوبين الجزية مقابل حمايتهم في أموالهم وعقائدهم وأعراضهم وكرامتهم، ويدل على ذلك: المعاهدة التي عقدها مع سكان العراق، حيث جاء في عهده لصاحب «قس الناطف»[2]: (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا من نسطونا وقومه وإني عاهدتكم على الجزية والمنعة... وقد قبلت ومن معي من المسلمين ورضيت ورضي قومك فلك الذّمة والمنعة فإن منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا حتى نمنعكم)[3].

وهذه الجزية التي فرضها كانت قليلاً من المال لا يتجاوز أربعة دراهم على كل رأس تقريباً[4].

ثالثاً: أنه وضع تأميناً اجتماعياً ضد الشيخوخة والمرض والفقر، حيث أمر بوضع الجزية عن هؤلاء، وفرض لهم ولمن يعولون عطاءً من بيت مال المسلمين.

وقد أعلن خالد هذا التأمين في كتابه إلى أهل الحيرة فقال فيه: (وجعلت لهم أيّما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان

---

(١) انظر قادة فتح العراق والجزيرة ص ٢٢٧؛ وخالد بن الوليد المخزومي ص ٢٤٧.

(٢) قس الناطف: موضع بالعراق قريب من الكوفة، على شاطىء الفرات الشرقي. انظر معجم البلدان ٤/٣٤٩.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٦٧، ٣٦٨.

(٤) انظر المرجع السابق ٣/٣٦٧.

غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام، فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم)[1].

● **الفرع الحادي عشر: خفة الحركة:**

من المبادىء التي طبقها خالد رضي الله عنه في حروبه: خفة الحركة وهي تعني القدرة على الحركة والمناورة والانتقال السَّريع إلى الهدف.

ومن الأمثلة على ذلك: تحرك خالد من العراق إلى اليرموك في صحراء تنعدم فيها المياه.

وقد قطع تلك المسافة التي يبلغ طولها (٨٦٠) ثمانمائة وستين كيلو متراً في مدة لم تتجاوز خمسة أيام[2].

كما طبق هذا المبدأ أيضاً في حروبه مع أهل الحيرة، حين قام الفرس بسد نهر الفرات، وفجَّروا مياهه في أنهار فرعية، فوقفت السفن التي تحمل جيش خالد وفقد المسلمون القدرة على التصرف في هذا الظرف الحرج.

فاسرع خالد رضي الله عنه إلى مكان تجمّع الفرس وقائدهم (المرْزُبان)، الذي قام بسدّ النهر، فوجدهم آمنين فهاجمهم حتى قضى عليهم، وسدّ الأنهار الفرعية فجرى نهر الفرات وسارت السفن بما عليها من الأحمال[3].

● **الفرع الثاني عشر: المحافظة على الهدف:**

يُعَدّ الالتزام بالخطة التي يرسمها القائد الأعلى للجيش أمراً ضرورياً يجب على مرؤوسيه الالتزام بها، من أجل المحافظة على الهدف. وقد طبق خالد رضي الله عنه هذا المبدأ.

---

(١) الخراج لأبي يوسف ص ١٧٢.
(٢) انظر تاريخ الطبري ٤٠٨/٣؛ المدرسة العسكرية الإسلامية ص ٦١٦ ـ ٦١٧.
(٣) انظر تاريخ الطبري ٣٥٩/٣.

ومن الأمثلة على ذلك: أنه عندما تلقى أوامر أبي بكر وهو بالعراق بالتوجّه إلى اليرموك وجد أن الطريق الذي يسلكه لا يوصله مباشرة إلى مواقع المسلمين وإنما يقوده إلى موضع في يد الروم مما يضطروه إلى قتالهم. وهذا الأمر يتعارض مع المهمة التي جاء من أجلها، وهو أن يصل إلى ميدان المعركة سليماً غير مجهد، حتى يستطيع أن يساهم مع الجيش في قتال الروم.

ولتحقيق ذلك دعا خالد رضي الله عنه حذاق الأَدِلّاء من أجل المحافظة على هدفه من الخروج، وفي ذلك يقول الطبري: (ودعا خالد الأدلة فارتحل من الحِيرة سائراً إلى دومة ثم طعن في البر إلى «قُراقِر»[1] ثم قال: كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين؟)[2].

---

(١) قُراقِر بضم أوله وكسر القاف الثانية: هو ماء لبني كلب بالسماوة من ناحية العراق. انظر معجم البلدان ٤/٣١٧.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٣/٤٠٨، ٤٠٩؛ والمدرسة العسكرية الإسلامية ص ٥٤٦.

المبحث الثالث

أعمال خالد بن الوليد رضي الله عنه

قام خالد رضي الله عنه بأعمال كثيرة في عهد الرسول ﷺ وأبي بكر الصديق، وصدر من خلافة عمر رضي الله عنهما.

وسوف أتكلم عن هذه الأعمال بصورة موجزة في المطالب الآتية:

المطلب الأول

أعماله في عهد الرسول ﷺ

وتتلخص هذه الأعمال في الفروع الآتية:

● **الفرع الأول: في فتح مكة:**

خرج خالد رضي الله عنه مع جيش النبي ﷺ لما توجه لفتح مكة، وكان على الميمنة. وقد أمره النبي ﷺ أن يدخلها من اللِّيط[1]، كما قاتل رضي الله عنه بعض المشركين الذين تجمّعوا بالخَنْدَمة، لصد بعض وحدات الجيش الإسلامي[2].

● **الفرع الثاني: بعثه إلى بني جُذَيْمَة:**

بعث النبي ﷺ خالداً رضي الله عنه إلى جُذَيْمَة، يدعوهم إلى الإسلام.

فعن سالم عن أبيه رضي الله عنهما قال: (بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جُذَيْمَة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا،

---

(١) انظر السِّيرة النبوية لابن هشام ٤/٢٦؛ وانظر فيما سبق ص ٢٣١.

(٢) انظر فيما سبق ص ٢٤١.

فجعلوا يقولون: صبأنا[1] صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ويدفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه، فرفع النبي ﷺ يديه فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد» مرتين)[2].

● **الفرع الثالث: في غزوة حنين:**

شارك خالد رضي الله عنه الجيش الإسلامي في غزوة حنين، فكان على مقدمة جيش المسلمين، وفي ذلك يقول ابن سعد: (وكان رسول الله ﷺ قد قَدَّم سُليماً من يوم خرج من مكة، واستعمل عليهم خالد بن الوليد، فلم يزل على مقدمته حتى ورد الجِعْرَانَة)[3].

● **الفرع الرابع: بعثه إلى أُكَيْدِر دومة الجندل:**

بعث النبي ﷺ أثناء مقامه في تبوك خالداً رضي الله عنه في أربعمائة وعشرين فارساً، سريةً إلى أُكَيْدِر «دومة الجندل».

---

(١) صبأ: يقال: صبأ فلان: إذا خرج من دين إلى دين غيره، مأخوذ من قولهم: صبأ نابُ البعير: إذا طلع، وصبأت النجوم: إذا خرجت من مطالعها، وكانت العرب تسمي النبي ﷺ الصابىء، لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٣؛ ولسان العرب ٢/٣٩٩.

(٢) الحديث بهذا اللفظ أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جُذَيْمة، ح (٤٣٣٩)، فتح الباري ٨/٥٧.
وأخرجه في كتاب الأحكام، باب إذا قضى الحاكم بجَوْر أو خلاف أهل العلم فهو ردّ، ح (٧١٨٩)، فتح الباري ١٣/١٨١.
وأخرجه النسائي في كتاب السِّيَر، باب إذا قالوا صبأنا ولم يقولوا أسلمنا (السنن الكبرى، مخطوط، انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (٦٩٤١)، ٥/٣٩٥ و١٤/١٠٦).
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/١٥٠.

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٥٠؛ والسيرة الحلبية ٣/٢٠٦.

وقد حدثت بعض المناوشات بين أُكَيْدِر وأهل بيته، وهذه السرية، وتمّ القبض على أكيدر، وقُتل أخوه حسان، ثم قدم خالد بأكيدر إلى رسول الله ﷺ، فحقن دمه[1].

● الفرع الخامس: ذهابه إلى نجران:

أرسل النبي ﷺ خالداً رضي الله عنه على رأس سرية في أربعمائة رجل إلى بني الحارث بن كعب، بنجران وذلك حتى يدعوهم إلى الإسلام.

فخرج خالد حتى وصل إليهم، وبعث الركبان في كل ناحية يدعون الناس إلى الإسلام، فكتب خالد إلى النبي ﷺ يخبره أن القوم قد أسلموا، فكتب إليه النبي يأمره أن يأتي إليه ومعه وفد منهم، فقدم خالد ومعه نفر من بني الحارث، فأعلنوا إسلامهم أمام الرسول ﷺ ثم عادوا إلى بلادهم[2].

● الفرع السادس: هدم العُزّى وودّ:

أولاً: هدم العُزّى: بعث ﷺ خالداً رضي الله عنه لهدم العُزّى بعد فتح مكة، فذهب رضي الله عنه وهدمها[3].

ثانياً: هدم ودّ: كان ودّ صنماً لبني كلب بدومة الجندل، وقد بعث النبي ﷺ خالداً رضي الله عنه من غزوة تبوك لهدمه، فحالت دونه بنو عبد ودّ وبنو عامر الأجدار، فقاتلهم خالد حتى قتلهم، وتمكّن من هدمه حتى جعله جذاذاً[4].

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٦٦؛ وتاريخ الطبري ٣/١٠٨، ١٠٩؛ وانظر ص ٣٠٢.
(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/٢٦٢، ٢٦٦؛ وتاريخ الطبري ٣/١٢٦ ــ ١٢٨.
(٣) انظر فيما سبق ص ٢٣٦، ٢٣٧.
(٤) انظر كتاب الأصنام لابن الكلبي ص ١٠، ٥٥، ٥٦؛ وفتح القدير ٥/٣٠٠.

● **الفرع السابع: في غزوة الطائف:**

شارك خالد رضي الله عنه الجيش الإسلامي الذي توجه لمطاردة الفارِّين إلى الطائف[1]، والدليل على ذلك ما رواه رباح بن ربيع رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله ﷺ فرأى الناس مجتمعين على شيء فبعث رجلًا فقال: انظر علام اجتمع هؤلاء؟ فجاء فقال: على امرأة قتيل، فقال: «ما كانت هذه لتقاتل»، قال: وعلى المقدمة خالد بن الوليد، فبعث رجلاً فقال: «قل لخالد: لا يقتلنَّ امرأةً ولا عسيفاً»)[2].

● **الفرع الثامن: بعثه إلى بني المصطلق:**

بعث النبي ﷺ الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الزكاة، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره أن القوم قد ارتدوا، فبعث إليهم بعد ذلك خالداً رضي الله عنه حتى يتبين خبرهم.

يحدثنا عن ذلك قتادة فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيَّنوا...﴾[3] الآية ــ قال: هو الوليد بن عقبة، بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق، مُصَدِّقاً[4]، فلما أبصروه وأقبلوا نحوه هابهم،

---

(١) انظر ما قاله ابن سعد في ص ٧٦١، وهو ما يفيد أن خالداً رضي الله عنه خرج مع جيش المسلمين في غزوة حنين حتى أتوا الجعرانة ومعلوم أن حصار الطائف كان بعد غزوة حنين مباشرة كما سبق بيان ذلك بالتفصيل.

(٢) الحديث بهذا اللفظ أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في قتل النساء، ح (٢٦٦٩)، سنن أبي داود ١٢١/٣.
وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب الغارة والبيات وقتل النساء والصبيان، ح (٢٨٤٢)، سنن ابن ماجه ٩٤٨/٢.
وأخرجه النسائي في كتاب السِّيَر (السنن الكبرى، مخطوط، انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (٣٦٠٠)، ١٦٦/٣).

(٣) سورة الحجرات: آية ٦.

(٤) المُصَدِّق بكسر الدال وتشديدها: هو عامل الزكاة الذي يستوفيها من أربابها، يقال: صدَّقهم يُصدِّقهم فهو مُصَدِّق. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١٨/٣؛ ولسان العرب ٤٢٢/٢.

فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام، فبعث نبي الله ﷺ خالد بن الوليد، وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونه فلما جاؤوا أخبروا خالداً أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى الذي يعجبه، فرجع إلى نبي الله ﷺ فأخبره الخبر، فأنزل الله عز وجل ما تسمعون، فكان نبي الله ﷺ يقول: «التبيُّن من الله، والعجلة من الشيطان»[1].

● **الفرع التاسع: ذهابه إلى اليمن:**

بعث النبي ﷺ خالداً إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، فأقام بينهم ستة أشهر، وهو يدعوهم، وهم لا يجيبونه إلى شيء، ثم بعث علياً ليقبض الخمس.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن، قال: ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه...) الحديث[2].

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: (بعث النبي ﷺ علياً إلى خالد ليقبض الخمس...) الحديث[3].

---

(١) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٦/ ٧٩، طالأولى، سنة (١٣٢٨هـ) بولاق؛ وانظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦/ ٨٧. ومما يؤيد ذلك أن هناك روايات كثيرة متفقة على أن المقصود بهذه الآية هو الوليد بن عقبة، قال الشوكاني رحمه الله: (قد رويت روايات كثيرة متفقة على أنه سبب نزول الآية، وأنه المراد بها، وإن اختلفت القصص)، فتح القدير ٥/ ٦٢.

(٢) الحديث بهذا اللفظ: أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع، ح (٤٣٤٩)، فتح الباري ٨/ ٦٥.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع، ح (٤٣٥٠)، فتح الباري ٨/ ٦٦. وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٣٥٩.

المطلب الثاني

جهاده في حروب الردة

جاهد خالد رضي الله عنه المرتدين عن الإسلام في جزيرة العرب. فبدأ بطليحة الأسدي، وقومه، وقضى على فتنتهم، وأعاد الإسلام إلى منطقة بُزَاخَة[1].

ثم توجه رضي الله عنه إلى مالك بن نُوَيْرة حيث كان يقيم بالبطاح، ولكنّ مالكاً فرّق رجاله وأوصاهم بألاّ يجتمعوا ، فتمكنت إحدى سرايا جيش خالد من القبض على مالك، فجيء به ومعه بعض الأسرى، وفي إحدى الليالي قام الجند بقتل الأسرى جميعهم.

وبعد ذلك توجه خالد بجيشه إلى اليمامة[2]، حيث كان يقيم بها مسيلِمة بن حبيب الكذاب.

وقد حدث قتال بين الطرفين، انهزم المسلمون فيه أول الأمر، ثم أعادوا الكرة على عدوهم، حتى تمكنوا من دخول حديقة الموت[3]، وكان بين الفئتين قتال شديد، انتهى بالقضاء على مَنْ بالحديقة من المشركين وقُتل فيها مسيلِمة الكذاب[4].

---

(١) بُزَاخَةُ: ماء بنجد لبني أسد. انظر معجم البلدان ١/٤٠٨؛ والروض المعطار في خبر الأقطار ص ٩٢.

(٢) اليمامة: موضع ذو أقاليم متعددة يشمل منطقة الرياض وما جاورها وسُدَير والزلفى والوشم والأفلاج ووادي الدواسر. انظر معجم البلدان ٥/٤٤٢؛ ومعجم اليمامة ٢/٤٧٣، ٤٧٤: للشيخ عبد الله بن محمد بن خميس، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٨هـ).

(٣) حديقة الموت: بستان لمسيلِمة الكذاب كان بفناء حجر من أرض اليمامة كان يسمى بحديقة الرحمن وفيه قتل مسيلِمة فسمي بحديقة الموت. وهي الآن روضة من رياض العارض وتقع في منخفض من الأرض وتبعد عن الرياض بحوالي خمسين كيلاً من جهة الشمال. انظر معجم اليمامة ١/٣٠٦، ٢/٦٣.

(٤) انظر تاريخ الطبري ٣/٢٨٧ ـ ٢٩٠.

المطلب الثالث

مشاركته في فتح العراق والشام

لمّا فرغ خالد رضي الله عنه من القضاء على المرتدين في جزيرة العرب أمره أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن يتوجه إلى العراق، فوصل بجيشه إلى البصرة[1] وحينئذ فرّ أهلها وحصل على كثير من الأموال والسبايا[2].

وقد واصل رضي الله عنه حركة الفتح الإسلامي فتم له فتح المذار[3][4]، والولجة[5]، وأُلّيس[6][7]، وأمغيشيا[8][9]، والحيرة[10]؛ والأنبار[11]، وعين[12] التمر[13]، ـــــــــــــــــــ

---

(١) البصرة: مدينة مشهورة بالعراق بُنيت في عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وهي في مستوٍ من الأرض لا جبال فيها. انظر الروض المعطار في خبر الأقطار ص ١٠٥.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٤٨ ـ ٣٥٠؛ والكامل لابن الأثير ٢/٣٨٤، ٣٨٦.

(٣) المَذَار: موضع في مَيْسَان بين واسط والبصرة وهي قصبة مَيْسَان وتبعد عن البصرة بمقدار أربعة أيام. انظر معجم البلدان ٥/٨٨.

(٤) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٥١، ٣٥٢؛ والكامل ٢/٣٨٧.

(٥) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٥٣، ٣٥٤؛ والكامل ٢/٣٨٧.

(٦) أُلّيس بالتصغير على وزن فُلّيس: موضع بالعراق وهو: قرية من قرى الأنبار. انظر: معجم البلدان ١/٢٤٨.

(٧) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٥٥ ـ ٣٥٨؛ والكامل ٢/٣٨٨ ـ ٣٨٩.

(٨) أمْغِيْشَيَا: موضع كان بالعراق، وهو الذي كانت فيه الوقعة بين جيش خالد والفرس، ولما استولى عليها المسلمون أمر خالد بهدمها، وكان فرات بادقلى ينتهي إليها وتعد أُلّيس من مسالحها. انظر معجم البلدان ١/٢٥٤.

(٩) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٥٨؛ والكامل ٢/٣٨٩.

(١٠) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٤٣ ـ ٣٥٠؛ والكامل ٢/٣٨٤.

(١١) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٧٣، ٣٧٤؛ والكامل ٢/٣٩٤.

(١٢) عين التمر: بلدة في العراق، قريبة من الأنبار، غربي الكوفة، وبقربها موضع يقال له (شفاثا)، وبهاتين البلدتين نخيل كثيرة. انظر معجم البلدان ٤/١٧٦.

(١٣) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٧٦، ٣٧٧؛ والكامل ٢/٣٩٤، ٣٩٥.

ودومة[1] الجندل[2] ، والمصيخ[3] [4] ، والثنيّ[5]، والزميل[6] [7] ، والفراض[8] [9] .

وبعد أن قام خالد رضي الله عنه بهذه الفتوح في بلاد العراق، نقله أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى بلاد الشام، وفي طريقه إليها قام بفتح الحصيد[10][11]، وقراقر، وسوى[12]، وأَرَك[13]، وتدمر[14]، وحوارين[15][16]،

---

(١) (٢) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٧٨، ٣٨٠؛ والكامل ٢/٣٩٥، ٣٩٦.

(٣) المُصَيَّخ بضم الميم وفتح الصاد وتشديد الياء: موضع بين حوارين والقلت وسكانه من بني تغلب. انظر: معجم البلدان ٥/١٤٤.

(٤) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٨١، ٣٨٢؛ والكامل ٢/٣٩٧، ٣٩٨.

(٥) الثَّنِيُّ بفتح الثاء وكسر النون وبعدها ياء مشددة: موضع بالعراق، شرقي الرصافة. انظر معجم البلدان ٢/٨٦.

(٦) الزُّمَيْل تصغير زَمِل: موضع في ديار بني بكر، وهو عند البشر بالجزيرة الفراتية، شرقي الرصافة. انظر: معجم البلدان ٣/١٥١.

(٧) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٨٢، ٣٨٣؛ والكامل ٢/٣٩٨، ٣٩٩.

(٨) الفراض بكسر الفاء وآخره ضاد معجمة، على وزن (فِعَال): موضع بين البصرة واليمامة، من ديار بكر بن وائل انظر معجم البلدان ٤/٢٤٣.

(٩) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٨٣، ٣٨٤؛ والكامل ٢/٣٩٩.

(١٠) الحَصِيْد بفتح الحاء وكسر الصاد وبعدها ياء ساكنة: موضع في أطراف العراق، من جهة الجزيرة الفراتية. انظر معجم البلدان ٢/٢٦٦.

(١١) انظر تاريخ الطبري ٣/٤٠٦؛ والكامل لابن الأثير ٢/٣٩٦.

(١٢) سُوى: هو ماء لبهراء في ناحية السماوة بأرض العراق. انظر معجم البلدان ٣/٢٧١.

(١٣) أَرَك بفتح الألف والراء: مدينة صغيرة في طرف برية حلب قرب تدمر، وبها نخل وزيتون. انظر معجم البلدان ١/١٥٣.

(١٤) تَدْمُر: بفتح التاء وتسكين الدال وضم الميم: مدينة قديمة مشهورة في برية الشام، بينها وبين حلب خمسة أيام. انظر معجم البلدان ٢/١٧.

(١٥) حُوَّارِين بضم الحاء وتشديد الواو وكسر الراء أو فتحها: هي من قرى حلب، وتعرف باسم القريتين، وهي من تدمر على مرحلتين. انظر معجم البلدان ٢/٣١٧.

(١٦) انظر تاريخ الطبري ٣/٤٠٧، ٢/٢٠٩.

وقصم[1]، ومرج[2] راهط[3] ، وبُصْرى[4] .

ولما وصل إلى اليرموك شارك الجيوش الإسلامية الأخرى في قتال الروم[5].

وبعد أن مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة فقام بعزل خالد رضي الله عنه عن منصب القائد العام، ولكن نشاطه لم يتوقف، بل شارك في حركة الفتح الإسلامي لبلاد الشام وذلك في فتح دِمَشق[6]، وفِحْل[7]، ومرج[8] الروم، وحِمْص[9]، وقِنَّسْرين[10]، ومَرْعَش[11] .

---

(١) قُصَم: موضع بالبادية قرب الشام، من نواحي العراق، وسكانه من بني مشجعة بن التيم. انظر معجم البلدان ٤/٣٦٥.

(٢) مَرْجُ راهط: موضع في الغوطة من دمشق، على يمين الذاهب من القصير إلى ثنية العقاب، تلقاء حمص. انظر: معجم البلدان ٣/٢١ .

(٣) انظر تاريخ الطبري ٣/٤٠٧؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤٠٩ .

(٤) انظر تاريخ الطبري ٣/٤٠٣؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤٠٩ .

(٥) انظر تاريخ الطبري ٣/٣٩٥ وما بعدها؛ والكامل ٢/٤١٠ وما بعدها.

(٦) انظر تاريخ الطبري ٣/٤٣٤، ٤٣٥؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤٢٧، ٤٢٩ وما بعدها.

(٧) انظر تاريخ الطبري ٣/٤٣٤ وما بعدها؛ والكامل ٢/٤٢٩، ٤٣٠ .

(٨) انظر تاريخ الطبري ٣/٥٩٨، ٥٩٩؛ والكامل ٢/٤٩٠ .

(٩) انظر تاريخ الطبري ٣/٥٩٩، ٦٠١؛ والكامل ٢/٤٩١، ٤٩٢ .

(١٠) انظر تاريخ الطبري ٣/٦٠١، ٦٠٢؛ والكامل ٢/٤٩٣ .

(١١) انظر تاريخ الطبري ٣/٦٠١، ٦٠٢؛ والكامل ٢/٤٩٧ .



الفَصْل الثالِث

عَمْرُو بْنُ العَاص

المبحث الأول

تعزيف بشخصية عمرو رضي الله عنه

المطلب الأول

اسمه ونسبه وميلاده

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، وكنيته: أبو عبد الله وأبو محمد[1].

وأمه هي سلمى بنت حرملة[2] وتلقب بـ «النابغة» وهي من عنزة[3].

أما فيما يتعلق بميلاده فإن الكتب التي ترجمت لعمرو رضي الله عنه ـ فيما أعلم ـ لم تنص على تحديد السنة التي وُلِدَ فيها، لكن روى البيهقي عن عمرو رضي الله عنه أنه قال: (أذكر ليلة ولد عمر بن الخطاب).

قال ابن حجر رحمه الله بعد أن ذكر هذا الأثر: (فكان عمره لما ولد عمر رضي الله عنه سبع سنين)[4].

---

(١) انظر كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٦: لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري، طبعة بالأوفست، مكتبة المثنى ببغداد؛ وفيات الأعيان ٢١٢/٧: لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِّكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ط دار الثقافة ـ بيروت؛ والإصابة في تمييز الصحابة ٢/٣؛ والاستيعاب في معرفة الأصحاب ١١٨٣/٣، ١١٨٥؛ وأسد الغابة في معرفة الصحابة ١١٥/٤.

(٢) انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١١٨٥/٣.

(٣) انظر كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٦؛ والإصابة في تمييز الصحابة ٢/٣.

(٤) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٣.

المطلب الثاني

إســلامــه

أسلم عمرو رضي الله عنه في صفر، سنة ثمان من الهجرة، وقد أسلم هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة في وقت واحد[1].

سئل عمرو رضي الله عنه عن سبب تأخّر إسلامه إلى هذا الوقت فقال: (إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدّم وسنّ، توازي حلومهم الجبال، ما سلكوا فجاً فتبعناهم إلا وجدناه سهلاً، فلما أنكروا على النبي ﷺ أنكرنا معهم، ولم نفكر في أمرنا، وقلّدناهم، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا في أمر النبي ﷺ فإذا الأمر بيّنَ، فوقع في قلبي الإسلام)[2].

وقد وردت في صحيح مسلم قصة إسلامه وشدة حيائه من النبي ﷺ: قال عمرو رضي الله عنه: (... لقد رأيتني وما أحدٌ أشد بغضاً لرسول الله ﷺ مني، ولا أحب أن أكون قد استمكنتُ منه فقتلتُه، ... فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «مالك يا عمرو»؟ قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: «تشترط بماذا»؟ قلت: أن يُغفر لي، قال: «أما علمتَ أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله»؟ وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ، ولا أجلّ في عينيّ منه، وما كنت أطيق أن أملأ عينيّ منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن أملأ عينيّ منه...)[3].

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/٢٩؛ وتاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الأعلام للذهبي ٢/٢٣٦؛ والإصابة في تمييز الصحابة ٣/٢؛ والاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/١١٨٥. وانظر أيضاً قصة إسلام خالد في ص ٢٨٥، ٢٨٦.

(٢) انظر: نسب قريش ص ٤١٠؛ والإصابة في تمييز الصحابة ٣/٢، وقد جاء فيها: (وكانوا ممن يوازي خلويهم الخبال)، وهو تصحيف واضح، فليحرَّر.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما كان قبله وكذا =

المطلب الثالث

مناقبه

لعمرو بن العاص رضي الله عنه مناقب جليلة، اختص بها، وهي كما يأتي:

● **الفرع الأول**: أن الرسول ﷺ لم يعدل به أحداً من الصحابة.

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد أحداً منذ أسلمنا في حربه[1].

● **الفرع الثاني**: شهادة الرسول ﷺ له بالإيمان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ابنا العاص مؤمنان ـ هشام وعمرو ـ»[2]

● **الفرع الثالث**: أن الرسول ﷺ عدَّه من صالحي قريش.

عن ابن أبي مليكة قال: قال طلحة بن عبيد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن عمرو بن العاص من صالحي قريش»[3].

= الهجرة والحج، ح (١٢١)، صحيح مسلم ١/١١٢.

(١) الحديث سبق تخريجه في ص ٥٨٨.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/٣٢٧، ٣٥٣.
وأخرجه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر مناقب هشام بن العاص بن وائل السهمي، المستدرك على الصحيحين ٣/٢٤٠، ثم قال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي.
وأخرجه أيضاً في باب مناقب عمرو بن العاص ٣/٤٥٢، ٤٥٣.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب عمرو بن العاص، ح (٣٨٤٤)، سنن الترمذي ٩/٣٧١.
قال الترمذي رحمه الله: لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن مشرح، وليس إسناده بالقوي. انظر ترجمة ابن لهيعة في ص ٢٦٤.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/١٥٥، من حديث عبد الله بن يزيد المقري بإسناد =

المطلب الرابع

وفاته

توفي عمرو رضي الله عنه بمصر سنة (٤٣هـ) على أصح أقوال العلماء[١] بعد حياة حافلة بالفتوحات والانتصارات.

وفي ذلك يقول يحيى بن بكير: (توفي عمرو بن العاص... بمصر ليلةَ الفطر سنة ثلاث وأربعين، ودُفن يوم الفطر وصلى عليه ابنه عبد الله...)[٢].

وكانت سنُّه عند وفاته بضعاً وثمانين سنة.

قال الذهبي رحمه الله: (كان أكبر من عمر بنحو خمس سنين[٣] كان يقول: أذكر الليلة التي وُلد فيها عمر وقد عاش بعد عمر عشرين عاماً فينتج هذا أن مجموع عمره بضع وثمانون سنة)[٤].

= حسن، وله شواهد أخرى بمعناه. ورواية العبادلة (ومنهم: عبد الله بن يزيد) عن ابن لهيعة تصحح حديثه.

فالحديث صحيح بشواهده. انظر جامع الأصول في أحاديث الرسول لأبي السعادات المبارك بن الأثير الجزري، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلّق عليه عبد القادر الأرناؤوط، ط سنة (١٣٩٢هـ).

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/٢٦١؛ وسير أعلام النبلاء ٣/٧٧؛ والإصابة في تمييز الصحابة ٣/٣.

(٢) هذا الأثر أخرجه الطبراني ورجاله إلى قائله ثقات. انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩/٣٥٤.

(٣) سبق عند الكلام على تحديد السَّنة التي وُلِدَ فيها عمر وذكر ما نقله ابن حجر ــ رحمه الله ــ من أن سِنَّهُ عندما وُلد عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ سبع سنين. وهو خلاف يسير لا يخرج عن التحديد التقريبي الذي ذكره الذهبي هنا والله أعلم.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣/٧٧.

المبحث الثاني
الصفات القيادية لعمرو بن العاص

تحلّى عمرو رضي الله عنه بصفات قيادية أهلته لهذا المنصب حتى أصبح من كبار القادة في عهد الرسول ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما.

وقد توافرت في عمرو الصفات القيادية الآتية:

المطلب الأول
الشّجاعة

من الصفات التي كان يتمتع بها عمرو الشجاعة، فقد كان جريئاً مقداماً ذا شخصية جبارة، لا يهاب خوض غمار الحرب، ولا يخشى الموت.

ومن المواقف التي برزت فيها هذه الصفة: ما حدث في معركة اليرموك، حين اشتد القتال بين الروم والمسلمين، حيث أصاب الروم أعين سبعمائة من المسلمين، مما اضطرهم إلى الفرار من الميدان، فرأى عمرو أن الموقف يحتاج إلى ثبات فبقي في مكانه ومعه أصحاب الرايات وقاتلوا الروم ببسالة وقوة حتى انتصر عليهم(١).

ومن هذا يتبين أثر تحلّي القائد بهذه الصفة في كسب النصر.

---

(١) انظر فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص ٨٣، تحقيق: عبد المنعم عامر، طبع ونشر لجنة البيان العربي؛ والإصابة في تمييز الصحابة ٣/٣؛ وقادة فتح الشام ومصر ص ١٥٨، ١٥٩، ١٦٢؛ وشخصيات عسكرية إسلامية ص ٢١٣، ٢١٦، ٢٤١؛ والمدرسة العسكرية الإسلامية ص ١٤٤؛ وعمرو بن العاص ص ١٥٢: لبسام العسلي.

المطلب الثاني
الرأي السديد والعقل الراجح

يُعَدّ عمرو رضي الله عنه ذا رأي سديد وعقل راجح، فهو معدود من دهاة العرب المقدَّمين في الرأي، ومما يدل على سداد رأيه أن عمر بن الخطاب إذا استضعف رجلاً في رأيه قال: (أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد) يريد خالق الأضداد[1].

وقد وقع الإجماع على أنه أحد دهاة العرب. وفي ذلك يقول الثعالبي رحمه الله: (ووقع الإجماع على أن الدهاة أربعة: معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه رضي الله عنهم)[2]. ولرجاحة عقله رضي الله عنه بعثته قريش إلى الحبشة للتفاوض مع النجاشي بشأن ردّ المهاجرين إلى مكة[3].

المطلب الثالث
بُعْد النظر

كان عمرو رضي الله عنه يتمتع بصفة بُعْد النظر، فهو يقدِّر كل الاحتمالات ويفترض أن أصعبها يمكن أن يقع.

ولهذا كان يأخذ بمبدأ الحيطة، ويشهد لذلك أنه حين فزع أهل المدينة لبس عمرو سلاحه وقصد المسجد، بينما تفرق الناس.

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: (كان فزع بالمدينة، فأتيت

---

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٣؛ ووفيات الأعيان ٧/٢١٥؛ والاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/١١٨٨.

(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص ٨٨: لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار نهضة مصر للطبع والنشر، سنة (١٣٨٤هـ)؛ وانظر الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٣.

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/٣٥٦، ٣٥٧؛ وتاريخ الطبري ٢/٣٣٥.

على سالم مولى أبي حذيفة، وهو محتب[1] بحمائل سيفه، فأخذت سيفاً فاحتبيت بحمائله فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس: ألا كان مفزعكم[2] إلى الله وإلى رسوله»، ثم قال: «ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان»)[3].

المطلب الرابع
القدرة على جمع المعلومات

يُعَدّ جمع المعلومات عن العدو من الأمور الضرورية لتقدير الموقف العسكري ووضع الخطة المناسبة له.

ولهذا كان عمرو رضي الله عنه يحرص على جمع المعلومات عن عدوه وعن طبيعة الأرض، التي سيقاتل عليها.

ومن الأمثلة على ذلك: ما حدث في سرية ذات السَّلاسل، حيث

---

(١) مُحْتَبٍ: الاحتباء: هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما، وقد يكون الاحتباء باليدين عوضاً عن الثوب. وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٣٣٥؛ ولسان العرب ١/ ٥٦٠.

(٢) مَفْزَعُكُم: المَفْزَع: هو الملجأ، تقول العرب: فلان مفزع الناس وامرأة مفزع وهم مفزع، والمعنى: إذا دهمهم أمر فزعوا ولجؤوا إليه واستعانوا به. انظر لسان العرب ١٠٩٣/٣.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٠٣/٤.
وأخرجه النسائي في كتاب المناقب، باب مناقب عمرو بن العاص (السنن الكبرى، مخطوط، انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ح (١٠٧٤٠)، ١٥٥/٨، ١٠٢/١٤).
وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٣٠٠/٩، وقال بعد عزوه للإمام أحمد: رجاله رجال الصحيح.
قال ابن حجر: أخرج أحمد والنسائي بسند حسن عن عمرو بن العاص قال: ثم ساق الحديث. انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٣.

استعان بأخواله من «بِلَى» في إمداده بالمعلومات الضرورية عن أعدائه مما كان سبباً في انتصاره عليهم.

ولما كان الاستطلاع أمراً مهماً لوضع صورة أمام القائد عن عدوه وسلاحه وخططه العسكرية وحلفائه فإن عَمْراً كان يقدّر قيمة هذا الأمر حق قدره سواء كان ذلك بالاستطلاع الشخصي أو بإرسال العيون والأرصاد.

ومن الأمثلة على اهتمامه بالاستطلاع الشخصي: ما قام به رضي الله عنه من استكشاف مقر قائد الروم (أرطبون)، حيث اطلع على مواطن الضعف في مواضع جيش الروم[1].

المطلب الخامس
الماضي الناصع المجيد

من الصفات القيادية التي توافرت لعمرو رضي الله عنه الماضي المجيد فهو من بني سهم، وهذا البطن من قريش انتهى إليهم الشرف في الجاهلية، حيث كانت لهم السّيادة والسلطان في مكة.

وقد اختص بنو سهم من بين بطون قريش الأخرى بأنهم كانوا أصحاب الحكومة، وهي: أشبه ما تكون بالقضاء، وفضّ المنازعات في المسائل الدقيقة حيث كان يحتكم القرشيون وغيرهم من العرب إلى زعماء بني سهم الذين اشتهروا بسداد الرأي والحلم والدهاء والحزم.

وكان لبني سهم أيضاً الرئاسة على الأموال الخاصة بآلهتهم وهي قريبة الشّبه في عصرنا «بالأوقاف» العامة، وكان الشأن في ذلك: أن يقوم صاحب هذه الوظيفة بالتصرف في هذه الأموال وفق القواعد التي جروا عليها في العمل بأموال أوثانهم[2].

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/٦٠٦؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤٩٩؛ وقادة فتح الشام ومصر ص ١٣٥، ١٥٩؛ وشخصيات عسكرية ص ٢٤٢.

(٢) انظر السّيرة النبوية لابن هشام ١/١٤٣؛ وتاريخ عمرو بن العاص ص ١٠، ١١: =

وأما أبوه فهو العاص بن وائل بن هشام كان من أشراف قريش وذوي الجاه فيهم. ومن أبرز الأدلة على ذلك: أن عمر بن الخطاب لما أسلم وَثَبَتْ عليه قريش حتى أيقن بالهلاك وبينما هم قائمون على رأسه إذ أقبل العاص بن وائل فقال لهم: خلّوا عن الرجل، أَتَرَوْن بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم؟ وعندئذ انفض المشركون عن عمر[1].

كما كان عمرو نفسه من ذوي الشرف في الجاهلية وممن عُرفوا بسداد الرأي والحزم[2].

فقد حاز الشرف من جميع جوانبه، فهو ذو نسب شريف كما أنه تربّى في بيت شريف هو بيت العاص بن وائل وعاش في بلد شريف هو مكة المكرمة.

المطلب السادس

اتخاذ القرارات الصحيحة وتنفيذها في الوقت المناسب

من الصفات القيادية التي كان يتحلى بها عمرو رضي الله عنه اتخاذ القرارات الصحيحة.

فقد كان يعمل على اتخاذ قراراته، ثم يقوم بعد ذلك بتنفيذها بدقة كاملة، حتى تؤدي الغرض منها. ومن الأمثلة على ذلك: ما رآه عمرو من ضرورة اجتماع المسلمين في اليرموك. إذ إن هذا القرار يحقق مصلحة كبيرة في هذا الظرف الحاسم، وهو وحدة المسلمين وإظهار هيبتهم أمام عدوهم حتى لا يطمع فيهم، كما أنه يدفع مفسدة عظيمة وهي تفرّق الجيوش الذي هو مظنة للفشل والخذلان مما يُغري أعداءهم بالهجوم عليهم وبذلك تحيق بهم الهزيمة.

= للدكتور حسن إبراهيم حسن؛ وقادة فتح الشام ومصر ص ١٢٤، ١٢٥.

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٧٠؛ وحذف من نسب قريش ص ٨٧.

(٢) انظر كتاب حذف من نسب قريش ص ٨٧.

وقد كان عمرو رضي الله عنه يعتمد في ذلك على أسس اتخاذ القرارات ابتداءً من الاستطلاع وجمع المعلومات وتقدير الموقف وحساب ميزان القوى ووضع جميع العوامل الضرورية في الحسبان، مثل: الطبيعة الجغرافية والأهمية الاستراتيجية للموقع والطبيعة البشرية سواء كانت في جانب جنده أو لدى جنود أعدائه،حتى ينتهي الأمر بإصدار القرار المناسب في وقته.

وقد كان أسلوب عمرو رضي الله عنه هو عدم إخضاع قراراته للعامل الزمني، وإنما كان يُسَخِّر هذا العامل لمصلحة قراراته، فكان يقوم بجمع الأعمال الممكنة في حدود هذا العامل حتى تحين اللحظة المناسبة للتنفيذ، فيخرج القرار بصورة متكاملة وفورية، مع أن الإعداد له قد استغرق وقتاً طويلاً[1].

ومن الأمثلة على ذلك: ما حدث عند فتح بيت المقدس، وذلك أن عَمْراً بعدما فرغ من فتح البلاد المجاورة لبيت المقدس عزم على فتح هذه المدينة.

ولكنه بعد دراسة الأمور المتعلقة بهذا الشأن من جميع الوجوه كان قراره الأخير هو ألّا يفتحها بنفسه، لأن هذا العمل سيكلفه جهداً، لا ضرورة له، فأرسل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره بحقيقة الموقف، ويطلب منه أن يحضر بنفسه لمصالحة أهل هذه المدينة[2].

يروي الطبري خبر ذلك فيقول: (وكتب أرطبون إلى عمرو: ....والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين[3] فارجع ولا تغر فتلقى ما لقي الذين قبلك من الهزيمة.

---

(١) انظر عمرو بن العاص ص ١٥٤، ١٥٦: لبسام العسلي.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٣/٦٠٦، ٦٠٧؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤٩٩.

(٣) أجنادين موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين وتُعَدّ كورة بيت جبرين. انظر: معجم البلدان ١/١٠٣.

فدعا عمرو رجلاً يتكلم الرومية فأرسله إلى أرطبون وأمره أن يُغْرِب[1] ويتنكر، وقال: استمع ما يقول حتى تخبرني به إذا رجعت إن شاء الله... وكتب إليه: جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك وقد علمت أني صاحب فتح هذه البلاد... فخرج الرسول ـ على ما أمر به ـ حتى أتى أرطبون فدفع إليه الكتاب بمشهد من النفر، فاقترأه[2]، فضحكوا وتعجبوا وأقبلوا على أرطبون فقالوا: من أين علمت أنه ليس بصاحبها؟.

قال: صاحبها رجل اسمه (عمر) ثلاثة أحرف. فرجع الرسول إلى عمرو فعرف أنه عمر[3].

وكتب إلى عمر يستمده ويقول: (إني أعالج حرباً كؤوداً صدوماً[4] وبلاداً ادخرت لك فرأيك).

ولما كتب عمرو إلى عمر بذلك عرف أنه لم يقل إلا بعلم، فنادى في الناس ثم خرج فيهم[5].

---

(١) يغرب: تقول العرب: أغرب زيد في الأمر إذا جاء بشيء قولاً أو فعلاً. انظر لسان العرب ٢/٩٦٧.

(٢) اقترأه: الاقتراء: افتعال من القراء. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٣٠؛ ولسان العرب ٣/٤٢.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٦٠٦.

(٤) الصدم في اللغة: ضرب الشيء الصلب بمثله. ووصفت الحرب هنا بالصدوم لأن كلا الجيشين يتصادمان فيحدث من جراء ذلك ضرراً على كلا الطرفين. انظر لسان العرب ٢/٤٢٢؛ القاموس المحيط ٤/١٤٠.

(٥) انظر تاريخ الطبري ٣/٦٠٦، ٦٠٧؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤٩٩.

المبحث الثالث
المبادىء العسكرية التي طبقها عمرو

تتلخص المبادىء العسكرية التي طبقها عمرو رضي الله عنه في المطالب الآتية:

المطلب الأول
الحرص على تطوير القدرة الحركية

لمَا وصل عمرو رضي الله عنه إلى مصر حرص على تطوير القدرة الحركية لجيشه وذلك بالاستيلاء على السفن الموجودة في جزيرة (الروضة) لاستخدامها في نقل قواته.

كما أن استخدامه لمنطقة غرب النيل كان وسيلة لضمان استخدام القدرة الحركية لقوات المسلمين على أفضل وجه[1].

ثم إن إصراره على هدم أسوار الإسكندرية لم يكن إلا وسيلة لإزالة كل ما يعيق استخدام القدرة الحركية.

وكان اهتمام عمرو بالشؤون الإدارية والمباغتة والاقتصاد بالقوى وغيرها إنما هو من أجل خدمة القدرة الحركية وتوفير الظروف المناسبة لاستخدامها على أفضل وجه ممكن[2].

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير ٣/٢٦؛ والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ١/٨: لابن عذارى المراكشي، تحقيق ومراجعة ج. س كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط دار الثقافة ــ بيروت؛ وعمرو بن العاص ص ١٢٨: لبسام العسلي.

(٢) انظر فتوح البلدان ص ٢٢٣؛ وعمرو بن العاص ص ١٢٨، ١٢٩.

ومما سبق: يتبين أن هذا المبدأ لدى عمرو رضي الله عنه يقوم على ركيزتين أساسيتين هما:

الأولى: إزالة السدود والحواجز التي يمكن أن تعيق القدرة الحركية.

الثانية: اختيار محاور العمليات التي تساعد المسلمين على تطبيق هذا المبدأ[1].

المطلب الثاني
الشدة على أعداء المسلمين

عندما قام عمرو بفتح الإسكندرية الثاني سنة (٢٥هـ)، غدر أهل قرية تسمى (خربة) وكان أهلها رهباناً بمؤخرة جيش عمرو وقتلوهم، ولما وصل عمرو إلى الإسكندرية وأقام بها وجّه مولاه ويسمى (وردان) فقتلهم وخرب قريتهم وتسمى الآن: (خراب خربة وردان)[2].

ومن هذا الموقف: نستنتج أن شدة عمرو وصلابته تزداد عندما يتعرض المسلمون للغدر وذلك لكي يردع الأعداء عن التمادي في ارتكاب مثل هذا الخلق الذميم، وحتى يحفظ للمسلمين هيبتهم ويضمن لهم الأمن والسلامة.

وبعد أن فتح عمرو الإسكندرية وضع السيف في رقاب الروم الذين كانوا بها، ثم كلموه في ذلك فرفع السيف عنهم وبنى في ذلك الموضع مسجداً يعرف: بمسجد الرحمة في الإسكندرية.

ومن هذا الموقف: ينبغي أن يعلم أن عَمْراً رضي الله عنه كان يترك في مثل تلك الظروف القاسية التي تدعو إلى الشدة والصلابة مجالاً للرحمة والشفقة، فعندما يأتيه من يطلب الرحمة فإنه يستجيب له، لأنه رضي الله عنه كان ينطلق من منطلق البناء والإصلاح، لا الحقد أو حبّ الانتقام.

---

(١) انظر المرجع السابق ص ١٢٧، ١٣٠.

(٢) انظر فتوح مصر والمغرب ص ٢٣٨.

وقد كان عمرو رضي الله عنه صلباً عندما يقرر خوض القتال، ففي بِلْبِيس[1] ـ مثلاً ـ قام بتصفية قوات العدو وإبادتها إبادة كاملة.

ومن الجدير بالذكر أن استعمال الشدة لدى عمرو رضي الله عنه في المجتمع الجديد، إنما هو مجرد وسيلة وليس غاية في حد ذاته، لمتطلبات البناء السلمي الذي يفتقر إلى الاستقرار والهدوء[2].

المطلب الرابع
ادخار القوى

لقد كانت قوات المسلمين في جميع الحروب التي خاضوها أقل من قوات أعدائهم. ولهذا فكّر القادة العسكريون اقتداءً بالرسول القائد ﷺ في إيجاد البديل الذي يعوِّض عن هذا النقص في العدد والمعدات، فطبقوا مبدأ ادخار القوى.

ومن هؤلاء القادة: عمرو بن العاص رضي الله عنه فقد كان يحسن تطبيق هذا المبدأ كلما دعته الضرورة إليه.

ومن الأمثلة على ذلك: أن عَمْراً رضي الله عنه عندما أراد فتح أَجْنَادَيْن وجد أن (أرطبون) الروم قد وضع قوتين لهما شأنهما في كل من (إِيلِيَاء)[3] و (الرَّمْلَة)[4]. ففصل عمرو من جيشه قوتين صغيرتين وعيّن على كل واحدة

---

(1) بِلْبِيس: مدينة بمصر بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ وعلى طريق الشام. انظر: معجم البلدان ١/ ٤٧٩.

(2) انظر فتوح مصر والمغرب ص ٢٣٨؛ وعمرو بن العاص ص ١٣٦، ١٣٩: لبسام العسلي.

(3) إِيلِيَاء: اسم لمدينة (بيت المقدس)، ومعناه: بيت الله، وقد سميت باسم بانيها، وهو إيلياء بن آرم بن سام بن نوح عليه السلام. انظر: معجم البلدان ١/ ٢٩٣.

(4) الرَّمْلَةُ: إحدى مدن فلسطين وتقع غرب بيت المقدس، قرب الساحل، وقد سكنها مجموعة من العلماء فنُسبوا إليها، وكانت رباطاً للمسلمين، ولما ولِّي الوليد بن عبد الملك أخاه ولاية الجند في فلسطين: نزل الرملة ولم يزل ولاة بني أمية كذلك. وهي الآن =

منهما قائداً وأمرهما بمنع أي تحرك لقوات الروم إلى (أَجْنَادَيْن)، أما القوة الرئيسة فإنه جعل مهمتها مقاتلة جيش الروم. وبهذا الأسلوب تحقق لعمرو النصر على أعدائه الرومان[1].

المطلب الخامس
خفة الحركة

كان عمرو رضي الله عنه يؤمن بمبدأ خفة الحركة ويحسن تطبيقه في الوقت المناسب. ومن الأمثلة على ذلك: أن عمراً رضي الله عنه عندما احتل (طَرَابُلُس) أمر قواته بالتوجه إلى صَبْرا ـ ليلاً ـ فتحركت القوات بقيادة عبد الله بن الزبير فدخلها صباحاً واستسلم أهل المدينة دون قتال. وفي ذلك يقول ابن عبد الحكم: (كان من بـ (سَبْرَتْ)[2] متحصنين... فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة طَرَابُلُس وأنه لم يصنع فيهم شيئاً ولا طاقة له بهم آمنوا).

فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة طَرَابُلُس جرَّد خيلاً كثيفة من ليلته وأمرهم بسرعة السَّير فصبّحت خيله مدينة (سَبْرَت) وقد غفلوا وقد فتحوا أبوابهم لتسرح ماشيتهم فدخلوها فلم ينج منهم أحد واحتوى جند عمرو على ما فيها ورجعوا إلى عمرو[3].

= تحت الاحتلال الإسرائيلي. انظر: معجم البلدان ٣/٦٩؛ ومعجم معالم السيرة النبوية ص ١٨.

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/٦٠٥؛ والمدرسة العسكرية الإسلامية ص ٦٠٩، ٦١٠.

(٢) سَبْرَت: مدينة كورة طرابلس المغرب قرب نبارة وقد كان السوق القديم في سَبْرَت ونقل منها إلى نبارة. مراصد الاطلاع على أسماء البقاع ٢/٦٨٩، تأليف عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، سنة (١٣٧٣هـ)، دار إحياء الكتب العربية ـ بالقاهرة.

(٣) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص ٢٣١؛ وانظر المدرسة العسكرية الإسلامية ص ٦١٧.

المبحث الرابع
أعمال عمرو رضي الله عنه

لمَّا أسلم عمرو ـ رضي الله عنه ـ قام بأعمال جليلة في عهد الرسول ﷺ وصاحبيه، ـ رضي الله عنهما ـ تتلخَّص في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول
أعماله في عهد الرسول ﷺ

أولاً: قيادة سرية ذات السلاسل لصد هجوم قضاعة على المدينة[1].

ثانياً: هدم سواع بعد فتح مكة[2].

ثالثاً: دعوة ابنَيْ الجلندي (جيفر وعباد) إلى الإسلام. وقد ذهب عمرو رضي الله عنه إلى عُمَان[3] ودعاهما إلى الإسلام وصدَّقا بالنبي ﷺ وخلَّيا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بين قومهم وكانا له عوناً على من خالفه[4].

---

(١) انظر سرية ذات السلاسل في ص ٥٢٠ وما بعدها.

(٢) انظر هدم سواع في ص ٢٣٧، ٢٣٨.

(٣) عُمَان بضم العين وفتح الميم المخففة: هو اسم للمنطقة التي تقع في الجهة الجنوبية الشرقية لجزيرة العرب، وتشتمل على مدن كثيرة مثل: نزوى وصور ومطرخ وحجار وصلاله، وعاصمتها مسقط، وبعض أهلها يعتنقون المذهب الإباضي. انظر معجم البلدان ٤/ ١٥٠؛ ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٢١٦.

(٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٦٢؛ وجوامع السيرة لابن حزم ص ٢٤، ٢٩.

المطلب الثاني

أعماله في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

عقد أبو بكر الصديق لعمرو بن العاص رضي الله عنهما لواء الجهاد، ووجهه لحرب قضاعة حين ارتدت عن الإسلام[١].

ثم وجهه أبو بكر رضي الله عنه بعد ذلك إلى فلسطين، وأمره بنجدة أبي عبيدة بن الجراح ومشاورته[٢].

وفي معركة اليرموك كان عمرو رضي الله عنه على الميمنة، فكان لمشاركته أثر كبير في انتصار المسلمين[٣].

كما كان لعمرو رضي الله عنه مشاركة فعالة في حركة الفتح الإسلامي بالشام. فقد قام بمشاركة شرحبيل بن حسنة في فتح بَيْسَان[٤][٥]، وطبرية[٦][٧]، وأجنادين[٨].

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/٢٤٩، ٣٠٥؛ والكامل لابن الأثير ٢/٣٤٦.

(٢) انظر تاريخ خليفة بن خياط ١/١١٩؛ وفتوح الشام للواقدي ١/٨، ٩.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٢/٥٩٣، والكامل لابن الأثير ٢/١٥٦.

(٤) بَيْسَانُ: هي إحدى مدن الأردن بالغور الشامي، بين حوران وفلسطين، ويقال إنها الموضع الذي قتل فيه داود جالوت. انظر: معجم البلدان ١/٥٢٧؛ والروض المعطار في خبر الأقطار ص ١١٩.

(٥) انظر تاريخ الطبري ٣/٤٤٣؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤٩٨.

(٦) طَبَرِيَّة: بلدة صغيرة على شكل مستطيل، مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة (طبرية) وهي في طرف جبل، وجبل الطور مطل عليها، وهي من أعمال الأردن، في طرف الغور، بينها وبين كل من دمشق وبيت المقدس ثلاثة أيام، وبينها وبين عكا يومان. انظر معجم البلدان ٤/١٧.

(٧) انظر تاريخ الطبري ٣/٤٤٣؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤٩٨.

(٨) انظر تاريخ الطبري ٣/٦٠٥؛ والكامل لابن الأثير ٢/٤٩٨.

كمـا قـام ـ رضي الله عنـه ـ بفتح غـزة[1][2]، وسبسـطيـة[3][4]، ونـابلس[5][6]، واللُّدِّ[7][8]، ويُبْنَى[9][10]، وعَمَـواس[11][12]، وبـيت[13] جبرين[14]، ويافا[15][16]، وَرَفَح[17][18]،

---

(١) غَزَّة: بلدة في فلسطين، في أقصى الشام من جهة مصر، وهي غـربـي عسقلان وبينهما فرسخان أو أقل، وقد سميت بـ (امرأة صور) الذي بنى صور بالساحل في لبنان. انظر معجم البلدان ٤/٢٠٢.

(٢) انـظر تاريـخ الطبري ٣/٦٠٣؛ وفتوح البلدان ص ١٦٤.

(٣) سَبَسْطِيَة: بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين بيت المقدس يومان وبها قبـر زكريـا وابنه يحيى عليهما السلام وعـدد من الأنبياء والصـديقين، وهي من أعمـال نابلس. انـظر: معجم البلدان ٣/١٨٤.

(٤) انـظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٩.

(٥) نـابُلُس: مدينـة مشهورة في فلسـطين تقـع بين جبلين، بينهـا وبين بيت المقـدس عشرة فراسـخ، وتقـع الآن تحت الاحتلال الإسرائيلي. انظر: معجم البلدان ٥/٢٤٨.

(٦) انـظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٩.

(٧) اللُدُّ: مـدينة بفلسـطين، قريبـة من بيت المقدس، ببـابها يُـدرك عيسى بن مـريم عليـه السلام الدجال فيقتله. انظر: معجم البلدان ٥/١٥.

(٨) انـظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٩.

(٩) يُبْنَى بلفظ الفعل الذي لم يسمّ فاعلـه بلد صغير بفلسطين، يقـع قرب الـرملة. انظر: معجم البلدان ٥/٤٢٨.

(١٠) انـظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٩.

(١١) عَـمَواس: بلد في فلسطين، قرب بيت المقدس، بينهـا وبين الـرَّمْلَة ستة أميـال، وإليها يُنسب الطاعون الـذي ظهر في خلافة عمـر بن الخطاب فيقـال: «طاعـون عمواس». انـظر معجم البلدان ٤/١٥٦؛ والروض المعطار في خبر الأقطار ص ٤١٥.

(١٢) انـظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٩.

(١٣) بيت جبرين: بلدة صغيرة في فلسطين، تقـع قرب الساحل، غرب بيت المقدس بنحـو مرحلتين، بينها وبين غزة أقل من ذلك. انـظر معجم البلدان ١/٥١٩.

(١٤) انـظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٩.

(١٥) يافا: مدينة في فلسطين، تقـع على ساحل بحر الشام (الساحل المواجه لسـوريا)، بـين قيسارية وعكا. انظر معجم البلدان ٥/٤٢٦.

(١٦) انظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٩٩.

(١٧) رَفَح: مدينة في طريق مصر، بعد الداروم، بينها وبين عسقلان يومان للقـاصد مصر، وبينها وبين غزة ثمانية عشر يوماً، وأهلها من لخم وجذام. انظر: معجم البلدان ٣/٥٤.

(١٨) انـظر تاريـخ الطبري ٣/٦٠٧ وما بعدها.

وبيت المقدس[1].

ولم يقتصر عمرو رضي الله عنه على فتح بلاد الشام، وحدها، بل شمل أيضاً بعض بلاد مصر، حيث كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصدر أمره إلى عمرو رضي الله عنه بعد الفراغ من فتوح الشام أن يسير بمن معه من الجند إلى مصر. فخرج رضي الله عنه حتى وصل إلى العريش[2]، ففتحها.

كما شملت حركة الفتح أيضاً: الفرما[3]، والفسطاط[4][5]، وحصن[6] بابليون[7]، وعين شمس[8]،

---

(١) بيت المقدس: موضع بفلسطين، ويُطلق على المكان الذي يوجد به المسجد الأقصى، أحد المساجد الثلاثة التي يُشرع لها شد الرحال في الإسلام. انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٢٩٢.

(٢) العريش: مدينة في أول مصر، من ناحية الشام على ساحل بحر الروم، (البحر المتوسط)، في وسط الرمل، بينها وبين الواردة ثلاثة فراسخ، ومنها إلى رفح اثنا عشر فرسخاً. انظر معجم البلدان ٤/١١٤.

(٣) الفَرَما: أول مدينة في مصر من جهة الشمال، وتقع على الساحل، بينها وبين البحر الأخضر ثلاثة أميال وليس بها زرع ولا ماء يُشرب إلا ماء المطر. انظر: معجم البلدان ٤/٢٥٥؛ والروض المعطار في خبر الأقطار ص ٤٣٩.

(٤) الفُسْطَاط: مدينة كبيرة بمصر بناها عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ بعد رجوعه من فتح الإسكندرية وبنى بها مسجدا عرف باسمه فيا بعد، يأتيها نهر النيل من أعلى أراضيها، فيجتاز بها من ناحية جنوبها وينعطف مع غربها. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٤٤٢.

(٥) انظر فتوح البلدان ص ٢١٤.

(٦) حصن بابليون هو: اسم لموضع الفسطاط الذي ضرب فيه عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ بيتاً من أدم وينسب إلى بابليون الذي كان ملكاً على مصر في زمن إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ انظر معجم البلدان ١/٣١١، ٤/٢٦٣.

(٧) انظر فتوح مصر والمغرب ص ٩٤، ٩٥: لابن عبد الحكم.

(٨) عين شمس: هي اسم لمدينة فرعون موسى بمصر بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ، وتقع في شمال شرق القاهرة. ومن الجدير بالذكر أن إحدى جامعات القاهرة تحمل اسم هذه المدينة الآن. انظر معجم البلدان ٤/١٧٨.

والفيوم[١]، والأشمونين[٢]، وأخميم[٣]، والبشرود[٤]، وتنيس[٥]، ودمياط[٦]، وتونة[٧]، ودميرة[٨]، وشطا[٩]، ودقهلة[١٠]، وبنا[١١]، ــــــــــ

---

(١) الفَيُّوم: ولاية غربية في مصر بها قرى كثيرة وتقع في منخفض من الأرض، بينها وبين الفسطاط أربعة أيام، قيل: إن سبب تسميتها بذلك أن خراجها ألف دينار كل يوم. انظر معجم البلدان ٤/٢٨٦؛ والروض المعطار في خبر الأقطار ص ٤٤٥.

(٢) مدينة قديمة في مصر، وهي قصبة كورة من كور الصعيد ذات بساتين ونخل كثير سميت باسم عامرها وهو أشمن بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام. انظر معجم البلدان ١/٢٠٠.

(٣) أَخْمِيم: هي إحدى مدن مصر وتقع في الجانب الشرقي من النيل بصعيد مصر، فيها أسواق وحمامات ومساجد كثيرة ومبانٍ وآثار عجيبة. انظر الروض المعطار في خبر الأقطار ص ١٥.

(٤) البشرود: كورة من كور بطن الريف بمصر. انظر معجم البلدان ١/٤٢٨.

(٥) تِنِّيس: جزيرة في وسط بحيرة مفردة، يحيط بها البحر من جميع الجهات وتقع بين أنوما ودمياط، وسميت باسم تنيس بنت دلوكة، وهي العجور صاحبة حائط العجوز بالقاهرة. انظر: معجم البلدان ٢/٥١، ٥٢.

(٦) دِمْيَاط: مدينة قديمة بين تِنِّيس ومصر، على زاوية بين بحر الروم المالح والنيل. وقد قيل: إنها هي القرية التي كانت حاضرة البحر المذكورة في القرآن الكريم. انظر: معجم البلدان ٢/٤٧٢، ٤٧٣.

(٧) تُونَة: جزيرة قرب تِنِّيس ودمياط، يضرب المثل بحسن معمول ثيابها، وطرازها. انظر: معجم البلدان ٢/٦٢.

(٨) دَمِيرَةُ بفتح الدال وكسر الميم وفتح الراء: قرية كبيرة بمصر، قرب دِمياط. انظُر: معجم البلدان ٢/٤٧٢.

(٩) شَطَا: بلدة صغيرة بمصر، تنسب إليها الثياب الشطوية، وهْي على ثلاثة أميال من دمياط على ضفة البحر المالح (البحر المتوسط). انظر معجم البلدان ٣/٣٤٢.

(١٠) دَقَهْلة: بلدة بمصر، تقع على شعبة من النيل، تبعد عن دمياط أربعة فراسخ، وعن دميرة: ستة فراسخ، وهي الآن تابعة لمحافظة الشرقية. انظر معجم البلدان ٢/٤٥٩.

(١١) بَنَا: بلدة قديمة بمصر، بينها وبين الفسطاط ثمانية عشر ميلاً ومنها إلى سَمَنُّود ميلان. انظر معجم البلدان ١/٤٩٥.

وبوصير[1] (بنا)[2]، والإسكندرية[3][4]، وبلاداً إفريقية أخرى مثل: برقة[5] وزويلة[6]، وطرابلس[7][8].

● **كلمة حق:**

إن مما يجب التنويه به في هذا المقام أن حرص عمرو على تولي القيادة العسكرية وغيرها من الولايات إنما كان يدفعه إلى ذلك الإخلاص للإسلام والمسلمين والرغبة في ثواب الله تعالى ويدل على هذا الأمر ما يأتي:

أولاً: شهادة الرسول ﷺ له بالإيمان[9].

---

(١) بُوَصِيْر: اسم لأربع قرى بمصر، هي بُوصير قوريدس، وبُوصير السِّدْر، وبُوصَيْر دَفَدْنو، من كورة الفيوم، وبوصير بنا، والمراد بهذه الترجمة البلدة الأخيرة، وهي من كورة السَّمَنُّودِيَّة. انظر معجم البلدان ١/٥٠٩، ٥١٠.

(٢) انظر فتوح البلدان ص ٢١٨.

(٣) الإسكندرية: من كبرى مدن مصر، بناها الإسكندر بن فيلبش، وتقع على ساحل البحر المالح (البحر المتوسط)، ويربطها بالقاهرة طريق معبّد طوله (٢١٠) كيلو متراً، وبها جامعة كبيرة تحمل اسم المدينة. انظر الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٥٤.

(٤) انظر فتوح مصر والمغرب ص ١٠٦؛ وفتوح البلدان ١/٢٢١، ٢٢٥.

(٥) بَرْقة: مدينة كبيرة قديمة، بين الإسكندرية وإفريقية، وهي أول مرحلة ينزلها القادم من مصر إلى القيروان بينها وبين البحر ستة أميال، وهي الآن تابعة للمملكة المغربية. انظر الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٩١.

(٦) زُوَيْلَة: مدينة كبير قديمة في الصحراء، قريبة من بلاد كاغم وهي من السودان وتتبع الآن لليبيا. انظر: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ص ١٤٦: لكاتب مراكشي (مجهول)، من كُتّاب القرن السادس الهجري، نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية.

(٧) طَرَابُلُس: (أو أَطْرَابُلُس): مدينة في آخر أرض برقة، وأول أرض إفريقية وتقع على شاطىء البحر المتوسط، وهي الآن من أكبر وأشهر مدن ليبيا. انظر معجم البلدان ١/٢١٧، ٤/٢٥.

(٨) انظر فتوح مصر والمغرب ص ٢٢٩، ٢٣٢؛ وفتوح البلدان ص ٢٢٥، ٢٢٧؛ وجوامع السيرة ص ٣٤٣: لابن حزم.

(٩) انظر نص الحديث الذي يدل على هذه الشهادة في المنقبة الثانية لعمرو رضي الله عنه في ص ٦٢٥.

ثانياً: جوابه للرسول ﷺ لمَّا دعاه إلى الاستعداد لغزوة ذات السَّلاسِل.

عن موسى بن علي عن أبيه قال: سمعت عمرو بن العاص يقول: (بعث إليّ رسول الله ﷺ فقال: «خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتني» فأتيته وهو يتوضأ فصعَّد فيَّ النظر ثم طأطأه فقال: «إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك وأرغب لك من المال رغبة صالحة»، قال: قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكني أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ فقال: «يا عمرو نعم المال الصالح للرجل الصالح»)[1].

ثالثاً: بكاؤه عند موته وخوفه من الله في تلك الولايات التي صارت إليه. وقد ورد في صحيح مسلم ما يدل على ذلك في حديث طويل: (عن ابن شماسة المهري قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلاً وحوَّل وجهه إلى الجدار... (وفيه قال): ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها...)[2].

ففي هذه البراهين الساطعة قطع لألسنة المتقوّلين الذين يتّهمون عَمْراً بأنه إنما آمن طمعاً في المال أو حباً للرئاسة.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد بهذا اللفظ في المسند ١٩٧/٤، ٢٠٢.
وأخرجه الحاكم في كتاب البيوع في باب لا بأس بالغنى لمن اتقى، ثم قال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التخليص. المستدرك على الصحيحين ٢/٢.
وأخرجه ابن حبان في كتاب المناقب، باب فضل عمرو بن العاص، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ٥٦٦.
وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٣٥٣/٩، ثم قال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح.

(٢) هذا جزء من حديث سبق تخريجه في ص ٦٢٤.

الخاتمة

وبعد فراغي من تسطير صفحات هذا البحث خرجت بالنتائج الآتية:

● **أولاً ـ فيما يتعلق بالقيادة والقائد:**

١ ـ أن القيادة تُعَدّ أول الأسس التي تقوم عليها الحياة العسكرية وقد ثبتت مشروعيتها بسنّة الرسول ﷺ القولية والفعلية.

٢ ـ أن هذه القيادة لا بد أن تقوم على مبادىء أساسية تكمن في معرفة القائد نفسه وعمله وجنوده وتوضيح الأهداف لهم مع تذكيرهم بها دائماً وتعويدهم على تحمل المسؤولية والمحافظة على أرواحهم.

٣ ـ أن للقيادة العسكرية صنفين هما: الإرغامية والإقناعية. والقيادة الحكيمة هي التي تجمع في قيادتها للجند بين أسلوب الإقناع والتوجيه مع الأخذ بأسلوب الإلزام في حالة الضرورة.

٤ ـ أن للقائد العسكري في عهد الرسول ﷺ صفاتٍ[1] معينة ويجب على ولاة الأمر في الأمة الإسلامية مراعاتها عند تولية قادة العساكر حتى تتحقق المصلحة من توليتهم هذه الإمارة.

٥ ـ وجوب تقدير المصلحة العامة عند تعيين القائد أو عزله وأنه إذا كان يترتب على العزل تولية من هو أقل كفاءة منه ففي هذه الحالة لا يجوز هذا التصرف لما فيه من تفويت مصلحة على المسلمين من غير معارض يوجب ذلك.

---

(١) انظر تفصيل هذه الصفات من ص ٢٩ ـ ٣٦.

٦ ـ أن للقائد حقوقاً محدَّدة يجب إعطاؤه إياها حتى يستطيع القيام بوظيفته العسكرية على الوجه المطلوب.

فله حق في بيت مال المسلمين لأنه حبس نفسه على مصلحة الجيش، كما أن له حقوقاً على مرؤوسيه في وجوب طاعته ومناصرته وتأييده والنصح له وتسديده، وله حق اتخاذ القرار النهائي وإلزام الجند به سواء كان ناتجاً عن مشاورة أو عن اقتناع ذاتي، وله الحق أيضاً في أن يبيح لجنده الأكل من الغنيمة قبل قسمتها عند حاجتهم إلى ذلك.. ومن حق القائد على جنده ألا ينازعوه في الغنائم وأن يرضوا بقسمته بينهم لما في ذلك من قطع دابر الشحناء والضغائن التي تؤثر في قلوب الجند فتفقدهم الثقة في قيادته وعدم طاعته على الوجه المطلوب.

٧ ـ أن يتعيّن على القائد العسكري المسلم واجبات محددة تتلخص في الآتي:

أولاً: يجب عليه تجاه جنده أن يتخذ عليهم حرساً وأن يجعل لكل طائفة معينة شعاراً يعرف بعضهم بعضاً به، وأن يعرِّف عليهم العرفاء حتى يسهل عليه الاتصال بهم ومعرفة أحوالهم، كما يتعين عليه أن يقيم العدل بينهم قولاً وفعلاً، وأن يقضي على الظلم أياً كان مصدره أو سببه، وأن يقوم بنصحهم ودلالاتهم على ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم حتى يمكنهم القيام بواجبهم على الوجه المطلوب.

ثانياً: إتلاف ممتلكات العدو لما في ذلك من النكاية به ودفع بغيه وظلمه.

ثالثاً: وقف القتال متى وُجِدَ سبب يقتضي ذلك حتى لا تزهق أرواح بريئة بلا مُوجِب ولا تذهب جهود في غير منفعة.

رابعاً: توفير الوسائل التي تساعد على تحقيق النصر سواء كان من الجانب المادي أم المعنوي.

خامساً: اتخاذ مجلس للشورى للتوصل إلى رأي سديد في الأمور التي لم يرد فيها نص شرعي.

سادساً: إعلان الحرب على الأعداء إذا كانت قد بلغتهم دعوة الإسلام وقامت عليهم الحجة.

سابعاً: تحديد المحاربين الذين يجوز قتلهم وتحديد من لا يجوز قتلهم حتى يكون الجند علي بيِّنة من هذا الأمر.

● **ثانياً ــ فيما يتعلق بالصفات القيادية التي تحلى بها النبي ﷺ في أثناء قيادته للغزوات فقد تبين أنها تتلخص في الآتي:**

ثبات النفس ــ بُعْد النظر ــ قوة الإرادة ــ حسن السِّياسَة ــ فقه مبادىء الحرب والأخذ بها ــ المقدرة على اتخاذ القرار الصحيح والسَّريع ــ المحبة المتبادلة بين القائد وجنده ــ معرفة نفوس أصحابه ودرايته بقدراتهم واستعداداتهم ــ قوة الشَّخصية المؤثرة.

وقد خرجتُ من الغزوات السبع التي كتبت عنها بدروس قيادية متعددة يتحقق ــ إن شاء الله ــ من تطبيقها المصلحة وتزول كثير من المفاسد الواقعة أو المتوقعة سواء كان الأخذ بها قبل المعركة أم في أثنائها أم بعدها.

وتتلخص نتائج الدروس المشتركة بين الغزوات فيما يأتي:

١ ــ أن الرسول ﷺ حرص على جمع المعلومات الوافية بشتى الوسائل عن أعدائه في وقت مبكر حتى يكون لديه التصور الكامل عن هذا العدو ومن ثم يمكنه وضع الخطط الحربية المناسبة عند المواجهة، وقد تمثل ذلك في غزوة بدر وأحد والخندق وصلح الحديبية وفتح مكة وحنين وتبوك.

٢ ــ أن الرسول ﷺ طبَّق الشورى بقوله وفعله. ومن ذلك تطبيقها في الغزوات السَّبع التي سبق الكلام عنها ولم يؤثَر عنه ﷺ أنه ترك المشاورة في الشؤون الحربية إلا إذا كانت المصلحة العامة تقتضي عدم المشاورة فإنه يلجأ

إلى ذلك كما في تركه مشاورة الصحابة عندما أراد أن يعقد الهدنة مع المشركين في صلح الحديبية.

٣ ـ أنه ﷺ قرر مشروعية تطبيق مبدأ الكتمان بقوله وفعله واتخذ كل الوسائل الممكنة في سبيل حرمان أعدائه من معرفة مقاصده وخططه. وذلك لما يترتب على تطبيقه من مصالح، أبرزها: مباغتة العدو قبل أن يعدَّ العُدة اللازمة، ولما يترتب على ذلك أيضاً من دفع المفاسد عن الجيش، ومن أبرزها: حرمان الأعداء من الحصول على المعلومات التي تجعله يُعِدُّ العُدَة اللازمة لمواجهة هذا الجيش ومن ثم تذهب جميع الخطط والتدابير التي أعدتها القيادة أدراج الرياح.

وقد برز تطبيق الرسول ﷺ لهذا المبدأ في غزوة بدر وأحد والخندق والحديبية وفتح مكة.

٤ ـ أن حماية القائد من متطلبات النصر في المعركة لأن قيامه على رئاسة الجيش أمر ضروري حتى يقوم بتوجيه الجند إلى ما يحقق لهم المصلحة ويدفع عنهم المفسدة في ميدان الحرب.

وقد اهتم النبي ﷺ باتخاذ الحرس من أجل رد كيد أعدائه عنه، وحتى يكون هذا الأمر سنّة يسير عليها أمراء الجيوش الإسلامية من بعده لتحقيق هذا الغرض نفسه. وقد برز تطبيق ذلك في غزوتي بدر والخندق.

٥ ـ مشروعية الأخذ بالأساليب المبتكرة في القتال. ولهذا فإنه يلاحظ أن النبي ﷺ أخذ ببعض الأساليب الجديدة في القتال التي من شأنها أن تحقق المصلحة لجيش المؤمنين.

وذلك كما في أخذه ﷺ بأسلوب الصفوف يوم بدر وفي حفر الخندق في غزوة الأحزاب وفي نصب المنجنيق والدبابة والحسك الشائك عند حصاره ﷺ لأهل الطائف.

وفي أخذه ﷺ بهذه الأساليب تنبيه إلى ما ينبغي أن يُعْنى به القادة

العسكريون من تطوير أساليب القتال والأخذ بكل جديد نافع من الأسلحة.

٦ ــ أن توحيد قيادة الجيش له أثر في كسب نتائج المعركة وهذا ما أثبتته نتائج الحروب الإسلامية.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك غزوتا بدر والخندق فقد تحقق فيهما النصر للمؤمنين على أعدائهم ويرجع ذلك إلى وحدة القيادة في جيش المؤمنين وتعددها في جيش المشركين.

٧ ــ أنه يجوز للإمام أو من ينيبه عقد صلح مع الأعداء سواء كان بمال أو بدونه على ترك محاربتهم لكن بشرط أن تحقق هذه الهدنة مصلحة للمسلمين أو تدفع عنهم مفسدة.

وقد تجلّى ذلك في محاولته ﷺ عقد صلح مع قائدي غطفان ــ عند محاصرة جيوش الأحزاب للمدينة ــ وفي عقد صلح الحديبية مع قريش.

٨ ــ مشروعية شن الحرب النفسية بمختلف الوسائل ضد الأعداء من أجل إرهابهم وإضعاف معنوياتهم وذلك لأن في الأخذ بهذا الأسلوب ــ في الجانب العسكري ــ توفيراً لكثير من طاقات الأمة سواء كانت بشريةً أم ماديةً مع تأثيرها في صفوف الأعداء.

وقد تجلى تطبيق هذا الفن العسكري في غزوة أحد وقُبَيْل وصول النبي ﷺ إلى مكة عند ذهابه لفتحها.

٩ ــ مشروعية مراعاة القائد ظروف جنده التي تمنعهم من المشاركة في القتال. وذلك لسببين:

الأول: أن الشريعة الإسلامية قد رفعت الحرج عن أصحاب الأعذار في أثناء قعودهم عن القتال.

الثاني: أن ميادين القتال تعتمد على المقاتل المتكامل أما من يقاتل وهو ضعيف البُنْية أو هَمُّه ونفسه منصرفان إلى شيء آخر فإن وجوده في الجيش يعدُّ عاملَ ضعف قد يكون سبباً في هزيمة الجند وخذلانهم.

١٠ ـ أن اختيار المكان الذي تتحقق فيه حماية الجند من كيد أعدائهم يُعَدّ أمراً مهماً وهذا لا يتأتّى إلا إذا كانت ظهورهم محمية من الخلف لأن العدو ـ غالباً ـ ينتهز كل غفلة من خصمه فيباغته فيها.

وقد كان النبي ﷺ يحرص دائماً على اختيار المكان الذي تتحقق فيه حماية ظهور جنده وذلك كما في غزوتي أحد والخندق.

١١ ـ أن حالة الروح المعنوية (قوةً وضعفاً) لها أثر فعَّال على نتائج المعركة التي يخوضها المجاهدون ضد أعدائهم، لذا فإنه يجب تقوية الروح المعنوية لدى المجاهدين، والقضاء على الأسباب التي تؤدي إلى ضعفها.

ومن أبرز الأمثلة على عناية الرسول ﷺ بهذين الأمرين أنه في غزوة بدر أذن لثلاثة من الصحابة في مبارزة أكفائهم من قريش فكانت نتيجتها لصالح المؤمنين فقويت أرواحهم بهذا النصر.

وفي غزوة أحد قام ﷺ بردّ من كان سنه دون البلوغ لأن هؤلاء ليسوا أهلاً للقتال، كما خرج بالمؤمنين بعد انتهاء الغزوة إلى حمراء الأسد، وقد قصد ﷺ بهذين الفعلين القضاء على أسباب ضعف الروح المعنوية سواء كانت واقعة أم متوقعة.

١٢ ـ أن من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها القائد العسكري: العدل والتواضع.

وذلك لأن العدل هو أساس الحكم النزيه بين أي جماعة ومن ذلك القائد العسكري مع جنده فإذا كان يتحلى بالعدل بينهم دون مَيْل مع أحد لقرابة أو نسب أو معرفة أو جَوْر على أحد لعداوة أو هوى فإنه يكون محبَّباً إلى مرؤوسيه. أما إذا كان يتصف بخلاف ذلك فإنه يكون مبغَضاً في نفوسهم.

وقد برز تحلّي الرسول ﷺ بهذه الصفة في غزوة بدر عندما كان يسوي صفوف أصحابه للقتال.

وكذلك الأمر بالنسبة لخلق التواضع، فإذا كان القائد متواضعاً لجنده

يعيش بينهم كأي فرد منهم فإنه يكون محبباً لدى نفوسهم، أما إذا كان يتصف بالكِبْر والترفّع عليهم فإنه لا يلقى التقدير الذي يجده من كان التواضع سجية له لا تكلّف فيها.

وقد برز تطبيق هذه الصفة عندما كان الرسول ﷺ يُقَدِّم الطعام بنفسه إلى الصحابة في بيت جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما.

١٣ ـ أنه يتعين على قائد الجيش قتل من ظهرت المصلحة في قتله من أسرى الأعداء وذلك إذا كان يُعرف بإيذاء المسلمين أو إثارة الحرب ضدهم أو نقل أخبارهم إلى أعدائهم أو نحو ذلك كما في قتل النبي ﷺ النضر بن الحارث بن علقمة وعُقبة بن أبي مُعَيْط بعد غزوة بدر وفي قتل أبي عَزّة الجُمَحي ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاص بعد غزوة أحد.

١٤ ـ أن ثبات القائد في ميدان القتال له أثر في كسب نتائج المعركة لصالح جيشه لأن الجند إذا رأوا قائدهم ثابتاً وسط المعركة حملهم ذلك على الاقتداء به.

وقد كان النبي ﷺ قدوة حسنة في التحلي بهذه الخصلة في جميع الميادين الحربية التي خاضها ضد أعداء الإسلام ومن ذلك غزوة أحد والخندق وحنين.

١٥ ـ أن تطبيق حرب الدعاية يؤثر على معنويات الأعداء مما يجعلهم في بعض الأحيان يغيِّرون من مواقفهم العدوانية ضد خصمهم.

ومن الأمثلة على ذلك ما فعله الرسول ﷺ في صلح الحديبية عندما أمر أصحابه ببعث البُدْن أمام سفير قريش كما أمرهم باستقباله وهم يلبون بهدف إظهار مقاصده السلمية لقريش.

كما فعل مثل ذلك في فتح مكة عندما أمر ﷺ عمه العباس رضي الله عنه بحبس أبي سفيان عند مضيق الجبل حتى يرى مدى ما وصل إليه الجيش الإسلامي من تنظيم وتسليح لكي ينقل ما عاينه إلى قومه فيكفوا عن مقاومة

الجيش الفاتح عند دخوله مكة. وقد تحقق للنبي ﷺ الهدف من تطبيق هذه الحرب في ذلك الموقفين.

١٦ ـ أنه ينبغي للقائد مراعاة المصلحة العامة عند اختيار المكان الذي يواجه فيه عدوه لأن الظروف المكانية لها أثر على نتائج المعركة التي تحدث فيها فقد يكون بعضها أصلح من بعض لأسباب معينة.

وقد راعى النبي ﷺ تلك المصلحة عندما ذهب لقتال هوازن في حنين حيث قدَّر ﷺ أن دخولهم مكة يترتب عليه مفاسد كبيرة تلحق بالجيش.

وقد فعل مثل ذلك عندما علم ﷺ بغزو الروم لبلاد المسلمين فرأى أن مواجهتهم على حدود بلادهم فيه مصالح متعددة لجند الإسلام.

* * *

أما نتائج الدروس الخاصَّة بكل غزوة فتتلخص فيما يأتي:

● أولاً ـ غزوة بدر الكبرى:

١ ـ الاستفادة من الظروف الطبيعية في أثناء قتال الأعداء وذلك لما ثبت من تأثيرها في ميزان المعركة التي تستعمل فيها.

ومن الأمثلة على استفادة الرسول ﷺ من هذه الظروف استدباره الشمس يوم بدر حتى لا تتسبب في ضعف أبصار الجند فتقل مقاومتهم لأعدائهم وفي استقبال الأعداء للشمس إلحاق الأذى بهم.

وفيما فعله ﷺ إرشاد للقادة العسكريين من هذه الأمة إلى الاستفادة من الظروف الطبيعية لما يحققه ذلك من المصلحة لهم.

٢ ـ أنه ينبغي أن يأخذ القائد بأسلوب القيادة المناسب في الوقت المناسب لأن لكل موقف أسلوباً يناسبه فإذا كان الموقف ـ مثلاً ـ يتطلب الإقناع واستعمال أسلوب اللين فينبغي أن يُصار إليه. وأما إذا كان الموقف يستدعي الحزم فإنه يتعين الأخذ به.

٢ ـ مشروعية تحريض القائد جنده على قتال الأعداء بالوسائل التي

يراها مناسبة لاختلاف ذلك باختلاف المواقف الحربية ونفوس المقاتلين.

ومما يدل على تنويع وسائل التحريض أن الرسول ﷺ كان تارة يبين لأصحابه منزلة من قُتِلَ منهم في سبيل الله وأحياناً كان يبشرهم بالنصر والظفر وتارة ثالثة كان يَعِدُ من قتل قتيلاً أن يعطيه سلبه، لأن في التحريض بهذه الوسائل تذكيراً بخيري الدنيا والآخرة.

٤ ـ ينبغي أن يراعي قائد الجيش المصلحة العامة في أسرى الحرب لأنهم يتفاوتون من حيث النفع للمسلمين أو إلحاق الضرر بهم. ومتى ظهرت المصلحة في إحدى الخصال الأربع الآتية أكثر من غيرها فله أن يفعلها وهي:

الأولى: القتل.

الثانية: المفاداة.

الثالثة: المنُّ.

الرابعة: الاسترقاق.

● **ثانياً ـ في غزوة أحد:**

١ ـ أن مخالفة أمر القائد تُعَدّ أمراً خطيراً لما ينتج عنها من المفاسد المتعددة من التفرق وذهاب الريح وتسلط الأعداء عليهم. وأهمُّ من ذلك كله تأخّر النصر الذي هو من أهم أهداف القتال.

والدليل على ذلك ما حدث للمسلمين من مصائب عندما ترك الرماة مواقعهم في الجبل رغم أن الرسول ﷺ أكّد عليهم مراراً عدم مغادرته.

٢ ـ ضرورة التعبئة المعنوية للجند قبل القتال وذلك لأن التعبئة المعنوية في مواطن الحروب بمنزلة الروح من الجسد فإذا فقدت فلا حياة له.

وقد كان النبي ﷺ يُولي هذا الأمر اهتماماً كبيراً عند مواجهة الأعداء، ومن ذلك ما فعله يوم أحد عندما خطب جنده فحثهم على الجد والنشاط والصبر عند الكروب وبيّن لهم مساوىء الاختلاف والتنازع.

٣ ـ مشروعية استثارة روح المنافسة الشريفة بين الجند حتى يكون ذلك دافعاً إلى الاستبسال والشجاعة.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما فعله ﷺ في هذه الغزوة حين عرض أمام الصحابة سيفاً واستثار روح المنافسة بينهم لأخذه والقتال به.

٤ ـ أنه ينبغي على القائد القضاء على الحرب النفسية عند صدورها من الأعداء بالحقائق الدامغة التي تقضي عليها، لأن هذه الحرب تهدف إلى إضعاف الروح المعنوية لدى من وجهت إليه وليس هناك سلاح أبلغ من الحقائق الدامغة التي تقضي عليها.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك أنه عندما أشيع قتله ﷺ يوم أحد صعد فوق مكان مرتفع ونادى في الناس بأعلى صوته فكان هذا النداء حقيقة دامغة قضت على الحرب النفسية التي وجهها المشركون إلى المسلمين في هذا الوقت العصيب.

٥ ـ أن حقيقة التوكل الذي ينبغي أن يستقر في نفس القائد هو بذل الأسباب المادية ثم تفويض الأمر إلى الله والإلحاح عليه في طلب النصر.

وقد تجلى هذا الأمر في يوم أحد عندما أمر ﷺ المسلمين بأخذ السِّلاح وحراسة المدينة.

٦ ـ أنه ينبغي على القائد أن يكون يَقِظاً لتحركات أعدائه لأن من عادة العدو أن يكون متربصاً بخصمه يتحيّن كل فرصة للوقيعة به.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك أن النبي ﷺ بعد غزوة أحد بعث علي بن أبي طالب لكي ينظر ماذا يصنع كفار قريش وكان يخشى أن يعودوا إلى المدينة مرة أخرى.

وفي هذا الفعل إرشاد للقادة العسكريين إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه من حذر ويقظة لرد كيد أعدائهم كلما أرادوا النيل من المسلمين.

● **ثالثاً ـ في غزوة الخندق:**

١ ـ أن تأمين ذراري المجاهدين ونسائهم من خطر أعدائهم له أثر واضح على معنويات المقاتلين. فإذا اطمأنوا على سلامتهم سخَّروا كل إمكاناتهم لأداء الواجب الذي كُلِّفوا به.

أما إذا كانت الذراري والنساء في مكان لا تتوافر فيه الحراسة التامة فإن نفوس الجند تضطرب وهذا له أثر سلبي على القيام بواجبهم العسكري.

٢ ـ جواز بثّ الإشاعات والأراجيف بين صفوف الأعداء لإضعاف روحهم المعنوية وتثبيطهم عن القتال.

ومن الأدلة على جواز هذا الفعل أمر النبي ﷺ نُعَيْم بن مسعود الغطفاني بالتخذيل بين طوائف الأحزاب في غزوة الخندق بغرض تفريق جموعهم التي تكالبت على حرب المؤمنين.

٣ ـ أن أسلوب الترغيب والتشجيع يُقَدّم على أسلوب الأمر وذلك لأن النفس الإنسانية تستجيب لأسلوب الترغيب أكثر من غيره، ولكنه عندما لا يُجْدي فإن على القائد أن يأخذ جنده بالأسلوب الثاني وهو الأمر الجازم.

والدليل على ذلك أن الرسول ﷺ عندما أراد أن يبعث أحد الصحابة ليأتيه بخبر الأعداء عرض عليهم هذا الأمر بأسلوب فيه ترغيب وتشويق ولمَّا رأى أنه لم يستجب له أحد عيَّن واحداً باسمه وأمره بالذهاب إلى الأعداء للتَّعرف على أحوالهم.

٤ ـ مشروعية تشجيع القائد جنده على التفكير في المصلحة العامة وذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أودع في النفوس البشرية كثيراً من الطاقات التي تفيدها في أمر دنياها. واكتشاف هذه الطاقات لا يتأتى إلا إذا كان هناك تشجيع ماديّ أو أدبي يدفع الإنسان إلى التفكير والإبداع.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك التشجيع الأدبي الرفيع الذي دفع به النبيّ ﷺ سلمان الفارسي عندما أشار بحفر الخندق.

٥ ـ أن مشاركة القائد جنده في عملهم الذي كُلِّفوا به له أثر بارز في رفع معنوياتهم وبذل ما في وسعهم لأدائه. أما إذا حدث عكس هذا الأمر فإن الجند لا يبذلون من العمل إلا بالقدر الذي يجنبهم محاسبة قائدهم.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك مشاركة النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم في حفر الخندق بل كان يستأثر بالأعمال الصعبة دونهم مما جعلهم ينجزون حفره في مدة يسيرة.

٦ ـ أن مشاركة القائد جنده في آلامهم وآمالهم له آثاره الطيبة في نفوسهم مما يجعلهم ينقادون لطاعة أميرهم فيبذلون أقصى ما يستطيعون من جهد لإنجاز ما أُسند إليهم من واجب.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك مشاركته ﷺ الصحابة مدة حفر الخندق في الصبر على آلام الجوع ثم مشاركتهم في الطعام القليل الذي صنعه لهم جابر بن عبد الله رضي الله عنهم.

٧ ـ مشروعية إدخال القائد السرور على نفوس جنده بالوسائل المشروعة حتى يخفف عنهم ما يجدونه من السآمة والملل لأن النفوس بحاجة إلى الترويح الذي يجدِّد فيها النشاط ويبعث فيها الهِمَّة من أجل مواصلة القيام بواجبهم.

ومن الأدلة على مشروعية هذا الأمر أن النبي ﷺ أقر الصحابة رضي الله عنهم في فترة حفر الخندق على الأراجيز التي كانوا يرددونها وكان يمازحهم من أجل إدخال السرور على نفوسهم.

٨ ـ ينبغي للقائد أن يقدر حاجات جنده ويأذن لهم في قضائها إذا كان هناك ضرورة للمستأذن ولم يكن فيه مضرة على الجماعة مع مراعاة تقدير المصلحة العامة في حالة الإذن أو المنع.

وقد كان النبي ﷺ في أثناء حفر الخندق يقدر الضرورات التي تعرض لأصحابه فيأذن لهم في قضائها.

● رابعاً ــ في صلح الحديبية:

١ ــ مشروعية أخذ القائد بمبدأ الحيطة والحذر من الأعداء بشتى الوسائل الممكنة.

وقد أخذ الرسول ﷺ بالوسائل التي كانت في استطاعته فقام بتقديم طلائع الاستكشاف أمامه وأخذ معه السِّلاح والعتاد كما أنه تجنب مصادمة الأعداء حيث سلك طريقاً لا يمر عليهم.

٢ ــ أنه ينبغي للقائد أن يسلك جميع الطرق التي تحقق له هدفه الرئيس نصب عينيه منذ البدء فيه إلى حين تحقيقه.

ومن أبرز الأمثلة على تطبيق هذا الأمر أن الرسول ﷺ عندما خرج إلى مكة عام الحديبية اتخذ بعض الإجراءات من أجل تحقيق هدفه فقد خرج مُحْرِماً وأفسح الطريق أمام سفراء قريش وبعث سفيريه إلى قريش وردَّ الشباب المسلحين من قريش إلى قومهم دون أن يتعرض لهم أحد بسوء، كما أظهر ﷺ كامل استعداده لقبول أي خطة تعرضها عليه قريش من شأنها تحقيق هدفه.

٣ ــ مشروعية تطبيق القائد مبدأ الحياد المسلح إذا اقتضت الحاجة ذلك.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما فعله الرسول ﷺ بعد كتابة صلح الحديبية حيث حافظ المسلمون على عهودهم وانصرفوا إلى نشر دعوتهم أما مشرَّدو المسلمين فقد استمروا في التعرض لقريش وبقي المسلمون محايدين لا يتدخلون في شأن أي واحد من الطرفين حتى تنازلت قريش عن الشرط الذي اشترطته على الرسول ﷺ وهو أنه لا يأتيه رجل من المشركين ــ وإن كان مسلماً ــ إلا ردَّه إليهم.

٤ ــ مشروعية احترام القائد المعارضة النزيهة التي تصدر من بعض

الجند إذا عرف صاحبها بحسن نيته، وذلك لتشجيع بقية الجند على إبداء الآراء البنّاءة التي تخدم المصلحة العامة.

ومن أبرز الأمثلة على تطبيق هذا الأمر معارضة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشديدة للشّرط الذي اشترطته قريش والذي يتضمن: أن من ذهب من المسلمين إلى المشركين لم يردّوه إليهم ومن جاء من المشركين إلى المسلمين ردوه إليهم. ولكن الرسول ﷺ احترم هذه المعارضة لسلامة نية صاحبها وحسن مقصده.

● خامساً ـ فتح مكة:

١ ـ أنه يجب على القائد الوفاء بالعهد لأهله سواء كانوا مسلمين أو غيرهم فمتى كان بين الدولة الإسلامية وغيرها حلف فإنه يجب الوفاء بهذا العهد متى تعرض الحلفاء للظلم من عدوٍ لهم.

وقد برز تطبيق النبي ﷺ لهذه الصفة عند فتح مكة حيث غدرت بنو بكر (وهم حلفاء قريش) ببني خُزَاعة (وهم حلفاء النبي ﷺ) فأعانت قريش بني بكر على حرب خزاعة فقرر النبي ﷺ أن يثأر لحلفائه وفاءً بهذا العهد.

٢ ـ مشروعية تقديم السَّرايا أمام الجيش بغرض الإيهام لئلا تظهر مقاصد الجيش لعدوهم فيحذرهم ويستعد لصدهم عند المواجهة.

وقد برز تطبيق النبي ﷺ لهذا الأمر عندما قام بتقديم السَّرايا أمام الجيش لمَّا أراد السَّيْر لفتح مكة لكي يصرف الأنظار عن معرفة هدفه الذي تحرك من أجله.

٣ ـ مشروعية إقالة القائد عثرات ذوي السوابق الحسنة من جنده، لأن ذلك من دواعي التآلف والتناصر بين القيادة والجند وهو سبب ـ بعد مشيئة الله ـ في حصول النصر على الأعداء.

وقد ضرب النبي ﷺ في هذا الشأن أروع الأمثلة في الصفح عن زلةٍ بدرت من أحد الصحابة عندما عزم على السَّير لفتح مكة حيث قام حاطب بن

أبي بلتعة رضي الله عنه بالكتابة سِرّاً لأهل مكة يخبرهم بقدوم النبي ﷺ إليهم، فلما علم الرسول ﷺ بذلك عفا عنه.

٤ ــ أن تنظيم عناصر الجيش وحسن اختيار أفراده له أثر إيجابي عند مواجهة خصومه.

والدليل على ذلك أن تشكيل عناصر الجيش الذي توجه لفتح مكة من قبائل العرب المختلفة كان سبباً في تردّد القبائل المعادية للرسول ﷺ في نقل المعلومات عنه إلى حلفائها من قريش أو مقاومته والكيد له.

٥ ــ أنه يحسن تقسيم الجيش إلى عدة أقسام إذا وجدت مصلحة معينة تدعو إليه.

ومن الأمثلة على ذلك ما فعله الرسول ﷺ عندما أراد دخول مكة حيث قَسَّم جيشه إلى خمسة أقسام بغرض السيطرة على جميع مداخل مكة للقضاء على أية مقاومة تحدث من أهل مكة في أي جهة من جهاتها، كما قصد من هذا التقسيم تفريق قوات قريش من أجل إضعافها.

٦ ــ أنه يجوز للقائد العام عزل بعض قادة أرتال الجيش إذا كان يوجد في عزله مصلحة راجحة.

ومن الأمثلة على ذلك ما فعله الرسول ﷺ من عزل سعد بن عبادة عن كتيبة الأنصار عندما تفوه بمقالة أغضبت أبا سفيان والمهاجرين وخشي ﷺ أن يترتب على بقائه في منصب القيادة مفسدة تتعارض مع هدفه الذي وضعه نُصْبَ عينيه وهو استسلام قريش له دون أن يُسفَك دم.

● سادساً ــ غزوة حنين:

إن لتطبيق مبدأ المطاردة بعد المعركة تأثيراً عظيماً على الروح المعنوية لدى العدو حيث تكون ــ في هذا الوقت ــ قد انهارت، وهذا مما يجعله يفقد الثقة في نفسه وسلاحه وقائده.

ومن الأمثلة على تطبيق هذا المبدأ ما فعله الرسول ﷺ عندما طارد ثقيفاً

بعد هزيمتها يوم حنين حتى اضطرت إلى حصن الطائف كما بعث ﷺ سرية أخرى لمطاردة المنهزمين إلى أوطاس.

● سابعاً ـ غزوة تبوك:

١ ـ مشروعية معاقبة القائد العصاة من جنده بالأسلوب الذي يراه مناسباً لتأديبهم.

ومن الأمثلة على ذلك ما فعله الرسول ﷺ مع الثلاثة الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك من غير عذر منهم فعاقبهم ﷺ عقاباً نفسياً يتلاءم مع مكانتهم وذلك بأن هجرهم فترة من الزمن ونهى الناس عن كلامهم حتى نزلت توبتهم من السماء.

٢ ـ أن للقائد العدول عن الخطة التي اعتاد تطبيقها إذا رأى أن المصلحة العامة تقتضي ذلك.

ومن الأمثلة على تطبيق هذا الأمر أن الرسول ﷺ كان يأخذ بمبدأ الكتمان في غزواته إلا أنه في غزوة تبوك عدل عن تطبيق هذا الأمر الذي تعوَّد الأخذ به فصرَّح بالجهة التي يريدها لبُعْد المسافة التي تتطلب الإعداد المسبق لها، ولأن طبيعة العدو الذي سيواجهه المسلمون تختلف عن طبيعة الأعداء الذين واجهوهم من قبل، ثم إنه لم يعد مجال للكتمان في هذا الزمن حيث لم يبق في جزيرة العرب قوة لها خطر تستدعي مثل هذا الحشد الهائل من الرجال.

٣ ـ مشروعية مراعاة القائد ظروف جنده أحياءً وأمواتاً لأن هذا من مظاهر تكريمهم والاعتزاز بهم حتى يكون ذلك دافعاً لغيرهم إلى الاستبسال في ميادين الجهاد.

ومن أبرز الأمثلة على هذه الرعاية ما قام به الرسول ﷺ في غزوة تبوك من تجهيز عبد الله المزني، ودفنه، حيث تولى ذلك ﷺ بنفسه وعاونه على ذلك وزيراه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

٤ ــ ضرورة الاهتمام بتدريب الجند جسمياً ونفسياً لكي يسهل عليهم تحمل شدائد الجهاد والصبر عليها.

ومن أبرز الأمثلة على تطبيق هذا الأمر أن الرسول ﷺ أثناء سيره لتبوك قطع بالصحابة مسافة طويلة في ظروف جوية ومعيشية صعبة بقصد تعويدهم على تحمل الشدائد التي تَعْرِضُ لهم في ميادين الجهاد.

* * *

ومن خلال عرض أحداث سرية علقمة بن مجزز وسرية ذات السَّلاسل ومؤتة خرجت بالنتائج الآتية:

١ ــ أن طاعة الجند لقائدهم تُعَدّ أمراً واجباً إذا لم تتضمن معصية الله فأما إذا كان فيها خروج عن طاعته فلا تجب حينئذٍ. وتتبين هذه النتيجة من قصة عبد الله بن حذافة مع الجند الذين وَلِيَ الإمارة عليهم أثناء عودتهم من سرية علقمة بن مجزز عندما بيَّن الرسول ﷺ للجند أن الطاعة إنما هي في المعروف فحسب.

٢ ــ أنه يجب على القائد أن يأخذ بكل الوسائل المناسبة للمحافظة على سلامة قواته وأَمْنِهَا من كيد أعدائه.

ويتجلى هذا الأمر من سير عمرو بن العاص في غزوة ذات السَّلاسل ليلاً والاختفاء نهاراً، ومن رفضه السَّماح للجند بإيقاد النيران خشية من وقوع مفسدة أعظم وهي أنه لو امتد الضوء لكشف الأعداء حجم قوات الجيش مما يغريهم بالهجوم عليه، كما يتجلى ذلك في منع الجند من مطاردة أعدائهم داخل بلاد الروم خشية أن يكون لهم مدد فيهجموا على جيش المسلمين.

٣ ــ أن للقائد أن يأخذ بجميع أساليب الخداع التي يرى أن فيها إيهاماً للعدوّ وإضعافاً لروحه المعنوية.

ويتبين ذلك مما فعله خالد ــ رضي الله عنه ــ من تغيير مواقع تشكيلات جيشه في سرية مؤتة عندما أظلم الليل وتوقف القتال.

٤ ـ أن توحيد قيادة الجيش له أثر واضح في كسب نتائج المعركة ـ بعد مشيئة الله سبحانه وتعالى ـ أما تعدد القادة في جيش واحد فهو سبب للفشل والخذلان. وتتجلى هذه النتيجة في إصرار عمرو بن العاص على توحيد قيادة جيش ذات السَّلاسِل بينما كان رأي أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه على خلاف ذلك.

٥ ـ أنه يتعين على القائد تطبيق مبدأ الحشد عند الضرورة بحسب الاستطاعة لما يحققه ذلك من رفع الروح المعنوية لدى جنده وإضعافها لدى جيش أعدائه.

ويتبين ذلك مما حدث في سرية ذات السَّلاسِل عندما طلب عمرو بن العاص رضي الله عنه من رسول الله ﷺ مدداً لجنده. فأرسل ﷺ مدداً بقيادة أبي عبيدة بن الجراح.

٦ ـ أنه يتعين على القائد أخذ جنده بأسلوب الحزم في المواقف الحاسمة لأن التساهل في مثل تلك المواقف يلحق بالجيش خاصّة والأمة عامة أضراراً كبيرة لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى.

ويتجلى ذلك في أخذ عمرو بن العاص رضي الله عنه جنده بأسلوب الحزم في المواقف الثلاثة التي سبق ذكرها.

٧ ـ أن تشجيع القادة الموهوبين من جنده، والرفع من قدرهم لهما أثر واضح في شحذ هِمَمِهِم لبذل المزيد من العطاء المتواصل في الجانب العسكري.

ويتجلى هذا الأمر في إشادة الرسول ﷺ بقيادة خالد بن الوليد عندما عاد بجيش المسلمين من مؤتة إلى المدينة لمَّا رأى أن مواجهة الروم تُعَدُّ ضرباً من المجازفة التي تعرض جيشه للخطر.

٨ ـ انعقاد إمارة من نصّب نفسه أميراً على جيش إذا وُجدت ضرورة تمنعه من مراجعة إمامه.

وهذا الأمر مستنبط من تنصيب خالد بن الوليد رضي الله عنه نفسه على جيش مؤتة ــ بعد مقتل أمرائه الثلاثة ــ لمَّا تعذر عليه مراجعة النبي ﷺ في المدينة.

* * *

ومن خلال عرض سِيَر القادة الثلاثة (أبو عبيدة وخالد وعمرو بن العاص رضي الله عنهم) خرجت بالنتائج الآتية:

١ ــ أهمية تطبيق مبدأ «المباغتة» وقد أخذ به أبو عبيدة ــ رضي الله عنه ــ عند فتح حمص، كما طبقه خالد رضي الله عنه عندما توجَّه لحرب طليحة الأسدي.

٢ ــ أن تطبيق مبدأ «المبادأة» من أهم ما ينبغي أن يُعنى به القادة العسكريون. ومن أبرز الأدلة ما فعله أبو عبيدة في معركة مرج الروم.

٣ ــ أن مبدأ «أمن العمل» من المبادىء التي ينبغي أن يحرص القائد على تطبيقها من أجل سلامة قواته. وقد برز تطبيق هذا المبدأ في قيادة أبي عبيدة رضي الله عنه.

٤ ــ أنه ينبغي للقائد أن يحرص على تحديد الهدف ثم يضع كل الوسائل الممكنة لتحقيقه. وقد تجلى تطبيق هذا المبدأ عند فتح أبي عبيدة لبلاد الشام.

٥ ــ أن تطبيق مبدأ «الاقتصاد بالقوى» من المبادىء العسكرية التي طبقها الرسول ﷺ في أعماله الحربية وقد اقتدى هؤلاء القادة الثلاثة بالنبي ﷺ فكانوا يعوِّضون ما تعانيه جيوشهم من نقص بأساليبهم التعبوية.

٦ ــ أن خالد بن الوليد ــ رضي الله عنه ــ من أبرز خريجي مدرسة النبي ﷺ، لذا فقد طبّق رضي الله عنه المبادىء العسكرية التي كان النبيُّ ﷺ يأخذ بها في غزواته، مثل اختيار المقصد وإدامته والتعرض وتحشيد القوة والأمن والمرونة والتعاون وإدامة المعنويات والأمور الإدارية.

٧ ـ أن مما ينبغي أن يحرص عليه القائد العسكري تطوير القدرة الحركية لجيشه وذلك من أجل الوصول به إلى أفضل المستويات.

وقد برز تطبيق هذا المبدأ بشكل واضح في قيادة عمرو بن العاص عندما ذهب لفتح مصر.

٨ ـ أن من المبادىء التي يجب الأخذ بها: الشدة على أعداء الإسلام عندما يتعرض المسلمون للغدر وذلك لكي تبقى للمسلمين هيبتهم.

وقد ظهر هذا المبدأ بشكل عملي في قيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما قام بفتح الإسكندرية الثاني.

٩ ـ أن مبدأ «خفّة الحركة» من المبادىء التي ينبغي أن يحرص القائد العسكري على تطبيقه في الظرف المناسب.

وقد برز تطبيق هذا المبدأ في قيادة عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ عندما أمر جيشه بالتوجه ليلاً إلى «سَبْرَت» ومباغتة أهلها صباحاً حتى تمّ له فتحها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
وصلى وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

• • •

الفهارس العامة للرسالة



فهرس الآيات القرآنية
مرتَّباً حسب السور

* * *



فهرس الأحاديث النبوية
مرتّبة حسب حروف الهجاء

الصفحة

	الصفحة
«أبا شيبة، إنه لا يراها إلا كافر»	٢٥٨
«أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل...؟»	٣٢٢
«أيكما قتله؟»	٣٥٣، ٣٥٨
«أين أيها الناس؟ هلمّ إليّ أنا رسول الله...»	٥٤٤

[حـرف البـاء]

[حـرف التـاء]

[حـرف الثـاء]

[حرف الجيم]

[حرف الحاء]

[حرف الخاء]

[حرف الدال]

[حرف الراء]

[حرف السين]

[حرف الشين]

[حرف الصاد]

[حرف العين]

[حرف الغين]

الصفحة

[حـرف الفـاء]

[حـرف القـاف]

	الصفحة
«لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما»	٣٧٤
«لو أُمرتُ به ما استشرتكم فيه»	٢٩٩
«لو أنا أقمنا بالمدينة فإنْ دخلوا علينا فيها قاتلناهم»	١٤٩
«لو دخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف»	٥١٨
«لو عُذِّبنا في هذا الأمر يا عمر ما نجا غيرك»	١٤٢
«ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة»	٣٩٩
«ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة»	٣٩٩

[حرف الميم]

«ما أبقيت لأهلك؟»	٢٨٢
«ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم. . .»	٣١٥
«ما تَرَوْن في القوم فإنهم أخبروا بمخْرجكم؟»	١١٢
«ما ترون في هؤلاء الأسارى؟»	١٤١
«ما جاء بك يا نعيم؟»	١٨٢
«ما حملك على ما صنعت؟»	٢٢٧
«ماذا عندك يا ثمامة؟»	٤٦١
(ما رأيتُ أحداً أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أضوا وأوضا من رسول الله ﷺ)	٣١٩
(ما سمَّى لنا شيئاً غير أنه قد أمرنا بالجهاز)	٢٢٥
(ما ضرَّ عثمانَ ما عمل بعد اليوم)	٢٨٣
(ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد أحداً منذ أسلمنا في حربه)	٥٨٨، ٦٢٥
(ما قاتل رسول الله ﷺ قوماً حتى يدعوهم)	٩٥
«ما من أمير عشرة إلّا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكّه من ذلك الغلّ إلا العدل»	٨٦
«ما من أمير عشرة إلّا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً حتى يفكّه العدل أو يوثقه الجَوْر»	٨٧
«ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجتهد لهم إلا لم يدخل معهم الجنة»	١٠٧

	الصفحة
«ما كانت هذه لتقاتل»	٦١٦
«ما هذا الخنجر؟»	٣٤٢
«معي معي»	١٣١
«معي من تَـرَوْن، وأحبّ الحديث إليَّ أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين...»	٢٦٩
«من استطعتم أن تأسروا منْ بني عبد المطلب فإنهم خرجوا كرهاً»	٣٥٥
«من استعمل رجلاً من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله»	٣٧
«من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله»	٤٢
«من حفر رومة فله الجنة»	٢٨٢
«من دخل دار أبـي سفيان فهو آمن ومن ألقى السِّلاح فهو آمن...»	٢٢٤
«من يأتينا بخبر القوم؟»	١٧٦
«من رجل يبيع لنا نفسه؟»	٨٩
«من رجل يخرج بنا على القوم من كثب من طريق لا يمر بنا عليهم؟»	١٥١
«من قتل قتيلاً له عليه بيِّنة فله سَلَبه»	٣٥٧، ٣٥٨
«من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله»	٩٦
«من للصبية؟»	٤٣٧
«من للقوم؟»	٤٤٢
«من يأخذ مني هذا السيف؟»	٤٧٠
«من يأخذ هذا السيف بحقه؟»	٤٧٠
«من يأخذ مني هذا؟»	١٥٥
«من يردهم عنا وله الجنة...»	٤٤٢

[حرف النون]

«نحن من ماء»	١٢٤
(نزلت ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم...﴾ في ستة من قريش...)	١٣٤
«نعم أتدرون ما صنع هذا بـي...؟»	٤٣٧
«نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً	٢١٣

الصفحة

[حرف الهاء]

[حرف الواو]

الصفحة



فهـرس الآثـار
مرتَّبة حسب حروف الهجاء

الصفحة

[حرف الحاء]

[حرف الراء]

[حرف السين]

[حرف الضاد]

[حرف العين]

[حرف الغين]

[حرف الفاء]

[حرف القاف]

[حرف الكاف]

الصفحة

[حرف اللام]

[حرف الميم]

[حرف الهاء]

[حرف الواو]

الصفحة

[حـرف لا]

[حرف اليـاء]



فهرس الأبيات الشعرية
مرتبة حسب قافية البيت

[قافية الميم]

[قافية النون]

* * *

فهـرس الأعـلام
·مرتبة حسب حروف الهجاء(*)

(*) ممـا يجدر التنبيـه إليه أن كلمـة (ابن ــ بنت ــ أم ــ أب) حذفت معنى وأبقيت لفـظاً. أما إذا كـانت من أصل الاسم فهي باقية في المعنى ولهذا روعيت في الترتيب مثل: ابن أبـي مُليكة.

(١) كتابة الرقم بهذه الصورة ووضـع شرطة ثم رقم آخر يعني أن الأول رقم الصفحة والثاني عدد وروده فيها.

[حرف الباء]

[حرف التاء]

[حرف الثاء]

[حرف الجيم]

[حرف الحاء]

[حرف الخاء]

[حرف الدال]

[حرف الذال]

[حرف الراء]

[حرف الزاي]

[حرف السين]

[حرف الشين]

[حرف الصاد]

[حرف الضاد]

[حرف الطاء]

[حرف العين]

[حرف الغين]

[حرف الفاء]

[حرف القاف]

[حرف الكاف]

[حرف اللام]

[حرف الميم]

[حرف النون]

[حرف الهاء]

[حرف الواو]

[حـرف اليـاء]

* * *

فهرس القبائل والأنساب والأمم والجماعات

مرتّبة حسب حروف الهجاء

* * *



فهرس الغزوات والسرايا والمعارك والأيام
مرتّبة حسب حروف الهجاء

[حـرف الفـاء]

[حـرف الميـم]

[حـرف الهـاء]

[حـرف اليـاء]

* * *

فهرس البلدان والمواضع
مرتّبة حسب حروف الهجاء

[حرف النون]

[حرف الهاء]

[حرف الواو]

* * *

فهرس المصادر والمراجع
مرتّبة حسب حروف الهجاء(*)

[حرف الألف]

١ ــ **أبو عبيدة بن الجراح**: تأليف بسام العسلي ــ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩هـ ــ ط دار النفائس ــ بيروت ــ لبنان.

٢ ــ **إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين**: تصنيف العلّامة محمد بن محمد الحُسَيني الزَّبيدي المشهور بمرتضى. ط دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان.

٣ ــ **الأحكام السلطانية**: لأبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد الفرَّاء. تحقيق محمد حامد الفقي. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ــ الطبعة الثانية (١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦م).

٤ ــ **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت ٤٥٠هـ). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ــ الطبعة الثانية (١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦م).

٥ ــ **أحكام القرآن**: للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصَّاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ). الناشر دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ مصوَّرة عن الطبعة الأولى سنة ١٣٥٣هـ

٦ ــ **أحكام القرآن**: لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي. تحقيق علي محمد البجاوي ــ الطبعة الثانية سنة (١٣٨٧هـ) ــ ط عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٧ ــ **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**: لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي. مطابع دار الثقافة ــ مكة المكرمة ــ الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٨هـ .

٨ ــ **الاختيار لتعليل المختار**: لعبد الله بن محمود بن مودود بن محمود أبي الفضل مجد الدين المَوْصلي (ت ٦٨٣هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. الناشر مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر بميدان الأزهر بالقاهرة ــ مطبعة المدني.

(*) مما يجدر التنبيه إليه هنا أن (أل) التعريف قد حذفت عند الترتيب، كما حذفت كلمة (الكتاب) حسب ما هو متَّبع في فهارس المكتبات العامَّة.

٩ ـ **أدب الدنيا والدين**: لأبي الحسن عليّ بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (ت ٤٥٠هـ). حققه وعلق عليه مصطفى السّقا ـ الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٨هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

١٠ ـ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم وهو المعروف بتفسير أبي السعود**: تأليف محمد بن محمد بن مصطفى أبي السعود العمادي (ت ٩٨٢هـ). ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بدون تاريخ).

١١ ـ **أسباب النزول**: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ). ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

١٢ ـ **الاستبصار في عجائب الأمصار**: لكاتب مرّاكشي (مجهول) من علماء القرن السادس الهجري. نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد. مطبعة جامعة الإسكندرية.

١٣ ـ **الاستراتيجية العسكرية الإسلامية بين النظرية والتطبيق**: تأليف اللواء محمد فرج. منشورات المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت ـ ط سنة ١٣٩٥هـ.

١٤ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ (ت ٤٦٣). تحقيق محمد علي البجاوي. الناشر مكتبة نهضة مصر ومطبعتها.

١٥ ـ **الإسلام والنصر**: للواء الركن محمود شيت خطاب ـ الطبعة الأولى (سنة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م). ط دار الفكر.

١٦ ـ **الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان (٩٢٦ ـ ٩٧٠هـ)**: للشيخ زين العابدين بن إبراهيم بن يحيى. تحقيق وتعليق عبد العزيز محمد الوكيل. الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للتوزيع (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧).

١٧ ـ **الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية**: للشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ). ط دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٨ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المعروف بابن حجر (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ). ومعه الاستيعاب في أسماء الأصحاب للفقيه الحافظ المحدث القرطبي المالكي. نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ).

١٩ ـ **كتاب الأصنام**: لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي. تحقيق الأستاذ أحمد زكي باشا ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة (١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م).

٢٠ ـ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ). ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض سنة ١٤٠٣هـ.

٢١ ـ **الأعلام**: (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين المستشرقين): تأليف خير الدين الزركلي ـ الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٩هـ ـ ط دار العلم للملايين ـ بيروت.

٢٢ ـ **إعلام الموقِّعين عن رب العالمين**: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيِّم الجوزية (ت ٧٥١هـ). حققه وضبط غرائبه وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤هـ. المكتبة التجارية الكبرى.

٢٣ ـ **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر، الشهير بابن قيِّم الجوزية (٦٩١ ـ ٧٥١هـ). تحقيق وتصحيح وتعليق محمد حامد الفقي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٥٦هـ.

٢٤ ـ **الإفصاح عن معاني الصحاح**: لأبي المظفَّر يحيى بن محمد بن هبيرة الحنبلي (ت ٥٦٠هـ). الناشر: المؤسسة السعيدية بالرياض. ط سنة ١٣٩٨هـ.

٢٥ ـ **الإفصاح في فقه اللغة**: تأليف حسين يوسف محمد وعبد الفتاح الصعيدي ـ الطبعة الثانية ـ طبع ونشر دار الفكر العربي.

٢٦ ـ **اقتباس النظام العسكري في عهد النبيّ ﷺ**: تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب، واللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ، والشيخ عبد اللطيف زايد. عُني بنشره وطبعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ـ مطابع قطر الوطنية سنة ١٤٠٠هـ.

٢٧ ـ **كتاب «الله والعلم الحديث»**: لعبد الرزاق نوفل. ط سنة ١٩٧٣م ـ بيروت ـ لبنان.

٢٨ ـ **الأم**: للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ). أشرف على طبعه وتصحيحه محمد زهري النجار. الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ ـ ط دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.

٢٩ ـ **إمتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع**: للشيخ أحمد بن علي المقريزي. صححه وشرحه محمود محمد شاكر. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٤١م.

٣٠ ـ **الأموال**: للحافظ أبي عبيد القاسم بن سلّام (١٥٤ ـ ٢٢٤هـ). صححه وعلّق هوامشه محمد حامد الفقي. ط المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة سنة ١٣٥٣هـ.

٣١ ـ **أنساب الأشراف**: تصنيف أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري: (ت ٢٧٩ هـ). تحقيق الدكتور محمد أحمد حميد الله. ط دار المعارف بالقاهرة (سنة ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م).

٣٢ ـ **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب أحمد بن حنبل**: لأبي الحسن علي بن سليمان المرداوي. صححه وعلّق عليه محمد حامد الفقي. الطبعة الأولى سنة ١٣٧٥هـ ـ مطبعة السنّة المحمدية.

٣٣ ـ **الأوْزاعي وتعاليمه الإنسانية والقانونية**: للمحامي الدكتور صبحي محمصاني. دار العلم للملايين ـ بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨م.

٣٤ ـ **إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك**: للشيخ أحمد بن يحيى الونشريسي (٨٣٤ ـ ٩١٤هـ). بتحقيق أحمد بو طاهر الخطابي. ط مطبعة فضالة المحمدية سنة ١٤٠٠هـ.

[حرف الباء]

٣٥ ـ **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**: للعلامة زين العابدين بن نجيم الحنفي. وبهامشه الحواشي المسماة: **منحة الخالق على البحر الرائق**، لابن عابدين. مطبعة شركة دار الكتب العربية الكبرى (بدون تاريخ).

٣٦ ـ **البحر الزخّار الجامع لمذاهب علماء الأمصار**: تأليف أحمد بن يحيى بن المرتضى. مطبعة السنّة المحمدية بالقاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ.

٣٧ ـ **بحوث ودراسات عسكرية**: للعميد الركن يوسف إبراهيم السُّلوم. الناشر دار المريخ ـ ط أولى (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٣٨ ـ **بدائع السلك في طبائع الملك**: لأبي عبد الله بن الأزرق (ت ٨٩٦هـ). تحقيق وتعليق الدكتور علي سامي النشار. من منشورات وزارة الإعلام ـ الجمهورية العراقية سنة ١٣٩٧هـ ـ ط دار الحرية للطباعة ـ بغداد.

٣٩ ـ **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**: لأبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي (ت ٥٨٧هـ). الناشر زكريا يوسف ـ مطبعة الإمام بالقاهرة. وأيضاً الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ ـ مطبعة الجمالية بمصر.

٤٠ ـ **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**: لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت ٥٢٠ ـ ٥٩٥هـ). الناشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة سنة ١٣٨٦هـ.

٤١ ـ **البداية والنهاية**: لأبي الفداء الحافظ ابن كثير. الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦هـ. طبعة مكتبة المعارف ـ بيروت، مكتبة النصر بالرياض.

٤٢ ـ **البشرى بالجهاد وغزوة بدر الكبرى**: للشيخ محمد مصطفى أبو العلا. الطبعة الأولى سنة ١٣٧٢هـ. ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٤٣ ـ **بطل الأبطال أو أبرز صفات النبي ﷺ**: لعبد الرحمن عزام. ط مكتبة البيان ـ ساحة رياض الصلح ـ بيروت سنة ١٩٦٨م.

٤٤ ـ **بلغة السالك لأقرب المسالك**: للشيخ أحمد بن محمد الصاوي المالكي على الشرح الصغير للشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الدردير. شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.

٤٥ ـ **بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسِّيَر والشمائل**: تأليف يحيى بن أبي بكر بن محمد العامري الحرضي (ت ٨٩٢هـ). بشرح العلّامة جمال الدين محمد الأشخر اليمني. طبعة المطبعة الجمالية بحارة الروم بمصر سنة ١٣٣١هـ.

٤٦ ـ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**: لابن عذارى المرّاكشي (ت ٦٩٥هـ). تحقيق ومراجعة: ج. س كولان وإ. ليفي بروفنسال. ط دار الثقافة ـ بيروت.

٤٧ ـ **البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف**: للسيِّد الشريف إبراهيم بن محمد بن كمال الدين، الشهير بابن حمزة الحسيني الحنفي الدمشقي. حققه وعلّق عليه الدكتور حسين عبد المجيد هاشم. ط درا التراث العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة سنة ١٩٧٣م.

[حرف التاء]

٤٨ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**: للإمام اللغوي محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزَّبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ). الطبعة الأولى سنة ١٣٠٦هـ ـ ط المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر ـ من منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

٤٩ ـ تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام: لمؤرخ الإسلام الحافظ النقّاد محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ). الناشر مكتبة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٦٨هـ.

٥٠ ـ تاريخ خليفة بن خياط العصفري. تحقيق الدكتور / أكرم ضياء العمري. الطبعة الثانية سنة ١٣٩٧هـ. ط دار القلم بدمشق، ومؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٥١ ـ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس: لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكري. مؤسسة شعبان ـ بيروت (بدون تاريخ).

٥٢ ـ تاريخ سيف الله خالد بن الوليد (البطل الفاتح): تأليف أبو زيد شلبي. نشر دار الفرجاني ـ مصر الجديدة ـ القاهرة.

٥٣ ـ تاريخ ابن أبي شيبة: مخطوط بالجامعة الإسلامية تحت رقم (٦٦٥).

٥٤ ـ تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط دار سويدان ـ بيروت.

٥٥ ـ تاريخ عمرو بن العاص: للدكتور حسن إبراهيم حسن. الطبعة الأولى (سنة ١٣٤٠هـ ـ ١٩٢٢م) ـ مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

٥٦ ـ تاريخ فتوح الشام. رواية محمد بن عبد الله الأزدي. تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر. الناشر مؤسسة سجل العرب سنة ١٩٧٠م.

٥٧ ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: للحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). تحقيق علي محمد البجاوي. ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (سنة ١٣٨٣هـ ـ ١٣٨٦هـ).

٥٨ ـ تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق: للعلامة فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي. الطبعة الثانية ـ ط دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.

٥٩ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: تأليف الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري. راجعه وصححه عبد الرحمن محمد عثمان. الطبعة الثانية (سنة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م). مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة.

٦٠ ـ **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**: للحافظ يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المِزِّي. مع النكت الظراف لابن حجر العسقلاني. بتحقيق عبد الصمد شرف الدين. الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ. ط الدار القيمة بمباي ـ الهند والمكتب الإسلامي ـ بيروت.

٦١ ـ **تحفة المحتاج بشرح المنهاج**: لأحمد بن حجر الهَيْتمي مع حاشية الشيخ عبد الحميد الشرواني والشيخ أحمد بن قاسم العبّادي. مطبعة أصح المطابع بمباي (بدون تاريخ).

٦٢ ـ **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. حققه وراجع أصوله عبد الوهاب عبد اللطيف. الطبعة الثانية سنة ١٣٨٥هـ ـ ط دار الكتب الحديثة.

٦٣ ـ **تركة النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها**: تأليف حماد بن إسحاق بن إسماعيل (١٩٩ ـ ٢٦٧هـ). دراسة وتحقيق الدكتور / أكرم ضياء العمري. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ.

٦٤ ـ **تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأربعة**: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤هـ بالهند.

٦٥ ـ **تفريج الكروب في تدبير الحروب**: لعمر بن إبراهيم الأوسي الأنصاري. تحقيق وترجمة د / جورج مكانلون. الناشر الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٣٨١هـ ـ مطابع دار المعارف بمصر.

٦٦ ـ **تفسير سورة النور**: للشيخ أبي الأعلى المودودي. تعريب محمد عاصم حداد. ط دار الفكر (بدون تاريخ).

٦٧ ـ **التفسير السياسي للسيرة النبوية على ضوء اختصار وترتيب وتهذيب السّيرة النبوية لابن هشام**: للدكتور / محمد رواس قلعه جي. الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ. الناشر دار السّلام للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.

٦٨ ـ **التفسير القرآني للقرآن**: للشيخ عبد الكريم الخطيب. طبع ونشر دار الفكر العربي ـ مطبعة السنة المحمدية سنة ١٩٧٠م.

٦٩ ـ **تفسير القرآن العظيم**: للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ). ط دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان (سنة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م).

٧٠ ـ **تفسير القرآن الكريم**: للشيخ محمود شلتوت. الطبعة السادسة (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م). الناشر دار الشروق.

٧١ ـ **تفسير القرآن الكريم (الشهير بتفسير المنار)**: للشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ). ط الثانية بالأوفست ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.

٧٢ ـ **التفسير الكبير**: للفخر الرازي. الطبعة الثانية (بدون تاريخ) الناشر دار الكتب العلمية ـ طهران ـ إيران.

٧٣ ـ **تقريب التهذيب**: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ). حققه وعلق حواشيه وقدم له عبد الوهاب عبد اللطيف. الطبعة الثانية سنة ١٣٩٥هـ ـ ط دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان.

٧٤ ـ **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). عُني بتصحيحه والتعليق عليه السيد عبد الله هاشم. شركة الطباعة الفنية المتحدة. نشر عبد الله اليماني سنة ١٣٨٤هـ.

٧٥ ـ **التمثيل والمحاضرة**: لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩هـ). تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو. (سنة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م). دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٧٦ ـ **تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك**: للشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. ط مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني سنة ١٣٥٣هـ.

٧٧ ـ **تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار**: لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ). قرأه وخرج أحاديثه محمود محمد شاكر. ط مطبعة المدني سنة ١٩٨٢م.

٧٨ ـ **تهذيب الأسماء واللغات**: لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ). ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ).

٧٩ ـ **تهذيب التهذيب**: للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ). الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢هـ ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند ـ حيدرآباد ـ الدكن.

٨٠ ـ **تهذيب تاريخ ابن عساكر**: هذبه ورتبه الشيخ عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم الحنبلي المعروف بابن بدران. الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩هـ ـ مطبعة الترقّي بدمشق. وأيضاً طبعة روضة الشام سنة ١٣٢٩هـ.

٨١ ــ **تهذيب سيرة ابن هشام**: تهذيب وترتيب: عبد السلام هارون ــ منشورات محمد الداية ط دار الفكر.

٨٢ ــ **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**: للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣هـ). الناشر مكتبة الرياض الحديثة.

[حرف الثاء]

٨٣ ــ **الثقات**: للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البُستي (ت ٣٥٤هـ). الطبعة الأولى ــ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ــ الدكن ــ الهند ــ سنة ١٣٩٧هـ.

٨٤ ــ **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**: لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (٣٥٠ ــ ٤٢٩هـ).تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط دار نهضة مصر للطبع والنشر (سنة ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٥م).

[حرف الجيم]

٨٥ ــ **جامع الأصول في أحاديث الرسول**: للإمام أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري (٥٤٤ ــ ٦٠٦هـ). حقق نصوصَه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: عبد القادر الأرنؤوط. نشر وتوزيع: مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان.

٨٦ ــ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ ــ ٣١٠هـ). حققه وأخرج أحاديثه أحمد شاكر، وعلق عليه محمود محمد أحمد شاكر. الناشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٨هـ. وأيضاً الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ ــ شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي.

٨٧ ــ **الجامع لأحكام القرآن**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية. الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر سنة ١٣٨٧هـ.

٨٨ ــ **كتاب الجهاد**: لعبد الله بن مبارك. تحقيق نزيه حماد. نشر الدار التونسية سنة ١٣٩٠هـ.

٨٩ ــ **الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي**: لأحمد شلبي. ط الثانية ١٩٧٤م. الناشر مكتبة النهضة العربية.

٩٠ ـ جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى: للإمام الحافظ أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ). تحقيق الدكتور / إحسان عباس، والدكتور / ناصر الدين الأسد. مراجعة أحمد محمد شاكر. ط إدارة إحياء السنة ـ كوجد نواله بالباكستان.

٩١ ـ جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود: لمحمد بن أحمد المنهاجي الأسيوطي. الطبعة الأولى (١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م) مطبعة السنة المحمدية.

٩٢ ـ الجيش العربي الإسلامي في التخطيط السوقي الاستراتيجي (للرسول ﷺ والخلفاء الراشدين): نظرة عصرية: للمقدم درع حازم إبراهيم العارف. ط دار الرشيد للنشر والتوزيع ـ الرياض سنة ١٠٤٢هـ.

[حرف الحاء]

٩٣ ـ حاشية أبي السعود المسماة بفتح الله المعين: للسيد محمد أبي السعود المصري الحنفي (ت ١١٥٥هـ)، على شرح الكنز للعلامة محمد منلا مسكين. مطبعة جمعية المعارف المصرية (سنة ١٢٨٧هـ ـ ١٨٧٠م).

٩٤ ـ حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: للشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (ت ١٢٣٠هـ). تحقيق محمد عليش. مصوّرة عن طبعة المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ـ توزيع دار الفكر ـ بيروت.

٩٥ ـ حاشية العدوي: للعلامة المحقق الشيخ علي بن أحمد بن مكرم أبي الحسن الصعيدي العدوي (ت ١١٨٩هـ)، على شرح الإمام أبي الحسن المسمى كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني في مذهب الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ. الناشر مكتبة القاهرة. لصاحبها علي يوسف سليمان. ط مطبعة محمد عاطف سنة ١٣٨٠هـ.

٩٦ ـ حذف من نسب قريش: لمؤرج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٥هـ). الناشر مكتبة دار العروبة ـ مطبعة المدني ـ المؤسسة السعودية بمصر ـ القاهرة (سنة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م).

٩٧ ـ الحرب عبر التاريخ: للفيلد مارشال فيكونت مونتجمري. تعريب وتعليق العميد فتحي عبد الله النمر. الناشر مكتبة الإنجلو المصرية ١٩٧١م.

٩٨ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ). الناشر دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان. الطبعة الثانية (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م).

[حرف الخاء]

٩٩ ـ **خاتم النبيين ﷺ**: للشيخ محمد أبو زهرة. طبع ونشر دار الفكر (بدون تاريخ).

١٠٠ ـ **خاتمة مجامع الحقايق**: لأبي سعيد محمد بن محمد الخادمي. ط المطبعة العامرة ـ إستانبول ـ تركيا سنة ١٣٠٨هـ.

١٠١ ـ **خالد بن الوليد**: تأليف بسام العسلي. الطبعة الرابعة سنة ١٤٠١هـ ـ ط دار النفائس ـ بيروت.

١٠٢ ـ **خالد بن الوليد**: بقلم محمد صادق إبراهيم عرجون. الطبعة الثانية (١٣٧٨هـ ـ ١٩٦٧م). الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.

١٠٣ ـ **خالد بن الوليد المخزومي**: للواء الركن محمود شيت خطاب. الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٣هـ.

١٠٤ ـ **الخراج**: للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم. الناشر المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة سنة ١٣٤٦هـ.

١٠٥ ـ **الخراج وصنعة الكتابة**: لقدامة بن جعفر. شرح وتعليق الدكتور محمد حسين الزبيدي. ط دار الرشيد للنشر ـ الجمهورية العراقية ـ وزارة الثقافة والأعلام ١٩٨١م.

١٠٦ ـ **الخصائص الكبرى أو (كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب) ﷺ**: للشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق الدكتور محمد خليل هراس. الناشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة سنة ١٣٨٦هـ.

١٠٧ ـ **خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: للعلامة الحافظ أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري. تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة. الناشر مكتبة المطبوعات الإسلامية ـ حلب ـ جمعية التعليم الشرعي. الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩هـ.

[حرف الدال]

١٠٨ ـ **درر الأحكام شرح مجلة الأحكام**: تأليف علي حيدر. تعريب المحامي فهمي الحسيني. منشورات مكتبة النهضة ـ بيروت، بغداد.

١٠٩ ـ **الدرر في اختصار المغازي والسير**: للحافظ يوسف بن عبد البَرّ النمري (٣٦٨ ـ ٤٦٣هـ). تحقيق الدكتور شوقي ضيف. ط الثانية (بدون تاريخ). الناشر دار المعارف ـ كورنيش النيل ـ القاهرة.

١١٠ ـ **الدّرّ المنثور في التفسير المأثور**: للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ). ط مؤسسة الرسالة.

١١١ ـ **دروس في الكتمان من الرسول القائد ـ صلى الله عليه وسلم**: للواء الركن محمود شيت خطاب. دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت. الطبعة الأولى (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م).

١١٢ ـ **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ ـ ٤٥٨هـ). وثَّق أصوله وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه الدكتور عبد المعطي قلعجي. الطبعة الأولى (سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م). ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

[حرف الراء]

١١٣ ـ **الرحيق المختوم (بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام)**: للشيخ صفيّ الرحمن المباركفوري. الجامعة السلفية ـ الهند. الطبعة الأولى (سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م) مكة المكرمة.

١١٤ ـ **الرسول القائد (صلى الله عليه وسلم)**: للواء الركن محمود شيت خطاب. ط دار الفكر ـ الطبعة الخامسة ـ (سنة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م).

١١٥ ـ **الروض الأُنُف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**: لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد أبي الحسن السُّهَيلي (٥٠٨ ـ ٥٨١هـ)، ومعه السِّيرة النبوية للإمام ابن هشام. تحقيق وتعليق وشرح عبد الرحمن الوكيل. الناشر دار الكتب الحديثة ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٧هـ).

١١٦ ـ **الروض المعطار في خبر الأقطار**: لمحمد بن عبد المنعم الحميري. حققه الدكتور إحسان عباس. الناشر مكتبة لبنان ـ ساحة رياض الصلح ـ بيروت ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٨٤م.

١١٧ ـ **الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية**: تأليف زين الدين الجبعي العاملي. مطبعة الآداب ـ النجف سنة ١٣٨٧هـ.

١١٨ ــ **رياض الصالحين**: تأليف الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦٣١ ــ ٦٧٦هـ). حقَّقه وخرَّج أحاديثه عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق. راجعه شعيب الأرناؤوط. ط دار المأمون للتراث ــ دمشق (بدون تاريخ).

١١٩ ــ **الرياض النضرة في مناقب العشرة**: لأبي جعفر أحمد، الشهير بالمحبّ الطبري. عُني بتصحيحه السَّيِّد محمد بدر الدين النعساني الحلبي. الطبعة الأولى (بدون تاريخ).

[حرف الزاي]

١٢٠ ــ **زاد المسير في علم التفسير**: للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي (٥١٠ ــ ٥٩٧هـ). الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤هـ. المكتب الإسلامي بدمشق.

١٢١ ــ **زاد المعاد في هَدْي خير العباد**: للإمام المحدث المفسر الفقيه شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيِّم الجوزية (٦٩١ ــ ٧٥١هـ). حقَّق نصوصه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط. ط مؤسسة الرسالة ــ بيروت، مكتبة المنار الإسلامية بالكويت. الطبعة الأولى (سنة ٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م).

١٢٢ ــ **زبدة الحلب من تاريخ حلب**: لأبي القاسم بن العديم عمر بن أحمد بن هبة الله (٥٨٨ ــ ٦٦٠هـ). تحقيق سامي الدهان ــ دمشق (سنة ١٣٧٠هـ ــ ١٩٥١م).

[حرف السين]

١٢٣ ــ **سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام**: شرح الأمير محمد بن إسماعيل الحكلاني الصنعاني، على متن بلوغ المرام من أدلة الأحكام: للحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، ومعه نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر. الطبعة الثالثة (١٣٦٩هـ ــ ١٩٤٩م). ط المكتبة التجارية بمصر.

١٢٤ ــ **سراج الملوك**: لأبي بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري الطُّرْطُوشي المالكي (ت ٥٢٠هـ). المطبعة الوطنية بالإسكندرية سنة ١٢٨٩هـ.

١٢٥ ــ **سلوك المالك في تدبير الممالك**: لأحمد بن محمد بن أبي الربيع (ت ٢٧٢هـ). الطبعة الأولى ــ مطبعة كردستان العلمية بمصر سنة ١٣٢٩هـ.

١٢٦ ــ سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (٢٠٧ ــ ٢٧٥هـ). حقق نصوصه ورقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلَّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر دار إحياء التراث العربي (سنة ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م).

١٢٧ ــ سنن أبي داود: للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢ ــ ٢٥٧هـ)، ومعه كتاب معالم السنن للخطابي (٣١٩ ــ ٣٨٨هـ)، وهو شرح عليه. إعداد وتعليق عزَّت عبيد الدعَّاس. الطبعة الأولى سنة ١٣٩١هـ.

وأيضاً سنن أبي داود بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد سنة ١٣٦٩هـ.

١٢٨ ــ سنن الدارمي: للإمام الكبير أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت ٢٥٥هـ). طبع بعناية محمد أحمد دهمان. نشر دار إحياء السنَّة النبوية (بدون تاريخ).

١٢٩ ــ السنن الكبرى: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. وفي ذيله الجوهر النقيّ: للعلامة علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني. الطبعة الأولى ــ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ــ الدكن ــ الهند ــ سنة ١٣٥٦هـ.

١٣٠ ــ سنن النسائي: للإمام أحمد بن علي النسائي (ت ٣٠٣هـ)، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي. الناشر دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ لبنان (بدون تاريخ).

١٣١ ــ السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة: لأبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي. تحقيق الدكتور سامي علي النشار. الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ــ مطابع النجاح الجديدة الدار البيضاء ــ المغرب.

١٣٢ ــ سير أعلام النبلاء: لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ). حقق نصوصه وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد. ط مؤسسة الرسالة ــ الطبعة الأولى (سنة ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م).

١٣٣ ــ السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ــ صلى الله عليه وسلم ــ: تأليف الشيخ عليّ بن برهان الدين الحلبي (٩٧٥هـ ــ ١٠٤٤هـ). نشر المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ ــ بيروت ــ لبنان.

١٣٤ ــ سيرة الرسول: للشيخ محمد عِزَّة دروزة. الطبعة الثانية (سنة ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٥م) ــ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٣٥ ــ **السيرة النبوية**: للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (٧٠١ ــ ٧٧٤هـ). تحقيق مصطفى عبد الواحد الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨هـ ط دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان.

١٣٦ ــ **السيرة النبوية (سيرة النبيّ صلى الله عليه وسلم)**: لأبي محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ). راجع أصولها وضبط غريبها وعلق حواشيها ووضع فهارسها محمد محيي الدين عبد الحميد. ط دار الفكر ــ بيروت (بدون تاريخ).

[حرف الشين]

١٣٧ ــ **شخصيات عسكرية إسلامية**: للواء محمد فرج. تقديم عبد الحليم محمود. الطبعة الثانية (١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م). الناشر دار الفكر.

١٣٨ ــ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحيّ بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ). ط المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع.

١٣٩ ــ **شرائع الإسلام في الفقه الإسلامي الجعفري**: تأليف جعفر بن الحسن الحلّي. ط دار مكتبة الحياة ــ بيروت.

١٤٠ ــ **شرح السِّيَر الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني**: إملاء محمد بن أحمد السرخسي. تحقيق صلاح الدين المنجِّد. مطبعة شركة الإعلانات الشرقية سنة ١٩٧١م.

١٤١ ــ **شرح الكوكب المنير المسمّى بمختصر التحرير**: للعلامة الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار (ت ٩٧٢هـ). تحقيق الدكتور وهبة الزحيلي والدكتور نزيه حماد. ط دار الفكر بدمشق ــ نشر مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى سنة ١٤٠٠هـ.

١٤٢ ــ **شرح معاني الآثار**: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سليمان الأزدي الحجري المعري الطحاوي الحنفي (٢٢٩ ــ ٣٢١هـ). حققه وضبطه ونسقه وصحّحه محمد زهري النجار. الناشر مطبعة الأنوار المحمدية ــ القاهرة.

١٤٣ ــ **شرح منتهى الإرادات المسمى (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى)**: للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البُهوتي (ت ١٠٥١هـ). مطبعة أنصار السنة المحمدية سنة ١٣٦٦هـ.

١٤٤ ــ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**: للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي. الطبعة الأخيرة (سنة ١٣٦٩هـ ــ ١٩٥٠م). ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

[حرف الصاد]

١٤٥ ـ صحيح ابن خزيمة: لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (٢٢٣ ـ ٣١١هـ). حققه وعلق عليه الدكتور محمد مصطفى الأعظمي. المكتب الإسلامي ـ الطبعة الأولى (سنة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م).

١٤٦ ـ صحيح الترمذي: بشرح الإمام ابن العربي المالكي (٤٣٥ ـ ٥٤٣هـ). الطبعة الأولى (سنة ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م). ط المطبعة المصرية بالأزهر.

١٤٧ ـ صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ ـ ٢٦١هـ). حقّق نصوصه وصحّحه ورقّمه وعدّ كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلّق عليه ملخِّص شرح الإمام النووي الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي. ط دار إحياء التراث العربي.

١٤٨ ـ صحيح مسلم بشرح النووي: للإمام زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت ٦٧٦هـ). ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

١٤٩ ـ الصحيح المسند من أسباب النزول: بحث أعدّه مقبل بن هادي الوادعي. ط مكتبة المعارف ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية (سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).

١٥٠ ـ صفوة التفاسير: للشيخ محمد علي الصابوني. الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ. ط دار القرآن الكريم ـ بيروت.

١٥١ ـ صفة الصفوة: للإمام جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي (٥١٠ ـ ٥٩٧هـ). حققه وعلق عليه محمود فاخوري. وخرج أحاديثه محمد رواس قلعه جي. الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩هـ ـ ط مطبعة الأصيل ـ حلب.

١٥٢ ـ صلح الحديبية: للشيخ محمد أحمد باشميل. الطبعة الثالثة (سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م) ط دار الفكر.

[حرف الطاء]

١٥٣ ـ الطبقات: للإمام المحدث أبي عمرو خليفة بن خياط شباب العصفري (ت ٢٤٠هـ)، رواية أبي عمران موسى بن زكريا التستري. حققه وقدم له أكرم ضياء العمري. الطبعة الأولى سنة ١٣٨٧هـ ـ مطبعة العاني ـ بغداد، والجزء الثاني حققه سهيل زكار وطبع في دمشق سنة ١٩٦٦م ـ مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي.

١٥٤ ـ **الطبقات الكبرى**: لمحمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (١٦٨ ـ ٢٣٠هـ). الناشر دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر (١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م).

[حرف العين]

١٥٥ ـ **عارضة الأحوزي في شرح صحيح الترمذي**: لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المالكي (٤٣٥ ـ ٥٤٣هـ). مطبعة دار العلم للجميع ـ بيروت (بدون تاريخ).

١٥٦ ـ **العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة**: للشيخ صدِّيق بن حسن بن علي القنوجي البخاري. بتحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ. ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

١٥٧ ـ **العبقرية العسكري في غزوات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ**: للواء محمد فرج. ط الثالثة سنة ١٩٧٧م. طبع ونشر دار الفكر العربي بالقاهرة.

١٥٨ ـ **العسكرية الإسلامية وقادتها العظام**: للرائد الركن بهاء الدين محمد أسعد، والرائد جمال يوسف الخلفات. الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ. الناشر مكتبة المنار ـ الأردن ـ الزرقاء.

١٥٩ ـ **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**: لمحمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (٧٧٥ ـ ٨٣٢هـ). تحقيق فؤاد سيد. القاهرة ـ ١٣٥٨هـ.

١٦٠ ـ **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**: للشيخ بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني (٦٧٢ ـ ٨٥٥هـ). ط دار إحياء التراث العربي.

١٦١ ـ **عمرو بن العاص**: تأليف بسام العسلي. ط دار النفائس ـ بيروت سنة ١٤٠٠هـ.

١٦٢ ـ **عون المعبود شرح سنن أبي داود**: لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية. ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان. الطبعة الثانية (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م) ط المكتب السلفية بالمدينة المنورة.

١٦٣ ـ **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسِّيَر**: لابن سيد الناس. الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ)

[حرف الغين]

١٦٤ ـ **غزوة أحد**: للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس. الطبعة الأولى (سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م). ط دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان ـ الأردن.

١٦٥ ــ **غزوة أحد**: (حلقة من حلقات الصراع بين أعظم قوة إنسانية عرفها البشر وبين العوامل المدمرة البشرية). الطبعة الأولى ١٩٥٩م. طبع على نفقة المكتبة الإسلامية التجارية.

١٦٦ ــ **غزوة الأحزاب**: للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس. الطبعة الأولى (سنة ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م). ط دار الفرقان ــ عمان ــ الأردن.

١٦٧ ــ **غزوة بدر الكبرى**: للشيخ محمد أحمد باشميل. الطبعة السادسة (سنة ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م). ط دار الفكر.

١٦٨ ــ **غزوة بدر الكبرى**: للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس. دار الفرقان للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى (سنة ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م).

١٦٩ ــ **غزوة تبوك**: لمحمد أحمد باشميل. الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧هـ. ط دار الفكر للطباعة والنشر بالقاهرة.

١٧٠ ــ **غزوة حنين**: لمحمد أحمد باشميل. الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣هـ. ط دار الفكر للطباعة والنشر بالقاهرة.

١٧١ ــ **غزوة مؤتة**: للشيخ محمد أحمد باشميل. الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢هـ. ط دار الفكر للطباعة والنشر بالقاهرة.

[حرف الفاء]

١٧٢ ــ **فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري**: للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ ــ ٨٥٢هـ). قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ــ الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ــ ورقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ــ بيروت ــ لبنان.

١٧٣ ــ **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني**: للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنّا. ط دار الشهاب ــ القاهرة.

١٧٤ ــ **فتح القدير**: لمحمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام (ت ٨٦١هـ)، مع تكملته نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار: لأحمد المعروف بقاضي زاده

(ت ٩٨٨هـ). على الهداية شرح بداية المبتدي للشيخ علي بن أبي بكر المرغيناني (ت ٥٩٣هـ). وبهامشه شرح العناية على الهداية لمحمد بن محمود البابرتي (ت ٧٨٦هـ) وحاشية سعدي جلبي (ت ٩٤٥هـ). الطبعة الأولى المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ــ مصر سنة ١٣١٦هـ.

١٧٥ ــ **فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير**: للشيخ محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ). ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٧٦ ــ **فتح القدير الخبير بشرح تيسير التحرير**: لعبد الله بن حجازي الشرقاوي على منظومة التحرير للشيخ يحيى العمريطي. ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٥٨هـ.

١٧٧ ــ **فتح مكة**: للشيخ محمد أحمد باشميل. الطبعة الأولى (١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م). ط دار الفكر للطباعة والنشر بالقاهرة.

١٧٨ ــ **فتوح البلدان**: لأحمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذري. عُني بمراجعته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان. نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر. ط مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٩م.

١٧٩ ــ **فتوح الشام**: لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ). وبهامشه **تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين**: لعبد الله بن حجازي الشرقاوي. الطبعة الرابعة سنة ١٣٨٥هـ ــ ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٨٠ ــ **فتوح مصر والمغرب**: لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصري (١٨٧ ــ ٢٥٧هـ). تحقيق عبد المنعم عامر ــ طبع ونشر لجنة البيان العربي.

١٨١ ــ **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**: تأليف محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي. ط دار صادر ــ بيروت ــ (سنة ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦م).

١٨٢ ــ **الفروع**: لأبي عبد الله محمد بن مفلح (ت ٧٦٣هـ). ويليه تصحيح الفروع لأبي الحسن علي بن سليمان المرداوي. الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨هـ ــ ط دار مصر للطباعة.

١٨٣ ــ **الفروق**: للإمام شهاب الدين الصنهاجي القَرَافي. وبهامشه عمدة المحققين وتهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية. ط دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان.

١٨٤ ــ **فصول في الإمرة والأمير**: للشيخ سعيد حوّى. الطبعة الأولى (سنة ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م). ط مكتبة الرسالة الحديثة ــ الأردن ــ عمان.

١٨٥ ــ **فضائل الصحابة**: للإمام أحمد بن حنبل تحقيق وصيّ الله بن محمد عباس. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ. ط مؤسسة الرسالة ــ بيروت.

١٨٦ ــ **الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد (المدخل الفقهي العام)**: للشيخ مصطفى أحمد الزرقاء. الطبعة العاشرة. ط دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان.

١٨٧ ــ **الفقه الإسلامي والعلاقات الدولية**: لمصطفى شحاته الحسيني وآخرين. الطبعة الأولى (سنة ١٣٩١هـ ــ ١٩٧٢م). الناشر دار الكتاب الجامعي.

١٨٨ ــ **فقه الإمام الأوزاعي (أول تدوين لفقه الإمام)**: لعبد الله محمد الجبوري المدرس بكلية الإمام الأعظم. مطبعة الإرشاد ــ بغداد سنة ١٣٩٧هـ.

١٨٩ ــ **فقه السّيرة**: للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي. ط دار الفكر ــ بيروت سنة ١٣٩٣هـ.

١٩٠ ــ **فقه السيرة**: للشيخ محمد الغزالي. مطبعة حسان ــ نشر دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق عفيفي عامر. الطبعة السابعة سنة ١٩٧٦م. وقد قام بتخريج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني.

١٩١ ــ **فكاهة الأذواق من مشارع الأشواق في فضل الجهاد والترغيب فيه والحث عليه**: للشيخ محمود العالم. المطبعة السنية الكبرى سنة ١٢٩٠هـ.

١٩٢ ــ **الفكر الإداري الإسلامي والمقارن (الأصول العامة)**: لحمدي أمين عبد الهادي. ط الثانية (١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م). الناشر دار الفكر العربي.

١٩٣ ــ **الفن الحربي في صدر الإسلام**: بقلم اللواء عبد الرؤوف عون. ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦م.

١٩٤ ــ **فيض الإلّه المالك في حلّ ألفاظ عُدّة السالك وعمدة الناسك**: لمحمد بركات الشامي البقاعي المكي الشافعي. وبذيل صحائفه تعليقات للشيخ مصطفى محمد عمارة. الطبعة الثانية (سنة ١٣٧٢هـ ــ ١٩٥٣م). ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٩٥ ــ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**: للعلامة عبد الرؤوف المناوي، على كتاب الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. الطبعة الأولى (سنة ١٣٥٦هـ ــ ١٩٣٨م). ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

١٩٦ ــ **في ظلال القرآن**: لسيد قطب. ط دار الشروق ــ بيروت (سنة ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م).

[حرف القاف]

١٩٧ ــ **قادة فتح الشام ومصر**: للواء الركن محمود شيت خطاب. الطبعة الأولى سنة ١٣٨٥هـ. الناشر دار الفتح ــ بيروت.

١٩٨ ــ **قادة فتح العراق والجزيرة**: للواء الركن محمود شيت خطاب. الطبعة الثانية (١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م). ط دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان.

١٩٩ ــ **القاموس المحيط**: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. الطبعة الثانية سنة ١٣٧١هـ. طبع ونشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢٠٠ ــ **قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام مع شرحه إيضاح الفوائد في شرح القواعد**: لمحمد بن الحسن الحلي ــ الحسن بن يوسف الحلي. الطبعة الأولى سنة ١٣٨٧هـ. ط المطبعة العلمية.

٢٠١ ــ **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**: لأبي محمد عزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت ٦٦٠هـ). الناشر المكتبة الحسنية المصرية بجوار الأزهر. الطبعة الأولى (سنة ١٣٥٣هـ ــ ١٩٣٤م).

٢٠٢ ــ **القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية**: لأبي الحسن علي بن عباس البعلي الحنبلي المعروف بابن اللحام. تحقيق وتصحيح محمد حامد الفقي (سنة ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٥م). مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة.

٢٠٣ ــ **القيادة**: لقائم مقام عبد التواب هديب والسيد محمود زكي. الناشر دار الفكر العربي (بدون تاريخ).

٢٠٤ ــ **القيادة والجندية في الإسلام (القسم الأول القيادة)**: للدكتور محمد السيد الوكيل. ط دار الأنصار ــ بالقاهرة ــ سنة ١٤٠٠هـ.

٢٠٥ ــ **القيادة وفعاليتها في ضوء الإسلام**: للدكتور ماهر البقري. الناشر مؤسسة شباب الجامعة ــ الإسكندرية (سنة ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م).

[حرف الكاف]

٢٠٦ ـ **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**: للإمام محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ). ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٠٧ ـ **كشف الأستار عن زوائد البزّار على الكتب الستة**: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٧٣٥ ـ ٨٠٧هـ). تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ. ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٢٠٨ ـ **الكواكب النيِّرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات**: لأبي البركات محمد بن أحمد المعروف بابن الكيّال (٨٦٣ ـ ٩٣٩ هـ). تحقيق ودراسة أعدّها عبد القيّوم عبد ربّ النبيّ. الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ ـ بيروت. ط دار المأمون للتراث ـ دمشق، بيروت.

[حرف اللام]

٢٠٩ ـ **اللباب في شرح الكتاب**: لعبد الغَنيّ الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي، على المختصر المشتهر باسم الكتاب: للإمام أبي الحسن أحمد بن محمد القُدُوري البغدادي المولود عام ٣٣٢هـ. حققه وفصّله وضبطه وعلّق حواشيه محمد محيى الدين. الطبعة الرابعة (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م).

٢١٠ ـ **الكافي في فقه الإمام المبجَّل أحمد بن حنبل**: لأبي محمد عبد الله بن قدامة المقدسي. الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م). الناشر المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٢١١ ـ **الكافي في فقه أهل المدينة المالكي**: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ النمري القرطبي. تحقيق وتعليق وتقديم الدكتور محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني. الطبعة الأولى (سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م). الناشر مكتبة الرياض الحديثة.

٢١٢ ـ **الكامل في التاريخ**: للشيخ العلامة عزّ الدين بن أبي الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ). ط دار صادر ـ بيروت ـ لبنان سنة ١٣٨٥هـ.

٢١٣ ـ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ). ومعه كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال: للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي. ط دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.

٢١٤ ـ **لباب النقول في أسباب النزول**: للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ). الطبعة الثانية سنة ١٣٧٣هـ. ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢١٥ ـ **لسان العرب المحيط**: لابن منظور. قدم له عبد الله العلايلي. إعداد وتصنيف يوسف خياط. ط دار لسان العرب ـ بيروت.

٢١٦ ـ **لسان الميزان**: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ). ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. الطبعة الثانية (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م).

[حرف الميم]

٢١٧ ـ **المبسوط**: لشمس الدين السرخسي. الناشر دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان. الطبعة الثانية (بدون تاريخ). ط دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.

٢١٨ ـ **المجتمع المدني في عهد النبوة (الجهاد ضد المشركين)**: للدكتور أكرم ضياء العمري. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ. ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٢١٩ ـ **مجلة الجندي المسلم**: مجلة إسلامية ثقافية عسكرية يصدرها قسم التوعية الإسلامية بإدارة الشؤون الدينية في وزارة الدفاع والطيران ـ الرياض / المملكة العربية السعودية. العدد (١٢) السنة الثالثة (١٣٩٥هـ).

٢٢٠ ـ **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**: للشيخ محمد طاهر الصدِّيقي الهندي الفتَّني الكُجْراتي (ت ٩٨٦هـ). ط مطبعة مجلس دائرة العثمانية بحيدر آباد ـ الدكن ـ الهند سنة ١٣٨٧هـ.

٢٢١ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: للحافظ نور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة (٨٠٧هـ)، بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر. الطبعة الثالثة (سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م). نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٢٢٢ ـ **المجموع شرح مهذب الشيرازي**. وهو الجزء السادس من تكملة هذا الشرح: بقلم محمد نجيب المطيعي. الطبعة الأولى سنة ١٩٧١م.

٢٢٣ ـ **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**: للدكتور محمد حميد الله. الطبعة الرابعة (سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). ط دار النفائس ـ بيروت ـ لبنان.

٢٢٤ ـ **المحرَّر في الفقه على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل**: للشيخ مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن تيمية (ت ٦٥٣هـ)، ومعه النكت والفوائد السنّية على مشكل المحرر: للشيخ ابن مفلح المقدسي. ط مطبعة السنّة المحمدية سنة ١٣٦٩هـ.

٢٢٥ ـ **المحلّى**: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ). تصحيح حسن زيدان طلبة. الناشر مكتبة الجمهورية العربية ـ القاهرة (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م).

٢٢٦ ـ **مختار الصحاح**: للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٦٩هـ.

٢٢٧ ـ **مختصر خليل**: لخليل بن إسحاق المالكي (في فقه إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس). صحّحه وعلّق عليه الشيخ طاهر بن أحمد الزاوي. ط دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) بالقاهرة.

٢٢٨ ـ **مختصر سنن أبي داود**: للحافظ عبد العظيم المنذري (٥٨١ ـ ٦٥٦هـ)، ومعه معالم السنن لأبي سليمان الخطّابي وتهذيب الإمام ابن قيِّم الجوزية. بتحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي. ط دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.

٢٢٩ ـ **مختصر في سياسة الحروب**: للهرثمي صاحب المأمون. تحقيق اللواء عبد الرؤوف عون. مراجعة مصطفى زيادة. ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بالقاهرة.

٢٣٠ ـ **المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية**: للواء محمد جمال الدين عليّ محفوظ. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة (بدون تاريخ).

٢٣١ ـ **المدرسة العسكرية الإسلامية**: للواء محمد فرج. الطبعة الثانية ـ ملتزم الطبع والنشر ـ دار الفكر العربي.

٢٣٢ ـ **المدونة الكبرى**: للامام مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩هـ). ط مكتبة المثنى ببغداد (مطبعة السعادة سنة ١٣٢٣هـ).

٢٣٣ ـ **المراسيل**: للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ). دراسة وتحقيق الشيخ عبد العزيز عزّ الدين السيروان. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ. ط دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٣٤ ـ **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**: لصفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق

البغدادي (ت ٧٣٩هـ). وهو مختصر معجم البلدان: لياقوت. الطبعة الأولى (سنة ١٣٧٤هـ ــ ١٩٥٥م). ط دار إحياء الكتب العربية ــ عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢٣٥ ــ **مرويّات غزوة بدر (جمع ودراسة وتحقيق)**: للشيخ أحمد محمد العليمي باوزير، الطبعة الأولى (سنة ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م). ط مكتبة طيبة ــ المدينة المنورة.

٢٣٦ ــ **مرويّات غزوة الحديبية**: رسالة ماجيستير من قسم السنّة النبوية بالجامعة الإسلامية للشيخ حافظ بن محمد حكمي. مطبوعة على الآلة الكاتبة.

٢٣٧ ــ **مسائل الإمام أحمد**: رواية ابنه عبد الله بن أحمد. تحقيق زهير الشاويش ــ الطبعة الأولى (سنة ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م). الناشر المكتب الإسلامي.

٢٣٨ ــ **المستدرك على الصحيحين**: للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ). وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي ــ رحمهما الله ــ. ط دار المعرفة للطباعة والنشر ــ بيروت ــ لبنان. الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب (سنة ١٣٩٠هـ ــ ١٩٧٠م).

٢٣٩ ــ **المستصفى من علم الأصول**: للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. وبذيله فواتح الرَّحَمُوت بشرح مسلَّم الثُّبوت. الطبعة الأولى سنة ١٣٢٢هـ ــ المطبعة الأميرية بولاق.

٢٤٠ ــ **المسند**: للإمام أحمد بن حنبل. وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. ط المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ــ بيروت.

٢٤١ ــ **المسند**: للإمام أحمد بن حنبل. تحقيق أحمد محمد شاكر. ط دار المعارف سنة ١٣٦٨هـ بالقاهرة.

٢٤٢ ــ **مشكل الآثار**: للإمام أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الحنفي، المعروف بالطحاوي (ت ٣٢١هـ). الطبعة الأولى سنة ١٣٣٣هـ. مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ــ حيدر آباد ــ الدكن.

٢٤٣ ــ **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**: تأليف العلامة أحمد بن محمد بن علي المَقّري الفيُّومي (ت ٧٧٠هـ). صححه على النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية مصطفى السقّا. ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢٤٤ ــ **المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم**: للواء الركن محمود شيت خطاب. الطبعة الأولى (سنة ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦م). الناشر دار الفتح للطباعة والنشر ــ بيروت ــ لبنان.

٢٤٥ ـ **المصنَّف**: لأبي بكر عبد الرزاق بن همَّام الصنعاني. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. الطبعة الأولى (سنة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م).

٢٤٦ ـ **المصنَّف في الأحاديث والآثار**: للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة. تحقيق مختار أحمد الندوي. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ.

٢٤٧ ـ **مطالب أولي النُّهى في شرح غاية المنتهى**: لمصطفى السيوطي الرحباني. ومعه تحرير زوائد الغاية والشرح: للشيخ حسن الشطِّي. منشورات المكتب الإسلامي (بدون تاريخ).

٢٤٨ ـ **المطالبة العالية بزوائد المسانيد الثمانية**: لحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ). تحقيق الأستاذ المحقق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي. الطبعة الأولى سنة ١٣٩٣هـ. ط المطبعة العصرية بالكويت.

٢٤٩ ـ **المطلع على أبواب المقنع**: تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي (٦٤٥ ـ ٧٠٩هـ). الطبعة الأولى (سنة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م). ط المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ـ دمشق ـ سوريا.

٢٥٠ ـ **معارك خالد بن الوليد**: للعميد الركن الدكتور ياسين سويد. الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٠م. ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٥١ ـ **معالم السنن**: للإمام أبي سليمان حَمَد بن محمد الخطَّابي البستي (ت ٣٣٨هـ). وهو شرح سنن الإمام أبي داود (ت سنة ٢٧٥هـ). ط الثانية (سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م). منشورات المكتبة العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٢٥٢ ـ **معجم البلدان**: لياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي. الناشر دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر (سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

٢٥٣ ـ **المعجم الصغير**: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (ت ٣٦٠هـ). ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان. (سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣).

٢٥٤ ـ **المعجم الكبير**: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ). حقَّقه وخرَّج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي. الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ. ط الدار العربية للطباعة والنشر ـ بغداد ـ العراق.

٢٥٥ ــ **معجم ما استعجم**: لأبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ). حقّقه وضبط أصوله مصطفى السقّا. الطبعة الأولى (سنة ١٣٦٤هـ). ط مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٢٥٦ ــ **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**: للمقدّم عاتق بن غيث البلادي. الطبعة الأولى (سنة ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م). نشر وتوزيع دار مكة.

٢٥٧ ــ **معجم معالم الحجاز**: للمقدّم عاتق بن غيث البلادي. الطبعة الأولى (سنة ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م). ط دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٥٨ ــ **المعجم الوسيط**: قام بإخراجه الأساتذة إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار. وأشرف على طبعه عبد السلام هارون. ط مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٢٥٩ ــ **معجم اليمامة**: للشيخ عبد الله بن محمد بن خميس. الطبعة الأولى (سنة ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م). مطبعة الفرزدق ــ الرياض.

٢٦٠ ــ **المغازي**: لمحمد بن عمر بن واقد المشهور بالواقدي (ت ٢٠٧هـ). تحقيق الدكتور مارسدن جونس. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٢٦١ ــ **مغازي رسول الله ﷺ**: لعروة بن الزبير، برواية أبي الأسود عنه. جمعه وحقّقه وقدّم له الدكتور محمد مصطفى الأعظمي. من منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج ــ الرياض ــ المملكة العربية السعودية (سنة ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م).

٢٦٢ ــ **المغانم المطابة في معالم طابة**: لمجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٧٢٩ ــ ٨٢٣هـ). تحقيق حمد الجاسر. منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ــ الرياض. الطبعة الأولى (سنة ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م).

٢٦٣ ــ **المغني**: لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (٥٤١ ــ ٦٢٠م)، على مختصر أبي القاسم عمر بن حسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي (ت ٣٣٤هـ). الجزء التاسع بتحقيق محمود عبد الوهاب فايد وعبد القادر أحمد عطا. الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩هـ. الناشر مكتبة القاهرة.

٢٦٤ ــ **المفردات في غريب القرآن**: تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالأصفهاني (ت ٥٠٢هـ). تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه. ط ١٣٨١هـ.

٢٦٥ ــ **مقدمات ابن رشد (المقدِّمات الممهِّدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات الشرعيات لأمهات مسائل المشكلات)**: لقاضي الجماعة بقرطبة ابن الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت ٥٢٠هـ). مطبعة السعادة بجوار ديوان محافظة مصر ــ لصاحبها محمد إسماعيل.

٢٦٦ ــ **مقدمة ابن خلدون**: للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ). ط المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة (بدون تاريخ).

٢٦٧ ــ **المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني**: للإمام موفق الدين أبي عبد الله أحمد بن قدامة المقدسي. ط الثالثة سنة ١٣٩٣هـ.

٢٦٨ ــ **ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية**: تأليف عدنان النحوي. ط دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع ــ الدمام ــ المملكة العربية السعودية.

٢٦٩ ــ **المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**: لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشر الحربي (١٩٨ ــ ٢٨٥هـ). بتحقيق حمد الجاسر. منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر سنة ١٣٨٩هـ ــ الرياض ــ المملكة العربية السعودية.

٢٧٠ ــ **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (٥٠٨ ــ ٥٩٧هـ). تحقيق الدكتورة زينب إبراهيم القاروط. نشر دار الكتب العلمية ــ بيروت.

٢٧١ ــ **المنتخب من تفسير القرآن الكريم**: نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ــ القاهرة سنة ١٩٧٣م.

٢٧٢ ــ **منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود مذيَّلاً بالتعليق المحمود على منحة المعبود**: وهما من تأليف الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنّا الشهير بالساعاتي. الطبعة الأولى سنة ١٣٧٢هـ ــ المطبعة المنيرية بالأزهر.

٢٧٣ ــ **من معارك الإسلام الحاسمة**: للواء محمد فرج. ط الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة (بدون تاريخ).

٢٧٤ ــ **المهذَّب في فقه الإمام الشافعي**: لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ). الطبعة الثانية ــ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢٧٥ ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: تأليف نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ). بتحقيق محمد عبد الرزاق حمزة. ط المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة (بدون تاريخ).

٢٧٦ ـ مواهب الجليل لشرح مختصر خليل: لأبي عبيد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب (ت ٩٥٤هـ)،وبهامشه التاج والإكليل في شرح مختصر خليل: لأبي عبد الله محمد يوسف العبدري الشهير بالمواق (ت سنة ٨٩٧هـ).. الناشر مكتبة النجاح ـ طرابلس ـ نسخة مصورة عن طبعة مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٩هـ.

٢٧٧ ـ المواهب اللَّدُنِّيَّة بالمِنَح المحمدية: لأحمد بن محمد بن أبي بكر الخطيب القسطلّاني. ومعه كتاب النكت والفوائد السنية لابن مفلح الحنبلي المقدسي (ت ٧٦٣هـ). مطبعة السنة المحمدية (١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م).

٢٧٨ ـ موسوعة فقه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: للدكتور محمد رواس قلعه جي. الطبعة الأولى (سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م). ط مكتبة الفلاح ـ الكويت.

٢٧٩ ـ الموطأ: للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر (ت ١٧٩هـ). صحّحه ورقّمه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي. ط دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) (سنة ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م).

٢٨٠ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ). تحقيق علي محمد البجاوي. الطبعة الأولى (سنة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م). ط دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه.

[حرف النون]

٢٨١ ـ نسب قريش: لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري (١٥٦ ـ ٢٣٦هـ). بتصحيح وتعليق: أ. ليفي بروفنسال. ط دار المعارف للطباعة والنشر سنة ١٩٥١م.

٢٨٢ ـ نظام الحكومة النبوية المسمّى بالتراتيب الإدارية: لعبد الحيّ الكَتّاني. ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ).

٢٨٣ ـ النظرية الإسلامية في الحرب النفسية: للواء محمد جمال الدين علي محفوظ. ط دار الاعتصام ـ القاهرة (بدون تاريخ).

٢٨٤ ــ **النظم الإسلامية**: لأنور الرفاعي. طبعة دار الفكر ــ ١٣٩٢هـ.

٢٨٥ ــ **النظم الإسلامية**: حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن. الطبعة الأولى (١٣٥٨هـ ــ ١٩٣٩م). الناشر مكتبة النهضة المصرية.

٢٨٦ ــ **النظم الإسلامية (نشأتها وتطوّرها)**: للدكتور صبحي الصالح. الطبعة الثانية ــ جمادى الأخرة ــ (١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م). ط دار العلم للملايين ــ بيروت.

٢٨٧ ــ **نظم الحكم والإدارة في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية**: للمستشار علي علي منصور. ط الثانية (١٣٩١هـ ــ ١٩٧١م). الناشر دار الفتح للطباعة والنشر ومحمد الرماح بشيدنه ــ ليبيا.

٢٨٨ ــ **النهاية في غريب الحديث والأثر**: لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (٥٤٤ ــ ٦٠٦هـ). تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. الناشر المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ.

٢٨٩ ــ **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**: لمحمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة الرملي المنوفي المصري الأنصاري الشهير بالشافعي الصغير (ت ١٠٠٤هـ)، ومعه حاشية أبي الضياء علي بن علي الشبراملسي القاهري (ت ١٠٨٧هـ)، وحاشية أحمد بن عبد الرزاق بن محمد بن أحمد المعروف بالمغربي الرشيدي (ت ١٠٩٦هـ). الطبعة الأخيرة (١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦م). الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢٩٠ ــ **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ﷺ**: للعلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني ــ الطبعة الأخيرة سنة ١٣٩١هـ. الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

[حرف الهاء]

٢٩١ ــ **الهداية شرح بداية المبتدي**: لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني المرغيناني، في الفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة ــ رحمه الله ــ (ت ٥٩٣هـ). الطبعة الأخيرة. ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه.

[حرف الواو]

٢٩٢ ــ **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ**: للشيخ علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني الشافعي السَّمْهودي. ط مطبعة الآداب ــ المؤيد بمصر سنة ١٣٢٦هـ.

٢٩٣ ـ **وَفَيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلِّكان (٦٠٨ ـ ٦٨١هـ). تحقيق الدكتور إحسان عباس. ط دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان.

٢٩٤ ـ **كتاب الولاة وكتاب القضاة**: لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري. ط بالأوفست ـ مكتبة المثنى ببغداد.

٢٩٥ ـ **ومضات من نور المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ**: للواء الركن محمود شيت خطاب. الطبعة الثانية (سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م). ط دار الاعتصام بالقاهرة.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني: الفرق بين القيادتين.	٢٦ ــ ٢٧
الفصل الثاني: القائد العسكري: صفاته ــ تعيينه ــ عزله:	٢٩
المبحث الأول: صفات القائد العسكري:	٢٩
المطلب الأول: السبق للإسلام والتضحية للعقيدة.	٢٩ ــ ٣٠
المطلب الثاني: التجربة والخبرة الحربية.	٣٠ ــ ٣٣
المطلب الثالث: الشجاعة والتقوى.	٣٣ ــ ٣٤
المطلب الرابع: الحزم.	٣٤
المطلب الخامس: السخاء.	٣٥ ــ ٣٦
المبحث الثاني: تعيين القائد وعزله:	٣٧
المطلب الأول: تعيينه.	٣٧
المطلب الثاني: عزله.	٣٧ ــ ٣٩
الفصل الثالث: حقوق القائد:	٤١
المبحث الأول: أن يدين له الجند بالطاعة:	٤٢ ــ ٤٤
خطورة إهمال هذا الحق.	٤٤
المبحث الثاني: تخصيص راتب له من بيت المال.	٤٥ ــ ٤٦
المبحث الثالث: المناصرة والتأييد والنصح والتسديد.	٤٧ ــ ٤٨
المبحث الرابع: اتخاذ القرار النهائي وإلزام الجند به.	٤٩ ــ ٥٠
المبحث الخامس: إباحة الأكل من الغنائم قبل القسمة	٥١ ــ ٥٢
المبحث السادس: ألّا ينازعوه في الغنائم ويرضُوا بقسمته بينهم	٥٣ ــ ٥٤
الفصل الرابع: واجبات القائد:	٥٥
المبحث الأول: اتخاذ الحرس على العسكر.	٥٦ ــ ٥٧
المبحث الثاني: أن يتخذ لكل طائفة شعاراً.	٥٨ ــ ٦٠
مطلب في منافع اتخاذ الشعار.	٦٠
المبحث الثالث: أن يعرِّف على جنده العرفاء.	٦١ ــ ٦٢
المبحث الرابع: معرفة أخبار العدو.	٦٣ ــ ٦٤
المبحث الخامس: إتلاف ممتلكات العدو.	٦٥ ــ ٦٨
المبحث السادس: وقف القتال.	٦٩ ــ ٧٢
المبحث السابع: توفير الوسائل المساعدة على النصر	٧٣

الموضوع	الصفحة

الباب الثاني
نماذج من الغزوات التي قادها النبيّ ﷺ

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث
الدروس القيادية المستفادة من هذه الغزوات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الرابع
نماذج من السرايا الحربية في عهد النبي ﷺ والدروس القيادية المستفادة منها

الموضوع	الصفحة

الباب الخامس

نماذج من القادة العسكريين في عهد الرسول ﷺ

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفهارس العامة للرسالة

* * *